بسم الله الرحمن الرحيم
تقديم لجنة إحياء التراث الإسلامى

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ﷺ ، أما بعد : فهذا جزء آخر من أجزاء السيرة النبوية الشريفة ، المسماة : سبل الهدى والرشاد ، فى سيرة خير العباد والمعروفة باسم : « السيرة الشامية » للإمام محمد ابن يوسف الصالحى الشامى ، المتوفى سنة ٩٤٢ هجرية .

وهذا الكتاب المهم فى سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تكفل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بتحقيقه ، ونشره ، فعهدت لجنة إحياء التراث الإسلامى به ، إلى كبار العلماء المحققين ، ليقوموا بتحقيقه ، ومقابلة نسخه المخطوطة ، والرجوع به إلى مصادره ، وتخريج نصوصه ، وضبط كلماته ، بناء على ما ارتضته تلك اللجنة من قواعد التحقيق والنشر .

وقد صدر الجزء الأول من هذه الموسوعة المباركة فى عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، ثم صدر الجزء الثانى فى عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد كذلك ، وبعد ذلك بعام صدر الجزء الثالث بتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى .

ولظروف طارئة توقفت لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عن العمل ، وبعد فترة أعيد تشكيل تلك اللجان من جديد ، فتابعت لجنة إحياء التراث الإسلامى العمل على نشر هذه السيرة التى جمعها مؤلفها من ثلاثمائة كتاب فجاءت موسوعة عظمى تجمع أطراف السيرة من جميع جوانبها ، وقامت بتوزيع الأجزاء المتبقية منها على كبار المحققين فى مصر ، وأخرجت فى عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م الجزء الرابع بتحقيق الأستاذين : إبراهيم الترزى وعبد الكريم العزباوى .

واليوم يسعد اللجنة أن تقدم للعالم الإسلامى الجزء الخامس من هذه الموسوعة وهو استكمال للحديث عن مغازى وسرايا رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - بتحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت ، والدكتور جودة هلال ، وكذلك يسعد اللجنة أن تقدم أيضاً الجزء السادس ، وهو خاص بالحديث عن بعوث ووفود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى .

ونرجو أن توفق اللجنة إلى نشر الأجزاء المتبقية من هذه الموسوعة فى السيرة النبوية الشريفة ، فى أقرب وقت ممكن ، بمشيئة الله ـ تعالى ـ آملين أن يكون فى ذلك ، تيسير لمعرفة سنة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفزاً للهمم ، للاقتداء بها .

والله ولى التوفيق ..

مقرر اللجنة	رئيس اللجنة
د . رمضان عبد التواب	عبد المنعم محمد عمر

قام بتصحيح ومراجعة هذه الطبعة الأستاذ /فهيم محمد شلتوت أحد محققى هذا الجزء .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

من مقدمة المؤلف

هذا كتاب اقتضبته من أكثر من ثلاثمائة كتاب ، وتحريت فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من فضائل سيدنا رسول الله ﷺ من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم صلى الله عليهما وسلم وأعلام نبوته وشمائله وسيرته وأحواله وأفعاله وتقلباته إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته وما أعده له فيها من الإنعام والتعظيم ، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم . ولم أذكر فيه شيئا من الأحاديث الموضوعات وختمت كل باب بإيضاح ما أشكل فيه وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجادات مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات والجمع بين الأحاديث التى يظن بها أنها من المتناقضات . وإذا ذكرت حديثاً من عند أحد من الأئمة فإنى أجمع بين ألفاظ رواته إذا اتفقوا وإذا عزوته لمخرجين فأكثر فإنى أجمع بين ألفاظهم إذا اتفقوا فلا يعترض على إذا عزوت الحديث للبخارى ومسلم وذكرت معهما غيرهما فإن ذلك لأجل الزيادة التى عند غيرهما غالباً ، وإذا كان الراوى عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابياً قلت رضى الله تعالى عنه فإذا كان تابعياً أو من أتباع التابعين قلت رحمه الله تعالى ، وإذا أطلقت الشيخين فالبخارى ومسلم أو قلت متفق عليه فما روياه ، أو الأربعة فأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، أو الستة فالشيخان والأربعة ، أو الخمسة فالستة إلا ابن ماجه أو الثلاثة والأربعة إلا هو ، أو الأئمة فالأمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد والستة والدار قطنى . ولم أقف على شىء من الأسانيد المخرجة للإمام الأعظم أبى حنيفة رضوان الله تعالى عليه فلذلك لم أذكره ، أو الجماعة فالإمام أحمد والستة ، أو أبا عمر فالحافظ يوسف بن عبد البر ، أو القاضى فأبو الفضل عياض ، أو الأمير فالإمام الحافظ أبو نصر على بن هبة الله الوزيرى البغدادى المعروف بابن ماكولا . أو السهيلى فالإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمى ، أو الروض فالروض الأنف له ، أو أبا الفرج فالحافظ عبد الرحمن بن الجوزى ، أو أبا الخطاب فالحافظ عمر بن الحسن بن دحية ، أو أبا ذر فالحافظ أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشنى ، أو الإملاء فما أملاه على سيرة ابن هشام ، أو زاد المعاد فزاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام العلامة أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر بن القيم ، أو أبا الربيع فالثقة الثبت سليمان بن سالم الكلاعى أو الاكتفاء فكتاب الاكتفاء له ، أو أبا الفتح فالحافظ محمد بن محمد بن سيد الناس ، أو العيون فعيون الأثر له ، أو القطب فالحافظ قطب الدين الحلبى ، أو المورد فالمورد العذب له ، أو الزهر فالزهر الباسم ، أو الإشارة فالإشارة إلى سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، كلاهما للحافظ علاء الدين مغلطاي ، أو الإمتاع فكتاب إمتاع الأسماع للإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية الشيخ تقى الدين المقريزى ، أو المصباح فالمصباح المنير للإمام العلامة أبى العباس أحمد بن محمد بن على الفيومى ، أو التقريب

فالتقريب فى علم الغريب لولده محمود الشهير بابن خطيب الدهشة ، أو الحافظ فشيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن على بن حجر ، أو الفتح ففتح البارى له ، أو شرح الدرر فشرحه على ألفية السيرة لشيخه العراقى ، أو النور فنور النبراس للحافظ برهان الدين الحلبى ، أو الغرر فالغرر المضيئة للعلامة محيى الدين بن الإمام العلامة شهاب الدين بن الهائم ، أو السيد فالإمام العلامة شيخ الشافعية بطيبة نور الدين السمهودى ، أو الشيخ أو شيخنا فحافظ الإسلام بقية المجتهدين من الأعلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - رحمهم الله تعالى ، وحيث أطلقت الموحدة فهى ثانى الحروف ، أو المثلثة فهى الرابعة ، أو التحتية فهى آخر الحروف .

وسميت هذا الكتاب « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » وذكر فضائلةوأعلام نبوته وأفعاله وأحواله فى المبدأ والمعاد ، وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمرى وذخيرة دهرى والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يمن على بالنظر إليه فى دار النعيم ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ماشاء الله كان ، ولم يشأ لم يبكن ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

الباب العشرون

فى غزوة بنى قُرَيْظَة[1]

تقدّم فى غزوة الخنْدق أنَّهم ظَاهَرُوا قُرَيْشًا وأعانُوهم على حَرْبِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونَقضُوا العهودَ والمواثيقَ التى كانت بَيْنَهم وبين رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فما أَجْدَى ذلك عنهم شيئاً وبَاءُوا بغضبٍ مِنَ الله ورسوله ، والصَّفْقَة الخاسرَة فى الدنيا والآخرة . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى الله المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم -أى أعانوهم- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ -أى حصونهم- وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِم الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُم وَدِيَارَهُم وَأَمْوَالَهُم وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيراً[2] ﴾ .

قال محمد بن عمر عن شُيوخه : لما تَفَرَّقَ المشركون عن الخَنْدَق خافت بَنُو قُرَيْظَة خوفاً شديدا ، وقالوا : محمد يَزْحَفُ إلينا ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لم يَأْمُر[3] بِقتَالهمْ حتّى جَاءَه جِبْرِيل يَأْمُرُه به .

روى الإمَامُ أَحْمدُ والشَّيْخَان - مُخْتَصرًا - والبَيْهَقىُّ والحَاكم فى صحيحه[4] مُطَوّلاً عنْ عَائشَةَ ، وأبو نُعيم ، والبَيْهَقىُّ منْ وَجْهِ آخر عَنْهَا ، وابنُ عائذ عَنْ جابر بن عبد الله، وابنُ سَعْد عَنْ حُمَيْد بْن هلاَل ، وابن جَرِير عن عبد الله بن أَبِى أَوْفَى، والبَيْهقىُّ

---

(١) انظر فى أخبار هذه الغزوة : مغازى الواقدى ٢ : ٤٩٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٩٤ ط الجمالية سنة ١٩١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٢٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٤ ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٦ وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٦

(٢) سورة الأحزاب الآيات من ٢٥ - ٢٧ .

(٣) كذا فى ط ، م - وفى ت « لم يؤمر » . وكذلك فى (الواقدى - كتاب المغازى ٢ : ٤٩٧) ط أكسفورد .

(٤) فى ت « والحاكم وصححه »

وابنُ سَعْدٍ عن الماجشُون ، والبَيْهقيُّ عن عُبَيد الله بْن كَعْب بن مالك ، وسعيد بن جُبَيْر وابن سعدٍ عن يزيد بن الأَصَم ، ومحمد بن عمر عن شُيُوخه : أَن رَسُولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – لَمَّا رَجَعَ عن[1] الخَنْدق ، والمسلمون وقَدْ عَضَّهُم الحصَارُ ، فرجعوا مَجْهُودين ، فوضعوا السِلاحَ ، وَوَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلى الله عليه وسلم – وَدَخلَ بيتَ عَائشة وَدَعَا بماءٍ فأَخذَ يَغْسل رَأْسه – قَالَ ابن عُقْبة[2] قَدْ رَجَّلَ أَحد شِقَّيْه . قَالَ محمد بن عمر : غَسَل رَأْسَه واغْتَسَل ، وَدَعَا بالمجْمَرَةِ ليَتَبَخَّر[3]، وَقَدْ صَلَّى الظُّهرَ ، قَالَتْ عَائشةُ : فَسَلَّم عَلَيْنَا رَجُلٌ وَنَحْنُ فى البيت . قَالَ محمد بن عمر : وَقَفَ مَوْضع الْجَنَائز ، فَنادى عَذيرَكَ[4] من محارب ! فَقَامَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – فزعًا فوثَبَ وَثْبةً شَديدة[5] ، فخرج إليه ، وَقُمْتُ فى أَثره أَنظر من خَلَل الباب ، فَإِذا هُوَ دحْيَةُ الكَلْبىُّ[6] فيما كُنْتُ أَرى – وَهُو يَنْفُضُ الغُبَار عَنْ وَجْهه ، وَهُوَ مُعْتَمٌّ ، وَقَال ابن إِسحاق : مُعْتَجرٌ بعمامةٍ ، قَالَ الماجشُون – كما رواه أَبو نعيم عنها ، سَوْدَاءَ منْ استَبْرَق ، مُرْخٍ منْ عمامته بَيْنَ كتفَيْه ، عَلَى بَغْلةٍ شَهْباءَ – وفى لفظٍ : فرس – عليها رحالَة وَعَلَيْهَا قطيفة منْ ديباج – قَالَ الماجشُون : أَحمر – عَلَى ثَنَايَاه أَثر الغُبار ، وفى روايةٍ : قَدْ عَصَّبَ رأْسَه الغبار ، عليه لَأْمته ، فاتكأَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – على عَرْف الدَّابَّة ، فَقَالَ : يَارَسُولَ الله ، مَا أَسْرَعْتُم مَا حللتم ، عَذيرَكَ من مُحَارب ! عَفَا الله عَنْك ، وَفى لفظ غَفَر الله لك ، أَوقدْ وَضَعْتُم السِّلاحَ قبل أَن نَضَعَه ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – : « نَعم قَال : فَوَالله مَا وَضَعْنَاه ، وفى لفظٍ : « مَا وَضَعتَ

---

(١) وفى البخارى (٣ – ٣٤ ط عيسى الحلبى) عن عائشة – رضى الله عنها – « لما رجع النبى – صلى الله عليه وسلم – من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل – عليه السلام – فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم . قال : فإلى أين ؟ قال ههنا وأشار إلى بنى قريظة ، فخرج النبى – صلى الله عليه وسلم – إليهم .

(٢) كذا فى م ، ت ، وفى ط « قال عتبة » .

(٣) جاءفى فى شرح المواهب للزرقانى (٢ : ١٢٧) صرح كعب بن مالك عند الطبرانى وغيره بسند صحيح « أنه اغتسل واستجمر » .

(٤) عذيرك : أى من يعذرك . فعيل بمعنى فاعل . وانظر ما يأتى فى شرح المفردات .

(٥) عبارة السيرة الحلبية (٢ : ٣٥٥) وثب وثبة منكرة » .

(٦) هو دحية بن خليفة بن فروةمن فضالة بن زيد من امرئ القيس من الخزرج صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذى أتاه جبريل على صورته (ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٥٨) .

الملائكةُ السِّلاح منذُ نَزَلَ بكَ العدوُّ ، وَمَا رَجَعْنَا الآن إلاَّ منْ طلب القوم حتَّى بلغنا حمراءَ[1] الأَسد ـ يعنى الأَحزاب ـ وقَدْ هَزَمَهُم الله تَعالى ، إنَّ الله ـ تعالى ـ يأْمُرك بقتَال بنى قُرَيْظَةَ ، وَأَنا عَامدٌ إلَيْهم بِمَنْ مَعى من الملائكة لِأُزَلْزِلَ بِهِم الحصون ، فاخرُجْ بالنَّاس » . قال حُميد بن هلال : فقال رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ـ « فإنَّ فى أَصْحَابى جَهْدًا فَلَوْ أَنظَرْتهُم أَيَّاما قال[2] جبريل : انْهَض إليهم ، فَوَالله لأَدُقَّنهم كَدَقِّ البَيْض عَلَى الصَّفَا[3] لأُضعْضعنَّها[4] . فَأَدْبَرَ جبريلُ وَمَن معه منَ الْمَلَائكة حَتَّى سَطَع الغبارُ فى زُقَاق بَنى غَنْمٍ من الأَنْصَار . قَالَ أَنس ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه البخارى[5] : كَأَنِّى أَنظُرُ إلى الغُبار سَاطِعًا فى زُقَاقِ بنى غَنْمٍ ـ مَوْكِب جبريل حين سارَ إلى بنى قريظة .. انتهى .

قالت عَائشةُ : فَرَجَعْتُ . فَلَمَّا دَخَلَ قُلْتُ يَارَسُولَ الله ـ مَنْ ذَاكَ الرَّجُل الَّذِى كُنْتَ تكلِّمه ؟ قَالَ : « وَرَأَيْتِهِ » ؟ قُلْتُ نعم ، قَالَ : « لمن تَشَبَّهْتِ[6] » ؟ قُلْت : بِدِحْيَةَ ابن خليفة الكلبى ، قَالَ : « ذاكِ جبريلُ أَمَرَنِى أَنْ أَمضِىَ إلَى بَنِى قُرَيْظَة » .

قال قتادة فيما رواه ابنُ عائِذ : إن رَسُولَ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم بَعَثَ يومئذ مُنَادياً ينادى « ياخَيْلَ اللهِ ارْكَبِى » وَأَمر رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ بِلالاً فَأَذَّن فى النَّاس : « مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطيعاً[7] فَلاَ يُصَلِّين العَصْرَ إلاَّ ببنى قُرَيْظَة » .

وروى الشيخان عن ابْنِ عُمَر ، والبيهقىُّ عن عَائِشَةَ ، والبيهقىُّ عن الزُّهْرِىِّ وعن ابن عُقْبَة ، والطَّبَرانىّ عن كعب بن مالك : أَنَّ رَسُولَ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ قَالَ

---

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) كذا فى ط . م . وفى ت « فقال »

(٣) الصفا : العريض من الحجارة ، والصفاة صخرة ملساء (اللسان : صفا)

(٤) فى شرح المواهب للزرقانى (٢ : ١٢٧) « وعند ابن سعد من مرسل حميد بن هلال فقال : يارسول الله انهض إليهم فلأضعضعنهم » . وفى السيرة الحلبية (٢ : ٣٥٤) « ولأدخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم لأضعضعنها » . وسيرد المعنى فى غريب المفردات .

(٥) انظر الحديث فى البخارى ٣ : ٣٤ ، وفى ابن كثير : البداية والنهاية ٤ : ١١٧ .

(٦) فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٥ « لمن تشبهينه »

(٧) كذا فى ت ، م . وفى ط « من كان مطيعاً »

لِأَصْحَابه : « عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُصَلُّوا[1] صَلاَةَ الْعَصْرِ » . وَوَقَع فِى مُسْلِم فى حديث ابْنِ عُمرَ صَلاَةَ الظُّهر[2] فأَدرك بَعْضَهُم صَلاَةَ العَصْر ، وفى لَفْظِ الظهر فى الطَّرِيق ، فَقَالَ بَعْضُهم : لَا نُصَلِّيها حَتَّى نَأْتِى بَنِى قُرَيْظَة ، إِنَّا لَفِى عَزِيمَةِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ وَمَا عَلَيْنَا منْ إثم ، فَصَلَّوْا العصرَ ببنى قُرَيظة حين وَصَلُوهَا بَعْدَ غروب
١٤٩ ظ الشَّمْس / . وَقَالَ بَعْضُهم : بَلْ نُصَلِّى ؛ لَمْ يُرِدْ منَّا أَنْ نَدَعَ الصَّلاَةَ ، فَصَلُّوا ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحدًا منَ الفريقين ، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالب فَدَفَعَ إِلَيْه لوَاءَه ، وَكَانَ اللِّواءُ عَلَى حَاله لَمْ يُحَلَّ منْ مَرْجِعه منَ الْخَنْدَق ، فابْتَدَرَهُ النَّاس .

* * *

ذكر مسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى بنى قريظة

قَالَ مُحَمَّد بن عمر ، وَابنُ سَعْد ، وابن هشام ، والْبَلاَذُرى : فَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ عَلَى المدينة ابنَ أُمِّ مَكْتُوم .

قَالَ محمد بن عمر : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم ـ إِلَيْهِم لِسَبْعٍ بقين مِنْ ذِى القعدة ، ولَبِسَ رَسُول الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ السِّلاَحَ والدِّرع[3] وَالمِغْفَرَ وَالْبَيْضَةَ وَأَخَذَ قَنَاةً بِيَدِهِ ، وَتَقَلَّدَ التُّرسَ ، وَرَكِبَ فَرَسه اللُّحيف[4] ، وَحَفَّ به أَصْحَابُه ، قَدْ لَبِسُوا السِّلاح وَرَكِبُوا الْخَيل ، وَكَانت الْخَيْلُ سِتَّةً وثَلاَثين فَرَساً

---

(١) فى ط « أن تصلوا » ومن هنا من ت ، م ويتفق ورواية البخارى ٣ : ٣٤ « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » .

(٢) أسهبت كتب السيرة فى ذكر الخلاف حول أى الصلاتين نهى عنها ، الظهر أم العصر وأى الطائفتين ـ الذين صلوا والذين لم يصلوا ـ قد أصاب . وقد نقل ابن كثير فى البداية والنهاية (٤ : ١١٨) رأياً عن ابن حزم الأندلسى ملخصه : « وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا فى بنى قريظة ولو بعد أيام » وانظر وجوه التوفيق فى التنبيهات .

(٣) الدرع : لبوس الحديد ، تذكر وتؤنث ، والجمع فى القليل أدرع وأدراع ، وفى الكثير دروع (اللسان : درع) ويعرف الدرع بأنه قيص من الزرد يكسو معظم الجسم . وجرت العادة بأن تحتفظ الأسرة بقميص الزرد لتتوارثه الذرية المتعاقبة . وانظر (الملابس المملوكية لماير ـ ترجمة صالح الشيتى ص ٦٦ وما بعدها) .

(٤) اللحيف . بالتصغير كما هنا وفى شرح المفردات . وفى اللسان : لحف « اللحيف اسم فرسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعيل بمعنى فاعل ؛ فإنه يلحف الأرض بذنبه ، وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ « بضم اللام وفتحها كأمير وزبير ، وحاء مهملة ، ويروى بالجيم والخاء المعجمتين » .

وَسَارَ رَسُولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وَسَلَّم – فى أَصْحَابه ، والْخَيْلُ وَالرَّجَّالَة حَوْله قَالَ ابْنُ سَعْد : وَكان مَعَه – صلى الله عليه وسلَّم ثَلاثَة آلاف[1] ، قُلْت : كذا ذكر محمد ابن عمر : أن رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم . رَكبَ فَرساً . وَرَوى الطَّبرانى فى الأوسط بسَنَدٍ رجَالُه ثقَاتٌ عن أَبى رافع ، وَابنُ سعد عن البيهقى وغيره والطبرانىُّ عن ابن عباس: أَنَّ رَسولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – : لَمَّا أَتَى بَنى قريظةَ رَكبَ عَلَى حمارٍ عُرْى[2] يُقَالُ لَهُ يَعْفُور ، والنَّاس حوله .

وروى الْحَاكمُ ، والبيهقىُّ وَأَبُونُعَيْم عَنْ عائشةَ وابن إسحاق عن ....[3].... ومحمد ابن عمر عن شيوخه : أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – مَرَّ بنَفَرٍ منْ بَنى النَّجار بالصَّوْرَيْن فيهم حَارثَة بْنُ النُّعْمَان قد صَفُّوا عليهم السِّلاح فقال : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَد ؟ » قَالُوا : نعَمْ ، دحْيَةُ الكلبى مر على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من استبرق وأمرنا بحمل السلاح فأخذنا سلاحَنا وصفَفْنا ، وَقَالَ لَنَا : هذا رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – يطلع عَلَيْكم الآن ، قالَ حَارثَة بْنُ النُّعْمان : وكنا صفَّين ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم : « ذَاكَ جبْريلُ بعثَ إِلَى بَنى قُرَيْظَةَ ليُزَلْزلَ بهِمْ حُصُونَهُمْ ويقْذف الرُّعْبَ فِى قُلُوبِهِم » .

وسَبَقَ عَلِيٌّ فى نَفَرٍ منَ الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار فيهمْ أَبُو قَتَادَة – إِلَى بَنى قُرَيْظَةَ .

روى مُحَمَّدُ بْنُ عمَر عَنْ أَبى قَتَادة قَال : انْتَهَيْنَا إِلَى بنِى قُرَيْظَة ، فَلَمَّا رَأَوْنَا أَيْقَنُوا بِالشَّرّ ، وَغرَزَ عَلِيٌّ الرَّايَةَ عنْدَ أَصْلِ الْحصْن، فاسْتَقبَلُونَا فى صَيَاصِيهِم يَشْتُمون رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – وَأَزْوَاجَه . قَالَ أَبُو قَتَادة : وَسَكَتْنَا ، وَقُلْنَا : السَّيفُ بَيْنَنَا وبينكم ، وَانْتَهى رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم – إِلَى بَنى قُرَيظة ، فَنزَلَ

---

(١) أى جملة الخارجين ، أعم من كونهم معه أو قبله أو بعده (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨) .

(٢) وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ « فإن صحت رواية أنه ركب فرساً ورواية أنه ركب حماراً – فيمكن أنه ركب الفرس بعض الطريق والحمار بعضها » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين .

قَرِيباً منْ حصْنِهِمْ عَلَى بئْرِ أُنَّا(١) بِأَسْفل حَرَّةِ بَنى قُرَيْظة ، فَلَمَّا رَآه عَلِيٌّ – رضى الله
عنه – رَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلم – وَأَمَرَنى(٢) أَنْ أَلْزَمَ اللِّواءَ ، فلزمته ،
١٥٠ و وَكَرِهَ أَنْ يَسْمَعَ رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسلم – / أَذاهُم وَشَتْمَهم . فَقَالَ لرَسُولِ(٣)
الله – صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم : « لاَ عَلَيْكَ أَلا تَدْنو منْ هَؤُلاءِ الأَخَابيث ؛ فإِنَّ الله – تعالى –
كَافيك اليهود . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عليْه وَسَلَّم : « لِمَ تَأْمُرنى بِالرُّجُوع ؟
فكتمه مَا سَمع ، فقَال : « أَظُنُّكَ سَمِعْتَ منْهم لِي أَذًى » فَقَالَ : نَعَم يارَسُولَ الله .
قَال : « لو رَأَوْنى لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا » . فَسَارَ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –
إليهم ، وتَقَدَّمه أُسَيْد بن الحُضَير – فقال(٤) : يَا أعداءَ الله : لا نبرَحُ عن حصْنِكِمْ
حَتَّى تموتوا جُوعاً ، إنمَا أنتم بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فى جُحْر ، فقالوا : يابن الحُضَير : نَحْنُ
مواليك دون الخَزْرَج ، وخاروا ، فقال : لَا عَهْدَ بيْنِى وبينكم ولا إِلاَّ وذمة(٥) ، وَدَنَا
رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . وتَرَّسْنَا عنه ، ونَادَى بأعلى صَوته نَفراً منْ أَشْرَافهم ،
حَتَّى أَسْمَعَهم فَقَال : « أَجِيبُوا يَا إِخْوَةَ القِرَدَة والخَنَازِير وَعَبَدَةَ الطَّاغُوت هَلْ أَخْزَاكُم
اللهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَه ؟ أَتَشْتُمُونى(٦) » ؟ ! فَجَعَلُوا يَحلِفُون مَا فَعَلْنَا ، وَيَقُولُون :
يا أَبَا القَاسِم مَا كُنْتَ جَهُولاً ، وفى لفظٍ مَا كُنْتَ فَاحِشًا . وَاجْتَمع المُسْلِمُون عِنْدَ رسولِ
الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عشاءً ، وَبَعثَ سعدُ بنُ عبادة – رضى الله عنه – بِأَحْمَال
تَمْرٍ لرسُولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – والمسلمين . فَكَانَ طَعَامَهُم ، وَقَالَ رَسُولُ
اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ « نِعْمَ الطَّعَامُ التَّمر » .

---

(١) بئر أنا : وورد اللفظان دون همز فى الأصول . وانظر التعريف بها فى شرح غريب ذكر مسيره عليه السلام :

(٢) الآمر هو على – رضى الله عنه – وهو الذى كره أن يسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أذى اليهود وشتمهم .

(٣) كذا فى ط . وفى م . ت « فقال يا رسول الله لا عليك » .

(٤) أى أسيد بن الحضير .

(٥) فى ت . م « ولا إل ، ودنا رسول إلخ » وما هنا من ط .

(٦) كذا فى ت ، وفى ط ، م « أتشتموننى » .

ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة

غَدا رَسُولُ اللهِ ـ صلّى اللهُ عليه وسلّم ـ سَحَرا ، وقَدّم الرماةَ وَعبَّأ أَصْحَابه فَأَحاطوا بِحُصُون يَهود ، ورموهم[1] بالنَّبْلِ والْحِجارَة ، وَهُمْ يَرْمُون مِنْ حُصُونِهم حَتَّى أَمْسَوْا، فباتوا حَوْلَ الحُصُون ، وجَعَلَ المسلمون يَعْتَقِبُون ، يَعْقُبُ بَعْضُهم بَعْضًا ، فَمَا بَرِحَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلّى اللهُ عليه وسلّم ـ يُرَاميهم حَتَّى أَيْقَنُوا بالْهَلكة ، وَتَرَكُوا رَمْىَ المسلمين ، وقالوا : دَعُونَا نكلمكم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلّى الله عليه وسلّم : « نعم » فَأَنْزَلُوا نبَّاش بن قيس[2] ، فكلم رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم على أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى مَا نَزَلَت عليه بَنُو النَّضِير مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحلْقَة[3] وتَحْقِنَ دِمَاءنَا ، ونَخْرُجَ مِنْ بِلادِكَ بالنِّسَاءِ والذّرارى ، وَلَنَا مَا حَمَلَتِ الإِبِلُ إِلاَّ الحَلْقة ، فَأَبى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهِ عليه وسلم ـ فَقَالَ : تَحْقِنُ دماءَنَا وَتُسَلِّمُ لنا النِّسَاءَ والذُّرِّيَّةَ وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِما حَمَلَتِ الإبل ، فَأَبى رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إِلاَّ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حكْمِه ، وعاد نَبَّاش إِلَيْهم بذلك .

* * *

ذكر اعتراف كعب بن أسد كبير بنى قريظة وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فَلَمَّا عَادَ نَبَّاشٌ إِلى قَوْمِهِ ، وَأَخْبَرَهُم الْخبر ، قَالَ كَعْبُ بنُ أَسَد : يَامَعْشَر بَنى قُريظة ، وَاللهِ قَدْ نَزَلَ بِكُم مِنَ الْأَمْرِ مَاتَرَوْن وَإِنِّى عَارِضٌ عَلَيْكُم خِلالاً ثلاثًا ، فَخُذُوا مَا شِئْتُمْ منْهَا ، قَالُوا : وَمَا هى ؟ قَال : نُتَابعُ هَذَا الرَّجُل وَنُصدِّقُه . فَوَاللهِ لَقَدْ تَبَيَّن لكُم أَنَّه نَبِيٌّ مُرسَل ، وَأَنَّهُ الَّذِى تَجِدُونَه فى كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُون بِه عَلَى دِمَائِكم وَأَمْوَالكم وَنِسَائِكُم ، وَاللهِ إِنكُم لتَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ[4] ، وَمَا مَنَعَنَا مِنَ الدُّخول مَعَه إِلاَّ الحسد

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وراموهم » .

(٢) نباش بن قيس . كذا فى ط ، وفى ت ، م « بناش من قيس » وما أثبت هو الصواب ويوافقه ما جاء فى (مغازى الواقدى ٢ : ٥٠١) .

(٣) الحلقة : السلاح عامة ، وقيل هى الدروع خاصة (اللسان : حلق)

(٤) جاء فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٧ « عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة ...» .

١٥٠ ظ للعرب / حَيْثُ[١] لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا مِنْ بَنِى إِسْرَائيل ، فَهُوَ حَيْثُ جَعَلَه الله ، وَلَقَدْ كُنتُ كَارِهًا لِنَقْض الْعَهْد والْعَقْد وَلَكِنَّ الْبَلاَء والشؤم مِنْ هَذَا الْجَالِس – يَعْنى حُيَىّ بن أَخْطَب . – وَلَقَد[٢] كان حُيِىُّ بْنُ أَخْطَب دَخَلَ مَعَهُم فى حصْنهم حين رَجَعتْ عَنْهُم قُرَيش وغَطَفَان ، وَفَاءً لكعب بن أَسَد ، بِمَا كَانَ عَاهَدَه عَلَيه – أَتَذْكُرُونَ مَا قَالَ لَكُمْ ابن جَوّاس[٣] حيْن قَدم عليكم : تركت الخَمْرَ والخميرَ والتمير ، وَأَجِئْتُ إلى السُّقَاء والتَّمْرِ والشَّعِير ، قَالُوا : وَمَا ذَاك ؟ قَالَ : إِنَّه يخرج بِهَذِه الْقَرْيَة نَبِىٌّ ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنا حىٌّ أَتبَعْه وأَنْصره ، وَإِنْ خَرَجَ بَعْدِى ، فايا كم أَنْ تُخْدَعوا عنه ، وَاتَّبِعُوه ، فكونُوا أَنْصارَه وَأَوْليَاءَه ، وَقَدْ آمَنْتُم بِالْكتَابَين ، كِلَيْهِمَا الأَوَّل والآخر[٤] ، وَأَقرِئُوهُ مِنِّى السَّلاَم ، وَأَخْبِرُوه أَنِّى مُصَدِّقٌ به . قَالَ كَعْب : فَتَعَالَوْا فلْنُتَابِعْه وَنُصَدِّقه ، فَقَالُوا : لاَ نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوراة أَبدًا ، وَلاَ نَسْتَبْدِلُ بِه غيْرَه ، قَال : فإذا[٥] أَبَيْتُم عَلَىَّ هَذِه فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُج إلى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابه رجَالاً[٦] مُصْلتين السُّيُوف[٧] وَلَمْ نَتْرُك وَرَاءَنَا ثقلاً[٨] حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وبَيْن محمد ، فَإِنْ نَهْلك نَهْلك ، وَلَمْ نَتْرُك وَرَاءَنَا نَسْلاً نَخْشَى عَلَيْه ، وإِنْ نَظْهر فَلَعَمْرى لَنَجدَنَّ النِّسَاءَ والأَبْنَاءَ . قَالُوا : أَنَقتُل[٩] هَؤُلاءِ الْمَساكين ؟! فَمَا خَيْرُ الْعَيْش[١٠] بَعْدهُم ؟ قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُم عَلَىَّ هذه فإِن اللَّيْلَةَ لَيْلَة السَّبْت ، وَإِنَّه عَسَى وَأَنْ يَكُونَ محمدٌ وأَصحابُه قَدْ أَمنُوا فيْهَا فَانْزِلُوا ، لَعَلَّنَا نُصيبُ منْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِه غرَّة ، قَالُوا : نُفسدُ سَبْتَنَا

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت . م « حين » .

(٢) كذا فى ط ، وفى ت، م « وقد كان » .

(٣) جواس : كذا هنا وفى شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٠٢ « ابن خراش » وتوافقه السيرة الحلبية ٢ : ١١٦ .

(٤) أى التوراة و القرآن (السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٧) .

(٥) كذا فى ط ، وفى ت ، م « فإذ » .

(٦) أى مشاة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١) .

(٧) كذا فى ط ، وفى ت ، م « مصلتين بالسيوف » .

(٨) فى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٨ « ثقلا » بفتح الثاء و القاف . وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ بفتح الثاء ويجوز كسرها .

(٩) فى ت ، م « نقتل » على نية الاستفهام المحذوف همزته ، والمثبت عن ط .

(١٠) على سبيل الاستفهام الإنكارى . كما جاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ .

ونُحْدثُ[١] فيه ما لم يُحْدثْ فيه مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إلاَّ مَن قَدْ عَلِمْتَ فَأَصَابَه مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَسْخ ! فَقَالَ : ما بَاتَ رَجُلٌ منكم مُنْذُ وَلَدَتْه أُمُّه لَيْلَةً واحِدَةً مِنَ الدّهرِ حَازِمًا ، فَقَال ثَعْلَبَة وأسيد ابْنَا سَعْيَة ، وأَسَدُ بنُ عُبَيْد ابن عمّهم ، وهم نفرٌ من هذيل[٢] لَيْسُوا مِنْ بَنِى قُرَيْظَةَ ، وَلاَ النَّضِير ، نَسَبهم فَوْق ذَلِكَ وَهُم بَنُو عَمِّ الْقَوْم : يَا مَعْشَرَ بَنِى قُرَيْظَةَ ، والله إنكم لَتَعْلَمُون أنه رسولُ الله ، وَأَنَّ صِفَته عِنْدَنَا ، وَحَدَّثَنَا بِهَا عُلَمَاؤُنا وَعُلَمَاءُ بَنِى النَّضير ، هَذَا أولهم : يَعْنى حُيَيَّ بْنَ أَخْطَب مع جُبَير بن الْهَيبَان - أنه أَصدقُ النَّاس عنْدَنا ، هو خَبَّرنَا بصفَته عنْدَ مَوْته . قَالُوا : لَا نُفَارِقُ التَّوراة . فَلَمَّا رأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرُ إبَاءَهُم نَزلُوا تلْكَ الليلة الَّتِى فى صبحها نزلت بنو قُرَيْظَة فَأَسلموا وَأَمِنُوا على أنفسهم وَأَهليهم وَأَموالهم .

وقال عمرو بن[٣] سُعْدَى : يَا مَعْشَرَ يَهُود ، إنكم قَدْ حَالَفْتم[٤] مُحَمَّدًا عَلَى مَا حَالَفْتُمُوه عليه ، فَنَقَضْتُم عَهْدَه الذى كَانَ بينكم وبينه ، فَلَمْ أَدْخُل فيه ، وَلَمْ أَشركْكم فى غدركم ، فَإِنْ أَبيتم أن تدخُلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأَعطوا الجزْيَةَ فَوَالله مَا أدرى يَقْبلها أَمْ لا ، قَالُوا : فَنَحْن لا نُقِرُّ للعربِ بِخرجٍ[٥] فِى رِقَابِنَا يَأْخذونه ، الْقَتْلُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ[٦] ، قَالَ : فَإِنِّى برِئٌ منكم . وخَرَجَ فى تِلْكَ اللَّيْلَة مع ابنى

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وتحدث فيها »

(٢) من هذيل : كذا فى الأصول ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢١ « من بنى هدل ، وهم بنو عم القوم » وسيأتى فى شرح الغريب ص « هدل » مخالفاً ما هنا .

(٣) هو عمرو بن سعدى القرظى . ذكره الطبرى والبغوى وابن شاهين وغيرهم فى الصحابة . وهو الذى نزل من حصن بنى قريظة فى الليلة التى فتح حصنهم فيها فلم يدر أين ذهب . (ابن حجر : الإصابة ٢ : ٥٣١) .

(٤) حالفتم : كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٠٣ - أما فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ فهى «خالفتم» بالخاء المعجمة .

(٥) فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ « لانقر للعرب بخراج » .

(٦) وهناك رواية أخرى جاءت فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ . وفى لفظ أنه قال لهم قبل أن يقوم النبى صلى الله عليه وسلم لحصارهم : يابنى قريظة لقد رأيت عبرا ، رأيت دار إخواننا - يعنى بنى النضير - خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى الفاضل والعقل ، تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم ، وخرجوا خروج ذل ، لا والتوراة ماسلط هذا على قوم قط ولهم بهم حاجة وقد أوقع بنى قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم ، فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب ، ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً ، فو الله إنكم لتعلمون أنه نبى وقد بشرنا به علماؤنا ، ثم لازال يخوفهم بالحرب والسبى والجلاء حتى حلت بهم مقدمة جيش النبى صلى الله عليه وسلم .

سَعْيَة ، فَمَرَّ بحَرَسِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم ـ وعليهم محمد بن مَسْلَمَة ،
فَقَال محمد : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عَمْرُو بْنُ سُعْدَى ، قَالَ مُحَمَّد : مُرَّ اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمنِى
إقَالَةَ عَثَرَاتِ الكرام ، وَخَلَّى سبيله ، وَخَرَج حَتَّى أَتى مَسْجد رسول الله ـ صَلَّى الله
عَلَيْه وَسَلَّم ـ فَبَاتَ به حَتَّى أَصْبَح فلما أصبح غدا فلم يدْر أَنَّى هُوَ حَتَّى السَّاعة / فذكر ١٥١ و
شأْنه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاه اللهُ بِوَفَائِه » .

* * *

ذكر طلب يهود أبى لبابة(١) وما وقع له ونزول توبته

قَالَ أَهْلُ المغازى وَجَدَّ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسَلَّم ـ فِى حِصَارِهِم ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِم الْحِصَارُ أَرسَلُوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسَلَّم ـ لَيْلَةَ السَّبت أن ابعث إِلَيْنَا أَبا لُبَابه بن(٢) عبد المنذر فنستشيره فى أَمْرِنا فَأَرسله إليهم رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ فلما رَأَوْهُ قَامَ إليه الرِّجال وبَهَش(٣) إليه النِّسَاءُ والصِّبْيانُ يَبْكُون فى وَجْهِه ، فرقَّ لَهُم ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَد : يا أَبَا لُبَابة ، إِنَّا قَدْ اخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرك ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إلاَّ أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حكمه أفترى أن ننزل على حكمه ؟ قَال نَعم ، وَأَشَارَ بِيَده إِلَى حَلْقه أى أنه الذَّبح . قَالَ أبو لُبَابَة : فَوَالله مَازَالَتْ قَدَمَاى عَنْ مَكَانهما حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّى قَدْ خُنْتُ اللهَ وَرَسُوله . فَنَدِمْتُ وَاسْتَرْجَعْت فَنَزَلْتُ وَإِنَّ لحْيَتِى لمبْتَلَّةٌ مِنَ الدُّموع ، والنَّاس يَنْتَظِرُون رُجُوعى إِلَيْهِم حَتَّى أَخَذْتُ مِنْ وَرَاءِ الْحِصْنِ طَرِيقًا أُخْرَى ، حَتى جِئْتُ إِلَى الْمَسْجِد ، وَلَمْ آت رَسُولَ الله ـ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم ـ فَارْتَبَطْتُ وَكَانَ ارْتِبَاطى عَلَى الأسطُوانَةِ(٤) المخلقة الَّتِى يُقَالُ لَهَا أُسْطوانة التَّوْبَة ، وَقُلْتُ لا أبرحُ مِنْ مَكَانِى

---

(١) هو أبو لبابة الانصارى الموق . أحد النقباء . عاش إلى خلافة على رضى الله عنه ، واسمه ـ فيما صدر به السهيلى ـ رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل بشير بن عبد المنذر (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ ـ وجاء فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ لأنه كان من حلفاء الأوس وبنو قريظة منهم ، وفى لفظ وكان أبو لبابة مناصحاً لهم؛ لأن ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة ـ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٢) لفظ « ابن » ساقط من الأصول . والإثبات عن شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٣) بهش : كذا هنا ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٠٦ ، ومعناها : أسرع . أما فى شرح الغريب ص فالكلمة « جهش » بالجيم وكذلك فى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٩ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١١١ .

(٤) أى التى طليت بالخلوق ـ بوزن رسول ـ وهو مايخلق به من الطيب (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٢) .

حَتَّى أموت أو يَتُوبَ اللهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْت ، وَعَاهَدتُ الله تَعَالى بِأَلا أَطَأَ أَرْض بَنِى قُرَيْظَة أَبَدًا وَلَا أُرَى[1] فِى بَلَد خُنْتُ اللهُ تَعَالى ورسوله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - فيه أَبَدًا ، وَبَلَغَ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ذهَابِى وَمَا صنَعْتُ ، فقَال : « دَعُوه حَتَّى يُحدِثَ الله تَعالَى - فيه مَا شاءَ ، لَوْ كَانَ جَاءَنِى اسْتَغْفَرْتُ له ، فإذَا لَم يَأْتِنِى وَذَهَب ، فَدَعُوه » . وَأَنْزَلَ الله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ[2] ﴾ قَالَ أَبُو لُبابة : فكُنْتُ فِى أَمْر عَظِيم ، فِى حَرٍّ شَدِيد عدَّة لَيَالٍ لَا آكُلُ فيهِنَّ وَلَا أَشْرَب ، وَقُلْتُ : لَا أَزَالُ هَكَذا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيا ، أَو يَتُوبَ الله عَلَيَّ . وَأَذكُرُ رُؤْيا رَأَيْتُهَا فِى النَّوم ونَحْنُ مُحَاصِرُونَ بنى قُرَيْظَة . كَأَنِّى فى حَمْأَةٍ آسنَة ، فَلَمْ أَخْرُجْ منها حَتَّى كِدْتُ أَمُوتُ مِنْ رِيحِهَا ، ثُمَّ أَرى نَهرًا جَارِياً فَأَرَانى اغْتَسلْتُ فيه حَتَّى اسْتَنقَيْتُ وَأُرانى أَجِدُ رِيحًا طَيِّبَةً فَاسْتَعْبَرتها أَبَا بَكْر فَقَالَ : لَتَدْخلَنَّ فِى أَمْرٍ تَغْتَمُّ له ، ثم يُفَرَّجُ[3] عِنْدَئذ ، فكنت أَذْكُرُ قَوْلَ أَبِى بَكْرٍ وَأَنا مُرْتَبِطٌ ، فَأَرْجُو أن يُنْزِلَ اللهُ تَعَالَى - تَوْبَتِى . قَالَ : فَلَمْ أَزَل كَذَلك حَتَّى مَا أَسْمَعَ الصَّوتَ مِنَ الْجَهْد - وَرَسُولُ الله - صلى الله عَلَيْه وسلم - يَنْظُرُ إِلَيَّ .

قَالَ ابن هشَام : أَقَامَ مُرْتَبِطًا ستَّ لَيَالٍ تَأْتيه امرأَتُهُ كُلَّ صَلَاةٍ فَتحلُّه حَتَّى يَتَوضَّأَ ويصلي ثُمَّ يَرْتَبِط .

وَقَالَ ابن عُقْبَة : زَعَمُوا أَنَّه ارتبط قَرِيباً مِنْ عِشْرِينَ[4] لَيْلَة . قَالَ فى الْبِدَاية : وَهَذَا أَشْبَهُ الْأَقَاوِيل ، وَقَالَ ابنُ إِسْحَاق : أَقَامَ مُرْتَبِطًا خَمْسًا وَعِشْرِين لَيْلَةً . قَالَ أَبُو عمر[5] : روى ابن وهب عَنْ مَالك عَنْ عبد الله بن أَبِي بكر أن أَبَا لُبَابَة ارْتَبَطَ

---

(١) أرى : بفتح الهمزة كما سيجيء فى شرح المفردات ص . وفى شرح المواهب للزرقانى فى ٢ : ١٣٢ « بضم الهمزة وفتح الراء » .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٣) كذا فى ط ، م - وفى ت « يفرج عنك »

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٥) أبو عمر : هو الحافظ أبو عمر بن عبد البر (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٢) .

بِسِلْسِلَة رَبُوضٍ -والرَّبُوضُ الثَّقيلَةُ - بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة حَتَّى ذَهَبَ سَمْعُه فَمَا يَكَادُ يَسْمَع ، ويَكَادُ[1] يَذْهَبُ بَصَره . وَكَانَتْ ابنته تَحُلُّهُ إذا حَضَرَت الصَّلاةُ أو أَرَادَ أن يَذْهب لحاجته فإذا فَرَغَ أَعَادَت الرباط . والظَّاهر أَنَّ زَوْجَتَه كَانت تُبَاشرُ حَلَّهُ مَرَّةً وَابنته مَرَّة .

وَأَنْزَلَ الله تَعَالى - فى تَوْبَة أَبِي لُبَابة ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ[2] ﴾

قَالَ ابنُ إِسْحَاق : حَدَّثَنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط[3] : إن تَوْبَةَ أَبِي لُبَابة نزلت على رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم من [السحر][4] وَهُوَ فى بَيْت أَمّ سلمة ، قَالَت أُمُّ سَلَمَة: فَسمعْتُ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم منَ السَّحر وَهُو يَضْحكُ ، قَالت : فَقُلْتُ : يَارَسُولَ الله ممَّ تَضْحَكُ ؟ أَضْحَكَ اللهُ سنَّك ؛ قَال : « تيبَ عَلَى أَبِى لبَابَة » قَالَت : قُلْتُ أَفلاَ أُبَشِّرُهُ يَارَسُولَ الله ؟ قَال : بَلَى إِنْ شئْت » قَالَ : فَقَامَت عَلَى بَابِ حُجْرَتها - وَذَلكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِن الحجاب - فَقَالَتْ : يَا أَبَا لُبَابة ، أَبْشِرْ فَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَيْكَ قَالَت : فَسَارَ النَّاسُ إِلَيْه ليُطْلقُوه ، فَقَالَ : لَا وَالله حَتَّى يكون رَسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - هُوَ الَّذى يُطْلقُنى بيده . فَلَمَّا مَرَّ عليه خَارِجًا إِلى صَلَاة الصُّبح أَطْلَقَه . قَالَ السُّهَيْلِىُّ وَرَوى حَمَّاد بن سلمة عَنْ على بن زيد عن على بن الحسين - رضوان الله عليهم أجمعين - قال : إن فاطمة - رضى اللهُ عنها . جاءت تَحُلُّه فقال إِنِّى حَلَفْتُ أَلا يَحُلَّنى إلا رسول الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - فقال النبى - صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم : « إِنَّ فَاطمَة بِضْعَةٌ منِّى » قلت : على بن زيد هو ابن جدعان ضعيف ، وعلى ابن الحسين روايته مرسلة - قَالَ أَبو لُبَابة : يارسولَ الله إِنَّ منْ تَوْبَتى أَنْ أَهْجُرَ

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى ت « وكاد » .

(٢) الآية ١٠٢ من سورة التوبة .

(٣) يزيد بن عبد الله بن قسيط : بقاف ومهملتين مصغراً - ابن أسامة الليثى أبى عبد الله المدنى الأعرج الثقة توفى سنة ١٢٢ هـ روى عنه الستة (شرح المواهب ٢ : ١٣٢) .

(٤) الإضافة عن السيرة لابن هشام ٢ : ٢٣٧ .

دَارَ قَوْمِى الَّتى أَصَبْتُ فيها الذنب ، وَأن أنخلع منْ مَالى كلِّه صَدَقَةً إلى الله وَإلَى رسوله .
قَالَ : « يجزئك الثُّلث يَا أَبا لُبابة[1] » .

* * *

ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورده الأمر إلى سعد بن معاذ — رضى الله عنه

فَلَمَّا جَهَدَهم الْحِصَارُ ، نزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم بأسراهم[2] فكُتِّفوا رِبَاطا ، وَجَعَلَ عَلَى كِتَافِهِم محمد بنَ مَسْلَمة ، وَنُحُّوا نَاحِيةً ، وَأَخْرَجُوا النِّسَاءَ والذرية مِنَ الْحُصُون فكَانوا نَاحِيَة وَاسْتَعْمَلَ عليهم عَبْدَ الله بن سَلام ، وَجُمِعَتْ أَمتعتُهم وَمَا وُجِدَ فى حُصُونهم مِنَ الْحلْقَة والْأَثَاث وَالثِّياب ، وَوَجَدُوا فيها أَلْفًا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع ، وَأَلْفَىْ رُمْح ، وألفاً وخمسمائة تُرْس وحجَفة[3] وَأَثَاثًا كثيرا ، وآنية كثيرة ، وَخَمْراً ، وَجِرَارًا ، وسكرا[4] فَهُرِيقَ ذَلِكَ كله . وَلَمْ يُخَمِّسْه وَوَجَدَ مِن الجِمَال النَّوَاضِح عِدَّةً ، وَمِنَ الْمَاشيةِ شَيْئًا كثيرا ، فجمع هذا كله .

وَتَنَحَّى رسول الله – صلى الله عَلَيْه وَسَلَّم – وَجلَس وَتَوَاثبت[5] الْأَوْسُ إلى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – فقَالوا : يارَسُولَ اللهِ حُلَفَاؤُنَا دُونَ الخزرج ، وَقَدْ رأيت ما صنعتَ بِبَنى قَيْنُقاع بِالْأَمْس حلفاءِ ابن أُبَىّ وهبتَ له ثَلاثمائة حَاسِر ، وأربعمائة دارع . وَقَدْ نَدِمَ حُلَفَاؤُنَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَقْضِهِم العهد فَهَبْهُم لَنَا ، ورَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – سَاكتٌ لَا يَتَكَلَّم حَتَّى أَكْثَرُوا عَلَيْه وألحوا وَنَطَقَتْ الْأَوس كلها ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلم : « أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يكونَ / الحكمُ فيهم إلى رجل ١٥٢ و
منكم » ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَذَلِكَ إلَى سَعْد بن مُعَاذ » .

---

(١) كذا فى ط . وفى ت ، م « يجزيك يا أبا لبابة الثلث » .
(٢) كذا فى ط . وفى ت ، م « بأسرائهم » .
(٣) الحجفة : بفتح الحاء والجيم والفاء ، وهى الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب (الصحاح ص ١٣٤١) .
(٤) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٠ « وجرار سكر » .
(٥) كذا فى ط ، وفى ت ، م « ودنت » وتوافقهما (مغازى الواقدى ٢ : ٥١٠) .

وَقَالَ ابْنُ عُقْبَة : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « اخْتَارُوا مَنْ شِئْتُم مِنْ أَصْحابِي » فَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ مُعَاذ ، فَرَضِي بذَلِك رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - وَسَعْدٌ يومئذٍ فى المسجد بِالمدينة ، فى خيمة كُعَيْبَة بنت سُعَيْد - بالتَّصْغير فيهما - الأَسْلَمِيَّة[1] ، وكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحى وتَلُمُّ الشَّعْث ، وتقوم عَلَى الضَّائِع الَّذِى لاَ أَحَدَ له ، وَكَانَ لَهَا خيمةٌ فى المسجد ، وَكَانَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - جعل سَعْدَ ابنَ مُعَاذٍ فيها لِيَعُودَه مِنْ قريب فَلَمَّا جَعَلَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - الحُكْمَ إلى سَعْدٍ خَرَجَت الأَوْس حَتَّى جاءُوه فَحَمَلُوه عَلَى حِمَارٍ بأَعرابى بشَنَذَة[2] مِنْ ليف وَعَلَى الحمار قطيفة فَوْقَ الشَّنَذَة ، وخطامه مِنْ ليف ، وَكَانَ رجلاً جَسِيمًا ، فَخَرَجُوا حَوْلَه يَقُولُون : يَا أَبَا عمرو ، إنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - قَدْ وَلاَّكَ أَمْرَ مَوَالِيك لتُحْسِنَ فيهم ، فَأَحْسِنْ فَقَدْ رأيتَ ابن أُبَيّ وَمَا صَنَعَ فى حُلَفَائه ، وأكثروا مِنْ هذا وشِبْهِه ، وَهُوَ لَا يَتكلم ، حَتَّى إذا أكثروا عليه قال سعد : قد آنَ لسعدٍ أَلاَّ تَأْخُذَه فى الله لومةُ لَائم ، فقال الضَّحَّاك بن خليفة بن ثعلبة بن عَدِيّ بن كعب بن عبد الأَشْهَل الأَنْصارِى : وَاقَوْمَاه ! وَقَالَ غيرُهُ منهم نَحْوَ ذلك ثُمَّ رجع الضَّحَّاكُ إلى الأَوْسِ فَنَعَى لهم رِجَالَ بني قُرَيْظَة قَبْلَ أَنْ يَصلَ إِلَيْهِم سعد ؛ عنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْه ، وأَقْبَلَ سعدٌ إلى رسُولِ اللهِ - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم والنَّاس حَوْلَ رَسُولِ الله صَلَّى عليه وسلم جُلُوسٌ ، فَلَمَّا طلع سَعْدُ بن مُعَاذ - وفى الصَّحِيحَيْن - فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِد : أى الذى كان فيه رَسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلم - أَعَدَّه بِبَنِى قُرَيْظَة - أيام حِصَارِهِم - للصلاة ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم : « قُومُوا إلى سَيِّدكُم » وفى لفظ « خَيْرِكم » فَأَمَّا المهاجرون مِنْ قريش فَإِنَّمَا يقولون[3] : إنَّما أراد الأَنْصار ، وأَمَّا الأَنْصارُ فَيَقُولُون : قَدْ عمَّمَ بها رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - المسلمين ، وَعِنْدَ الإمام أحمد « قُومُوا إِلَى سَيِّدكم » فَأَنزلوه ، وَكَانَ رجال من بنى عبد الأَشهل يقولون : قُمْنَا له عَلَى أرجلنا صَفَّيْن ، يُحَيِّيه كُلُّ رجُلٍ مِنَّا حَتَّى أنتهى إلى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وَسَلم .

---

(١) عبارة السيرة لابن هشام ٢ : ٢٣٩ « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده » .

(٢) الشنذة : شبه إكاف يجعل لمقدمته حنو (النهاية ٢ : ٢٣٨) وهى ف ت ، م « شندة » بدال مهملة .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت ، م « فيقولون إنما أراد الأنصار » .

وفى حديث جَابِرٍ – رضى الله عنه : عِنْدَ ابن عايد ، فقال رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :– احكمْ فيهم يا سعد ، فقال : اللهُ ورسوله أحق بالحكم . قال : « قد أَمَرَكَ اللهُ أَنْ تَحْكُمَ فيهم » . وَقَالَت الأوسُ الَّذين بَقُوا عند رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم : يا أبا عمرو : إنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قد وَلَاكَ الحُكْمَ فى أَمْرِ مَوَاليك فَأَحْسِن فيهم ، واذكر بَلاءهم عِنْدَك[1] ، فَقَالَ سَعْد : أَتَرضَوْنَ حُكْمى لبنى قُرَيْظَة ؟ قالوا : نعم ، قد رضينا بِحُكْمك ، وَأَنْتَ غائبٌ عنا ، اختياراً منا لك ، ورَجَاء أَنْ تمُنَّ علينا كما فعل غيْرُك بِحُلَفَائه بنى قَيْنُقَاع ، وأثرنا عندك أَثَرُنا ، وأحوج ما كنا اليوم إلى مُجَازَاتك . فقال سعد : ما آلوكم جهداً ، فقالُوا : مَا يَعْنى بِقَوْلِهِ هَذَا ؟ ثم قال سعد : عليكم عهدُ اللهِ وميثاقُه ؛ أَنَّ الحكم فيهم ما حكَمت ؟ قالوا : نعم ، ثم قَالَ سَعْد لِلنَّاحية الَّتى فيها رسولُ الله – صلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّم – وهو مُعْرِضٌ عنها[2] إجْلَالاً لرسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وَعَلَى مَنْ هاهنا مثل ذلك ؟ / ١٥٢ ظ
فقالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ومنْ معه : « نعم » قَالَ سَعْد : فإنِّى أحكمُ فيهم أَنْ يُقتَل كلُّ مَنْ جَرَت عَلَيه المُوسَى ، وتُسْبَى النِّسَاءُ والذُّرِّية ، وتُقَسَّم[3] الأَموال وتكون الدِّيارُ للمهاجرين دون الأَنْصار . فقالت الأَنْصار . إخواننا كنَّا معهم ، فَقَالَ : أَحْبَبتُ أَنْ يَسْتَغْنُوا عنكم » فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : لقد حكَمْتَ فيهم بِحُكْمِ اللهِ الَّذِى حَكَم بِهِ من فوق سَبْع سَمَوات[4] .

---

(١) أى مناصرتهم ومعاونتهم لك قبل هذا اليوم (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٤) .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٢ « وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له » . وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٢ « وهو معرض عنه » .

(٣) تقتل وتسبى وتقسم : بالبناء للمفعول : لأنه جواب لقومه الأنصار ، وقيل بالبناء للفاعل ؛ لأنه جواب لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم احكم فيهم ياسعد (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٥) .

(٤) فى ت « من فوق سبعة أرقعة » وفى السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٢ « من فوق سبعة أرقعة » . والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة » وجاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٥ « سبعة أرقعة – بالقاف جمع رقيع بتذكير العدد على معنى السقف كما قال ابن دريد – إذ السماء مؤنث سماعى فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد » وفى القاموس الرقيع كأمير : السماء أو السماء الدنيا .

والحديث أخرجه النسائى وهو من رواية محمد بن صالح بن دينار التمار المدنى مولى الأنصار ، صدوق يخطىء . مات سنة ثمان وستين ومائة .

وذكر ابن إسحاق فى غير رِوايَة البَكَّائِي : أَنَّ رَسُولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قَالَ فى حُكْمِ سَعْد : « بِذَلِكَ طَرَقَنِي المَلَكُ(١) سَحَرًا » ، وَكَانَ سعدُ بنُ مُعَاذ فى الليلة التى فى صبيحتها نَزَلَتْ بنو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ قَدْ دَعَا فَقَال : اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ أَبقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فأَبقنى لَهَا فَإِنَّه لَا قَوْمَ أَحَبُّ إلَىَّ أن أُقَاتِلَهُم مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَك آذوه وَأَخرَجُوه ، وَإِنْ كَانَت الحربُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا عَنَّا وَعَنْهُم فَاجْعَلْهَا لى شَهَادَة ، ولَا تُمتنى حَتَّى تُقر عينى منْ بَنِى قُرَيْظَة ، فَأَقَرَّ اللهُ تَعَالَى عَيْنَه منْهُم

* * *

ذكر قتلهم واخذ اموالهم وسبى ذراريهم

فلما حَكَم سعدُ ، بما حَكَمَ ، وَانْصَرَفَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الخميس لتسعٍ(٢) ليالٍ كما ذكر محمد بن عمر وابن سعد ، وجزم به الدّمياطى ، وقيل لخمسٍ ـ كما جُزم به فى الإشارة ـ خَلَوْن من ذى الحجة ، وَأَمَرَ بِهِم فَأُدْخِلُوا المدينة ، وأمر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسَّبْى فَسِيقُوا إلى دَار أُسَامَة بْنِ زَيْد ، والنّساءُ والذُّرِّية إلى دَارِ رَمْلَة(٣) بِنْتِ الْحَارِث ، ويُقَال حُبسُوا جميعاً فى دار رمْلَة ، وأمر لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأحمال تَمْر فنشرت لهم ، فَبَاتُوا يَكْدِمُونَهَا كدْم الحُمُر ، وَأَمَرَ بالسِّلَاح والْأَثَاث والْمتَاع والثياب فحمل إلى دار [ابنة الحارث(٤)] وبالإبل والغنم ترعى هناك فى الشَّجر ، فَلَما أَصبح رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غَدَا إلى السُّوق ، فَأَمَرَ بأُخدود فخُدَّت(٥) فِى السُّوق مَا بَيْنَ مَوْضِع دَارِ أَبِى الْجَهْمِ العدوى

---

(١) الملك : فى الأصل الملك بكسر اللام كما جاء الضبط أيضا فى شرح الغريب .

(٢) فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٦ ذكر الروايات المختلفة فى العدد . فروى عن ابن سعد « لسبع » وعن مغلطاى « لخمس » ولكن مؤلفنا يذكر ابن سعد فى القائلين « لتسع » .

(٣) هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٦) ، ويقال إن اسمها نسيبة أو كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس (الروض الأنف ٢ : ١٩٨) .

(٤) بياض بالأصول ، والإضافة عن (مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣) .

(٥) كذا فى ت وفى مغازى الواقدى (٢ : ٥١٣) . وفى ط ، م « فخندق »

إِلَى أَحْجَار الزَّيت[1] ، فكان أصحابه هناك يَحْفرون ، وَجَلَسَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه علية[2] أصحابه وَدعَا برجَالِ بنى قُرَيْظَة ، فَكَانُوا يخرجُون أَرْسالاً ، تُضْرَبُ أَعْنَاقُهم فى تِلْكَ الْخَنَادِق ، فقالوا لكعب بن أسد – وهم يُذْهَبُ بِهِمْ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَرْسَالاً : يَا كَعْبُ ، ما ترى محمدًا يَصْنَع بنا ؟ قال : ما يَسُوءُكم ، ويلكم ! على كل حالٍ لَا تَعْقِلُون !! أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِى لا ينزع ، وأَنَّه مَنْ ذَهَبَ منكم لَا يَرْجع ؟ هو والله السَّيف ، قَدْ دَعَوْتُكُم إلى غَيْرِ هَذَا فَأَبَيْتُم عَلَىَّ قالوا : لَيْسَ هذا بحين عِتَاب ، لولا أَنَّا كَرِهْنَا أن نُزْرَى[3] برأيك مَا دخلنا فى نَقْض الْعَهْد الَّذى كان بَيْنَنَا وبَيْنَ مُحَمَّد ، قَالَ حُيَىّ بن أخطب : أتركوا ما تَرَوْنَ من التَّلاوُم ، فإنه لا يَرُدُّ عنكم شَيْئًا ، واَصْبِرُوا للسيف ، وكان الذين يلون قَتْلَهُم علىّ ابن أَبِى طالب والزبير بن العوام وَجَاءَ سَعْدُ بنُ عُبَادة والحُبَابُ بْنُ الْمُنْذر ، فَقَالا : يا رسول الله ، إن الأَوْس قد كَرِهَتْ قَتْلَ بنى قُرَيْظَةَ لِمَكَانِ حلفهم ، فقال سعدُ بنُ مُعَاذ : ما كرِهَه من الأَوْس أحدٌ فيه خَيْرٌ ، فَمَنْ كَرِهَهُ فَلاَ أرضاه الله . فقام أُسَيْدُ ابن الحُضَيْر – / رضى الله عنه – فَقَالَ : يَارَسُولَ الله : لا تُبْقِينّ[4] دَارًا منْ دُورِ الأَوْس و١٥٣ إلاَّ فَرَّقْتَهُم فيها ، فَمَنْ سَخِطَ فلا يُرْغمُ اللهُ إلاَّ أَنْفَه ، فَابْعَثْ إلى دَارى أَوَّل دورهم ، فَفَرَّقَهُمْ فِى دُورِ الأَوس فَقَتَلُوهم ثُمَّ أتى بِحُيَىّ بْن أَخْطَب[5] مَجْمُوعَةٌ يَدَاه إلى عُنُقِه ، عَلَيْه حُلَّة شُقْحِيَّة[6] . وقال ابن إسحاق : فُقَاحِيَّة قَدْ لَبِسها للقتل ، ثُمَّ عمد إليها فشقّها أَنْمُلَةً أَنْمُلَةً لِئلاَّ يَسْلُبَه إيَّاها أَحَدٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – حين طلع : « أَلَمْ يُمكّن الله مِنك يَا عَدُوَّ الله : قال بلى والله ، أَمَا وَالله مَا لُمْتُ نَفْسِى فِى عَدَاوَتك ، وَلَقَد اَلتمَسْتُ العزَّ فى مكانه فَأَبَى الله إلاَّ أَنْ يُمكّنك . وَلَقَدْ قَلْقَلْتُ

---

(١) كذا فى ط ، م وفى ت « أحجار الزيت بالسوق » .

(٢) كذا فى ط . وهو المذكور فى شرح المفردات ص أما فى ت ، م ومعه عامة » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت ، م (أن نردى) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣ (أن نزرى) بضم النون كما أثبتنا .

(٤) كذا فى ت ، م وفى ط « لا تبق دار » .

(٥) هو حيى بن أخطب النضرى ، جاهلى من الأشداء العتاة ، وكان ينعت بسيد الحاضر والبادى ، آذى المسلمين كثيراً (سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٨ ، ١٤٩) و (الإعلام للزركلى ٢ : ٣٣١) .

(٦) شقحية : بضم الشين كما سيرد فى شرح المفردات ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣ بفتح الشين وسكون القاف . وفسرت فى الهامش بالحلة الحمراء .

كُلَّ مُقَلْقِل ، ولكنه من يَخْذُل الله يُخْذَل . ثم أَقْبَلَ على النَّاس فقال : أَيُّها النَّاس ، لَا بَأْسَ بأَمْرِ الله ، قَدَرٌ وَكِتَابٌ ومَلْحَمَة كتبت على بنى إسرائيل ! ثمَّ جَلَس فضُرِبَتْ عُنُقُه ، وأُتِىَ بنبَّاش بن قيس وَقَدْ جابذ الذى جاءَ به حَتَّى قَاتَله فدَقَّ الذى جاء به أنفَه فَأَرْعَفَه . فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – للذى جَاءَ به « لِمَ صنعتَ هذا به . أَمَا كَانَ فِى السَّيْف كفاية ؟ » فَقَالَ : يَارَسُولَ الله ، جَابَذَنى لأَن يهرب ، فَقَالَ نَبَّاش : كَذَبَ والتَّوراة يا أَبَا القاسم ، لَوْ خلاَّنى مَا تأخرت عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فيه قَوْمِى حَتَّى أَكُونَ كَأَحَدِهِم[1] ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسَلَّم : « أَحْسِنُوا إِسَارَهُم وَقَيِّلُوهُم وَاسْقُوهُم ، حَتَّى يُبْرِدُوا ، فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِى ، لا تَجْمَعُوا عَلَيْهِم حَرَّ الشَّمْسِ وحَرَّ السِّلاَح » وكَان يَوْمًا صَائِفاً ، فَقَيَّلُوهُم وَسَقَوهُم ، فَلَمَا أَبْرَدُوا رَاحَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – فقتل مَنْ بَقِى ، وأُتِىَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – بِكَعْبِ ابْنِ أَسَد ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم : « كعب » ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِم قَالَ : مَا انْتَفَعْتُمْ بِنُصْح ابْنِ جوَّاس[2] لكُم ، وكَان مُصَدِّقًا بى ، أَمَا أَمَرَكم باتِّباعى ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونى أَنْ تُقْرِئُونى منه السَّلاَم » ؟ قال : بَلَى والتَّوراة يا أَبا الْقَاسم ، ولَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرنى يَهُودُ بالجزع من[3] السَّيْف لاتَّبَعْتُك ولكنِّى[4] عَلَى دين يَهُود ، قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلم – « قَدِّمْه فاضرب عُنُقَه » فَأَمَرَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسَلَّم – بِقَتْلِ كلِّ من أَنْبَتَ منهم .

وروى ابن إسحاق[5] ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى فى صحيحه ، والنسائى عن عطية القرظِىّ قال : كنْتُ غُلاماً فَوَجَدُونى لَمْ أُنْبت ، فَخَلَّوا سبيلى .

وروى الطبرانى عَنْ أَسْلم الأَنصارى قَالَ : جَعَلَنى رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسَلَّم –

---

(١) فى ط « أحدهم » وما هنا من ت ، م ومغازى الواقدى ٢ : ٥١٤ .

(٢) جواس . كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٦ « خراش » .

(٣) كذا فى ط ، م ومغازى الواقدى ٢ : ١٦٥ . وفى ت « تعيرنى يهود الجزع » .

(٤) فى الأصول « ولكنه على » وما أثبته من مغازى الواقدى ٢ : ٥١٦ .

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٤٤ .

على أُسَارى قُرَيْظَة ، فكنت أَنْظُر إلى فرج الغلام فَإِنْ رأَيْتُه أَنبَتَ ضربت عنقَه ، وإنْ لم أَرَه جعلته فى مغانم الْمُسْلمين .

وَكان رِفاعةُ بن شمْوال[1] القُرَظىُّ رَجلاً قَدْ بَلَغ ، فَلاَذَ بِسَلْمَى بنْتَ قيس أم المنْذر ، أُخت سَليط بن قيس ، وكانت إحدى خَالَات[2] النبى — صَلَّى الله عليه وسَلم — قَدْ صلَّت الْقبْلَتَين مَعَ رَسُول الله — صَلَّى الله عليه وَسَلَّم — وَبَايعتْه مع بَيْعة النِّسَاء ، فقالت : يا نبىَّ الله ، بِأَبِى أَنتَ وَأُمِّى ، هَبْ لى رِفَاعة ، فَإِنَّه زَعَمَ أنه سَيُصَلِّى، وَيأْكلُ لحمَ الجَمَل ، فَوَهَبَهُ لَهَا فاستحيته فَأَسلم بعد .

وَلم يزل ذلك الدأب حتَّى فرغ منهم رسول الله — صَلَّى الله عليه وَسلم — فَقَتَلُوا إلى أن غَابَ الشَّفق ، ثُمَّ رَدَّ عليهم التُّراب فى الخندق ، كُلُّ ذَلكَ بِعَيْنِ سَعْد بن مُعَاذ فَاسْتَجابَ اللهُ دَعْوتهُ وَأَقَرَّ عيْنَه — رضى اللهُ عنه / ١٥٣ ظ

وَلَم يُقْتَلْ مِن نسائهم إلاَّ امْرَأَةٌ واحدَة منْ بنى النَّضير يُقَالُ لها نُبَاتة[3] تَحْتَ رجل من بَنى قُرَيْظَة يُقَالُ لهُ الْحَكَم ، وَكَان يُحبُّهَا وتُحبُّه ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهم الْحِصَارُ بَكَتْ إلَيْه وقَالَتْ إنَّك لمُفَارِقى ، فَقَالَ : هو والتَّوراة ، مَا ترَيْن فَأَنْتِ امرأَةٌ ، فَدَلِّى عَلَيْهمْ هَذِه الرَّحَى ، فإنَّا لم نَقْتُلْ مِنهم أَحَداً بعد ، وَأَنْتِ امرأَة ، وَإِنْ يَظْهَرْ محمدٌ عَلَيْنَا فإنَّه لاَ يَقْتُل النِّسَاء ، وَإِنَّما كَرِهَ أَنْ تُسْبَى ؛ فَأَحبَّ أن تقْتَل ، وَكَانت فى حِصْن الزُّبير بن بَاطَا فَدَلَّتْ رَحًى منْ فَوْقِ الْحِصْن ، وَكان الْمُسْلِمُون رُبَّمَا جَلَسُوا تَحتَ الْحصْنِ يَسْتَظِلُّون فى فَيْئِه ، فَأَطْلَعَتْ الرَّحَى فلَمَّا رَآها الْقَوْمُ انْفَضُّوا ، وَتُدْرِكُ خَلَّادَ[4] بن سُويد فَتَشْدَخُ رَأْسَه ، فَحَذِرَ المسْلِمُون أَهْلَ الحصن ، فَلَمَّا كَانَ اليومُ

---

(١) شموال : كذا فى الأصول ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٤ « سموأل » .

(٢) أى إحدى خالات جده عبد المطلب . كما سيأتى فى شرح الغريب ، وانظر السيرة الحلبية ٢ : ٣٧١ .

(٣) نباته : كذا فى مغازى الواقدى ٢ : ١٥٦ ، وفى السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٧ ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ . وسيرد فى شرح الغريب أن اسمها « بنانه » بموحدة ونون وألف ثم نون — و « ثباته » بالثاء المثلثة فوحدة فألف فثناة من فوق .

(٤) هو خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٥٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ .

الَّذى أَمَرَ بهِمْ رَسُول الله – صَلَّى الله عليه وَسلم – أَنْ يُقْتَلُوا فيه دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَة – رضى اللهُ عَنْهَا – فَجَعَلَتْ تَضْحَكُ ظَهْرًا لبطْن ، وَهِىَ تَقول : سَرَاةُ بَنى قرَيْظَة يُقْتَلُون إِذْ سَمعَتْ صَوْتَ قَائلٍ يا « نباتة » ، قالت أنا والله الَّتى أُدْعَى ، قالت عَائشَة وَلِمَ ؟ قَالَتْ : قَتَلَنى زَوْجى ،وَكَانَتْ جَارِيَة حُلْوَةَ [الكلام](١) فَقَالَتْ عَائشةُ : وَكَيْفَ قَتَلك زوجُك؟ قَالت : فى حصْن الزّبير بن باطا فَأَمَرَنى فَدَلَّيْتُ رَحًى عَلَى أَصْحَابِ محمد فَشَدَخَتْ رَأْسَ رَجُلٍ منهم فمَات ، وأَنَا أُقْتَلُ به ، فانْطُلِقَ بِهَا ، فَأَمَرَ بِهَا رسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم – فَقُتِلَت ، بِخَلَّاد بن سُوَيد . فَكَانَتْ عَائشةُ تَقُولُ : لَا أَنْسَى طِيبَ نَفْس نُبَاتَة ، وَكَثْرَة ضَحكهَا ، وَقَدْ عرفتْ أَنَّهَا تُقْتَل .

وروى أَبُو داود قصَّتها مختصرة .

* * *

ذكر خبر ثابت(٢) بن قيس ومَنّ الزبير بن باطا

كَانَ الزَّبِير بنُ باطا منَّ عَلَى ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس يَوْمَ بُعاث(٣) ، فَأَتى ثابتٌ الزَّبيرَ فَقَال : يَا أَبَا عبد الرَّحْمن هَلْ تَعْرِفنى ؟ قَال : وَهَلْ يجهلُ مِثْلَكَ مِثْلى ؟ قَالَ ثَابت : إِنَّ لَكَ عِنْدِى يَدًا ، وَقَدَرْتُ(٤) أن أَجْزِيَكَ بِهَا ، قَالَ الزَّبير : إِنَّ الكريم يجزى الكريم وَأَحْوَجُ ما كنتُ إِلَيْكَ اليومَ ، فَأَتى ثَابتٌ لِرَسُول الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – فَقَال : يَارَسُول الله : إنه كان للزَّبير عندى يَدُ خير [جَزَّ(٥)] ناصيتى يَوْم بُعَاث ، فقال : أذكر هذه النِّعْمَة عندك ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجزيه بِهَا ، فهَبْه لى ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – : « هو لك » فأتاه ثابت فَقَال : إِنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – قَدْ وَهَبَكَ لِى ، قَالَ الزَّبير : شَيخ كبير لَا أَهْلَ لى وَلَا مَال بيثرب مَا أَصْنع

---

(١) الإضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥١٧ .

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير ، خطيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استشهد يوم اليمامة ، وهو ممن شهد له بالجنة (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٧٤) .

(٣) هى الحرب التى كانت بين الأوس والخزرج قبل قدومه – صلى الله عليه وسلم – المدينة ، وكان الظفر فيها للأوس على الخزرج فأخذه الزبير فجز ناصيته ثم خلى سبيله . وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٥ .

(٤) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٨ « وقد أردت » .

(٥) سقط فى الأصول والإثبات عن مغازى الواقدى ٢ : ٥١٩ .

بالحياة ؟ فَأَتى ثَابِتٌ لِرَسُول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَقَالَ يَا رَسُولَ الله : اعْطِنى مَالَه وأَهْلَه ، فَقَالَ رسولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم : « هو لك » فرجع إلى الزبير ، فَقَالَ : إنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قَدْ أَعْطَانى وَلَدَك وأَهلَكَ وَمَالَك ، فَقَالَ الزبير: يا ثابت أما أَنت فقد كافَأتنى وَقَدْ قضيتَ الَّذى عَلَيْك يا ثابت : مَافُعِلَ بِالَّذى كَأَن وجهه مرآة صِينيَّةٌ تَتَراءَى عَذَارَى الحى فى وجهه ؛ كَعْب بْن أَسَد ؟ قال : قُتِل ، قال : فَمَا فَعَلَ المجلسان ؟ يعنى بنى كَعْب بن قُرَيْظَة وبنى عمرو بن قُرَيْظَة . قَالَ : قُتِلُوا ، قال : يا ثابت : مَا فِى العيش خَيْرٌ بَعْدَ هَؤلاء ، أَرْجِعُ إلى دارٍ قَدْ / كانوا ١٥٤ و
حُلُولاً فيها فأَخلد فيها بعدهم ؟ لَا حَاجَةَ لى فى ذلك ، ولكن يَاثَابت انْظُر إلى اْمرأَتى ووَلدى [فإنهم جزعوا من الموت[1]] فاطلب إلى صَاحبك فيهم أن يُطلقهم ، وَأَنْ يَرُدَّ أَمْوالَهم ، فَطَلَبَ ثَابت مِنَ النبي - صلى الله عليه وسلم - أَهْلَ الزبير وَمَالَه وولده ، فَرَدَّ رَسُولُ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - أَهْلَه وَمَاله إلاَّ السِّلاح . قَالَ الزُّبير : يَاثَابت أَسْأَلك بيدى عِنْدَك إلاَّ أَلْحقْتَنِى بِالْقَوْم فَمَا أَنَا بِصَائِرٍ لله فَتْلَة دَلْو نَاضِح حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّة ، قال ابن إسحاق : فقدَّمهُ ثَابت فضُربت عُنُقه ، وقال محمد بن عمر : قَال ثَابت : ما كنتُ لأَقتلَك ، قَالَ الزَّبير : لَا أُبالى مَنْ قَتَلنى ، فَقَتَله الزُّبَيْر بنُ العَوَّام . ولَمَّا بَلَغَ أَبَا بكر الصِّديقَ قَوْلُه : « أَلْقَى الأَحِبَّة » قَالَ : يلقاهم وَالله فى نَارِ جَهَنَّم خالدًا مُخَلَّدا !

* * *

ذكر اصطفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ريحانة بنت زيد النضرية لنفسه

كَانَتْ رَيْحَانة[2] بنت زيد بن عمرو بن خُنَافَة منْ بنى النضير مُتَزَوِّجةً فى بَنى قُرَيْظَة ، اِصْطَفَاهَا رَسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لنفسه ، وكانت جميلة ، فَعَرَضَ عليها رسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - الإِسْلَامَ فَأَبَتْ إلاَّ اليهوديَّة، فَعزَلَها رَسُولُ

---

(١) الإضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٠ .

(٢) وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٤٥ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٥٢٠ « وقد اختلف فى نسبها وفى اسمها » .

اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – وَوَجدَ فِي نَفْسه فَأَرْسَلَ إِلَى ابن سَعِيَّة[1] ، فَذَكَرَ لَهُ ذلك ، فَقَال ابْنُ سَعيَّة : فداكَ أَبى وَأُمِّى هى تُسْلِم ؟ فَخَرَجَ حَتَّى جاءَهَا ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا : لَا تَتَّبعى قَوْمَك ، فَقَدْ رأَيْت مَا أَدْخَلَ عَلَيْهِم حُيَيُّ بنُ أَخطب ، فأَسْلِمى يَصْطَفيك رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – لنفسه ، فأَجابت إلى ذلك ، فبينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أَصْحابه ، إذ سمع وَقْعَ نَعْلَيْن فقَال : « إِنَّ هَاتَيْنِ لنعلى ابن سَعيَّة ليبشرنى بإسلام رَيْحَانة » ، فجاءه ، فقَالَ : يَارَسُولَ الله ، قَدْ أَسلمتْ رَيْحَانة ، فَسُرَّ بذَلِك رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – وسَيأتى فى ترجمتها نبذة مِنْ أَخْبَارِهَا وَتَحْرير نسبها .

* * *

ذكر قسم المغنم وبيعه

لَمَّا اجْتَمَعت المغانم أَمَرَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – بالمتاع فبيع فيمن يُرِيدُ ، وبيع السَّبْىُ وقُسِّمت النَّخلُ أَسْهُمًا ، وَكَانَت الخيلُ ستَّةً وَثَلاثين فرساً ، فَأَسْهَمَ للْفَرَس بسَهْمَيْن ، وَلصَاحبه سَهْم ، وَللرَّاجِلِ سَهْم . وَقَاد رَسُولُ الله –صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – ثَلاَثَة أَفْراسٍ فَلَمْ يَضْرِبْ إِلاَّ سَهْمًا وَاحدًا . وَأَسْهَمَ لخلاَّد بن سُوَيْد وَقَدْ قُتل تَحْتَ الْحِصْن ، وَأَسْهَمَ لأَبى سِنَان بن مِحْصَن ، مَات وَرسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – يُحاصرهم . وَكَان يُقَاتِلُ مَعَ المسلمين ، وكان الْمُسْلِمُونَ ثَلاَثَة آلاف ، وكانت سُهْمَان الخيل والرجال على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً ، للفرس سهمان ، ولصاحبه سهم وكان السَّبى أَلفاً مِنَ النِّسَاء والصِّبيان ، فأَخرج رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – خُمُسَه قَبْلَ بَيْع الْمَغْنَم ، فَجزَّأَ السَّبْى خمسة أَجزاء ، فَأَخذ خُمساً ، وكان يَعْتِقُ منه وَيَهب منه ، ويُخْدِم منه مَنْ أَرَادَ وَكَذَلِكَ النخلُ عُزل خُمسُه ، وَكُلُّ ذلِكَ يُسهم عليه خَمْسَة أَجزاء ، ويكتبُ فى سَهْمٍ منها لله ثم يخرج السهم ، فَحَيْثُ صار سهمه أَخذه وَلَمْ يَتَخَيَّر ، وَصَارَ الخُمُسُ إلى مَحْمِية بن جَزْء الزُّبَيْدى ، ثم فَضَّ أَرْبَعَة أَسهم على الناس وأَحْذى رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – النِّسَاءَ اللاَّتى حَضَرْنَ الْقِتَال

---

(١) الضبط عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٠ – وفى سيرة ابن هشام بفتح السين وسكون العين وفتح الياء المخففة .

وَلَمْ يُسْهِم لَهُنَّ ، وَهُنَّ صَفِيةُ[1] بنت عبد المطلب ، وأم عمارة نسيبة ، وأم سَلِيْط ، وأم العلاء الْأَنْصارِيَّة ، والسُّمَيْراء بنت قيس ، وأم سعد بن معاذ ، وكَبْشَة[2] بنت رافع

وَلَمَّا بيعت السَّبايا وَالذُّرية ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ـ بِطائِفة ـ قال محمد بن عمر ـ إلى الشَّام مع سعد[3] بن عبادة يبيعهم ويَشْتَرى بِهِمْ سِلاَحًا وَخَيْلاً .

وقال ابنُ إسحاق وَغَيْرُه : بَعَثَ سعد بن زيد الأنصارى الْأَشْهَلِى بِسَبايَا مِنْ بَنِى قُرَيْظَة إلى نَجْد ، فَابْتَاعَ لهُم بِهَا خَيْلاً وَسِلاَحًا ، وَاشْتَرَى عُثْمانُ بن عفان وَعَبْدُالرَّحْمن ابن عوف ـ رضى اللهُ عنهما ـ طَائِفَةً فَاقْتسما ، فَسَهَمَه عثمان بِمَالٍ كثير ، وَجَعَلَ عثمان على كل من اشتراه من سبيهم شَيْئًا موفيا[4] . فكَانَ يُوجد عِنْدَ الْعَجائز المالُ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ الشَّوَاب فربح عُثْمَان مَالا كثيراً ، وَذَلِكَ أَنَّ عثمان صَارَ فى سهمه الْعَجائزُ ، وَيُقَال لَمَّا قَسَّم جَعَلَ الشَّوَابَّ عَلَى حِدَةٍ وَالْعَجائِز عَلَى حدَة ، ثُمَّ خَيَّر عبدُ الرحمن عثمانَ ، فَأَخَذَ الْعَجائِز .

قال ابن أَبِى سَبْرَة : وإنما لم يؤخذ ما جاءت به العجائز فيكون فى الغنيمة لأنه لم يُوجد مَعَهُن إلا بعد شهر أو شهرين ، فَمن جاءَ منهن بالَّذِى وُقِّت لَهُنَّ عُتِق ، فَلَمْ يَتَعَرَّض لهن ، واشْتَرَى أَبو الشَّحْم اليهودى امرأتين مع كل وَاحِدةٍ مِنْهُنَّ ثَلاثَة أَطْفَال بِمائةٍ وخمسين دِيْنارًا ، وَجَعَلَ يَقُول : أَلَسْتُم على دين يهود ؟ فَتَقُولُ الْمرأتَانِ : لَا نُفَارِقُ دين قَوْمِنا حَتَّى نَمُوت عليه ، وَهُنَّ يَبْكِين .

ونهى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم ـ أَنْ يُفرق فى القَسْمِ وَالبَيْع بَيْنَ النِّساء

---

(١) هى عمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ « السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٣ » .

(٢) فى ت « وأم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٦٣ « وأم سعد بن معاذ » ولم يذكرا كبشة بنت رافع لا منفردة ولا علماً للكنية التى سبقته .

(٣) مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٣ .

(٤) كذا فى ط ، م . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٣ ، وشرحت فى هامشها بأنها الزيادة على الثمن الذى دفعه . أما فى ت فاللفظ « مؤقتاً » .

والذُّرية وَقَالَ : « لا يُفَارقُ[1] بَيْنَ الأُمّ وَوَلَدِها حَتَّى يَبْلغ » . قيل يَارَسُولَ الله وَمَا بلوغه ؟ قال[2] تحيضُ الْجَارِيةُ وَيَحْتَلِم الْغُلاَم » وَكَانَت الأُم وأَولادها الصِّغَارُ تُبَاع مِنَ الْمُشْرِكين مِنَ الْعَرَب ومن يَهُود . وَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ صَغيراً لَيْسَ مَعَه أُمٌّ لم يُبع من المشركين وَلاَ منَ الْيَهُود إلاَّ مِنَ المسلمين .

واسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ خَلاَّدُ بنُ سُويد ، ومنذرُ بن محمد .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذه الغزوة

رَوَى البخارى والنِّسائى عَن البراء بن عَازب – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – قَالَ لِحَسَّانَ يومَ قُرَيْظَةَ : اهجهم أَوْ هَاجِهِم وَجبْريل مَعَكَ .

وروى ابن مردويه عَنْ جابر – رضى الله عنه ، قَال : لما كان يَوْمُ الأَحْزَاب ، وردَّهُم اللهُ بغيظهم . قَالَ النَّبِىُّ – صَلَّى الله عليه وَسَلم – « مَنْ يَحْمِى أَعْرَاضَ المسلمين ؟ » فَقَامَ كَعْب ، وابنُ رَوَاحة ، وَحسَّان ، فقال لِحَسَّان : « اهجُهُم أَنْتَ فإِنَّه سَيُعينُكَ عليهم رُوحُ القُدُس » ، فَقَالَ حسَّان – رَضِيَ اللهُ عنه :

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرِيظةُ ما أَسَاهَا ... وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصيرِ[3]
١٥٥ و أَصَابَهُمُ بَلاَءٌ كَانَ فيه / ... سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِى النَّضِير
غَداةَ أَتَاهُمُ يَهْوى إِلَيهم ... رَسُولُ الله كالقَمَرِ المُنير
له خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى ... بفرسان عليها كالصُّقُور[4]
تَرَكْناهم وَمَا ظَفِروا بِشيءٍ ... دِمَاؤهُمُ عليهم كالعبير
فَهُم صَرْعَى تَحُومُ الطيْرُ فيهم ... كَذَاكَ يُدانُ ذو العَنَد الفجور
فأَنذِرْ مِثْلَهَا نُصْحًا قُرَيْشًا ... مِنَ الرَّحْمٰن إن قَبِلَتْ نَذِيرى

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى ت « لا يفرق » وتوافقها مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٤ .
(٢) سقط فى الأصول – والإثبات عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٤ .
(٣) وانظر هذه القصيدة فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٥٩ ، والبداية والنهاية له ٤ : ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٤) هذا البيت من ت ، م وهو وارد فى المرجعين السابقين وفى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧١ .

وقال أيضاً :

لَقَدْ لقيَتْ قُرَيظَةُ مَا أَسَاهَـــا ... وَحَلَّ بحِصْنَها ذُلٌّ ذَليْـــلُ[1]
وَسَعْدٌ كان أَنْذَرَهُم بِنُصْـحٍ ... بِأَنَّ إِلٰهَكُم رَبٌّ جَليْـــلُ
فَمَا بَرِحُـوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى ... فَلاَهُم[2] فِى بِلاَدِهِمُ الرَّسُـولُ
أَحَـاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ ... لَهُ مِن حَـرٍّ وَقْعَتِهِم صَليـلُ

وَقَال أَيضا :

تَفَاقَدَ[3] معشرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًـا ... وَلَيْسَ لَهُم بِبَلْدَتِهِـم نَصيـرُ
هُم أُوتُـوا الكتاب فَضَيَّعُـوهُ ... وَهُم عُمْىٌ عَـن التَّوارة بُـور
كَفرتُم بالقـران وَقَـد أُتيتمُ ... بِتَصْديق الَّذى قَالَ النَّـذير[4]
فَهَانَ عَلَى سَـرَاة بَنى لُـؤىٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرة مُسْتَطِيرُ

وَقَال أَيْضًا[5]

لقَدْ سَجَمَتْ[6] مِنْ دمع عينى عَبْرةٌ ... وحُقَّ لعينى أَنْ تَفيضَ عَلَى سَعْد
قَتيلٌ ثَوَى فِى مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِـه ... عُيُونٌ ذَوَارِى[7] الدمْع دائمةُ الوَجْد
عَلَى ملَّة الرَّحْمٰن وَارِثُ جَنَّـةٍ ... مَع الشُّهَدَاء وَفْدهَا أكرمُ الوفْـدِ
فَإِن تكُ قَدْ ودَّعْتَنَا وَتركْتَنَـا ... وَأَمْسَيْتَ فِى غَبْرَاءَ مُظْلمة اللّحْد
فَأَنْتَ الَّذى يَاسَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَـدٍ ... كَرِيمٍ وَأَثْوابِ المكَارم وَالْحَمْدِ
بِحُكْمِكَ فِى حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بِالَّـذِى ... قَضَى اللهُ فيهم مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ

---

(١) وانظر هذه القصيدة فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

(٢) فلاهم : فلاه قتله بالسيف ، تقول فليت رأسه إذا ضربته بالسيف (اللسان) .

(٣) انظر القصيدة فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٦ . وفى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

(٤) النذير : المراد به الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمعنى أن الله تعالى أخذ عليهم العهد فى التوراة أن يؤمنوا بالرسول إذا بعثه الله تعالى فكفروا بالقرآن ولم يتبعوا حكم التوراة .

(٥) وانظر القصيدة فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٩ – والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٠ .

(٦) سجمت : فاضت وسالت .

(٧) ذوارى : جمع ذارية وهى السائلة .

فوافق حكمَ اللهِ حُكْمُكَ فيهـمُ ... وَلَم تَعْفُ إذْ ذكَّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ
فَإنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فى الأُلى ... شَرَوْا هَذِه الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهَا الْخلْدِ
فَنِعْمَ مصيرُ الصَّادقين إذَا دُعُـوا ... إلَى اللهِ يَوْماً لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْــدِ

وقال أيضاً[1] يبكى سعدَ بنَ معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

أَلاَ يَا لَقَوْمِى هَلْ لِمَا حُمَّ[2] دَافِعُ ... وهَلْ مَا مَضَى من صالح العيش رَاجعُ
تذكرت عصْراًقد مَضَى فتهافتتْ ... بَنَاتُ[3] الْحشَا وَانْهَلَّ منِّى المَدامعُ
صَبَابَةُ وَجْــدٍ ذكَّرَتْنِى أخــوة ... وَقتلَى مَضَى فيها طُفَيْلٌ وَرَافعُ
وسعْدٌ فأَصْحَوا فى الْجنَانِ وَأَوْحَشَتْ ... مَنَازِلُهُم فَالْأَرْض منْهُم بَلاَقع[4]
وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ للرَّسُولِ وَفَوْقَهـم ... ظلاَلَ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفُ اللَّــوَامعُ
دَعَــا فَأَجَابُوه بحق وَكُلُّهـم ... مُطيعٌ لَهُ فى كُلِّ أَمْـرٍ وَسَامـعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوا[5] جَماعَةً ... وَلَا يَقطعُ الآجَــالَ إلا المصَارِعُ
لأنَّهم يَرْجُــون مِنْهُ شَفَاعَــةً / ... إذَا لَمْ يكُنْ إلَّا النَّبِيُّون شافعُ ١٥٥ ظ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادَ بَلاَؤنــا ... إجَابَتُنَا للهِ والمــوتُ نَاقعُ
لَنَا القدَمُ الأُولى إليكَ وَخَلْفنَــا ... لأَوَّلنا فى مِلَّةِ اللهِ تَابِـــعُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ المُلْكَ للهِ وَحْــدَهُ ... وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لَابُدَّ وَاقــعُ

---

(١) وانظر القصيدة فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٦ .

(٢) حم : بالبناء للمجهول بمعنى قدر .

(٣) بنات الحشا : أراد بها قلبه وما يقرب منه : وذلك لأنها مستكنة فيه .

(٤) بلاقع : جمع بلقع وهو القفر الخالى .

(٥) كذا فى الأصول . وفى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٠ « تولوا »

تَنْبِيهاتٌ

الأول : قُرَيْظَةَ بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالظاء المعجمة المشالة فتاء تأنيث ، قال السمعانى هو اسم رَجُلٍ نَزَل أولاده قَلْعَةً حَصِينَةً بقرب المدينة فنسبت إليهم . وقريظة والنضير أَخوَانِ مِنْ أَوْلَادِ هَارون ـ عليه الصَّلاة والسَّلام .

الثانى : روى البخارى فى جميع الروايات عَنْ شيخه عبد الله بن محمد بن أَسْمَاء قَال : حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَة بن أَسْمَاء عَنْ نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِى بَنِى قُرَيْظَةَ » . إلخ . وَوَافَق الْبُخَارِى على لفظ الْعَصْر من طريق جويرية الإسمَاعِيلىّ ، وَأَبُو نُعَيم مِنْ طريق أَبِي حَفْص السلمي عن جويرية وأصحاب المغازى . وَرَوَاهُ الطبرانىّ ، والْبيهقى فى الدَّلائل بإِسْنَادٍ صحيح إلى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مَالك عن عَمِّه عبيد الله بن كعب . ورواه الطبرانى أَيْضًا مِنْ هَذَا الوجه مَوْصُولاً بذكر كعب بن مَالك والبيهقى عَنْ عَائِشة ـ رضى الله عنها ـ ورواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء بسنده وَقَال : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلاَّ فِى بَنِي قُرَيْظَةَ » . وَوَافقه ابن سعد ، وأبو يعْلَى ، وابن حِبَّان ، وأَبُو نُعَيْم من غير طريق أَبي حفص السابق ، قَالَ الحافظ : ولم أره عن جويرية ـ مِنْ غَيْرِ طريق أَبي حَفْصٍ السلمى إلاَّ بلفظ الظهر ، وجمع بينهما بِاَحْتِمَالِ أَنْ يكون بَعْضُهُم قَبْلَ الْأَمْرِ كَانَ صَلَّى الظُّهْر ، وَبَعْضُهُم لَمْ يُصَلِّها . فقيل لِمَنْ لَمْ يُصَلِّها ، لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ ، وَلِمَنْ صَلاَّهَا لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ . أَوْ أَن طائفةً منهم راحت بعد طائِفة ، فقيل لِلطَّائفة الأُولى الظُّهر ، والتى بعدها العصر .

قال الحافظ : وَهُوَ جمع لاَبأس به ، لكن يُبْعده اتحاد مخرج الحديث ، لأَنَّه عند الشيخين كما بيناه بإِسناد وَاحِدٍ مِنْ مَبْدئه إلى مُنْتَهَاه ، فيبعد أَنْ يكونَ كلٌّ مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِهِ حَدَّثَ به على الوجهين إذ لو كان كذلك لحمله واحدٌ منهم عن بعض رواته ، وسبق الكلام على ذلك ، ثم قال : هذا كلّه من حيث حديث ابن عمر ،

أما بالنظر إلى حديث غيره فالأحتمالان المتقدمان فى كونه قال « الظُّهْرَ » لِطَائِفةٍ متجه[1] فيحتمل أن رواية « الظهر » هى التى سمعها ابن عمر ، ورواية « العصر » هى التى سَمِعَها كعبُ بن مالك ، وعائِشَةُ – رضى الله عنهما – وقيل فى وَجْه الجمع أَيْضًا أن يكون – صلى الله عليه وسلم – قال لأَهل الْقُوَّة ، أو لمن كان منزله قريباً « لا يُصَلِّيَن أَحَدٌ الظُّهْرَ » وقال لغيرهم : « لَا يُصَلِّيَن أَحَدٌ الْعَصْر[2] » .

الثالث : أَغْرَبَ ابن التين فَادّعى أن الذين صلوا « العَصْر » صَلُّوا على ظُهُورِ دوابهم ، وأَسْتند إلى أن النزول إلى الصلاة يُنَافِى مقصودَ الإِسْراعِ فِى الوُصُول . قال : فأَما الذين لم يُصَلُّوها عَمِلُوا بالدليل الْخَاصّ وهو الأَمر بالإِسراع فتَرَكُوا عُمُومَ إِيقَاع « العصر » فى وقتها إلى أن فات ، والذين صلُّوا جَمَعُوا بين دَلِيلَىْ وَجُوب الصَّلاة وَوُجُوب الإِسراع فصَلُّوا رُكْبَانًا ، لأَنهم لو صلُّوا نُزُولاً لكان مُضادًّا لما أُمروا به من الإِسراع ، ولا يُظَن ذلك بهم مع ثُقُوبِ أَفْهَامِهِم قال الحافظ : وفيه نظر ؛ لأَنه لم يأمرهم بترك النُّزُول ، فلعلهم فهموا أن المراد بأَمرهم أَلا يُصَلُّوا العصر إِلاَّ فى بنى قُرَيْظَةَ المبالغة فى الأَمر بالإِسراع ، فبادَرُوا إلى أمتثال أَمره وخصوا وقت الصلاة من ذلك لما تقرر عندهم من تأكيد أَمرها فلا يمتنع أَن ينزلوا فيصلوا ، ولا يكونُ فى ذلك مضادَّةٌ لما أُمروا به . ودَعْوَى أَنهم صلُّوا رُكْبَانًا يحتاج إلى دليل ، ولم أَرَه صَرِيحاً فى شئْ من طُرُق هذه القصة .

الرابع : يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيث ابْنِ عُمَر ، وَكَعْب بن مالك ، وعائشة ترك تَعْنِيف مَنْ بَذَل وُسْعَه وأجتهد ، فيؤخذ منه عدم تأثيمه ، وحاصل ما وقع فى القِصَّةِ أَن بعض الصحابة حملوا النَّهى عَلَى حَقِيقَتِه ، ولم يبالوا بخروج الوقت تَرْجِيحًا لِلنَّهى الثَّانِى عَلَى الأَول ، وهُوَ تَرْك تَأْخِير الصَّلاَة عَلَى وَقْتِهَا[3] وَاسْتَدَلُّوا بِجَوَازِ التَّأْخِيرِ لِمَن اشْتَغَلَ

---

(١) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٠ « فالاحتمالان فى كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة بجيئها متجه »..

(٢) والزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٠ يوافق ما هنا ويضيف « والجمع الأخير – أى هذا الجمع – ظاهر أيضاً بالنظر لغير رواية ابن عمر » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت ، م « عن وقتها » .

بِأَمْرِ الْحَرْبِ[١] ، وَلَاسِيَّمَا الزَّمَانُ زَمَان التشريع ، والبعضُ الآخَر حَمَلُوا النَّهْىَ على غير الحقيقة وأنه كناية عن[٢] الحثِّ والاستعجال والإِسْراع إلى بنى قُرَيْظَةَ : وقال[٣] فى « زاد المعاد » ما حاصله : كل من الفريقين مأْجورٌ بقصده إلا أَنَّ من صلى حاز الفضيلتين : امتثال الأَمر فى الإِسراع ، وامتثال الأَمر فى المحافظة على الوقت ولا سيَّمَا فى هذه القصة بعينها من الحث على المحافظة عليها ، وأَن مَنْ فاتته حبط عمله ، وإنما لم يُعَنِّف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الأَمر ، ولأَنهم اجتهدوا فأَخروا امتثالا[٤] للأَمر ، لكنهم لم يَصِلُوا إلى أَن يكونوا فى أَصوب من اجتهاد الطائفة الأُخرى .

الخامس : قال السهيلى : قوله « من فوق سَبْع سموات » معناه أَنَّ الحكم نزل من فوق . قال : ومثله قولُ زينب بنت جحش ، رضى الله عنها ـ : زَوَّجَنِى الله تعالى مِن نَبِيِّه مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَات ، أَىْ أَنْزَلَ تزويجها مِنْ فَوْق[٥] ، قَالَ : وَلَا يَسْتَحِيلُ وصفه ـ تعالى ـ بِالْفَوْق ، عَلَى الْمَعْنَى الَّذِى يَلِيق بِجَلَالَه لَا عَلَى الْمَعْنَى الَّذِى يَسْبقُ إلى الْوَهْم مِنَ التَّحْدِيدِ الَّذِى يُفْضِى إلى التَّشْبِيه .

السادس : اخْتُلِفَ فى مُدَّة الْحِصَار[٦] فَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ : بضع عشرة لَيْلَة ، وَقَالَ ابْنُ سَعْد: خمس عشرة لَيْلَةً ، وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بن وَقَّاص خمساً وَعِشْرِين لَيْلَة : وَرَوَاهُ ابْن إِسْحَاق عَنْ أَبيه عَنْ مَعْبَد بن كعب ، وَرَوَاهُ الْإِمَام أَحْمَدُ والطبرانى عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها .

---

(١) يعقب الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٢٩ بقوله : « بنظير ما وقع فى الخندق وأنهم صلوا العصر بعد غروب الشمس : لشغلهم بأمر الحرب . فجوزوا عمومه بكل شغل تعلق بالحرب » .

(٢) فى ت ، م « على الحث » .

(٣) أى ابن القيم الجوزى .

(٤) فى ت ، م « لامتثال الأمر » .

(٥) قال الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٥ « وهذا نحو يخافون ربهم من فوقهم » أى عقاباً ينزل من فوقهم وهو عقاب ربهم » .

(٦) وذكر الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٠ أنه يمكن الجمع بين الروايتين بأن شدة الحصار كانت خمس عشرة ليلة ـ وترد إليها رواية بضع عشرة ، وأن مدته كلها خمس وعشرون .

السابع : اختُلف فى عدد من قُتلَ من بنى قُرَيْظَةَ : فعند ابن إسحاق : أنهم كانوا
١٥٦ ظ سمائة ، وَبه جَزَمَ أبُوعُمَر فى ترجمة سعد بن مُعَاذ ، وعند ابن عائذ من مُرْسَل / قتادة :
كانوا سبعمائة . وقال السُّهَيْلى : المكْثِرُ يَقُول : إنَّهُمْ مَا بَيْنَ الثَّمانمائة إلى التسعمائة ، وفى حديث جابر عند الترمذى والنسائى وابن حِبَّان بإسنادٍ صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل فى طريق الجمع ، أن يقال إن الباقين كانوا أتباعاً[1] ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل : إنَّهم كانوا تسعمائة .

الثامن : فى شرح غريب القصة .

« رَجَّلَ رَأْسَه » بفتح الراء والجيم المشددة : سَرَّحَه

المِجْمَرة – بكسر الميم الأُولى : المِبْخَرَة .

عَذيرَك – بفتح العَيْن المُهْمَلَة وَكَسْر الذَّال المُعجَمة وَسُكُون التَّحْتيَّة وَفَتْح الرَّاء أى هَات مَنْ يعذرك ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِل .

دِحْيَة – بكسر الدَّال المهملة وفتحها : وهو الريش.

إثْرَه – بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة ويجوز فتحها ، وحكي تثليث الهمزة .

الاَعْتِجَار بالعمامة : هو أن يلفها على الرأس ، ويرد طرفها على وجهه ولا يَعْمَل منها شيئاً تحت ذقنه .

أُرَى – بضم الهمزة : أظن

الرِّحَالَةُ – بكسر الراء وتخفيف الحاء المهملة : سَرْجٌ[2] مِنْ جُلُودٍ ليس فيه خَشَب ، كَانُوا يَتَّخِذُونَه لِلرَّكْضِ الشَّدِيد ، والجمع الرَّحَائِل .

---

(١) قال ذلك الحافظ بن حجر كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٧ .

(٢) يقال هى أكبر من السرج وتغشى بالجلود وتكون للخيل والنجائب (لسان العرب ر.ح.ل)

اللأمة ـ بالهمزة : الدِّرع ، وقيل : السلاح . ولأمة الحرب آلته ، وقد يترك الهمز للتخفيف .

الإِسْتَبْرَق : ضربٌ من الدّيباج غليظ .

الدِّيْبَاج : فارسىٌّ معرّب ، وقد تكسر الدال وقد تفتح .

القطيفة : كساءٌ له خَمْل

الماجِشُون ـ بكسر الجيم وضم الشين المعجمة : ومعناه الورد .

الثَّنَايَا ـ جمع ثنية : وهى الثَّنِى[1]

حمراء الأَسد : تقدمت فى غزوتها .

الْجَهْد : المشقَّة والتَّعَب .

الصَّفَا ـ بالقصر : الحِجَارَةُ ، وَيُقَالُ : الْحِجَارَةُ الْمُلْس[2]

لأُضَعْضِعَنَّها : لأُحركنَّها وأزلزلنها .

ساطعاً : مرتفعاً .

الزُّقَاق ـ بضم الزاى وتخفيف القاف وَبَعْدَ الأَلِفِ قَاف أُخْرَى .

بَنِى غَنْم ـ بغين مُعْجَمَة مفتوحة وسكون النُّون : بَطْنٌ من الخزرج مِنْ وَلَدِ غَنْم بْنِ مَالِك بن النجار .

كأَنى أنظر إلى الغُبار : أى أنه مُسْتَحْضِرٌ القصة حتّى كأنه ينظر إليها مُشَخَّصة له بعد تلك المدّة الطويلة .

---

(١) وهى موضع على ثمانية أميال من المدينة (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) فى ت « الحجارة المليس » .

موكِبُ جبريل – بتثليث الباء ؛ الْفَتح بتقدير انظر ، والجُرْبَدَل مِنَ الْغبار ، والضَّمُّ خبر مُبْتَدأ مَحْذُوف تَقْدِيرُه هَذَا مَوْكب جِبْرِيل . والموكب : نَوْعٌ مِنَ السَّيْر ، وَجَمَاعَة الفرسان أو جماعة يسيرون[1] وكان السير برفق .

يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي » فيه حذف مضاف تقديره : يا فرسان خيل الله اركبي .

* * *

شرح غريب ذكر مسير رسول الله – صلى الله عليه وسلم

لواء الجيش : عَلَمُه ، وهو دون الراية .

ابتدره الناس : سارعوا إليه

المِغْفَرُ – بكسر الميم : ما يلبس تحت البَيْضَة[2]

القَنَاةُ : الرُّمْح .

اللُّحَيْف[3] : بالضم : يأتي الكلام عليه في خيله – صلى الله عليه وسلم .

الْبَهِيّ – بفتح الْبَاء وكسر الهاء وتشديد الياء : لقبُ عبد الله بن يسار لبهائه .

يَعْفُور : يأتي الكلام عليه في حُمُرِهِ – صلى الله عليه وسلم

الصَّوْران – تثنية صَوْر – بالفتح ثم السكون . اسم للنخل المجتمع الصغار موضع في أقصى بقيع الغَرْقَد[4] مما يلي طريق بني قُرَيْظَةَ .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق . ويعززها ما جاء في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٢٨ .

(٢) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل هو رفرف البيضة ، وقيل : هو حلق يتقنع به المتسلح ، قال ابن شميل : المغفر حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه ، قال : وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع (لسان العرب غ.ف .ر) .

(٣) اللحيف : ضبطه هنا بالضم أي ضم لامه – وفي لسان العرب « اسم فرسه صلى الله عليه وسلم – لطول ذنبه ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، كأنه يلحف الأرض بذنبه : أي يغطيها .

(٤) لم يرد هذا اللفظ في سياق المتن . والغرقد كبار العوسج ، وهو مقبرة أهل المدينة داخل المدينة بأعلى أودية العقيق (ياقوت . معجم البلدان) .

يقذف الرعب : يرميه ويجعله فى قلوبهم[1]

الصَّيَاصىّ : الحُصُون .

بئرأُنَا – بالضَّم وتخفيف النون كَهُنَا ، وقيل بالفتح وبالتَّشديد كَحَتَّى وقيل كحتى لكن بالموحدة / بدل النون ، وقيل[2] غير ذلك . ١٥٧و

الْحَرَّة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار

الأَخابِيثُ : جمع أخبث

أُسَيْد – بضم الهمزة وآخره دال مهملة .

الحُضَيْر – بضم الحاء المهملة

الجُحر – بضم الجيم : الثقب .

خَارُوا : ضَعُفُوا وجَبُنُوا .

« الطاغوت » : ما عُبِدَ مِنْ دُونِ الله .

* * *

شرح غريب ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة

« النَّبْل » : السِّهام .

يَتَعَاقَبُون : يتناوبون .

الْحلْقَة – بفتح الحاء وسكون اللاَّم : السلاح كله .

إلاَّ أَنْ ينزلُوا على حكمه : على قَضَائه فيهم .

---

(١) فى الأصول « يرميه يجعله » مكرراً العبارة السابقة والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) وفى القاموس المحيط : بئر بالمدينة لبنى قريظة وواد بطريق حاج مصر . وانظر نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٧ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ .

شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

خِلاَلاً – بكسر الْخَاءِ الْمُعْجمة ، وتخفيف اللاَّم : أَى خِصَالاً ، جمع خَلَّة بفتح المعجمة وتشديد اللاَّم .

إِسْرَائيل : يعقوب .

حُيَىّ – بضم الحاء المهملة وتكسر وتحتيتين ثانيهما مشددة .

أَخْطَب – بفتح الهمزة فخاء معجمة ساكنة ، فطاء مهملة فموحدة .

« عَلَىّ هذه » ـ بتشديد التحتية ، وهذه : اسم إشارة ، محلها النصب مفعول أَبَيْتم .

جَوَّاس – بجِيمٍ فواو مُشَدَّدة فألف فسين مهملة .

النَّسْل : الولد .

لَعَمْرى – بفتح اللاَّم والعين : أى وحياتى .

غِرَّةً – بكسر الغين المعجمة وتشديد الرَّاء : الْغَفْلَة .

مُصْلِتِينَ – جمع مُصْلِت بِكَسْرِ اللاَّم ، وبالصَّاد المهملة الساكنة : أى مُجَرِّدين السيوف من أغمادها .

أُسَيْد – بفتح الهمزة وكسر المهملة ، وقيل إنه بضمّ الهمزة وبفتح السين .

سَعْيَة – بسين فَعين ساكنة مهملتين فتحتية مفتوحة ، فتاء تأْنيث .

الْهَيِّبَان – بفتح الهاء وكسر التحتية المشدّدة بعدها موحدة .

هَدْل – بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة وباللام .

الْخَرْج – بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها جيم والخراج : ما يُؤَدَّى كل سنة .

جَهَشَت إليه – بفتح الجيم والْهَاء : أسرعت متباكية .

الأُصطوانة[1] :

العمد – بالدال ويجوز فتح العين والميم ويكون مفرداً وجمعاً . ويجوز ضم العين والميم أيضاً : والمراد هنا : سوارى المسجد .

المُخَلَّقَة : التى طُلِيَتْ بالْخَلُوق وزن رَسُول ، وهو ما يُتَخَلَّقُ به من الطِّيب . وقيل : هو مائع فيه صفرة .

أرى – بفتح الهمزة .

حَمْأَة : طين أسود .

آسِنَة : مُتغيِّرة .

رَبُوض – بفتح الراء وتخفيف الموحدة المضمومة وبعد الواو ضاد معجمة : أى عظيمة غليظة .

قُسيْط : تصغير قسط .

ثار الناس : نهضوا .

بِضْعَةٌ مِنِّى – بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة : قِطْعَةٌ مِنِّى .

أَطأُ[2] – بهمز آخره .

أَنْخَلِع من مالى : أخرج منه لله .

---

(١) الأصطوانة : وترسم بالسين « الأسطوانة » وأكثر ورودها بالسين .
(٢) كذا فى الأصول : ولم يرد ذكر لكلمة أطأ فى سياق طلب اليهود لأبى لبابة .

شرح غريب ذكر نزول بنى قُرَيْظَة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

جَهَدَهم : اشتد عليهم .

كُتِّفُوا : بالبناء للمفعول .

١٥٧ ظ الأَثاث – بفتح الهمزة : / متاع البيت ، الواحد ، أثاثة ، وقيل : لاَ وَاحدَ له مِنْ لفظه .

الْجِرَارُ – بكسر الجيم وتخفيف الراء : جمع جَرَّة .

السَّكَر – بفتح السين المهملة والكاف : نبيذُ التمر ، وفى التنزيل (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا[1])

أُهْرِيقَ – بضمٍّ الهمزة وفتح الهاء وتسكن .

حلفاؤنَا : أراد الذين حالفناهم على المناصرة .

قَيْنُقَاع : تقدم ضبطها فى غزوتها .

الْحَاسِرُ – بالحاء والسين المهملتين : الذى لا دِرْعَ عليه .

دارع : صاحب درع .

أَلَحُّوا عليه : تمادَوْا على قولهم .

الشَّعْث : التَّفَرُّق والانتشار .

الضَّائع : الذى ليس له من يقوم بأمره ، وفى لَفْظ الضَّيْعة : بفتح الضاد المعجمة ، وسكون التحتية ، وفتح العين المهملة ، وتاء تأْنيث ، أى تُرِك وضُيِّع ، وهو أيضاً : مصدر ضاع الشئ ضَيْعَةً وضياعاً ، وأضعتُهم : تركتهم .

أعرابى : منسوب إلى الأعراب ، وهم سكان البادية .

---

(١) سورة النحل ٦٧ .

الشَّنَذَة ـ بشين معجمة ، فنون ، فذال معجمة مفتوحات ، تشبه الإكاف يُجْعَل لمقدمته حِنوٌ وهو بالكسر واحِد أحناء السَّرج والقَتَب ، وحِنوُ كل شئ اعوجاجه.

الخِطَام ـ بكسر الخاءِ المعجمة : مَا تُقَادُ بِهِ الدَّابَّة .

آن ـ بالفتح والمدّ : قرُبَ وَدَنَا .

اللَّائم : العاذل .

النّعى : خبر الموت .

تَمُنّ عَلَيْنَا : تُنْعم .

مَا آلوكم جُهدا : أى ما أدع جهدا ولا أقصِّر فى ذلك .

الجُهد : الطَّاقة .

المُوسَى : آلَةُ الحديد التى يُحْلَق بها .

تُسْبَى النِّساء ، السَّبْىُ : النَّهب وأَخْذُ الناس عبيداً وإماءً .

أَرْقِعَة[1] : أى السَّمٰوات ، قال ابن دُرَيْد : كذا جَاءَ على لفظ التَّذْكير على معنى السَّقْف قال ابن الأعرابى : سَمُّوها « الرقيع » لأَنَّهَا مَرْقُوعَة بالنُّجُوم .

المِلِك ـ بكسر اللَّام .

وَضَعَت الْحَرْب أوزارها : الأَوزار : هنا السلاح وآلة الحرب وهو كناية عن الانقضاء ، وفيه حذف ، أى حتى يَضَعَ أَهلُ الحرب أَثْقَالهم ، فأَسند الفِعْلَ إلى الحرب مجازا .

* * *

شرح غريب ذكر قتلهم

فَسِيقُوا : من السَّوق بالفتح ، وهو الإسراع .

الكَدْمُ : العضّ .

الحُمُر : الحمير .

---

(١) الرواية التى ساقها مصنفنا « سبع سماوات » وهناك روايات ورد فيها ذكر « سبعة أرقعة » وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٢ .

غَدَا ــ سَار غُدْوَة ، أى أول النَّهَار .

الأُخْدُود : شقّ فى الأَرض مستطيل .

أَحْجَارُ الزَّيْت : مكان بالمدينة الشريفة .

أَرْسَالاً ــ بفتح الهمزة : أى طائِفة بعد طائِفة .

عِلْيَةُ أَصْحَابه : أشرافهم .

يُذْهَبُ بهم ــ بضم أَوَّله وفتح ثالثه .

لَايَنْزِع : لا يَرْجع .

أَزْرَى بِه : قصَّر فى حقه

الحُبَاب ــ بحاءٍ مهملة وموحدتين . وزن غراب .

الحُلَّة : إزار ورداء ، وأصل تسميتهما بها إذا كان الثوبان جديدين لَمَّا يُحَل طَيُّهما ، فقيل له حُلَّة بهذا الاسم ، ثم استمر عليها .

شُقْحِيَّة[1] بضَم الشين المعجمة ، من شقح البُسْرُ إذا تَلَوَّن .

فُقَاحِيَّة ــ بفَاءٍ مضمومة ، فقاف ، فحاءٍ مهملة ، فتحتية مشدَّدة ، نسب إلى الفُقَاح ، وهو الزَّهر إذا انْشَقَّتْ أَكمامه[2] .

عَمَدَ إليها : قصد .

الأُنْمُلة : طرف الإصبع .

التَمَّس بمثناة فوقية فميم فسين مهملة : طَلَبَ .

---

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ١٢٤ « حلة فقحية » وهى ضرب من الوشى .

(٢) كذا فى ط وفى ت ، م « أكمه » .

قَلْقَلْتُ : حرّكتُ .

من يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَل بفَتح الهاء من الاسم الكريم قالهُ السُّهيلي . والضم الظاهر كما في نسخ صحيحة من السيرة .

المَلْحَمَةُ : القتالُ وموضعهُ أَيْضًا .

جابذه : لغة فى جاذبه ، وقيل : مقلوب منه . إذا جره إليه .

الإسار – بالكسر : القَيْد

/ قيّلوهم : من القَيْلُولة . ١٥٨ و

تُبْرِدُوا : تكسر شدة الحر .

الْجَزَع – بفتحتين : نقيضُ الصَّبر .

لم أُنبتْ – بضمّ الهمزة وسكون النون وكَسْر الموحدة .

لَاذَ به : استجار .

سَلْمَى بفتح السين المهملة : إحدى خالات النبي – صلى الله عليه وسلم ؛ أي خالاتَ جَدِّه عبد المطلب ، لأَن أُمه من بنى عَدِيّ بن النَّجّار من الأَنصار .

الدَّأب – بالسكون والتحريك : العادة والتأَنى .

بنانة – بموحدة ونونين بينهما أَلف ؛ نقله النَّوَوِىّ فى مُبْهَماته عن الخطيب . وقال فى المورد : رأَيته بِخَط الحافظ السِّلَفى بثاءٍ مثَلّثة ، فموحدة ، فأَلف ، ففوقية ، قلتُ : وكذا رأَيته فى نسخةٍ من العيون صحيحة جدًّا قُرِئت على مصنفها مرَّات ، وقرئت على الحافظ ابن حجر وغيره من المُتْقِنِين .

الزَّبير بن بَاطَا – بفتح الزَّاى ، وأَبوه ؛ بموحدة ، فأَلف ، فطاءٍ مهملة فأَلف مقصورة .

شَدَخَه : كسره .

انْطُلِقَ بِهِ ـ بالبناء للمفعول .

* * *

شرح غريب ذكر خبر ثابت بن قيس ـ رضى الله عنه

مَنَّ عليْه ـ بفتح الميم وتشديد النون .

بُعَاث ـ تَقَدَّمَ الكلام عليه فى أبواب إسلام الأنصار .

لهُ عِنْدِى يد : نعمة أَنْعَمَها علىَّ .

جَزّ ـ بفتح الجيم وتشديد الزاى .

مِرآة ـ بكسر الميم ، وإسْكان الرّاء فهمزة مفتوحة ممدودة فتاء تأْنيث .

صِينيَّةٌ : منْسُوبة إلى الصين .

الْعَذَارَى : جمع عَذْراء ، سُمِّيتْ البكر لذلك لضيقها .

الحىّ : القبيلة

الْبَادِى : خلاف الحاضر .

المَحْلُ(١) : الجَدْب .

مُقَدِّمتنا ـ بكسر الدال المهملة المشددة ؛ مقدمَةُ الحرب : أوله .

عَزّال ـ بعين مهملة مفتوحة فزاى مُشَدَّدة فألف فلام .

سِمْوَال(٢) ـ بسين مهملة مكسورة وتفتح ، فميم وآخرهُ لام .

المَجْلِس ـ بكسر اللاَّم : موضع الجُلُوس ، وبفتح : المصدر .

---

(١) المحل : هذا اللفظ لم يرد فى سياق المصنف ، وإنما ورد فى سياق مغازى الواقدى ٢ : ٥١٩ .

(٢) فى البداية والنهاية ٢ : ١٢٦ يثبت رواية بشين معجمة .

فَتَلَةُ[1] دَلْوِنَاضِح – قال ابن إسحاق : بالفاء والفَوْقِيَّة أى مقدار ما يأْخذ الرَّجُلُ الدَّلو التى خرجت من الْبِئْرِ فَيَصُبُّها فى الحوض ، ثُمَّ يَفْتِلُها أى يردها إلى موضعها . وقال ابنُ هشام : إنما هو بالقاف والموحدة ، وقَابِلُ الدَّلو : هو الذى يأْخذها من المستى ، ولفظ الخبر عند أبى عبيد : فلست صابرا عنهم إفْرَاغَةَ دَلْو .

ما أُبَالى : ما أهتم ولا أكترث .

* * *

شرح غريب ذكر اصطفائه – صلى الله عليه وسلم – رَيْحَانة رضى الله عنها

خُنَافَة : بالخاء والنون[2] .

وَجَدَ فى نَفْسه : غضب ولم يُظْهِر ذلك .

* * *

شرح غريب قسم المغنم

قاد ثلاثة أفْرَاس : جَنَّبَها .

مِحْصَن – بكسر الميم وسكون الحاءِ وفتح الصاد المهملتين ثم نون .

السُّهْمَان – بالضم والأسهم والسهام : النَّصيب .

الرِّثَّة – بكسر الراءِ وتشديد الثاءِ المثلثة : وهى متاع البيت الدون .

أَحْذَى بحاءِ مهملة فذال معجمة : أَعْطَى .

سَهَمَهُ – فعل ماض : أى غلبه .

مَحْمِيَة – بفتح الميم / وسكون الحاءِ المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية . ١٥٨ ظ

---

(١) فى المرجع السابق ٢ : ١٢٥ « قال ابن اسحاق : فيلة – بالفاء والياء المثناة من أسفل ويقول ابن هشام بالقاف والباء .

(٢) بياض فى الأصل وما أثبته : تأكيد لرسم الاسم فى سياق المتن . ولعل المصنف هنا لم يترجح لديه وجه فى الرسم فتركه حتى يطمئن لرأى « وخنافة » كانت من بنى النضير ومتزوجة فى بنى قريظة رجلا يقال له الحكم (شرح المواهب : ٢ : ١٣٧) .

جَزْء ـ بجيم مفتوحة فزاى ساكنة فهمزة .

سَبْرة ـ بفتح السين المهملة وسكون الموحدة .

* * *

شرح غريب قصيدتى حسان ـ رضى الله عنه

ما أساها : أراد ما ساءها ، فقلب ، والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال ، يقولون : رأى وأرى فى معنى واحد على جهة القلب .

المُجَنَّبة : التى تجنب ، أى تقاد .

تعادى : تجرى وتسرع .

الْعَبِير : هنا الزَّعْفَران .

تَحُوم ـ بحاءٍ مُهْمَلة : تستدبر .

يُدَان ـ بضم التحتية : يُجْزى .

الْعَنَد ـ بفتح العين المهملة والنون والدال المهملة : الخروج عن الحق .

الفَجُور[1] : بفتح الفاء من الفُجور وخفضه على الجواد[2] وقد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء فى القوافى . وكذلك من رواه « الفخور » .

[نذيرى][3] هنا مصدر . قال تعالى : (كَيْفَ نَذِيرِ)[4] أى إنْذارِى .

تَفَاقَد : فَقَد بعضُهم بَعْضًا ، وهو دُعاء عليهم .

بور : ضُلاَّل ، أو هَلْكى من البَوَار : وهو الهلاك .

---

(١) بياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى ط ، وفى ت . م « وخفضه على الجوار » .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) سورة الملك آية : ١٧

السَّراةُ – بفتح السين المهملة : الخِيَارُ .

البويرة : موضع ببنى قُرَيْظَةَ . وتقدم الكلام عليها فى غزوة بنى النَّضِير .

الطَّوَائف : النواحى

السَّعير : النّار الْمُلْتَهبة .

النُّزه : بضم النون : البعد ، يقال فلان يُنَزِّهُ نفسه عن الأَقذار أى يباعد نفسه عنها .

يَضِير– بالضاد المعجمة : بمعنى يَضُر . يقال : ضَارَّة بمعنى ضرّه ، ومن رَوَاهُ بالصّاد المهملة فمعناه تشقق وتقطع .

الباب الحادى والعشرون

فى غزوة بنى لِحْيَان[1] بن هذيل بن مدركة بناحية عُسْفان

وَجَدَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عاصم بن ثابت ، وخُبَيْب بن عَدِىّ وأصحابهما[2] المقتولين بالرَّجيع الآتى ذكره فى السَّرايا والبُعُوث . وَجدًا شديدا ، فأظهر أنه يُريد الشَّام ، ليُصِيبَ مِنَ القوم غِرَّة ، فَعَسْكَر من ناحية الجُرُف ، وخرج فى مائتى رَجُل ، ومعهم عشرون فرساً .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد ، وابن هشام : وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . فخرج من المدينة فسلك على غراب[3] ثم على مَحِيص ثم على الْبَتْرَاء ، ثم صَفَّقَ ذات اليسار ، فخرج على يَيْن[4] ثم على صُخَيْرَات الثَمام ، ثم أستقام به الطريق على السَّيَالَة ، فَأَغَذَّ السَّيْرَ سريعاً حتى نزل بطن غُرَان[5] وبينها وبين عُسْفَان خمسةُ أميال حيثُ كان مُصَابُ أصحابه[6] فَتَرَحَّم عليهم ، وَدَعَا لهم فسمِعَتْ به بنو لِحْيَان فهربُوا فى رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد ، فأقام يوماً أو يومين ، فبعث السرايا فى كل ناحية ، فلم يقدروا على أحد . فلمَّا أخطأه من غِرَّتِهم ما أراد . قال : « لو أنَّا هَبَطْنَا عُسْفَان لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أنَّا قد جِئْنَا مَكَّة » فهبط فى أصحابه حتى نزلوا عُسْفَان .

---

(١) وانظر فى غزوة بنى لحيان (مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٥ ـ وابن كثير ـ البداية والنهاية ٤ : ١٤٩ وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

(٢) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٤٧ « كانوا عشرة أو سبعة ، وأراد بأصحابه ـ أى عاصم ـ ما يشمل المقتولين ببئر معونة ، وهم القراء السبعون ؛ لأن عاصما وأصحابه لم يقتلوا بها بل كانوا سرية وحدهم .

(٣) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٦ « على غرابات » وفى الهامش ويقال غراب بصيغة المفرد كما فى ابن إسحاق : وهو جبل بناحية المدينة .

(٤) فى المرجع السابق « بين » بالباء الموحدة . وشرحت فى الهامش بأنها قرية من قرى المدينة تقرب من السيالة (عن معجم ما استعجم ص ١٨٩) وسيرد التعريف بها فى التنبيهات . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٣٣٥ .

(٥) غران : اسم لوادى الأزرق خلف أمج بميل (وفاء الوفا) ٢ : ٣٥٣ وسيرد فى التنبيهات .

(٦) أى الذين قتلوا فى بئر معونة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٧)

قالَ ابن إسحاق : ثم بعث فَارِسَيْن ، وقال ابن عمر ، وابن سعد : بَعَثَ أَبا بكر – رضى الله عنه – فى عشرةِ فَوَارِس لتسمع به قريش فَيَذْعَرهم ، فأَتوا كُرَاع الْغَمِيم ، ثم رَجَعُوا ولم يلقوا أَحدًا / وراح رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قَافِلاً قال جابر ١٥٩ و
فيما رَوَاهُ ابن سعد : سمعتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقولُ : حين رَجَع : « آيبُون تَائبُون – إن شَاءَ اللهُ تعالى – لِرَبِّنَا حَامِدُون » وفى رواية « لربِّنَا عَابدُون ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفر ، وكآبةِ المُنْقَلَب ، وسُوءِ المنظر فى الأَهْلِ والْمَالِ » . زاد محمد ابن عمر : « اللَّهم بَلِّغنا بَلاَغًا صَالحاً يبلغُ إلى خَيْرِ مَغْفِرتك ورضوانك » قالوا : وهذا أَول ما قال هذا الدُّعاء . وغاب – صلى الله عليه وسلم عن المدينة أَربع عشرة ليلة ، وقال كعب بن مالك – رضى الله عنه – فى هذه الغزوة .

لَوَانَّ بنى لِحْيَان كانوا تناظـروا لَقُوا عُصَباً فى دَارِهم ذَاتَ مَصْدَق
لَقُوا سَرَعَان يملأُ السَّرْبَ رَوْعُـه أَمام طَحُونٍ كَالمَجَرَّة فيلق
ولكنهم كانوا وِبارًا تَتَبَّعَتْ شِعَاب حِجَانٍ غير ذى مُتَنفَّق

* * *

تَنْبِيهات

الأول : اختلفوا فى أَى شهر وفى أَى سنةٍ كانت هذه الغزوة فقال ابن سعد : كانت هذه الغزوة لهلال ربيع الأَول سنة ست[1] ، وصحح شيخه محمد بن عمر : أَنها فى سنة ستٍّ فى رجب ، وقال ابن إسحاق فى رواية البكائى ، وسلمة بن الفضل : على رأْس ستة أَشهر فى جمادى الأُولى وقال فى رواية يونس كما ذكره الحاكم : فى شعبان ، وقال ابن حزم : الصحيح أَنها فى السَّنة الخامسة ، وذكرها بعضهم أَنها فى السنة الرابعة ، وجزم الذهبى فى تاريخ الإسلام وغيره من العلماء : بأَنها فى السادسة ، وصححه فى البداية .

---

(١) الخلاف الموجود هنا له نظير فى كتب السيرة . فهل كانت الغزوة فى ربيع الأول . أو فى رجب ، أو فى شعبان . وهل كانت فى السنة الرابعة ، أو الخامسة ، أو السادسة . ولكن ابن حزم جزم بأنها فى الخامسة . ويقول : إن هذا هو الصحيح ، وهو قول ابن إسحاق (البداية والنهاية ٤ : ١٤٩) (وشرح المواهب ٢ : ١٤٦) و (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٧٩) .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق :

لِحْيَان – بكسر[1] اللاَّم وسكون المهملة : نسبة إلى لِحْيَان بن هُذَيل[2] بن مُدْرِكة ابن إلياس بن مُضَر .

هُذَيل – بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وباللام .

عُسْفَان[3] – بضم العين المهملة وسكون السين المهملة وبالفاء والنون .

غِرَّة : غَفْلة .

وَجَد على عاصم : حَزِن .

خُبَيْب – بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة .

الرَّجِيع – بفتح الراء وكسر الجيم وزن رضيع : من ناحية الشام على ثلاثة أَمْيَال من المدينة .

الجُرُف – بضم الجيم والراء وبالفاء : موضع قرب مكة ، وآخر قرب المدينة واليمن واليمامة .

غُرَاب – بلفظ الطائر المعروف : جبل شأمى[4] المدينة .

مَحِيْص بفتح الميم وكسر الحاء – وبالصَّاد المهملتين كقَلِيل[5] : موضع بالمدينة .

الْبَتْرَاء : تأْنيث أبتر .

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ١٤٦ « بكسر اللام وفتحها – لغتان » .

(٢) فى المرجع السابق يقول الزرقانى : وزعم الهمذانى النسابة : أن أصل بنى لحيان من بقايا جرهم ، ودخلوا فى هذيل فنسبوا إليهم .

(٣) عسفان : قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة « وفاء الوفا » (٢ : ٣٤٥)

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ١٤٧ « جبل بناحية المدينة ، وفى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٧٩ « جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام .

(٥) فى د « كحليك » .

صفّق – بتشديد الفاء : عَدَل .

يَيْن – بتحتانيتين الأُولى مفتوحة والثانية ساكنة وآخره نون . وضبطه الصغانى بفتحهما : وادٍ من أودية المدينة .

صُخَيْرَات – بضم الصاد المهملة وبالخاء المعجمة المفتوحة وسكون التحتية جمع صُخَيْرة بالتصغير .

الثُّمَام – بثاء مثلثة مضمومة ، ورواه المغاربة بالمثناة الفوقية .

السَّيَالة – كسحابة : مكان على ثلاثين ميلا من المدينة .

أَغَذَّ السَّير يَغُذُّهُ إغْذَاذًا – بغين وذال معجمتين : أى أسرع .

غُرَان – بضم الغين المعجمة وتخفيف الراء وآخره نون : وادى الأزرق[1] .

يَذعَرهم : يخوفهم .

قافلاً : راجعاً

آيبون : راجعون

/ وعْثَاء السَّفر – بالمثلثة : مشقته . ١٥٩ ظ

الكآبة : الحزن .

تَنَاظَرُوا : أى أنتظر بعضُهم بعضا .

العُصَب – بضم العين وفتح الصاد المهملتين ، وآخره موحدة : الجماعات .

السَرَعَان – بفتح السِّين والراء المهملتين ، أول القوم .

---

(١) وادى الأزرق : بين أمج وعسفان وبعيد عن الأخير بخمسة أميال (شرح المواهب ٢ : ١٤٧) .

السَّرْب – بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة : الطريق ، وبكسر السين : النَّفْس .

الرَّوْعُ : الفزع .

طَحُون : كثيفة تطحن كل ما تمر به .

المَجَرَّة – هنا مَجَرَّة السماء ؛ وهى البياض المستطيل بين النجوم .

الْفَيْلَق : الكتيبة الشديدة .

الوِبَار : جمع وَبْر ، دويبة على قدر الهِرّ تشبه بها العرب الضُّعَفاء .

الشِّعَاب : جمع شعب وهو المنخفض بين الجبلين .

الحِجَان – بحاءٍ مهملة فجيمٍ فألف فنون : المعوج ، والأَحْجَنُ : المعوج ، ومن رواه الحِجاز[1] بالزاى عنى أَرض مكة وما يليها ، ومن رواه حجار بالراءِ فهو جمع حجر .

غير ذى مُتَنَفّق : أى ليس له باب يخرج منه ، وأصله من النَّافِقَاءِ ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع إذا أخذ عليه من باب الجُحْرِ خرج عليه .

---

(١) وهى رواية ابن هشام فى السيرة النبوية ٢ : ٢٨١)

الباب الثانى والعشرون

فى غزوة الحديبية[1]

والسبب فى ذلك ما رواه الفريابى ، وعبد بن حُميد وابن جرير ، والبيهقىّ عن مجاهد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ، وابن جرير عن ابن زيد ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه قالوا : أُرِى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّه دخل مكة هو وأصحابُه آمنين مُحَلِّقين رؤوسهم ومقصرين ، وأنه دَخَل البيْتَ ، وأخذ مِفْتَاحه وعَرَّف مع المُعَرِّفين[2] .

قال ابن سعد ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما : وأَسْتَنْفَرَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العَرَبَ ومن حَوْله من أَهْل البَوادِى من الأعراب ، ليَخْرُجُوا معه وهو يَخْشى من قريش والذى صنعوا[3] أَنْ يَعْرِضُوا له بحربٍ أو يَصُدُّوهُ عن البيت . فأَبطأَ عليه كثيرٌ من الأعراب .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ عليه بُسْر[4] ـ بضم الموحدة وسكون المهملة . وأَعْجَمَها ابن إسحاق ، وكسر الموحدة ـ ابن سفيان بن عمرو الخُزَاعى فى ليالٍ [بقيت[5]] من شوال مُسْلِمًا ، فقال له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا بُسْر لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَخْرجَ مَعَنا ، فإنَّا إنْ شاءَ الله مُعْتَمِرُون » ، فأَقام وأَبْتَاعَ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدنا

---

(١) ورد حديث هذه الغزوة فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ . والمغازى للواقدى ٢ : ٥٧١ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٦٤ – والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٥٧٢ .

(٢) أى مع الذين وقفوا بعرفات .

(٣) (والذى صنعوا) هذه العبارة مثبتة فى ط .

(٤) فى البداية والنهاية ٤ : ١٦٥ « بشر بن سفيان الكلبى » وجاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨١ « والصحيح أنه بسر كما قال الحافظ . وجزم به ابن اسحاق وابن عبد البر وغيرهم . وفى المغازى للوقدى ٢ : ٥٧٢ (بسر بن سفيان الكعبى » .

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٢ .

فكان يبعث بها إلى ذى الجَدْر حتَّى حضر خروجه ، فأمر بها فَجُلِبَتْ إلى المدينة ، وسلَّمها إلى نَاجِيَة[1] بن جُنْدُب الأسلمى فقدّمها إلى ذى الحُلَيفة .

وآستخلف على المدينة – قال محمد بن عمر ، وابن سعد – : ابْنَ أم مكتوم . وقال ابن هشام : ومن تبعه : نُمَيْلَة – بالنون تصغير نملة – بن عبد الله اللَّيْثى ، وقال البلاذرى بعد أن ذكر ابن أم مكتوم ويقال : أبُورهْم كُلْثُوم بن الحُصَيْن قال : وقَوْمٌ يقولون : آستخلفهُم جميعاً[2] وكان ابن أم مَكْتُوم على الصَّلاة .

* * *

ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم

١٦٠ و روى عبد الرزّاق ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والبخارى وأبو داود / ، والنسائى ، وابن جرير ، وابن المنذر عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزّهرى ، وابن إسحاق عن الزهرىّ عن عُروَة بن الزبير عن المِسْوَر – بِكَسْرِ الميم وسكون السين المهملة – ابن مَخْرَمة[3] – بفتح الميم وسكون الْخاء المعجمة ، ومَرْوان بن الحكم[4] : أنهما حدثاه ومحمد بن عمر عن شيوخه ، يزيدُ بعضُهم على بَعْض– قال محمد بن عمر : دَخَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بَيْتَه فاْغتسل ، ولبِسَ ثَوْبَيْن من نَسْج صُحَار[5] ، وركب راحلته القَصْوَاء من عند بابه ، وخرج بأُم سَلَمة معه ، وأم عمارة وأم منيع أسماء بنت عمرو ، وأم عامر الأشهلية ، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لَحِقَ به من الْعَرَب لَا يَشُكُّونَ فِى الفتح لِلرُّؤْيَا المذكورة ، وليس معهم سلاحٌ إلا السُّيُوف

---

(١) هو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائل بن سهم بن مازن بن سلمان بن أسلم ابن أقصى بن أبى حارثة (البداية والنهاية ٢ : ١٦٥) وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله – صلى الله عليه وسلم –اسمه . وسماه ناجية لما أنه نجا من قريش (السيرة الحلبية ٣ : ١١) .

(٢) فى ب ، م « استخلفهما جميعاً » والمثبت من ط . وعبارة شرح المواهب ٢ : ١٨٠ تتفق مع ب ، م . وانظر الخلاف هناك .

(٣) المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشى الزهرى له ولأبيه صحبة ، مات سنة أربع وستين (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

(٤) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى أبو عبد الملك . ولى الخلافة فى آخر سنة أربع وستين ، له صحبة (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

(٥) صحار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها هامش مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٣ .

فى القُرُب ، وساق قَوْمٌ الْهَدْىَ فَسَارَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الاثنين لهلال ذى القعدة حتى نزل ذا الحُلَيْفَة[1] فصلى الظهر ، ثم دَعَا بالبُدْن – وهى سبعون – فَجُلِّلَت[2] ، ثم أَشْعَرَ منها عِدَّة وهى موجهات إلى القِبْلَة فى الشِّق الأيمن ، ثم أَمَرَ نَاجيَة بن جُنْدب فأشعر ما بَقِىَ وقلّدهن نَعْلا نَعْلا ، وأشعر المسلمون بُدْنَهُمْ وقلدوها ، وكان معهم مائتا فرس ، وبعث – صلى الله عليه وسلم – بُسْرَ بن سفيان[3] عَيْنًا له ، وقدم عبَّاد بن بِشر طليعة فى عشرين فارساً ، ويُقَال جعل أميرهم سعد بن زيد الأشهلى .

* * *

ذكر إحرامه – صلى الله عليه وسلم

ثم صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ركعتين ، وركب من باب المسجد بذى الْحُلَيْفَة ، فلما انبعثت به راحلته مُسْتَقْبِلَةً القبلة أَحْرَم بِالعُمْرَة ؛ لِيأْمَن النَّاس حَرْبه ، وليعلم الناس أنَّه إنَّما خَرَجَ زائراً لهذا البيت ، ومُعَظِّمًا له . ولفظ تلبيته « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لبَّيْك لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ ، والْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ » . وأحرم غالبُ أصحابه ، وأم المؤمنين أم سَلَمة بإحرامه ، ومنهم من لم يُحْرِم إلا « بالجُحْفَة » وسلك طريق البيداء[4] ومَرَّ فيما بين مكة والمدينة بالأعراب من بنى بكر ، ومُزَيْنَة ، وجُهَيْنَة فاستنفرهم ، فتشاغلوا بأموالهم ، وقالوا فيما بينهم : يريدُ محمَّدٌ يغزو بنا إلى قوم مُعَدِّين[5] فى الكُرَاع والسِّلاح ، وإنَّما محمد ، وأصحابه أكلة جَزُور ، لن يرجع محمدٌ وأصحابُه من سفرهم هذا أبدًا ، قومٌ لا سلاح معهم ولا عَدَد .

ثم قدَّم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – نَاجيةَ بن جُنْدب بالْهَدْى مع فتيانٍ من أَسْلَم ، ومعهم هَدْىُ المسلمين ، ولقى طائفةً من بنى نَهْد فدعاهم إلى الإسلام فأبَوا ، وأهدوا له لَبَنًا من نَعَمِهم ، فقال : « لَا أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِك » فابتاعه المسلمون منهم ، وابْتَاعُوا

---

(١) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة .

(٢) أى ألبست الجلال ، جمع جل . وهو الغطاء (الصحاح) .

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) البيداء : هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب (وفاء الوفا ٢ : ٢٦٧) .

(٥) عبارة الواقدى « معدين مؤيدين فى الكراع والسلاح » مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٤ .

منهم ثلاثة أَضُبٌّ[1] فأكل قوم أَحِلَّةٌ وسأَل الْمُحْرِمُون رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها فقال : « كُلُوا فكل صيد الْبَرِّ لكم حَلَال فى الإحرام تأْكلونه إلاَّ مَا صِدْتُم أَوْ صِيدَ لكم » . وعطب من نَاجية بن جُنْدُب بعيرٌ من الْهَدْى ، فجاءَ بالأَبْوَاء إلى رسول / الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وأَخبره ، فقال: « انْحَرْه واصبغ قَلَائدَه فى دمه ، وَلَا تأْكُل أَنْتَ وَلَا أَحد منْ أَهل رُفْقَتكَ منه ، وخَلِّ بَيْن النَّاسِ وبينه » . ١٦٠ ظ

* * *

ذكر حديث أبى قتادة والصعب بن جثامة وبعض من اهدى له

روى الإمام مالك والسِّتَّة عن أَبى قَتَادة رضى الله عنه ـ قال : كنت يوماً جَالِسًا مع رِجَالٍ من أَصحاب النَّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَمامنا ، والقومُ مُحْرِمون وأَنا غير مُحْرِم عام الحُدَيْبِيَةِ ، فأَبصروا حماراً وَحْشِيًّا ـ وأَنا مشغول أَخْصِفُ نعلى ـ فلم يؤذنونى، وأَحبُّوا لَوْ أَنِّى أَبصرته ، وفى رواية فرأَيتُ أَصحابى يتراءون شيئاً ، وفى روايةٍ : يضحكُ بعضهم إلى بعض ، فنظرت فإِذَا حمارٌ وحْشِىٌّ فقمت إلى فرسى فأَسْرَجْته ، ثم ركبت ونسيتُ السَّوْط والرُّمْح ، فقلتُ لهم : ناولونى السَّوط والرّمح ، قالوا : والله لا نعينك عليه ، فغضبتُ فنزلتُ فأَخذتُهما ، ثم ركبت فشدَدْت على الحمار فعقَرْتُه ، ثم جِئْتُ به وقد مات فوقعوا فيه يأْكلونه ، ثم إِنَّهم شكُّوا فِى أَكلهم إِيَّاه وهم حُرُم ، فرُحْنَا وَخَبَّأْتُ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الْعَضُد معى ، فأَدركنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأَلناه عن ذلك فقال لهم : هل منكم أَحَدٌ أَمَرَه أَن يحمل عليه أَو أَشار إليه ؟ قالوا : لا ، فقال : « كُلُوا مَابَقِى مِنْ لَحمه إِنَّما هى طُعْمَةٌ أَطعمكموها الله ، هُوَ حَلَال ، هَلْ مَعَكم منه شئٌ ؟ فقلت نعم ، فَنَاوَلْته الْعَضُد فأَكلها وهو مُحْرِم .

وروى الإمام مالك والشيخان والترمذى والنسائى عن الصعب بن جَثَّامَة ـ رضى الله عنه ـ أَنه أَهْدَى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حمارًا وحْشيًّا وهو بالأَبواء أَو بودَّان فردّه عليه ، فلما رأَى ما فى وجهه[2] قال : إِنَّا لم نَرُدَّه عليك إلا أَنَّا حُرُم .

---

(١) أضب جمع ضب وهو من فصيلة الزحافات وذيله كثير العقد . وضرب به المثل فقيل : أعقد من ذنب ضب (الوسيط)

(٢) أى من كراهية رد هديته (مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٦) .

وأهدى له إيمَاءُ بن رَحْضَة[1] الغفارى مع ابنه خُفَاف بن إيمَاء – رضى الله عنه – مائة شاة وبعيرين يحملان لَبَنًا ، فقال : « بَارَكَ اللهُ فيكم » وفَرَّق ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأهدى له بعضُ الأَعراب من ودّان مَعيشًا[2] وعِتْراً[3] وضَغَابِيس[4] فجعل يأْكل الضَّغَابِيس والعتْر وأعجبه ، وأدخل على أم سلمة منه ، وجعل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه هذه الهدية ، ويُرى أصحابه أَنَّهَا طَرِيفة .

* * *

ذكر أمره كعب بن عجرة بحلق رأسه لعذر

روى الإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد ، والشيخان والترمذىّ ، وابن جرير ، والطبرانى عن كعب بن عُجْرَة – رضى الله تعالى عنه – قال : « كُنَّا مَعَ رَسُول الله – صلَّى الله عليه وسلم – بالْحُدَيْبِيَة وَنَحْن مُحْرِمُون – قَدْ حَصرَنَا المُشْرِكُون ، وكانت لى وَفْرَةٌ فجعلت الْهَوَامُّ تَسَّاقَط على وَجْهى ، فَمَرَّ بِى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسك » ؟ قلت : نعم ، قال : « مَا كُنْتُ أَرَى / أَنَّ الجهد بَلَغَ بِكَ هَذَا » !! ١٦١ و
فأمرنى أن أحْلق ، وأنزل الله – تعالى – هذه الآية : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْبه أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُك[5]) فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « صُمْ ثَلَاثَة أيام ، أو تَصَدَّق بفرق[6] بين ستة مساكين أو انْسك مَا تَيَسَّرَ لَكَ » .

وَلَمَّا بَلَغَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – الجُحْفَة أَمَرَ بشجرة فَقُمَّ ما تحتها ، فخطب النَّاسَ فقال : « إنى كائن لكم فَرَطًا ، وقد تركتُ فيكم مَا إنْ أَخَذْتُمْ به لم تَضلُّوا أبدًا ، كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نبيّه » – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) فى م « رحضة » وضبطها المصنف فى المفردات براء مفتوحة فحاء مهملة . ويوافق هذا ما ورد فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٧ » .

(٢) فى الأصول « بليامقش » والمثبت من مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٧ – والمعيش : الطعام وما يعاش به من الخبز (القاموس المحيط) .

(٣) العتر : نبت ينبت متفرقاً ، فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن (النهاية : ٣ : ٦٥) .

(٤) الضغابيس : صغار القثاء ، واحدها ضغبوس (القاموس المحيط) وانظر شرح المفردات .

(٥) الآية ٩٦ من سورة البقرة .

(٦) الفرق : الزاد (السيرة الحلبية ٣ : ٣٣) .

ذكر بلوغ خبر خروج رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — الى المشركين

روى الخرائطى[1] فى الهواتف عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : لمَّا تَوَجَّه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يريدُ مكة عامَ الحُدَيْبِيَة ، قَدِمَ عليه بشْر[2] — بكسر الموحدة والمعجمة — بن سُفيان العتكى ، فقال له : « يا بِشْر هَلْ عِنْدَك عِلْمٌ أن أهل مَكَّة عَلِمُوا بمسيرى ؟ » فقال بأَبى أنت وأُمى يا رسول الله إنى لأَطوف بالبيت فى ليلة كذا وقريش فى أنديتها ، إذ صَرَخَ صَارِخٌ من أعلى جَبَل أَبِى قُبَيْس — ليلة أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم بالمسير بصوت أسمع أهل مكة :

هيوا[3] لصاحبكم مثلى صحابته ... سيروا إليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعى فى مَهَلٍ ... وأن يحوزهم من مَكَّة الحـــرما
شَاهَتْ[4] وجوهكم من معشر نُكُلٍ ... لَا يُنْصَرون إذا ما حاربوا صَمَا

فَأَرتجت مكة ، وأجتمع المشركون ، وتعاقدوا أَلاَّ يدخل عليهم بمكة فى عامهم هذا ، فبلغ رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « هذا الهَاتِفُ سَلْفَعُ. شيطانُ الأَصنام يُوشِك أن يقتله الله — تعالى — إن شاء الله عز وجل » فبينما هُمْ كذلك إِذْ سَمِعُوا من أعلى الجبل صَوْتاً وهو يقول :

شَاهَت وجوه رِجالٍ حالفوا صَنما ... وخاب سعيهم ما قصر الهمما
إنى قتلت عدوَّ الله سَلْفَعَـــــة ... شيطانَ أَوثانِكم سُحْقًا لمن ظلما
وَقَدْ أَتاكم رسولُ الله فى نفـــرٍ ... وكلهم مُحْرِمٌ لا يسفكون دَما

---

(١) رواية الخرائطى بتمامها والشعر الذى ساقه أثبتهما الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢

(٢) هنا قال المصنف : « بشر بكسر الموحدة والمعجمة بن سفيان العتكى » وسبق فى ص ٥٧ قوله : « بسر — بضم الموحدة وسكون المهملة ، وأعجمها ابن إسحاق وكسر الموحدة — بن سفيان بن عمرو الخزاعى » وانظر تعليقنا على هذا الخلاف هناك . وما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « بسر بن سفيان الكعبى » .

(٣) فى ت « هيوا لسادركم » وفى م « هيوا لساجدكم » والمثبت من ط ويوافق شرح المواهب .

(٤) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب (شاهت وجوههم) .

قالوا : ولما بَلَغَ المشركين خروجُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رَاعَهُم [ذلك(١)] فأجتمعوا وتشاوروا فقالوا : أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمراً فتسمع العربُ أنَّه قد دخل علينا عَنْوَةً ، وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟! والله لا كان هذا أبدا ومنَّا عَيْنٌ(٢) تطرف .

ثم قدَّموا خالد بن(٣) الوليد فى مائتى فارس إلى كُرَاع الغَمِيم(٤) ، وأستَنْفَرُوا من أطاعهم من الأَحَابيش ، وأَجْلَبت ثقيف معهم وخرجوا إلى بَلْدَح(٥) ، وضربُوا بها القِبَاب والأَبْنية ، ومعهم النساءُ والصِّبْيَان ، فعسكروا هُنَاك ، وأَجمعوا على مَنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من دُخول مكة ومُحَارَبَته ، ووضعوا العُيُون على الجبال ، وهم عشرة أنفس يُوحى بعضُهم إلى بعض الصوت [الخفى(٦)] فعل محمدٌ / كذا وكذا ، حتى ١٦١ ظ
ينتهى إلى قُرَيْش ببَلْدَح ورجع بشر(٧) بن سفيان الذى بعثه عَيْنًا له من مَكَّةَ وقد علم خبر مكَّة والقوم ، فَلَقِى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بِغَدِيرِ الأَشْطَاط(٨) وراءَ عُسْفَان فقال : يارسول الله !! هذه قريش سمعتْ بمسيرك ، فخرجُوا ومعهم العُوذُ المَطَافِيل ، قد لبسوا جُلُودَ النُّمور ، وقد نَزَلُوا بذى طُوًى يُعَاهِدُونَ الله لا تَدْخُلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قَدَّمَهَا إلى كُرَاع الغَمِيم ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم : « يَا وَيْحَ قُرَيْش لَقَدْ أَكَلَتْهُم الْحَرْب ، مَاذَا عَلَيْهم لَوْ خَلُّوا بَيْنِى وبَيْن سَائِر العرب ، فإن هُمْ أَصَابُونِى كَانَ ذَلِكَ الَّذِى أَرَادُوا ، وإنْ أظهرنى اللهُ تَعَالى عليْهم دَخَلُوا فى الإِسْلاَمِ وَافِرين وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِم قُوَّة ، فَمَا تَظُن قُرَيْش ؟ فَوَالله لا أزال

(١) سقط فى الأصول – والإثبات عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٩ .

(٢) فى ت ، م « عين تطوف » والمثبت من ط وتوافقها مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٩ .

(٣) ويقال عكرمة بن أبى جهل (شرح المواهب ٢ : ١٨٣ ، مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٣)

(٤) كراع الغميم : موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة . ورجح شرح المواهب بأنه الغميم وليس كراع الغميم لأن ذلك بين مكة والمدينة . قال : إن سياق الحديث ظاهر فى أنه كان قريباً من الحديبية فهو غير كراع الغميم (شرح المواهب ٢ : ١٨٣)

(٥) بلدح : موضع خارج مكة « المرجع السابق ٢ : ١٨٢ » .

(٦) الإضافة عن (مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٩) .

(٧) فى ت ، م « بسر » بإهمال السين .

(٨) غدير الأشطاط : موضع تلقاء الحديبية (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

أُجَاهِدُهُم عَلَى الَّذِى بَعَثَنِى اللهُ تعالى بِهِ حَتَّى يُظْهِرَه اللهُ ـ تعالى ـ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِه السَّالِفَة » .

* * *

ذكر مشاورته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصلاته صلاة الخوف

ثم قام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أمّا بعد : ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِين أَشِيرُوا عَلَىَّ أَتَرَوْن أن نَمِيلَ إلى ذَرَارِى هَؤُلاءِ الَّذين أَعَانُوهم فَنُصِيبَهُم » وقال : « فإن قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِين مَحْرُوبِين[1] وَإنْ يـأْتُونَا تكن عُنُقًا . وفى لفظ : عَيْنًا ـ قَطَعَهَا الله ، أم ترون أن نَؤُمَّ البَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عنه قَاتَلْنَاه ؟ » فقال أبو بكرٍ ـ رضى الله عنه ـ : الله ورسوله أعلم ، يَارَسُولَ الله إنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِين[2] ولم نَجِىء لِقِتَالِ أَحَد ، ونرى أن نَمْضِى لِوَجْهِنَا ، فَمَنْ صَدَّنَا عن الْبَيْتِ قَاتَلْنَاه ، ووافقه على ذَلِكَ أُسَيْد بن الحُضَيْر .

وروى ابن أبى شيبة عن هشام بن عُرْوَة عن أبيه ومحمد بن عمر عن شيوخه . أن المِقْدَاد بن الأسو د ـ رضى الله عنه ـ قال بعد كلام أبى بكر : إنَّا والله يَارَسُولَ الله لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالت بنو إسْرَائيل لنبيها : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون ولكن اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُون » انتهى .

فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فسِيرُوا على اسم الله » .

ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فصف خيله فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة ـ فأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبَّاد بن بشر ـ رضى الله عنه ـ فتقدَّم فى خَيْله ، فقام بإزائه ، فصفَّ أصحابه ، وحانت صلاة الظُّهر ، فأذَّن بلال ، وأقام ، فاستقبل رسولُ الله ـ صلى الله

---

(١) فى ت ، م « محزونين » والمثبت من ط ويوافقه ما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢ .

(٢) أى أنه أشار بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة حتى يكون بدء القتال منهم (شرح المواهب ٢ : ١٨٢) .

عليه وسلم القبلة ـ وصفَّ النَّاس خلفه ، فركع بهم ركعة وسجد ، ثم سَلَّم ، فقامُوا عَلَى مَا كَانُوا عليه من التَّعبِئة . فقال خالد بن الوليد : قد كَانُوا على غِرَّةٍ لو حَمَلْنَا عليهم أَصَبْنَا منهم ولكن تـأْتى الساعة صلاةٌ أُخرى هى أَحَب إِليهم من أَنفسهم وأَبْنائِهم، فنزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُم الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُم مَعَك وليَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُم وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخرَى لَمْ يُصَلُّوا / فَلْيُصَلُّوا مَعَك وليَأْخُذُوا حِذْرَهُم وأَسْلِحَتَهُم وَدَّ ١٦٢ و
الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلحَتكُمْ وَأَمْتعَتكُم فَيَمِيلُونُ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ الله أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا[1] ﴾ فحانت صلاةُ العَصْر ، فصلَّى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، وستأْتى كيفيتها فى أَبواب صلواته ـ صلى الله عليه وسلم .

* * *

ذكر مسير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الحديبية من غير طريق خالد بن الوليد وما وقع فى ذلك من الآيات

روى البَزَّار بسندٍ رجالُهُ ثِقاتٌ عن أَبى سعيد الخُدْرِى ـ رضى الله عنه ـ مُخْتصراً، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : لمّا أَمسى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « تَيَامَنُوا فى هَذَا العَصَل[2] وفى رواية اسلكوا ذَات اليمين بَيْن ظهور الحَمْض[3] ؛ فإِن خالد بن الوليد بالغَمِيم فى خَيْلٍ لِقُرَيْش طليعة[4] » كَرِهَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنْ يَلْقَاه وكان بهم رَحِيمًا ، فقال : « تَيَامَنُوا فأَيكم يَعْرِفُ «ثَنِيَّة ذات الحنظل » ؟ فقال بُرَيْدَة[5] بن الحُصَيْب : بحاءٍ مضمومةٍ فصاد مفتوحة مهملتين فتحتية

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة النساء.

(٢) العصل : موضع بالبادية كثير الغياض ، وقيل شجرة إذا أكل منها البعير سلحته . ويروى بالعين والضاد المعجمة وبالصاد المهملة بمعنى الرمل الملتوى المعوج نهاية الأرب ١٧ : ٢١٩ حاشية ، وانظر شرح المفردات .

(٣) الحمض : اسم موضع من طريق يخرج على ثنية المرار (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) الطليعة : مقدمة الجيش ، وانظر شرح المفردات .

(٥) سمى ابن سعد السالك بهم حمزة بن عمرو الأسلمى (شرح المواهب ٢ : ١٨٣)

فموحدة ، ـ وقيل حمزة بن عمرو الأسلمي ـ :
أَنا يا رسول الله عالمٌ بها ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اسْلُكْ أَمَامَنَا » فأخذ بُرَيْدة فى العَصَل ـ قِبَلَ جبال سَرَاوِع قِبَلَ المغرب ، فوالله ما شعر بهم خالد حتَّى إذَا هم بِقَتَرة[1] الجيش ، فانْطَلَق يركُض نَذِيرًا لقريش ، فَسَلَكَ بُرَيْدَةُ بهم طريقاً وَعِرًا أَجْرَل[2] بيْن شِعَاب ، وسار قليلاً تُنَكِّبُه الحجارة وتُعَلِّقُه الشجر ، وصار حتى كأَنه لم يعرفهما قط . قال : فَوَالله إنى كنت أسلكها فى الجمعةِ مِرَاراً ، فنزل حمزةُ بن عمرو الأَسْلمى ، فسار بهم قليلا ، ثم سقط فى خَمَر[3] الشجر فلا يدرى أَيْنَ يتوجّه ، فنزل عمرُو بن عَبْدِنُهْم الأَسلمى فانطلق أَمَامَهم حتى نَظَرَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الثنية ، فقال : هذه ثنية ذات الحنظل ؟ » فقال عمرو : نَعَمْ يا رسولَ الله ، فلما وقف به على رأْسها تحدر به ، قال عمرو : فوالله إن كان لَتهُمُّنى نفسى وحدها[4] إنما كانت مثل الشِّرَاك[5] فاتسعت لى حين بَرَزْت ، فكانت فِجَاجاً لاَجِبة[6] ولقد كان الناس تلك الليلة يسيرون جميعاً مُعْطِفِين[7] من سَعَتِهَا يتحدثُون ، وأَضاءت تلك الليلة حتى كأَنَّا فى قمر .

وروى مسلم عن جابر مُختصراً ، وأبو نعيم عن أبي سعيد ، وابن إسحاق عن الزُّهرى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه .

قال أبو سَعيد : خَرَجْنَا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عَامَ الحُدَيْبِيَة حتى إِذَا كُنَّا بعُسْفَان سِرْنَا من[8] آخر اللَّيل حتى أَقبلنا على « عَقَبَة ذات الحنظل » قال

(١) القترة : الغبار الأسود (شرح المواهب ٢ : ١٨٣).
(٢) أجرل : الجرل الحجارة ، وقيل الشجر مع الحجارة ، وقيل المكان الصلب الغليظ الشديد (لسان العرب) وفى عيون الأثر لابن سيد الناس ٢ : ١١٤ « أجذل » .
(٣) خمر الشجر : كل ما يسترك من شجر أو بناء أو غيره يقال له خمر (النهاية ١ : ٣٢٠) .
(٤) كذا فى الأصول : وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٤ « والله إن كان ليهمنى نفسى وجدى » .
(٥) الشراك : سير النعل (القاموس المحيط) .
(٦) اللاجبة : اللاجب الطريق الواسع (النهاية : ٤ : ٥٠) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٤ « وكانت محجة لاجبة » ، وفى ت . م « لاحمة » .
(٧) فى ت ، م « مصطفين » والمثبت من ط ويوافقه الواقدى .
(٨) فى ت ، م « فى آخر الليل » .

جابر : فقالَ رسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم : – منْ يصعَدُ ثنيّة المِرار[1] فإنّه يُحط عنه ما حُطّ عن بنى إسرائيل ، فكان أوّل مَنْ صَعَدَ خيل من الخزرج ، ثم تبادر النّاس بعد . وقال أبو سعيد / فقَالَ رسُول الله – صلى الله عليه وسلم : – « مَثَلُ هذه الثَّنِيّة الليلة ١٦٢ ظ كمثل الباب الذى قال الله تعالى لبنى إسْرائيل « وَادْخُلوا البَابَ سُجَّدًا وَقولُوا حِطّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَا كُمْ[2] » وقال ابن إسحاق : إنّ المسلمين لما أن خرجوا من الأَرض الصَّعْبة وأفضوا إلى أرض سَهْلة ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « قُولُوا نَسْتَغْفِر اللهَ وَنَتُوبُ إليه » . فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها لَلْحِطّةُ الَّتى عُرِضَت على بَنِى إسْرَائيل فلم يَقُولوها » قال أبو سعيد : ثم قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « لا يجوز هذه الثَّنِيّة اللَّيلَة أحَدٌ إلا غُفِرَ لَهُ » فلمَّا هَبطْنَا نُزُلَنَا فقلت يا رسول الله نَخْشَى أن ترى[3] قريشٌ نيراننا ، فقال : لن يروكم ، فلما أَصْبَحْنَا صلى بنا صلاة الصبح ، ثم قال : « والذى نَفْسِى بِيَدِه لقد غُفِرَ لِلمرَّكْبِ أَجْمَعِين إلاَّ رُويكباً واحداً على جَمَلٍ أحمر التقت عليه رِحَالُ القَوْمِ ليس منهم ، وقال جابر : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « كلكم مَغْفُورٌ له إلا صَاحبَ الجمل الأحمر » . قال أبو سَعيد : فَطُلِبَ فى العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو[4] بن نُفَيل ، والرَّجُلُ من بنى ضَمْرة من أهل سيف البحر يظن أنه من أصحاب رَسُول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فقيل لسعيد : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم[5]] قال : كذا وكذا ، فقال له سعيد : ويْحَك !! اذهبْ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم يستغفر لك .

وقال جابر : فقُلْنَا له : تَعَال يَسْتَغْفرْ لَكَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :

---

(١) ثنية المرار : بضم الميم وكسرها . وانظر الخلاف فى شرح المفردات وهى مهبط الحديبية من أسفل مكة (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٢) الآية ٥٨ من سورة البقرة .

(٣) والعبارة فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٥ « فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين نزل : من كان فعل فليصطنع . قال أبو سعيد : وإنما معه – صلى الله عليه وسلم – ثقل – والثقل الدقيق – وإنما كان عامة زادنا التمر فقلنا : يارسول الله ، إنا نخاف من قريش أن ترانا الخ .

(٤) (عمرو بن) مثبتة عن ط – ويوافقها الواقدى ٢ : ٥٨٥ .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط فى الأصول ، والإضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٦ .

والله لأن أجِدَ ضَالَّتى أحب إلىَّ من أنْ يَسْتَغْفِرَ لى صَاحِبُكم. وقال أبو سعيد : فقال[1] . بعيرى والله أهم من أن يَسْتَغْفر لى ، إذا هو قد أضَل بعيرا له ، فأنطلق يطلب بعيرَهُ بعد أن استبرأ العسكر وطلبه فيهم ، فبينَا هُوَ فى جِبَال سُرَاوِع إذ زلقت به نعله فتردَّى فمات ، فما عُلِمَ به حتى أكلته السباع ، قال أبو سعيد : فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ : « سَيَأْتِيكُم أهْلُ الْيَمَن كَأَنَّهم قطَعُ السَّحَاب .هُمْ خَيْرُ أهْلِ الأَرْض[2] .

* * *

ذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية وما وقع فى ذلك من الآيات

قال مِسْوَرُ بن مَخْرَمة ، ومروان [ابن الحكم[3]] : إن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم سار فَلَمَّا دَنَا من الحُدَيْبِيَة وقعت يَدَا راحلَتِه على ثَنِيَّةٍ تُهْبِطُ فى غائِط[4] القوم ، فبَرَكَت به راحلتُه ، فقال ، وفى رواية : فَقَالَ الناس « حَلْ حَل »[5] فَأَبَت أن تنبعث وَأَلَحَّتْ ، فقال المسلمون : خَلأَت[6] القَصْواء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ما خلأَت القصواء وماذاك لها بِعادَة ، وفى لفظ : بِخُلُق ، ولكن حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ عن[7] مَكة ، ثم قال : « والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لاَ يَسْأَلُونِى الْيَوْمَ خُطَّةً فيها تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ الله تعالى إلاَّ أعْطَيْتُهُم إيَّاهَا » ثم زجرها فقامت ، فولَّى راجعاً عَوْدَه على بَدْئه . وفى رواية

---

(١) رواية الواقدى تختلف عما هنا وهى هنا أوضح .

(٢) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٦ « هم خير من على الأرض » .

(٣) الإضافة من البداية والنهاية ٤ : ١٧٣ .

(٤) الغائط : المطمئن الواسع ، وانظر شرح المفردات .

(٥) حل حل : صيغة تزجر بها الناقة (اللسان ١٣ : ١٨٤ ، ١٨٥) .

(٦) خلأت : أى بركت ، والخلأ فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب (هامش الواقدى ٢ : ٥٨٧) .

(٧) أى حبسها الله عز وجل عن دخول مكة ، كما حبس الفيل عن دخولها ، ومناسبة ذلك التشبيه بقصة الفيل كما قال الحافظ : أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضى إلى سفك الدماء ونهب الأموال ، كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه ، لكن سبق فى علم الله فى الموضعين أنه سيدخل فى الإسلام خلق منهم ، وسيخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون (شرح المواهب ٢ : ١٨٤) .

فعدل عنهم حتى نزل بِأَقصى الحديبية على ثمد[1] من ثماد الحديبية ظَنُون[2] قليل الماء يَتَبَرَّضُ[3] النَّاسُ مَاءه تَبَرُّضًا ، فلم يُلْبِثْهُ النَّاسُ حتى نَزَحُوه[4] ، فاشتكى الناسُ إلى رسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قِلَّةَ الماء ، وفى لفظ « العَطَش » فانتزَع سَهْمًا من كِنَانَته فأمر به فَغُرِزَ / فى الماء فجاشت بالرِّواءِ[5] حتَّى صَدَرُوا عنها بِعَطَن[6] قال المِسْوَرُ : وإنهم ليغترفون بآنيتهم جُلُوساً على شَفِيْر البئر . ١٦٣ و

قال محمد بن عمر : والذى نزل بالسَّهم ناجية بن الأعجم[7] ـ رجلٌ من أسلم ، ويقال : ناجية بن جُندب وهو سائِقُ بُدْنِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد روى أن جَارِيَةً مِنَ الأنصار قالت لناجية وهو فى القَلِيب :

يا أَيُّهَا الماتح دلْوِى دُونَكـا إِنِّى رأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يثنون خيراً ويمجِّدُونكا

فقال ناجية وهو فى القليب :

قد علمت جارية يَمَانِيَــه أَنى أنا الماتح وَاسْمى نَاجِيَهْ
وطعنةٍ ذاتِ رشاشٍ وَاهِيــهْ طَعَنْتُها تحت صُدُور العادية

قال محمد بن عمر : حدثنى الهَيْثَم بن واقد عن عطاء بن مروان عن أبيه قال : حدثنى أربعة عَشَرَ رَجُلاً مِمَّن أسلم منْ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه

---

(١) الثمد : الماء القليل الذى لا مادة له (الصحاح : ٤٤٨) .
(٢) الظنون : البئر لا يدرى فيها ماء أم لا . ويقال القليلة الماء (الصحاح : ٢١٦٠) .
(٣) يتبرض : يقال برض الماء من العين إذا خرج وهو قليل (الصحاح : ١٠٦٦) .
(٤) وفى رواية « لزفوه » وانظر شرح المفردات ، وشرح المواهب ٢ : ١٨٥ .
(٥) الرواء : الماء العذب « السيرة الحلبية ٣ : ١٣ » .
(٦) العطن : مبرك الإبل حول الماء (النهاية ٣ : ١٠٧) والمعنى أنهم رووا ورويت إبلهم حتى بركت حول الماء (السيرة الحلبية ٣ : ١٣) .
(٧) جاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ « . . حدثنى أربعة عشر رجلا من أصحابه الأنصار أن الذى نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل : هو ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عبادة بن خالد ـ حكاه عن الواقدى ، ووقع فى الاستيعاب : خالد بن عبادة ، وقال فى الفتح : يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره . وانظر أيضاً (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١) .

ناجية بنُ الأعجم ، يقول : دعانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين شُكى[1] إليه قِلّةُ الماء فأَخْرَجَ سهمًا من كِنَانَتِه ، ودفعه إلَىَّ ، وَدَعَا بِدَلْوٍ من ماء البئر فجئته به ، فتوضأ فَمَضْمَضَ فَاه ، ثم مَجَّ فى الدّلو - والنّاس فى حرٍّ شديد - وإنما هى بئر واحدة قد سبق المشركون إلى بَلْدَح فغلبوا على مياهه فقال : « انزل بالدَّلو فَصُبَّها فى البئر وأثِرْ مَاءَهَا بالسّهم » ففعلت ، فوالذى بَعَثَه بالحق مَا كِدْت أخرجُ حتى يغمرنى وَفَارَت كما تَفورُ القِدْر ، حتى طَمّت واستوت بشفيرها ، يَغْتَرِفون من جانبها حتى نَهِلُوا من[2] آخِرِهم . وعلى الماء يومئذ نَفَرٌ من المنافقين ، منهم عبد الله بن أُبَىّ ، فقال أَوْس بن خَوَلِّى : وَيْحَكَ يا أبا الحُبَاب ! ! أَمَا آن لك أن تبصر[3] ما أنت عليه ؟ أَبَعْدَ هذا شىء ؟ فقال : إنى قد رأيتُ مِثْلَ هذا . فقال أَوْس : قبَّحك الله وقبح رأيك فأقبل ابنُ أُبَى يريدُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]] « يا أبا الحُبَاب : أَنّى رَأَيتَ مثلما رأَيْتَ اليوم » ؟ فقال : ما رأيتُ مثله قط . قال : « فَلِمَ قُلْتَه » ؟ فقال ابن أُبَىٍّ: يَا رسولَ الله اسْتَغْفَر لى ، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله - رضى الله عنه - يارسول الله اسْتَغْفِرْ لَه ، فَاسْتَغْفَرَ له .

وروى ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : أنا نزلت بالسَّهم . والله أعلم .

قصة أخرى : روى الإمام أحمد ، والبخارىّ ، والطبرانى ، والحاكم فى الإكليل ، وأبو نُعيم عن البراء بن عازب ، ومسلم عن سَلَمة بن الأَكْوع ، وأبو نُعيم عن ابن عباس ، والبيهقىّ عن عُرْوَة ، قال البراء : كنا مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بالحُدَيْبِيَة أربع عشرة مائة ، والحُدَيْبِيَة : بئر فقدمناها وعليها خَمْسُون شاة ما ترويها فَنَتَبَرّضها فلم نترك فيها قطرة ، قال ابن عبَّاس : وكان الحرُّ شديدا ، فشكى النَّاسُ العَطَش ، فَبَلَغَ ذلك النبيَّ - عليه الصلاة والسلام - فأتاهم فَجَلَس على شَفِيْرِهَا ، ثم دَعَا « بإناءٍ » وفى

(١) شكى : بالبناء للمجهول كما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ وكذلك شرح المفردات .

(٢) «نهلوا من آخرهم» كذا فى جميع الأصول . وكذا مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٨ .

(٣) فى ت ، م « أما آن لك أن تعتبر » والمثبت من ط ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٨ .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة (من الواقدى ٢ : ٥٨٩) للتوضيح .

لفظ « بِدَلْوٍ » فتوضأ فى الدَّلْو ، ثم مَضْمَض ودَعَا ، ثم صَبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ثم إنها أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا . قال البراء. ولقد رأيت [آخرنا][1] أخرج بثوب خَشْيَةَ الغرق حتى جرَت نَهرًا .

وقال ابن عباس وعُرْوَة فَفَارَتْ بالماء حتى / جعلوا يَغْتَرِفُون بِأَيديهم منها وهُم جُلوس على شفيرها[2] . ١٦٣ ظ

قصة أُخرى : روى البخارى فى المغازى وفى الأَشْرِبَةِ ، عن جابر بن عبد الله ، عن سَلَمَة ابن الأَكوع – رضى الله عنهما – قالا : عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبِيَة ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَ يديه رَكْوَة[3] ، وقال جابر فى رواية : وقد حضر العصر ، وليس مَعنا ماء غير فَضْلة ، فجُعِلَ فى إِنَاء فَأُتِى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتَوَضأَ منها ، ثم أَقْبَلَ الناسُ نَحْوَهُ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضأُ به ، ولا نشربُ إلا مَا فى رَكْوَتِك فأَفرغتها فِى قَدح ، ووضَعَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يَدَه فِى القَدَح ، فجعل الماءُ يَفُورُ من بَيْنِ أَصَابعه كأَمثال العُيُون ، فشربْنَا وتوضَّأْنا ، فقال سالم بن أَبى الجَعْد : فقُلتُ لجابر : كَمْ كنتم يَوْمَئِذ ؟ قال : لو كُنَّا مائة أَلف لَكَفَانا ، [كُنَّا][4] خمس عشرة مائة .

* * *

ذكر نزول المطر فى تلك الأيام وما قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى صبيحة المطر

روى الشيخان وأَبو عوانة ، والبيهقىّ عن زيد بن خالد – رضى الله عنه – قال : خَرَجْنَا مع رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – عام الحُدَيْبِيَة » فأَصابنا مطرٌ ذاتَ ليلة ، فصلى بِنَا النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – الصُّبْحَ ، ثم أَقبل عَلَيْنَا بوجْهه ، فقال : أَتدرون مَاذَا قَالَ رَبُّكُم ؟ » قُلْنَا : اللهُ ورسوله أَعلم : قال : قَال الله عز وجل : « أَصْبَحَ

---

(١) سقط فى الأصول – والإثبات عن السيرة الحلبية ٣ : ١٤ .

(٢) فى ت ، م « وهم جلوس على شقتها » .

(٣) الركوة : إناء كالقدح . وقد فسرت به (شرح المواهب ٢ : ١٨٦) والضبط عن شرح المفردات .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

مِنْ عبادى مُؤْمِنٌ وَكافر ، فأما المُؤْمن مَنْ قالَ : مُطِرْنَا برحمة الله وبفَضْلِ الله فَهُو مُؤْمِنٌ بى وَكافِرٌ بِالكَوَاكِب ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْم كَذَا – وفى رِوَايَة : بِنَوْء كَذَا وَكَذَا – فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِب كَافِرٌ بى ».

قال محمد بن عمر : وكان ابن أُبَىّ بن سَلُول قال : هذا نَوْءُ الْخَرِيف مُطِرْنَا بالشِّعْرى[1] .

وروى ابن سَعْد عن أَبى المليح عن أَبيه قال : أَصابنا يوم الحُدَيْبِيَة مَطرٌ لم يَبُلّ أَسَافِلَ نِعالنا ، فنادى مُنَادِى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَن صَلُّوا فى رِحَالِكُم .

وأَهدى عمرو بن سالم وبُسْر بن سُفيان الخزاعِيَّان – رضى الله عنهما – بالحُدَيْبِيَة لِرَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – غَنَمًا وجَزُورًا ، وأَهدى عَمْرُو بنُ سالم لسعد بْنِ عُبَادة – رضى الله عنه – جُزُرًا – وكان صديقًا له – فجاء سَعْدٌ بالجُزُر إلى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – وأَخْبَرَه أَن عَمْرًا أَهْدَاها له ، فقال : « وعَمْرٌو قد أَهْدى لنا ما ترى ، فبارك اللهُ فى عمرو » ثم أَمر بالجُزُرِ تُنْحر وتُقْسَم فى أَصحابه ، وفرَّق الغنم فيهم من آخرها وشرك فيها فدخل على أُم سَلَمة من لَحْمِ الجَزُور كنحو ما دخل على رَجُلٍ من القوم ، وشرك رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى شَاتِه ، فَدَخَل على أُمِّ سلمة بعضُها ، وأَمر – صلى الله عليه وسلم – لِلَّذِى جَاء بالهدية بكسوة .

* * *

ذكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعى / ورسل قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٦٤ و

لما اطمأَن رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بالحُدَيْبِيَة : جاءه بُدَيْل بن وَرْقَاء – وأَسلم بعد ذلك – فى رجالٍ من خُزَاعة ، منهم : عمرو بن سالم ، وخراش ابن أُميّة وخارجة بن كُرْز ، ويزيد بن أُميّة وكانوا عَيْبَة[2] نُصْحٍ لرسول الله – صلى الله عليه

(١) وانظر قول الواقدى فى المغازى ٢ : ٥٩٠ .

(٢) الضبط من شرح المفردات ، وشرح المواهب ٢ : ١٨٦ ، وعيبة الرجل : خاصته وأصحاب سره . وقال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان . (السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١١) .

وسلم ـ بتهامة ، منهم المُسلم ومنهم المواذع . لا يُخفُون عنه بتهامة شيئاً . فلمّا قدمُوا على رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلَّمُوا ، فقال بُدَيْل بنُ وَرْقَاء : جئناك من عنْد قَوْمِك ، كعب بن لُؤي ، وعامر بن لؤى ، قد اَسْتَنْفَرُوا لك الأحابيش ومن أطَاعَهم ، قد نزلوا أعْداد(١) مياه الحُدَيْبِيَة ، معهم العُوذُ المطافيل(٢) والنساء والصبيان ، يُقْسمُون بالله لا يُخلُّون بينك وبين البيت حتى تَبِيدَ خضراؤهم ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إنَّا لم نأْت لقتالِ أَحَدٍ ، إنما جِئْنَا لنَطُوفَ بِهَذا البَيْت ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْه قَاتَلْنَاه ، إنَّ قُرَيْشًا قَدْ أَضرَّتْ بِهِم الْحَرْب ونهكتهم(٣) فإنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُم(٤) مُدَّةً يأْمَنُون فيهَا ، ويُخَلُّونَ فيْمَا بَيْنَنَا وبَيْن النَّاس(٥) ، ـ والنَّاس أَكْثَر منْهُم ـ فإن أَصَابُونى فَذَلكَ الَّذِى أَرَادُوا وَإنْ ظَهَرَ أَمْرى عَلَى النَّاسِ كَانُوا بَيْنَ أَنْ يَدْخلوا فِيْمَا دَخَلَ فيه النَّاس أو يقاتلوا وقد جَمُّو(٦)،وإنْ هُمْ أَبَوْ فَوَاللهِ لأَجْهَدَنّ(٧) على أمرى هذا حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِى(٨) ولَيُنْفِذَنَّ(٩) اللهُ ـ تعالى أَمْرَه .

فوعى بُدَيْلُ مقالَة رسُولِ الله وقال : سَأُبلّغهم ما تقُول ، وعاد ورَكْبُه إلى قُريش ، فقال ناسٌ منْهم : هذا بُدَيْل وأصحابه ، وإنَّما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرْف واحدٍ ، فلما رأى بُدَيْل أنّهم لا يستخبرونه قال : إنَّا جئْنا مِنْ عِنْد محمد ،

---

(١) أعداد : جمع عد ، وهو الماء الذى لا انقطاع له ، ويطلق أيضاً على الكثرة فى الشئ (نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٢٢ – هامش) والضبط من شرح المواهب ٢ : ١٨٧ . وإضافة أعداد إلى مياه الحديبية من إضافة الأعم إلى الأخص .

(٢) العوذ المطافيل : الأمهات اللائى معهن أولادهن . (السيرة الحلبية ٣ : ١١ ، شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٣) بفتح النون والهاء وبكسر الهاء أيضاً . أى أبلغت فيهم حتى أضعفت قوتهم وهزلتهم وأضعفت أموالهم (انظر شرح المفردات) ، (شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٤) أى جعلت بينى وبينهم مدة نترك الحرب بيننا وبينهم فيها (شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٥) زاد الزرقانى بعد هذا اللفظ (من كفار العرب وغيرهم) شرح المواهب ٢ : ١٨٧ .

(٦) أى استراحوا (المرجع السابق) .

(٧) فى البداية والنهاية ٤ : ١٧٤ « لأقاتلنهم » وكذا فى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٠٠ .

(٨) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت ، لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت . وقيل أراد : حتى يفرق بين رأسى وجسدى (النهاية ٢ : ١٧٥) .

(٩) ضبط هذا اللفظ بضم الياء وسكون النون وكسر الفاء مخففة ، وفتح الذال . وضبطه الزركشى والدمامينى بضم الياء وفتح النون وكسر الفاء المشددة وكلام الفتح محتمل . والمعنى ليمضين الله أمره (شرح المواهب ٢ : ١٨٨) .

أَتحبُّون أَن نخبركم عنه ؟ فقال عِكْرِمَةُ بنُ أَبي جهل ، والحَكَمُ بنُ العاص – وأسلما بعد ذلك – مالنا حاجةٌ بأَن تُخبرونا عنه ، ولكن أَخبروه عنَّا أَنه لا يدخلها علينْا عَامَه هذا أَبَدًا حتى لا يبْقى منَّا رجلٌ ، فأَشارَ عليهم عُروَةُ بنُ مسعود الثَّقفى – وأَسلم بعد ذلك – بأَن يسمَعُوا كلامَ بُدَيل فإن أَعجبهم قبلوه وإلا تركوه ، فقال صَفوانُ ابنُ أُميَّة والحارثُ بنُ هشام – وأَسلما بعد ذلك – أَخْبِرُونَا بالذى رأَيتم وسمعتم ، فقال بُديل لهم : إنكم تعْجَلُون على مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – إنّه لم يأْت لِقِتالٍ إنما جاءَ معتمراً وأَخبرهم بمَقالة النبى – عليه الصلاة والسلام – فقال عُرْوَة : يا معشر قريش أَتتَّهِمُوننى ؟ قالوا : لا . قال : أَلَسْتُم بالوالد ! قالوا : بلى . [قال : أَلست بالولد؟ قالوا : بلى[1]] وكان عُروة لِسُبَيْعَة بنت عبد شمس القرشية . قال : « أَلَسْتُمْ تعلمون أَنى آستنْفَرْتُ أَهل عُكَاظ لنصركم فلمَّا تبَلَّحُوا[2] علَىَّ نفرتُ إليكم بنفسى وولدى ومَنْ أَطاعنى ؟ قالوا : قد فَعلْتَ ، ما أَنْتَ عندنا بِمُتَّهَمٍ . قال : إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، لا أَدَّخِر عنكم[3] نُصْحًا ، فإن بُدَيْلاً قد جاءَكم خُطة رُشْد لا يردُّها أَحدٌ أَبدًا إلا أَحدٌ شَرٌّ منها . فاقبلوها منه ، وابعثونى حتَّى آتيكم بِمِصْداقِهَا من عنده ، وأَنظر[4] إلى مَنْ معه ، وأَكون لكم عيْنًا آتيكم بخبره ، فبعثته قريشٌ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاءَ[5] رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا محمد ، تركتُ كَعْبَ ابنَ لُؤى وعامرَ بنَ لؤى على أَعداد مياه الحُدَيْبِيَة ، معهم العُوذُ المَطَافِيل / قد آستَنْفَروا ١٦٤ ظ
لك الأَحابيش ومن أَطاعهم ، قد لبسوا جُلُودَ النُّمُور ، وهم يُقْسمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَجْتَاحهم ، وإنما أَنت ومن قاتلهم[6] بَيْنَ أَحد أَمرين أَنْ

---

(١) ما بين الحاصرتين من البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٧٤ . وعبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٢٩٤ « أَلسْتم الوالد وأَنا الولد » .

(٢) كذا فى ط . وفى ت ، م « بلحوا » وكذا فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٤ ، وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٩ ، والمعنى امتنعوا عن الإجابة . يقال : بلح الغريم إذا امتنع عن أداء ما عليه .

(٣) فى ت م « لا أؤخر » والمثبت من ط . ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٤ .

(٤) فى ت « وانطلق » والمثبت عن ط ، م ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٤ .

(٥) أى عروة بن مسعود الثقفى ، وهو يوافق ما فى البداية والنهاية ٤ : ١٧٤ ، وما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ وعبارة شرح المواهب ٢ : ١٨٩ « فجعل – أى عروة – يكلم النبى – صلى الله عليه وسلم – بنحو ما قال بديل . فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – نحواً من قوله لبديل » .

(٦) عبارة الواقدى « وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين » ٢ : ٥٩٥ .

تَجْتَاحَ قَوْمَكَ ولم يُسْمع برجلٍ اجْتَاح قَوْمَه وأَهْلَه قَبْلَكَ . أو بَيْن أَنْ يَخْذُلَكَ من ترى مَعَكَ ، وإِنِّى والله لا أرى معك وُجُوهًا وإِنِّى لا أرى إلا أَوْبَاشًا ، وفى رواية : فإنى لأرى أشوابا[1] من الناس ، لا أعرفُ وُجُوهَهُم وَلَا أَنْسَابَهم ، وخَلِيقاً أن يفِرُّوا ويَدَعُوك . وفى رواية : وكأَنى بهم لَوْ قَدْ لقيتَ قُرَيْشًا أَسْلَمُوك فَتُؤْخَذَ أسيرا ، فأَىّ شىء أشَدّ عليك من هذا ؟ فَغَضِبَ أبو بكر - وكان قاعدا خلْفَ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - فقال : امْصَصْ[2] بَظْر اللَّات ، أَنَحْنُ[3] نَخْذُلُه أو نفِرُّ عنه ؟! فقال عُروةُ : مَنْ ذَا ؟ قالوا : أَبا بكر . فقال عُرْوة : أَما والله لوْلَا يَدٌ لَكَ عنْدى لم أَجْزِك بها لأُجِيبنَّك[4]

وكان عروةُ قد اَستعانَ فى حَمْل دية فأَعانه الرجُلُ بالفريضتين والثلاث ، وأَعانه أَبو بكر بِعشر فرائض فكانت هذه يَدُ أَبى بكر عند عُرْوَة ، وطفقَ عُروة كُلَّما كلَّم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - مسَّ لحْيَةَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - والمغيرةُ ابنُ شُعْبَة قائمٌ على رأس رسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بالسَّيف ، - على وَجْهِه المغْفَرُ[5] - لمَّا قدم عُروةُ لبسها ، فطفِقَ المغيرةُ كلَّما أَهْوَى عُرْوةُ بيده ليمسّ لحْيَةَ النَّبِىّ - عليه الصلاة والسلام - يقرعُ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيف ويَقُول : أَكْفُفْ[6] يَدَك عن مسِّ لحية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَبْلَ أَلاَّ تصِل إليك ، فإنَّه لا ينْبَغِى لمشرك أن يمسَّه . فلما أَكْثَرَ عليه غَضِبَ عُرْوَة وقال : وَيْحك !! ما أَفظَّك وأَغلظك !

---

(١) الأوشاب : الأخلاط من أنواع شتى - شرح المفردات - وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٩ ، ١٩٠ « أشواباً بتقديم المعجمة على الواو للأكثر وعليها اقتصر صاحب المشارق ، قال المصنف : ولأبى ذر عن الكشمهنى « أوشابا » بتقديم الواو على المعجمة ، ويروى أوباشا بتقديم الواو على الموحدة (يعنى أخلاطاً من الناس) قال الحافظ : والأشواب : الأخلا ط من أنواع شتى ، والأوباش الأخلاط من السفلة فالأوباش أخص من الأشواب » .

(٢) الضبط من شرح المفردات . ويوافقه ضبط شرح المواهب ٢ : ١٩٠ حيث قال : بألف وصل وصادين مهملتين الأولى مفتوحة بصيغة الأمر ، وحكى ابن التين عن رواية القابس ضم الصاد الأولى ، وخطأها . وأقره الحافظ والمصنف لأنه خلاف الرواية - وإن جاء لغة » .

(٣) استفهام إنكارى قصد به توبيخه فى نسبة الفرار لهم - المرجع السابق ٢ : ١٩٠ .

(٤) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ « لأجبتك » ويوافق ذلك ما فى شرح المواهب ٢ : ١٩٠

(٥) المغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة . ويقال له أيضاً المغفرة . ولعل عود الضمير المؤنث عليه فى لبسها بهذا الاعتبار . وفى إحدى روايات شرح المواهب ٢ : ١٩٠ - ١٩١ « وفى رواية أبى الأسود عن عروة بن الزبير أن المغيرة لما رأى عروة مقبلا لبس لأمته وجعل على رأسه المغفر ليستخفى من عروة عمه » .

(٦) وكذلك جاء فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ - وفى البخارى : أخر يدك عن لحية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى السيرة الحلبية ٣ : ١٦ : اكفف يديك عن وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وقال : ليت شِعْرى !! مَنْ هذا[1] الذى آذانى من بين أصحابك ؟ والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشرَّ منزلة . فتبسّم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : « هذا ابن أخيك[2] المُغيرةُ بن شعبة » فقال عروة : وأنت بذلك يا غُدَر ، والله ما غَسَلْتُ عنك غَدْرَتَك[3] بعُكَاظَ[4] إلاَّ أمس ، لقد أورَثْتَنا العَدَاوَةَ من ثقيف إلى آخر الدّهر ـ وسيأتى فى ترجمة المُغيرَة بيان هذه الغَدْرة .

وجعل عُروةُ يَرْمُق أصحابَ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعينه ، فوالله مَا يَتَنَخَّمُ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نخامةً[5] إلاَّ وقعت فى كفِ رجلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَه وجِلْدَه ، وإذا أمرهم بأمرٍ ابْتَدرُوا أمره ، وإذَا توضَّأ كادوا يَقْتَتِلُوا على وَضُوئِه ، ولا يسقُطُ شىءٌ من شَعْرِه إلا أخذوه ، وإذَا تكلم خَفَضُوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون النظر إليه ؛ تعظيماً له .

فلما فَرَغَ عُرْوَةُ من كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وردَّ عليه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلَ ما قال لِبُدَيْل بن وَرْقَاء وكما عرض عليهم من المدة . فأتى عُروة قريشًا ، فقال : يا قومُ إنى وفدتُ إلى الملوك[6] : كسرى وقيصر والنجاشى[7] وإنى والله ما رأيتُ مَلِكًا قط أطوع فيما بين ظَهْرَانَيْهِ من محمد فى أصحابه ، والله إن

---

(١) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ « ليت شعرى !! من أنت يا محمد من هذا الذى أرى من بين أصحابك ؟

(٢) لأن عروة كان عم والد المغيرة ، فالمغيرة يقول له يا عم ، لأن كل قريب من جهة الأب يقال له عم ـ « السيرة الحلبية ٣ : ١٦ » .

(٣) غدرتك : أى جنايتك ـ وذلك ببذل المال (شرح المواهب ٢ : ١٩١) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ « والله ما غسلت عنك غدرتك إلا بعلابط أمس » والعلابط ـ القطيع من الغنم (القاموس المحيط) ورواية ابن إسحاق وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

(٤) كذا فى الأصول . ولعلها « علابط » الواردة فى التعليق السابق . لأن عكاظ لم يرد بها ذكر فى المراجع هنا . وقد كانت حادثة المغيرة بن شعبة مع بنى مالك فى بيسان . وانظر القصة بكمالها فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ ـ ٥٩٨ والبداية والنهاية ٤ : ١٧٤ والسيرة الحلبية ٣ : ١٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٥) النخامة ـ بضم النون : ما يخرج من الصدر (شرح المواهب ٢ : ١٩٢) وفى اللسان : ما يخرج من الخيشوم عند التنخم (ن خ م)

(٦) فى ت ، م « على الملوك » والمثبت من ط ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٨ .

(٧) قيصر : لقب لكل من ملوك الروم . وكسرى ـ بكسر الكاف وتفتح ـ لكل من ملك الفرس . والنجاشى ـ بفتح النون وتكسر وخفة الجيم وأخطأ من شددها فألف فشين معجمة فتحتية مشددة ومخففة ـ لقب لمن ملك الحبشة (شرح المواهب ٢ : ١٩٢) .

رأيتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصحابُه ما يُعَظِّمُ أَصحابُ محمدٍ محمدًا ، وليس بملك .والله ما تَنَخَّمَ نُخَامَةَ إلا وقعت فى كفِّ رجلٍ منهم فَدَلَكَ / بها وجْهَه وجِلْدَه ، وإذا أمرهم ١٦٥ و
بأَمرٍ ابتدروا أمره ، وإذا توضَّأَ كادُوا يَقْتَتِلُون على وَضُوئه أَيّهم يظفر منه بشىء ، ولا يَسْقُطُ شىءٌ من شَعْرِه إلاَّ أخذوه ، وإذا تكلمّ خَفَضُوا أصواتَهم عنده ، وما يحدُّون النظر إليه تعظيماً له ، ولا يتكلَّم رجلٌ منهم حتى يستأْذِن ، فإن هو أَذِنَ لهُ تكلم ، وإن لم يأذن له سكت ، وقد عَرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاْقبلوها ، قد حَرَزْتُ القومَ ، واعلموا أنكم إن أردتم منهم السيف بَذَلُوه لكم ، وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يُصْنَعُ بهم إذا منعتم صاحبهم ، والله لقد رأيتُ معه نساء[1] ما كُنّ ليسلمنه أبداً على حال ، فَرَوْا رأيكم فأتوه يا قوم ، واقبلوا ما عَرَضَ عليكم ، فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف أن لا تُنْصَرُوا على رَجُلٍ أَتى زائِرًا لهذا البيت مُعَظِّمًا له ، معه الهدى يَنْحَرُهُ وينصرف ، فقالت قريش : لا تتكلم بهذا يا أبا يعْفور ، لو غيرك تكلم بهذا[2] ؟ ولكن نردّه عامنا هذا ، ويرجعُ إلى قابل ، فقال : ما أراكم إلاّ تُصيبكم[3] قارعة . فانصرف هُوَ ومن تبعه إلى الطّائف .

فقام الحُلَيس وهو بمهملتين – مُصغَّر – بن علقمة الكنانى وكان من رؤوس الأحابيش ولا أعلم له إسلاما[4] فقال : دَعونى آتيه . فقالوا : ائته . فلما أشرف على رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : « هَذَا فُلاَنٌ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ[5] وفى لفظٍ « الهدى ، ويَتَأَلَّهُونَ[6] ، فَابْعَثُوهَا لَهُ » فبُعِثَت له ، فلما رأى الهَدْىَ يَسيلُ عليه من عُرُض الوادى عليها قلائِدها ، قد أكلت أوبارها من طول

---

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن هشام « قوما » كذا فى السيرة الحلبية ٣ : ١٨ وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ « نسيات » .

(٢) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ (لو غيرك تكلم بهذا للمناه) .

(٣) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ « ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة فانصرف هو ومن تبعه إلى الطائف » .

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ « قال البرهان : لا أعلم له إسلاما والظاهر هلاكه على كفره » .

(٥) البدن : جمع بدنة ، وهى البعير ذكراً كان أو أنثى والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث ، وقال الأزهرى : البدنة لا تكون إلا من الإبل وأن الهدى من الإبل والبقر والغنم . وانظر شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .

(٦) التأله : التعبد والتنسك (القاموس المحيط)

الحبس ، تُرَجِّع الحنين ، واستقبله الناس يُلَبُّون[1] قد أقاموا نصْفَ شهر ، وقد تَفِلُوا وشَعِثُوا ، صاح وقال : سبحان الله « ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت أَبَى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب ، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت[2] هلكت قريشٌ وربِّ الكعبة . إنَّ القوم إنما أتوا عُمَّارًا ، فقالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « أَجَلْ يَا أَخَا بَنِى كِنَانَة » .

وذكر ابن إسحاق[3] ومحمد بن عمر ، وابن سعد : أنه لم يصل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا رأى ذلك إعْظاماً لِمَا رأى فيُحْتَمَلُ أَنَّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – خاطبه مِنْ بُعد[4] ، فرجع إلى قريش فقال : إنى رأيتُ ما لا يحلُّ منعه ، رأيت الْهَدْى فى قلائده قد أكل أوباره معكوفاً عن مَحِلِّه والرِّجَال قد تَفِلُوا وقَمِلُوا[5] أن يطوفوا بهذا البيت ، والله ما على هذا حَالفناكُم ، ولا عاقَدْناكم ، على أن تَصُدوا عن البيت مَنْ جَاءَهُ معظِّمًا لحُرْمَته مؤدِّيًا لحقه . و[ساق][6] الهدى معكوفاً أَنْ يبلغ مَحِلَّه . والذى نفسى بيده لَتُخَلُّنَّ بينه وبين ما جاء له ، أَوْ لأَنْفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رَجُلٍ واحد . فقالوا : كُفَّ عنا يا حُليس حتى نَأخذ لأنفسنا ما نرضى به ، وفى لفظٍ[7] اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك ، كُلّ ما رأيتَ من محمدٍ مكيدة .

فقام مِكْرَز بكسر[8] الميم ، وسكون الكاف ، وفتح الرّاء ، بعدها زاىٌ ، ابن حَفْص . فقال : دعونى آته . فلمَّا طَلَعَ ورآه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « هذا رَجُلٌ

---

(١) أى بالعمرة .
(٢) إضافة عن شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .
(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٣ . ومغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ .
(٤) وهو قول الحافظ بن حجر كما فى شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .
(٥) فى الأصول . « قد تفلوا وقلوا » وفى السيرة الحلبية ٣ : ١٥ « والرجال قد شعثوا وقلوا » والمثبت من مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ .
(٦) سقط فى الأصول – والإثبات من مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ .
(٧) والقولان فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٢ .
(٨) هو مكرز بن حفص بن الأحنف من بنى عامر ابن لؤى (شرح المواهب ٢ : ١٩٣) .

غَادِرٌ » وفى لفظ « فاجر » فَلَمَا أنتهى إلى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَلَّمَهُ بنحو مَا كَلَّم به بُدَيْلا وعُرْوَة ، فَرَجَعَ إلى أصحابه فأَخبرهم بما رَدَّ عليه / رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . ١٦٥ ظ

* * *

ذكر ارساله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خراش بن امية وبعده عثمان بن عفان الى قريش

قال (محمد بن إسحاق) [1] ومحمد بن عمر وغيرهما : بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قريش خِرَاش بن أُميَّة على جَمَل [2] لرسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُقَالُ له الثَّعْلَبُ ، ليُبَلِّغَ عنه أشرافهم بما جاء له ، فَعَقَرَ عِكْرِمَةُ بنُ أَبى جَهْلٍ ـ وأَسْلَمَ بَعْدَ ذلك ـ الجملَ ، وأَرادُوا قَتْلَهُ فمنعه الأَحَابِيشُ ، فخلُّوا سبيلَه حتى أَتَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكد فَأَخْبَرَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِمَا لَقِيَ .

ورَوَى البيهقىُّ عن عُرْوَة قال : لمّا نَزَلَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحُدَيْبِيَة فَزِعتْ قُرَيْش لنُزُولِهِ إليهم ، فأَحَبَّ أَن يَبْعَثَ إليهم رَجُلاً من أصحابه ، فَدعَا عُمَر بنَ الخطاب ليبْعَثَهُ إلى قريش ، فقال : يا رسولَ الله إِنِّى أَخافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسى وقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْش عَدَاوَتى لَهَا ، وَلَيْسَ بِهَا منْ بَنِى عَدِىٍّ مَن يمنعُنِى ، وإن أَحْبَبْتَ يَارَسُولَ الله دَخَلْتُ عَلَيْهم . فلم يقل له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً ، فقال عُمَرُ : يا رسول الله ولكنى أَدُلُّكَ على رجل أعزّ بمكة مِنِّى ، وأَكْثَر عَشِيرَةً وأَمْنَع ، وأنه يبلغ لك [3] ما أردت ، عثمان بن عفّان . فَدَعَا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عُثْمَانَ فقال : « اذْهَب إلى قُرَيْشٍ وأَخْبِرْهُم أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَال وإِنَّمَا جِئْنَا عُمَّارًا ،

---

(١) ما بين الرقين ساقط من ت ، م . والمثبت من ط ويوافقه ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ – ٣١٨ – حيث يقول : « قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه إلى قريش إلخ » . وانظر مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ .

(٢) فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٤ « وحمله على بعير له » .

(٣) فى الأصول « يبلغ ذلك ما أرادت » ولعل الصواب ما أثبته وهذا اللفظ لم يرد فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٤ ولا فى رواية ابن كثير عنه فى السيرة النبوية ٣ : ٣١٨ ولا فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠

وادْعُهم إلى الإسلام » . وأمَرَهُ أن يأتى رِجالاً بمكة مؤمنين ونساءً مؤمنات فيَدْخلَ عليهم ويبشِّرَهُم بالفتح ، ويخبرَهُم أنَّ الله تعالى ـ وشيكاً أنْ يُظْهِرَ دينَه بمكَّةَ حتى لا يُستَخْفَى فيها بالإيمان . فانطلقَ عثمانُ إلى قريش فَمَرَّ عليهم ببَلْدَح فقالوا : أينَ تريدُ ؟ فقال : بَعَثَنِى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليكم لأَدْعُوَكم[1] إلى الإسلام ، وإلى الله جلَّ ثناؤُه ، وتدخلون فى الدِّين كافة ، فإن الله ـ تعالى ـ مُظْهِرُ دِينَه ومُعِزٌّ نَبِيَّهُ ، وأخرى : تكفون ويكون الذى يلى هذا الأمر منه غيركُم ، فإن ظُفِرَ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذلك ما أردتم ، وإن ظَفِرَ كنتم بالخيار بين أن تدخلوا فيما دَخَل فيه الناس ، أو تُقَاتِلوا وأنتم وافرون جَامُّون . إن الحرب قد نَهكَتْكُم وَأذْهَبَتْ الأَمَاثِلَ منكم . وأُخْرَى إنَّ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُخْبِرُكم أنّه لم يَأتِ لِقِتَالِ أحدٍ ، إنَّمَا جاءَ مُعْتَمِرًا ، مَعَهُ الهَدْى ، عليه القلائِدُ يَنْحَرُهُ وَيَنْصَرِفُ .

فقالوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ ، ولَا كَانَ هذَا أَبدًا ، ولَادَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً ، فَارْجع إلى صَاحِبِكَ فَأَخْبِرْهُ أنَّه لَا يَصلُ إلينا .

ولَقِيَهُ أَبَانُ بنُ سَعيد[2] ـ وأسلم بعد ذلك ، فَرَحَّبَ به أَبَانُ وأَجَارَهُ[3] ،وقال : لا تَقْصر عن حاجتك ، ثم نَزَل عن فَرَسٍ كان عليه فحمل عثمانَ علَى السَّرج وَرَدِفَ[4] وَرَاءَهُ وقال :

أَقْبِل وأَدْبِر لَا تَخَفْ أَحَــدًا بنوسعيد أعِـــزَّةُ الحَرَمِ

١٦٦ و فَدَخَل بِهِ مكَّةَ ، فَأَتَى عثمانُ أَشْرَافَ قُرَيْش / ـ رَجُلاً رَجُلاً ـ فجعلُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ : إنَّ مُحَمَّدًا لَا يَدْخُلُهَا علَيْنَا أَبَدًا ، ودَخَلَ عَلَى قَوْمٍ مؤمنين مِن رِجالٍ ونساءٍ مُسْتَضْعَفِين بمكة فقال : إنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : قد أَظَلَّكُم حتى لا يُستَخْفَى

---

(١) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ « يدعوكم إلى الإسلام » .
(٢) هو أبان بن سعيد بن العاص (مغازى الواقدى ٢ : ٦٠١) .
(٣) فى المرجع السابق (وأجازه) .
(٤) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠١ « وردفه »

بمكة اليوم بالإيمان ، فَفَرِحُوا بذلك ، وقالوا : اَقْرَأْ عَلَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السَّلامَ .

ولَمَّا فَرَغَ عثمانُ من رسالةِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قريش قالوا له : إنْ شِئْتَ أن تَطُوفَ بالبَيْتِ فَطُفْ ، فقال : ما كُنْتُ لأفْعَلَ حتى يَطُوفَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقام عثمانُ بمكة ثلاثاً يَدْعُو قُرَيْشًا .

وقال المسلمون ـ وهم بالحُدَيْبِيَة ، قبل أن يَرْجِعَ عثمانُ ـ : خَلُصَ عثمانُ مِن بَيْنِنَا إلى البَيْتِ فَطَافَ بِهِ ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أظنُّه طافَ بالبَيْت ونحن مَحْصُورُون » ، وقالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقَدْ خَلُص إليه قال : « ذلك ظَنِّيَ به ألاَّ يَطُوفَ بالكَعْبَة حتى نَطُوفَ » ، وعِنْد ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع ـ مرفوعًا ـ « لو مكث كذا كذا سَنَةً ما طافَ حتى أطوف » فَلَمَّا رجعَ عثمانُ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال المسلمون له : اشْتَفَيْتَ من البيت يا أبا عبد الله !! فقال عثمان : بئس ما ظننتم بي ! فوالذى نفسي بيده لو مكثتُ مقيماً بها سنةً ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقيم بالحديبية ما طُفْتُ حتّى يَطُوفَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولقد دَعَتْنِي قريشٌ إلى أن أَطُوفَ بالبَيْتِ فأَبَيْتُ . فقالوا : كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعْلَمَنَا وأَحْسَنَنَا ظَنًّا .

وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمر أصحابَه بالحراسة باللَّيل ، فكانوا ثلاثة يتناوبون الحراسة : أَوْسُ بن خَوْليّ ـ بفتح الخاء المعجمة والواو ـ وعبَّاد ابن بِشر ، ومحمد بن مَسْلَمَة ـ رضى الله عنهم ـ وكان محمد بن مَسْلَمَة على حَرَسِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلةً من الليالي ، وعثمانُ بنُ عفان بمكة . وقد كانت قريش بَعثت ليلا[1] خمسين رجلا ، عليهم مِكْرَزُ بنُ حَفْص ، وأَمَرُوهُم أن يطوفوا[2] بالنَّبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجاء أن يُصِيبُوا منهم أحداً ، أو يُصِيبُوا منهم غِرَّةً ،

(١) فى ت ، م « ليلة » والمثبت من ط ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٢ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدي ٢ : ٦٠٢ « يطيفوا » وكذلك فى سيرة ابن كثير ٣ : ٣١٨ .

فأخذهم محمدُ بن مَسْلَمة ، فجاء بهم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وأفلتَ مِكْرَزُ فَخَبَّر أصْحابَه وظهر قولُ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كما تقدم أنه رَجُلٌ غَادِرٌ ، وكان رجالٌ من المسلمين قد دخلوا مكَّة بإذنِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وهم : كُرْزُ بنُ جابر الفِهْرِى ، وعبدُ الله بنُ سُهَيْلِ بن عَمْرو بنُ عبد شمس ، وعبدُ الله بن حُذَافَةَ السّهمىّ ، وأبو الرّوم بن عُمَيْر العَبْدَرىّ ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة ، وهشام ابن العاص بن وائِل ، وأبو[1] حَاطِب بنُ عُمَرو من عبد شمس[2] وعُمَيْرُ بنُ وَهْب الجُمحِيُّ وحاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَة ، وعبدُ الله بنُ أبي أُميَّة[3] . قد دخلوا مكة فى أمان عثمان ، وقيل : سِرًّا ، فَعُلِمَ بهم فأُخِذُوا ، وبَلَغ قريشاً حَبْسُ أصحابهم الذين مَسَكَهُم محمدُ بنُ مَسْلَمَة ،

١٦٦ ظ فجاء جَمْعٌ مِنْ قريش إلى النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابِه / حتى تَرَامَوْا بالنَّبْلِ والحجارةِ ، وأَسَرَ المسلمون مِنَ المشركين - أيضاً - اثنى عشر فارساً ، وقُتِلَ من المسلمين ابنُ زَنِيم - وقد أطلع الثَّنِية من الحُدَيْبِيَة - فرماهُ المشركون فقتلوه ، وبعثت قريشٌ سُهَيْلَ بن عمرو وحُوَيْطبَ بنَ عبد العُزّى - وأسلما بعد ذلك ، ومِكْرَزَ بنَ حَفْص ، فلمّا جاء سُهَيْلٌ ورآه النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه : سَهُلَ أمْرُكم[4] فقال سُهَيْلٌ : يا محمد إنّ الذى كان من حَبْسِ أصحابِك وما كان من قِتَالِ مَنْ قاتَلَكَ لَمْ يَكُنْ مِن رأى ذَوِى رأْيِنَا بل كُنّا لَهُ كارهين حين بَلَغَنَا ، ولم نَعْلَمْ به ، وكان مِن سُفَهَائِنَا ، فابْعَثْ إلينا بأَصحابنا الذين أَسَرْتَ أوّلَ مَرَّةٍ ، والذين أَسَرْتَ آخِرَ مَرَّةٍ . فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنّى غيرُ مُرْسِلِهم حتّى تُرْسِلُوا أصحابى » ، فقالوا : أنْصَفْتَنَا ، فَبَعَثَ سُهَيْلٌ ومَنْ مَعَه إلى قُرَيْش بالشُّيَيْم - بشين معجمة مُصَغّر - بنِ عبدِ مَنَاف التَّيْمِىّ ، فَبَعَثُوا بِمَن كان عندهم : وهم عثمان والعشرة السابق ذكرهم - رضى الله عنهم - وأرسل رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أصحابَهم الذين أسرهم ، وقَبْلَ وصول عثمان ومن معه بَلَغَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أن عثمان ومن معه قد قُتِلُوا ، فكان ذلك حين دَعا إلى البيعة .

(١ ، ٢ ، ٣) إضافة من الواقدى ٢ : ٦٠٣ .

(٤) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٣ « سهل أمرهم » وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٤ « قد سهل لكم من أمركم » وسهل بفتح السين وضم الهاء وعند الدماميني بضم السين وكسر الهاء المشددة .

ذكر مبايعته – صلى الله عليه وسلم – بيعة الرضوان وفضل مَن بايع

قالوا : لَمَّا بلغَ رسولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – أَنَّ عثمانَ قد قُتِلَ دَعَا النَّاسَ إلى البَيْعَة ،وقال : « لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ » وأَتَى رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مَنَازِلَ بنى مازن بن النجار ، وقد نزلت فى ناحية من الحُدَيْبِيَة ، فجلس فى رحالهم تحت شجرة خضراء ثم قال : « إِنَّ اللهَ – تعالى – أَمَرَنى بِالبَيْعَة » فأَقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا[1] فما بقِىَ لبنى مازن متاعٌ إلا وطِئَ ، ثم لبِسوا السِّلاح وهو معهم قليل، وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به فَأَخذته بيدها وشدّت سكيناً فى وسطها

وروى ابن جرير وابن أَبى حاتم عن سَلَمَة بن الأَكوع والبيهقىّ عن عُرْوَةَ ، وابنُ إسحاق عن الزُّهْرِىّ ، ومحمدُ بنُ عمرَ عن شيوخه ، قال سلمةُ : بَيْنَا نحنُ قائِلون إذ نادى منادِى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « أيها النَّاس البيْعة البيْعَة ، نَزَلَ روحُ القُدُسِ فاَخرجوا على اسم الله » قال سلمة : « فَسِرْنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو تحت شجرة سَمُرَة[2] فبايعناه . وفى صحيح مسلم عنه قال : فبايعتُه أَوّلَ الناس ، ثم بايع وبايع حتى إذا كان فى وسط من الناس قال : « بَايِعْ يا سَلَمة » قال : قلتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يا رسولَ الله فى أَوّلِ الناس . قال : « وأَيْضًا » قال : ورآنى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – عَزِلا فأَعطانى حَجَفَةً – أو دَرَقَةً – ثم بايع حتى إذا كان فى آخر النّاس قال : « أَلا تبايِعنى يا سَلَمة ؟ » قال: قلت : يا رسول الله قد بايَعْتُك فى أَوّل الناس ، وفى وسط الناس ، قال: « وأَيضًا » فبايعْته الثالثة ، ثم قال لى: « يا سلمة أَين حَجَفَتُكَ – أو دَرَقَتُك – التى أَعْطَيْتُك؟ » قال: قلت: يارسول الله ، لقينى عمّى عامر عزلا / فأَعطيته إياها ، قال : فَضَحِكَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : « إنك ١٦٧ و
كالذى قال الأَول : اللهم ابغنى حبيباً هو أَحب إلىّ من نفسى ، وفى صحيح البخارى عنه قال : بايعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحت الشجرة ، قيل : على أى شىء

---

(١) تداكوا : أى تزاحموا (اللسان) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٣ (حتى تدارك الناس) .

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ « شجرة سمرة أو أم غيلان كان – صلى الله عليه وسلم – نازلا تحتها يستظل بها فبايعوه » .

كنتم تبايعون قال : على الموت(١) . وفى صحيح البخارى عن نافع قال : إن ابن عمر أسلم قبل أبيه ، وليس كذلك ، ولكن عُمَرَ يومَ الحُدَيْبِيَة أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل منَ الأَنْصار يأتى به ليقاتل عليه ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يبايع عند الشجرة وعمرُ لا يدرى بذلك ،فبايَعَه عبد الله ، ثم ذَهَب إلى الفرس فجاءَ به إلى عمر وعمر يستلئم(٢) للقتال فأخبره أنَّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يبايعُ تحتَ الشجرة ، قال: فانطلق فذهب معه حتى بَايَع رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبىّ – صلى الله عليه وسلم – يوم الحُدَيْبِيَة تَفرَّقُوا فى ظلال الشجر فإذا الناس مُحْدقُون بالنبىّ – صلى الله عليه وسلم – فقال(٣) عمر : يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم(٣) – فذهب فوجدهم يُبَايعونه فبايع ، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

وروى الطَبرانى عن عطاء بن أبى رباح قال : قلت لابن عمر : أَشَهِدْتَ بيعةَ الرِضوان مع رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قلت : فما كان عليه ؟ قال: قميص من قطن ، وجبّة محشوة ، ورداء وسيف ، ورأيتُ النعمان بنَ مُقَرِّن – بميم مضمومة فقاف مفتوحة فراء مشددة مكسورة – المازنىّ قائم على رأسه ، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسْه يبايعونه .

وفى صحيح مسلم عن جابر قال : بايَعْنَا رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وعمر آخذ بيده تحت شجرة – وهى سَمُرَة– فبايعناهُ غير الجَدّ بن قيس الأنصارىٰ اختفى تحت بطن بعيره. وعند ابن إسحاق عن جابر [بن عبد الله(٤)] : فكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد خبأ إليها يستتر بها من الناس بايعناه على ألا نفر ، ولم نبايعه على الموت .

(١ – ١) ما بين الرقين سقط فى ط ، م والإثبات عن ت .
(٢) أى يلبس لأمته .
(٣ – ٣) ما بين الرقين ساقط من ط والإثبات من ت ، م .
(٤) الإضافة من السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ بهامش الروض الأنف ص ٢٢٩

وفيه – أيضاً – عنه : لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبيّ – صلى الله عليه وسلم – يبايع الناس وأنا رافع غصن من أغصانها عن رأسه ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ألا نَفرّ .

وروى الطبرانىّ عن ابن عمر ، والبيهقىّ عن الشعبى ، وابن منده عن زر بن[1] حبيش قالوا : لَمّا دَعَا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – النّاسَ إلى البيعة كان أولَ من انتهى إليه أَبو سنَان الأَسدى ، فقال : ابسط يَدَكَ أُبايعك ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « علامَ تبايعنى » قال : على ما فى نفسك . زاد ابنُ عمر : فقال النبي : وما فى نفسى ؟ قال :أَضْرِبُ بسيفى بين يديك حتى يُظْهِرَكَ الله أَو أُقْتَل . فبايعهُ ، وبايعه النّاسُ على بيعة أَبى سنان .

وروى البيهقى عن أَنس وابنُ إسحاق عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : لما أُمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ببيعة الرّضوان كان بعث عثمان – رسولُ الله – / صلى ١٦٧ ظ
الله عليه وسلم – إلى أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « اللّهُم إنّ عثمانَ فى حاجتك وحاجة رسولك ، فضربَ بإحدَى يديه على الأُخرى ، فكانت يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم .

وروى البخاريّ وابنُ مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقتُ حاجًّا فمررتُ بقَوْمٍ يُصَلُّون فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذه الشجرة حيثُ بايَعَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بيعة الرضوان . فأَتَيْتُ سعيد بْنَ المُسَيَّب فأَخبرته ، فقال سعيد: حدَّثَنى أَبى أنه كان فيمن بايع رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – تحت الشجرة ، فلمَّا خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، فقال سعيد : إنَّ أَصحاب محمد لم يَعلموها وعلِمتموها أَنتم ، فأَنتم أَعلم .

---

(١) هو زربن حبيش بن حباشة من أوس الأسدى ، من أسد بن خزيمة ، يكنى أبا حريم أو قيل أبا مطرف . أدرك الجاهلية ولم ير النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو من كبار التابعين ، روى عن عمر وعلى وابن مسعود – رضى الله عنهم – وروى عنه الشعبى والنخعى ، وكان فاضلا عالماً بالقرآن ، توفى سنة ٨٣ هـ (أسد الغابة ٢ : ٢٠٠) .

وروى ابنُ سعد بسند جيّد عن نافع قال : خرج قومٌ من أَصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك بأعوام فما عَرَفَ أحدٌ منهم الشجرةَ ، واختلفوا فيها . قال ابن عمر : كانت رحمة من الله .

وروى ابن أَبى شيبة فى المصنف وابنُ سعد عن نافع قال : بلغ عمرَ بنَ الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التى بُويع تحتها فيصلُّون عندها فتَوَعَّدَهُم ، ثم أمر فَقُطِعَت .

وروى البخاريّ وابن مردويه عن قتادة قال : قلتُ لسعيد بن المُسَيَّب : كم كان الذين شَهِدُوا بيعةَ الرِّضْوَان ؟ قال : خمس عشرة مائة ، قلتُ فإنّ جابرَ بنَ عبد الله قال : أَربع عشرة[1] مائة ، قال : يرحمه الله تَوَهَّم ، هو حدّثنى أَنهم كانوا خمس عشرة مائة .

وروى الشيخان ، وابنُ جرير عن عبد الله بن أَبى أَوْفَى قال : كان أَصحاب الشجرة أَلفاً وثلاثمائة ، وكانت أَسْلَمُ ثُمُنَ المهاجرين .

أَفادَ الواقدىُّ أَنّ أَسْلَم كانت فى الحُدَيْبِيَة مائة رجل ،

وروى سعيد بن منْصُور والشيخان عن جابر بن عبد الله قال : كنَّا يومَ الحُدَيْبِيَة أَلفًا وأَربعمائة فقال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « أَنتم خير أَهل الأَرض » .

وروى الإمام أَحمد ، وأَبو دارد ، والترمذىّ عن جابر بن عبد الله ، ومسلمٌ عن أَبى بِشر – رضى الله عنهما – أَن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « لا يدخل النار أَحدٌ بايع تحت الشجرة » .

وروى الإمام أَحمد بسندٍ – رجاله ثقات – عن أَبى سعيد الخُدْرى – رضى الله عنه – قال : لمّا كان يوم الحُدَيْبِيَة قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا تُوقِدُوا نارًا باللَّيْلِ » فلمَّا كان بعد ذلك قال : « أَوقدوا واَصطنعوا فإنه لا يدرك قومٌ بعدكُم صَاعَكُم ولا مُدَّكُم » .

---

(١) وانظر الخلاف حول عدد أصحاب رسول الله فى هذه الغزوة والتوفيق بين الأراء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٠ وفى سيرة النبى لابن كثير ٣ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

فلمّا نظر سُهَيْلُ بن عمرو وحُوَيْطِبُ بنُ عبد العُزَّى ، ومِكْرَزُ بنُ حَفْص ، ومن كان معهم من عُيُون قريش مِنْ سُرْعَة النّاس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتَدَّ رُعْبُهم وخوفُهُم ، وأسرعوا إلى القضية .

ثم أَتى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الذى ذُكِرَ من أمر عثمان باطل » .

* * *

/ ذكر الهدنة وكيف جرى الصلح يوم الحديبية ١٦٨ و

روى ابن إسحاق وأبو عبيد وعبدُ الرزّاق والإمام أَحمد وعبد بن حميد والبخارى وأَبو داود والنسائى وابن جرير وابن مردويه ، ومحمدُ بنُ عمر عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحَكَم ، والشيخان عن سَهْيل بن حُنيْف أن عثمان لمّا قَدم من مكة هو ومن معه رجع سُهَيْلُ بن عمرو وحُوَيْطِبُ ومِكْرَزُ إلى قريش فأَخبروهم بما رأوا من سرعة أَصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتدّ رعبهم ، فقال أَهل الرأى منهم : ليس خيرٌ من أَن نصالح محمدا على أَن يَنْصرِفَ عنّا عامَه هذا ، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أَنّا قد صددناه ، ويرجع قابلا فيقيم ثلاثاً وينحر هَدْيَه وينصرف ، ويقيم ببلدنا ولا يدخل علينا ، فَأَجمعوا على ذلك . فلما أَجمعت[1] قريشٌ على الصلح والموادعة بعثوا سُهَيْل بن عمرو وحُوَيْطِبَ ومِكْرَزَ وقالوا لسهيل : ايْتِ محمدا فَصَالحه وليكن فى صلحك أَلاَّ يدخل عامَه هذا ، فوالله لا تحدَّثُ العَرَبُ أَنه دخل علينا عَنْوةً فأَتى سهيلٌ رَسُولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رآه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حينَ بَعَثُوا هَذَا » وفى لفظ : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « سَهُلَ أَمركم » وجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متربعاً ، وكان[2] عَبَّاد بن بِشْر وسَلَمَة بن أَسْلَم بن حَرِيش على رأسهِ ـ وهما مُقَنَّعَان فى الحديد ـ فبرك سُهَيْلٌ على ركبتيه فكلم رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأَطالَ الكلامَ وتراجعا ، وارتفعت الأَصوات وانخفضت ،

---

(١) فى ط « اجتمعت » والمثبت من ت ، م . ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٥ .
(٢) فى ط (وقام) والمثبت من ت ، م

وقال عَبّاد بن بشْر لسُهَيل : اخفضْ منْ صَوْتك عند رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون حول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلوسٌ ، فجرى بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين سُهَيْلٍ القولُ حتى وقع الصُّلحُ على أن تُوضَعَ الحربُ بينهما عشر سنين ، وأن يأمَنَ الناسُ بعضهم بعضا ، وأن يرجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامَه هذا ، فإذا كان العامُ المقبلُ قدمها فخلّوا بينه وبين مكّة ، فأقامَ فيها ثلاثاً فلا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف فى القُرُب لا يدخلها بغيره ، وأنَّه مَنْ أتَى محمدًا من قريش بغير إذن وَليّه ـ وإن كان على دين محمد ـ ردّه إلى وليّه ، وأنه من أتى قريشاً ممن اتَّبَع محمدا لم يَرُدوه عليه ، وأن بينهم وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عيبة[١] مكفوفة ، وأنه لا إسْلاَل[٢] ولا إغلال[٢]، وأنه من أَحَبَّ أن يَدْخُلَ فى عَقْد محمد وعَهْدِه دخل فيه ، ومن أَحبَّ أن يدخُل فى عَقْدِ قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عَقْد قريش وعهدهم .

فكَرِهَ المسلمون هذه الشروط وٱمتعضُوا منها ، وأبى سُهيل إلاَّ ذلك فلما ٱصطلحوا
ولم يَبْقَ إلاَّ الكتاب وَثَبَ عمرُ بنُ الخطاب / إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالَ : ١٦٨ ظ
يا رسُولَ الله أَلسْتَ نَبِىَّ الله حَقًّا ؟ قال : بلى . قال : أَلسْنَا على الحقِّ وهم على الباطل ؟ قال : بلى ، قال[٣] : أَلَيْسَ قتلاَنَا فى الجنَّة وقتلاهم فى النار ؟ قال : بلى . قال : عَلاَمَ نُعْطى الدَّنِيَّةَ[٤] فى دينِنَا ؟ ونرجع ولم يَحْكُم الله بيننا وبينهم ؟ فقالَ رسُول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنى عبدُ الله ورسوله ولستُ أَعْصيه ولن يُضَيِّعَنى وهو ناصرى » قال : أَو ليس كُنْتَ تُحدثُنا[٥] أَنَّا سَنَأْتِى البَيْتَ فَنَطُوفَ حَقًّا ؟ قال : « بلى ، أفأَخْبَرْتُكَ أَنَّك تَأْتيه العَام ؟ قال : لا : قال : « فإنَّك آتيه ومُطَوِّفٌ به » ، فذهب عُمَرُ إلَى

(١) يريد أن تكف عنا ونكف عنك (هامش مغازى الواقدى ٢ : ٦١١ عن شرح أبى ذر ص ٣٤١).

(٢) الإسلال : السرقة ، والإغلال : الخيانة (المرجع السابق).

(٣) سقط فى الأصول . والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ .

(٤) الدنية : أصلها الدنيئة بالهمزة ولكن خففت ، وهى صفة لمحذوف : أى الحالة الدنيئة الخسيسة (المرجع السابق).

(٥) كذا فى ط ، ت وكذا شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ ــ وفى م « تحدثنى »

أبي بكر[١] مُتَغَيِّظًا ولم يصْبِرْ ، فقال : يَا أَبَا بَكْر : أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا ؟ قال : بلى . قال : أَلَسْنَا على الْحَقِّ وهُم عَلَى الْبَاطل ؟ أليس قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّة وقَتْلاَهُم فى النَّارِ ؟ قال : بَلَى . قال : فَعَلاَمَ نُعْطى الدَّنِيَّة فِى دِينِنَا ونَرْجِع ولم يَحْكُم اللهُ بَيْنَنَا وبينهم ؟ قال : أَيُّهَا الرَّجل إِنَّهُ رسولُ الله ولَيْسَ يَعْصى رَبَّه ، وهُوَ نَاصِرُه فَاسْتَمْسِكْ بغَرْزِه[٢] حتى تَمُوت ، فَوَاللهِ إِنَّه لَعَلَى الْحَق . وفى لفظ فإِنَّه رسولُ الله . فقال عمر : وأنا أَشهدُ أَنَّه رسولُ الله ، قال : أَوَ لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّه سَنَأْتى البَيْتَ ونَطُوفُ به ؟ قال : بلى أفأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تأتيه العام ؟ قال : لا . قَالَ : فإِنَّكَ آتيه وَمُطَوِّفٌ[٣] به . فَلَقِىَ عُمَرُ مِنْ هذه الشُّرُوط أَمْرًا عظيماً . وقال كما فى الصحيح : والله ما شَكَكْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلاَّ يَوْمَئِذ ، وَجَعَلَ يَرُدُّ على رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – الْكَلامَ فقال أبو عبيدة بن الجراح – رضى الله عنه – :أَلاَ تَسْمَعُ يا ابن الخطاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقولُ مَا يَقُول ، تَعَوَّذْ بالله من الشَّيْطَان واتَّهِم رأيك ، قال عمر : فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياء فما أصابنى شىء قط مثل ذلك اليوم وعمِلْتُ بِذَلِكَ أَعْمَالاً – أى صَالِحَة – لتكفر عنى ما مضى من التوقف فى امتثال الأمر ابتداء كما عند ابن إسحاق[٤] وابن عمر الأسلمى . قال عمر : فما زِلْتُ أَتَصَدَّق وأَصوم وأُصَلِّى وأَعْتِقُ مِنَ الَّذِى صَنَعْتُ يومئِذٍ مَخَافَةَ كَلاَمِى الَّذِى تكلمت به حَتَّى رَجَوْتُ أن يكون خيرًا .

وروى البزار عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال : اتهموا الرأى على الدين فلقد رَأَيْتُنِى أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – برأيي ، وما ألوت على الحق ، قال : فرضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَبَيْتُ حَتَّى قال : « يا عُمَر تَرَانِى رَضِيتُ وتأبَى » .

---

(١) قدم المصنف هنا سؤال عمر للنبى – صلى الله عليه وسلم – على سؤاله لأبى بكر موافقاً بذلك مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٦ أما فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٧ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٦٨ ، فقد قدم فيها سؤاله لأبى بكر على سؤاله للنبى – صلى الله عليه سلم .

(٢) الغرز : للرحل بمنزلة الركاب للسرج والمراد : الزم أمره (هامش مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٦ عن شرح أبى ذر ص ٢٤١) .

(٣) كذا فى ط ، ت . وفى م وتطوف به »

(٤) عرض شرح المواهب ٢ : ٢٠٥ موقف عمر – رضى الله عنه – وسببه وعذره وما قاله وعمله بسبب ذلك .

فقال سُهيل : هَاتِ ؛ اكْتُبْ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ كِتَاباً ، فَدَعا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عَلِيًّا - كما فى حديث البراء عند الْبُخَارى فِى كِتَابِ الصُّلْح وكتاب الْجزْية ، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المِسْوَر ومروان ، وأحمد ، والنّسائى ، والْبَيْهقى والحاكم - وصَحّحَه عن عبد الله بن مُغَفَّل[1] ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيمِ » ، فَقَالَ سُهَيْل - وأَسْلَمَ بعد ذلك - أَمَّا الرَّحْمٰن الرَّحيم فَوَالله ما أَدْرى مَا هُو ، ولكن اكْتُبْ بِاَسْمِكَ اللَّهُم كمَا كُنْتَ تَكْتُبُ اكْتُبْ[2] فى قَضِيَّتِنا مَا نَعْرف . فَقَالَ الْمُسْلِمُون : والله لا تكتبها إلاَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم . فَقَالَ النَّبِىُّ - صلَّى الله عليه وسلم - « اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » ثُمَّ قَالَ : « هَذَا

مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ / رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم » فقال سُهَيْل : واللهِ لَوْ كُنَّا ١٦٩ و

نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، اكْتُبْ فِى قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِف ، اكْتُبْ مُحَمَّدَ بن عبد الله . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - لِعَلِىٍّ امحه ، فَقَالَ على : مَا أَنَا بِالَّذِى « أَمحاه »[3] وفى لفظ « أمحاك » وفى حديث محمد[4] ابن كَعْب القَرَظِىّ : فجعل عَلِىٌّ يَتَلَكَّأُ ، وأَبَى أَنْ يَكْتُبَ إلاَّ محمدٌ رسول الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : اكْتُبْ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا تُعْطِيهَا وَأَنْت مضطهد[5] انتهى .

وَذَكَرَ محمد بن عمر أن أُسَيْدَ بْنَ الحُضَيْر وسعْدَ بْنَ عُبَادة أَخَذَا بِيَدِ على[6] ومنعاه

---

(١) هو عبد الله بن مغفل بن مقرن المزنى ذكره ابن فتحون فى ذيل الاستيعاب ، ولم يذكره مستنداً لذكره فى الصحابة . وقال ابن قتيبة : ليست له صحبة ولا إدراك . وذكره فى التابعين ابن سعد والعجلى والبخارى وابن حبان وغيرهم (الإصابة ٣ : ٢٤٢) .

(٢) يوجد هنا بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات . ولكن السياق متصل ويتفق مع ما فى شرح المواهب ٢ : ١٩٥ .

(٣) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ « وأمحاه بالألف لغة فى أمحوه بالواو ، وفيه لغة ثالثة أمحيه كما فى المختار - ولم يذكرها المصباح .

(٤) لفظ (محمد) ساقط منم

(٥) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ « وأنت مضطر : يشير إلى ما وقع لعلى يوم الحكمين ، فإنه لما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه على أمير المؤمنين أرسل معاوية يقول لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين قلته امحها واكتب ابن أبى طالب فقال على : الله أكبر مثل بمثل امحها » .

(٦) عبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٦١١ « أخذا بيد الكاتب فأمسكاها وقالا : لا تكتب إلا محمد رسول الله وإلا فالسيف بيننا » .

أن يكتب إلاَّ « محمد رسول الله »، وإلاَّ فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبيْنَهم ، فَارْتَفعتِ[1] الأَصْوَات، فَجَعَل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يُخفضهم ويُومِئ بِيَده إليهم : اسْكُتُوا . فقال : أَرِنيه[2] ، فَأَراهُ إِيَّاه فَمَحَاهُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بيده وقال : اكْتُبْ محمدُ بنُ عبد الله . قال الزهرى : وذلك لِقَوْلِهِ - صلى الله عليه وسلم - لاَ يَسْأَلُونِى خُطَّةً يُعَظِّمُون بِهَا حُرُمَاتِ اللهِ إلاَّ أَعْطَيْتُهم إيَّاهَا ، فَقَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لسهيل عَلَى أَنْ تُخلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَطُوفَ ، فَقَالَ سهيل : لَا وَاللهِ لا تَحَدَّثُ العربُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[3] ، وَلَكِنْ لَكَ من الْعَامِ الْمُقْبِل ، فكتب . فَقَالَ سُهيل : عَلَى أَنَّه لاَ يَأْتِيك مِنَّا أَحَدُ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّه - وإِنْ كَانَ عَلَى دِينِك إلاَّ رَدَدْتَه إِلَيْنَا فَقَالَ المسْلِمُون : سُبْحَانَ الله ، أَيُكْتَبُ هَذَا ؟ كيْفَ يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نعم[4] إنه مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهم فأبعده الله ، وَمَنْ جَاءَ مِنْهُم إِلَيْنَا سَيَجْعَلُ الله لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا .

وفى حديث عبد الله بن مُغَفَّل عند الإمام أحمد ، والنسائى ، والحاكم بعد أَنْ ذَكَرَ نحو ما تَقَدَّم ، قال[4] فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِك إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلاثُونَ شَابًّا عَلَيْهِمُ السِّلاَح فثاروا[5] إلى وُجُوهِنَا ، فَدَعَا عليهم رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخَذَ اللهُ بِأَسْمَاعِهِم - ولَفظُ الْحَاكِم بِأَبْصَارِهم - فَقُمْنَا إِلَيْهم فَأَخَذْنَاهم ، فَقَالَ لَهُم رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - « هَلْ جِئْتُمْ فِى عَهْد أحد وَهَلْ جَعَلَ لَكُم أَحَدٌ أَمَانًا » ؟ فقالوا : لَا . فَخَلَّى سبِيلَهم فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُم[6] ﴾ .

وروى ابن أَبى شَيْبَة ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، والثلاثة عن أنس قال : لَمَّا كَان يومُ « الحُدَيْبِيَة » هَبَطَ عَلَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأَصحابهِ

(١) فى ت ، م « وارتفعت » .
(٢) أى أرنى مكانها أى كلمة رسول الله - شرح المواهب ٢ : ١٩٦ .
(٣) ضغطه : أى قهرا . والضبط من شرح المواهب ٢ : ١٩٩ ، وشرح المفردات .
(٤) « قال » هذا اللفظ من ط .
(٥) كذا فى ط ، ت . وفى م « فشاروا » .
(٦) آية ٢٤ من سورة الفتح .

ثَمانُونَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِى السِّلاَحِ مِنْ قِبَلِ جَبَلِ التَّنْعِيمِ يُرِيدُون غِرَّةَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَدَعَا عليهم ، فَأُخِذُوا فعفا عنهم .

وروى عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة قال : ذُكِرَ لنا أَنَّ رَجُلاً من أَصحابِ رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – يُقَالُ له ابن زُنَيْم اطلع الثنية « يوم الحديبية » فَرَمَاهُ المُشْرِكُون فَقتَلُوه ، فبَعَثَ نبيُّ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – خيْلاً ، فأتوا بأثْنَى عشر فَارِسًا ، فقَالَ لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « هَلْ لَكُم عَهْدٌ أَوْ ذِمَّة » ؟ قَالُوا : لَا . فأَرسلهم .

١٦٩ ظ وروى الإمام أحمد / ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، عن سلمة بن الأكوع . رضى الله عنه قال : إِنَّ المشركين من أهل مكة أرسلونا فى الصُّلح فلما اصطلحنا واخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْض أتيت شجرةً فَاضْطَجَعْتُ فِى ظلِّها ، فَأَتانى أربعةٌ من مُشركى أَهْلِ مكة ، فَجَعَلُوا يَقَعُون فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأَبغضهم وتحوَّلْتُ إلى شجرة أخرى ، فعَلَّقُوا سلاَحهم واضطجعوا ، فبينما هم كذلك إِذْ نَادَى منادٍ مِنْ أَسفل الوادى يَالَلْمُهاجِرين ، قُتلَ ابن زُنَيْم فَاخْتَرَطْتُّ سيفى فَاشْتَدَدْت على أُولئك الأربعة وهُم رُقُود ، فأَخذت سلاَحهم[1] ، وجَعَلْتهُ فى يَدِى ، ثم قلْت : والَّذِى كرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم – لَا يَرْفَعُ أَحدٌ منكم رأْسَهُ إلاَّ ضَرَبْتُ الَّذِى فى عَيْنَيه ، ثم جِئْتُ بِهِم أَسُوقُهم إلى رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم – وجَاءَ عَمِّى عَامر برجلٍ من الْعَبَلَات يقال له مِكْرَز مِنَ المُشركين يُقُوده حتَّى وقفْنَاه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : دعوهم يكون لهم بدْءُ الفجور وثنياه فعفا عنهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَنْزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ من بَعْدِ أَنْ أَظفَرَكُمْ عَلَيْهِم[2] ﴾ فَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى ذَلكَ إِذْ أَبُو جَنْدَل[3] – بِالْجِيم والنُّون

---

(١) فى ت « بسلاحهم » .
(٢) الآية ٢٤ من سورة الفتح .
(٣) أبو جندل واسمه العاصى هو عبد الله بن سهيل بن عمرو ، وإسلامه سابق على إسلام أبيه لأنه شهد بدراً كما جاء فى السيرة الحلبية ٢ : ١٦ .

وزن جَعْفَر – بن سُهيل ابن عمرو يَرْسُفُ فى قُيُوده قد خَرَجَ منْ أَسْفَل مكَّةَ حتى رمى بنَفْسه بَيْنَ أَظْهرِ المُسْلمين ، وَكَانَ أَبُوه سُهيل قد أَوْثَقَه فى الْحَديد وسَجَنَه ، فخرج من السِّجن واَجْتَنَبَ الطَّرِيقَ وَرَكِبَ الجبَال حتَّى أَتى « الْحُدَيْبِيَة – فقام إِليه المُسْلِمُون يُرَحِّبُونَ بِه ويُهَنِّئُونَه ، فلما رآه أَبُوه سُهيل قام إِليه فَضَرَب وجهه[1] بغصن شوك وأَخذ بتلبيبه[2] ثم قال : يا محمد ، هَذَا أَوَّلُ ما أُقَاضيكَ عَلَيه أَن تَرُدَّه ، فَقَالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – «إِنَّا لَمْ نَقْض الْكِتَابَ بَعْد » قَالَ فَوَالله إِذًا لا أُصالِحُكَ عَلَى شَىء أَبدًا . قال : « فَأَجِزْهُ[3] لِى » قال : مَا أَنَا بِمُجِيزِه[3] لَكَ . قال : « بَلَى فَافْعَل » . قال : مَا أَنَا بِفَاعل . فقال مِكْرَز وحُوَيْطبُ : بلى قد أَجَزْنَاهُ لَك . فأَخذاه فأَدخلاه فُسْطَاطًا فأَجازاه وكفّ عنه أَبوه . فقال أَبو جَنْدل أَى معاشر المسلمين أُرَدُّ إلى المُشركين وقَدْ جِئْتُ مُسْلمًا ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيت ؟ وكان قد عُذِّبَ عَذَابًا شَديدًا ، فرفع رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – صوته وقال : يا أَبَا جَنْدَل ، اصْبِرْ واَحْتَسِبْ فإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفين فرجاً ومَخْرَجاً ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا مَعَ الْقَوْمِ صُلْحًا وأَعْطَيْنَاهم وأَعْطُونا عَلَى ذَلِكَ عَهْدًا ، وإِنَّا لَا نَغْدِرُ » ومشى عمر بن الخطاب إلى جَنْبِ أَبِى جَنْدَل ، وقال له : اصْبِرْ واَحْتَسِبْ فَإِنَّمَا هُمُ المُشْرِكُون وإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دم كلب ، وجَعَلَ عُمَرُ يُدْنى قَائِم السَّيْف منه . قال عمر : رَجَوْتُ أَن يأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبَ به أَبَاه . قال فَضَنَّ الرَّجُلُ بأَبيه .

وقد كان أَصحابُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِى الْفَتْحِ لرؤيا رسول الله – صلى الله عليه وسلم / – ، فَلَمَّا رَأَوْامَا رَأَوْا من الصُّلح والرجوع ١٧٠ و
وما تحمل عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى نفسه دَخَل على الناس من ذلك

---

(١) فى ط فضربه فى وجهه » والمثبت عن ت ، م ويوافقه ما فى شرح المواهب ٢ : ٢٠١ .

(٢) كذا فى الأصول . ويوافقه ما فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٣١ بهامش الروض الأنف ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٣٢ . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٨ – وأخذ بلبته » وفى شرح المواهب ٢ : ٢٠١ « وأخذ بتلبيبه ، وقال البرهان أى جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه وقبض عليه نحره » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٨ « أجره لى قال ما أنا بمجيره وجاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٠١ فاجزه بالجيم والزاى بصيغة فعل الأمر من الإجازة ، أى امض لى فعلى فيه ولا أرده إليك أو استثنه من القضية ووقع فى الجمع للحميدى بالراء ، ورجح ابن الجوزى الزاى » .

أَمْرٌ عظيم حتَّى كَادُوا يَهْلِكُون . فَزَادَهُم أَمْرُ أَبِي جَنْدَلٍ عَلَى مَا بهمْ ، ونفذت القضية وشَهِدَ على الصلح رجالٌ من المُسْلِمين ورِجَالٌ من المُشْرِكين : أَبو بكر وعمرُ ، وعبدُالرحمن ابنُ عَوْف ، وعبدُ الله بن سُهيل بن عمرو . وسَعْدُ بنُ أَبي وَقَّاص ، ومَحْمُود بن مَسْلَمَة وعَلِيٌّ بن أبي طالب – رضى الله عنهم – ومِكْرز بن حفص وهو مشرك .

فلما فَرَغَ من قَضِيَّة الكتاب قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « قُومُوا فَانْحَرُوا ثمَّ احْلقوا » فوالله مَا قَامَ رَجُلٌ منْهم ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَاشْتَدَّ ذلك عَلَيْه ، فَدَخَلَ على أُمِّ سَلَمة فقال : « هَلَكَ المُسْلِمُون . أَمَرْتهم أَنْ يَنْحَروا ويَحْلِقوا فَلَمْ يَفْعَلُوا » . وفى رواية : « أَلاَ تَرَيْنَ إِلى النَّاس آمُرُهُم بالأَمرِ فَلاَ يَفْعَلونَه – وَهُمْ يَسْمَعُون كَلاَمى وينظرُون وَجْهى » . فقالت : يا رسولَ الله ، لا تَلُمْهم فإِنَّهم قد دخلهم أَمْر عَظِيم مِمَّا أَدْخَلْتَ على نَفْسِك من الْمَشَقَّة فى أَمْرِ الصُّلح ، ورُجُوعُهُم بِغَيْرِ فَتْح يا نبى الله اخْرُجْ وَلَا تكلِّم أَحَدًا كَلِمَةً حتَّى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك[1] فيَحْلِقَك فجلى[2] الله – تعالى – عن الناس بأُم سلمة – فَقَامَ رسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – واَضْطبع[3] بثوبه ، فخرج فأَخذ الْحَرْبَة ويَمَّمَ[4] هَدْيَه وأَهْوَى بالحربة إِلى الْبُدْن رَافِعًا صَوْتَه « بِسْمِ اللهِ واللهُ أَكْبَر » ونحر ، فَتَوَاثَبَ المسلمُونَ إِلى الهَدْى وازدحموا[5] عليه يَنْحَرونَه حتى كاد بعضهم يقع[6] على بعض ، وأَشرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أَصْحَابِه فِى الْهَدْى ، فَنَحَرَ الْبَدَنَة عن سَبْعَة ، وكان هَدْىُ رسول الله – صلى الله عليه

---

(١) فى ت ، م « بحالقك » والمثبت من ط ويوافقه ما فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٨ .

(٢) كذا فى الأصول بالجيم واللام والياء وفى المرجع السابق « فجلا » باللام والألف .

(٣) اضطبع : أخذ ثوبه فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهة الصدر النهاية فى غريب الحديث ٣ : ١٢) .

(٤) كذا فى ط ، فى ت ، م « ينهم » وكذا فى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٣ . ونهم الرجل بمعنى زجرها (الصحاح ٢٠٤٧) .

(٥) فى ط « وانجحموا » والمثبت عن ت ، م ويوافقه ما جاء فى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣

(٦) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٢٠٩ « حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً » وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٣ « حتى خشيت أن يغم بعضهم بعضا » وفى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٣٣ « حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما » .

وسلم – سبعين بَدَنَة ، وكان الْهَدْىُ دُون الجبال التى تَطْلُعُ على وَادى الثَّنيَّة ، فلما صَدَّه المشركون رَدَّ وَجُوه الْبُدْن .

قال ابن عباس : لما صُدَّت عن الْبَيْتِ حَنَّتْ كما تَحِنُّ إِلَى أَوْلَادِهَا . رواه الإمام أحمد والبيهقى . فَنَحَرَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بُدْنَه حيث حبسوه وهى الحديبية ، وشرد جمل أبي جهل من الهدى وهو يرعى وقد قلد وأشعر . وكان نجيباً مهرياً فى رأسه بُرَة من فضة ، أهداه ليغيظ بذلك المشركين ، فمر من الحديبية حتى انتهى إلى دَارِ أَبِي جَهْل بمكة ، وخرج فى أثره عمرو بن عَنَمة بن عدىٍّ الأنصارى ، فَأَبَى سُفَهَاءُ مكَّةَ أن يُعْطوه حتَّى أمرهم سُهَيل بن عمرو بدفعه إليه ، قيل : وَدَفَعُوا فيه عِدَّة نِيَاق ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « لَوْلَا أَنْ سَمَّيْنَاهُ فِى الْهَدْى فَعَلْنَا » ، ونحره عن سَبْعَة ، ونحر طلحة بن عبيد الله ، وعبدُ الرحمن بن عَوْف . وعثمان بن عفان ، بُدْنَات سَاقوها .

وروى ابن سعد عن أبي سُفْيَان عن جَابر قال : نَحَرَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – سَبْعِينَ بَدَنَة عَامَ الحُدَيْبِيَة ، الْبَدَنَةُ عن سَبْعَة ، وكنَّا يومئذٍ أَلْفاً وأربعمائة . ومن لم يضح أكثر ممن ضحى ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مضطرباً[1] فى الحل وإنَّما يُصَلِّى فى الحرم / . وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – من هَدْيه بعشرين بَدَنَة لِتنْحَرَ عَنْه عند « الْمَروة » مع رَجُلٍ من أَسْلم ، فلمَّا فرغ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مِنْ نَحْر الْبُدْن دَخَلَ قبة له من أدم حمراء[2] وَدَعَا بخِرَاش – بمعجمتين – بن أُميَّة بن الفضل الكعبى ، فَحَلَقَ رأسه ورمى شَعْرَهُ على شجرةٍ كَانَتْ إلى جَنْبه من سَمُرَة خضراء ، فجعل الناس يأخذونَ الشَّعْر من فَوْق الشَّجرة فيتحاصونه[3] ، وأخَذَتْ أمُّ عمارة طَاقَاتٍ من شَعْره فكانت تَغْسِلُهَا للمريض وتَسْقِيه فيبرأ ، وجَعَلَ بعضُهم يَحْلِق بَعْضًا حتَّى كَادَ بَعْضُهم يقتل بَعْضًا غَمًّا . ١٧٠ ظ

(١) مضطربا . فسرت فى هامش سيرة النبى لابن كثير ٣ : ٣٢٢ أن خيامه كانت مقامة فى الحل » وكذلك فى هامش مغازى الواقدى ٢ : ٦١٤ وعزا التفسير لشرح أبي ذر ص ٣٤٢ .

(٢) حمراء : كذا فى ت ، م ومغازى الواقدى ٢ : ٦١٥ . وفى ط « آدم أحمر » .

(٣) أى يتقاسمونه (القاموس المحيط) .

وَحَلَقَ بَعْضُ المسلمين وَقَصَّرَ بَعْض ، فأَخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأسه من قبته وهو يقول : رحم الله المحلقين ، قيل : يا رسول الله والمقصرين قال : « رَحِمَ اللهُ الْمحَلِّقِين ثَلاثًا » . ثُمَّ قالَ و « المقصرين » .

وروى ابن أَبِي شَيْبَة عن ابنِ عبَّاس أَنهم قالوا : يا رسول الله مَا بَالُ الْمُحَلِّقين ظاهرت[1] عليهم الترحيم ؟ قال : لأَنَّهُم لم يَشُكُّوا . ورواه البيهقى موقوفاً .

وبعثَ اللهُ تعالى رِيحاً عَاصِفَةً فَاحتملت أَشْعارَهُم فَأَلْقَتْهَا فِي الحرم كما رواه ابنُ سَعْدٍ عن مجمع بن يَعْقُوب عن أَبيه ، وأَقَامَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « بالحُدَيْبِيَة تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا » ، ويقال عشرين ليلة ، ذكره محمد بن عمر ، وابن سَعْد . قال ابن عائذ : وأَقَامَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى غَزْوته هذه شَهْراً ونصفاً .

* * *

ذكر رجوع رسول الله – صلى الله عليه وسلم

روى مُسْلم عن سلمة بن الأَكوع ، والبيهقى عن ابن عباس ، وابن سعد ، والبيهقى ، والحاكم عن أَبى عمرة الأَنصارى ، والبزار ، والطبرانى ، والبيهقى عن أَبى خنيس الْغفَارى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، يزيدُ بعضُهم على بَعْض : أَنَّ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – لما انْصَرَفَ من « الحديبية » نزل بمَرِّ الظَّهْرَان ثم نزل « بِعُسْفَان » وأَرْمَلُوا[2] من الزّاد ، فشكا النَّاسُ إلى رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – أَنهم قَدْ بَلَغُوا من الجوع الْجَهْد ، وفى الناس ظَهْر ، فقالوا: ننحرهُ[3] يارسولَ الله ، ونَدَّهِن مِنْ شُحُومه ونَتَّخذ من جُلُوده أَحْذِيَة[4] فأَذنَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فأُخْبِرَ بذلك عمرُ ابن الخطاب فجاءَ إِلَىَ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله لا تَفْعَل ، فإِن يكن فِى النَّاسِ بقيَّةُ ظَهْرٍ يكن أَمْثَل ، كيف بِنَا إذا نَحنُ لقينا العدُوَّ غَداً

---

(١) أى أظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين (السيرة الحلبية ٣ : ٢٧) وفى ت « ظاهرت لهم » وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٣ « فلم ظاهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين ؟ » .

(٢) أرملوا : نفد زادهم (الصحاح) .

(٣) كذا فى ط . وفى ت ، م « ننحر » وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٦ « فننحر »

(٤) كذا فى ط . وفى ت ، م ومغازى الواقدى ٢ : ٦١٦ « حذاء »

جيَاعاً رجالاً ؟! ولكن إنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ بِبَقَايَا أَزْوَادِهِم فتجمعها ثُمَّ تَدْعُو فيها بالبركة فإِنَّ الله سَيُبَلِّغُنَا بدعْوَتِك ، وَدَعَا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النَّاسَ بِبَقَايَا أَزوادِهِمْ وَبَسَطَ نِطْعاً فَجَعَلَ النَّاسُ يجيئون بالحفنة من الطَّعَام وَفَوْقَ ذَلِكَ ، فكان أَعْلاَهُم مَنْ جَاءَ بصاع تَمْر ، فاْجتمع زَادُ الْقَوْمِ على النِّطْع ، قال سلمة : فتطاولت لأُحرِّرَكم هُو فحررته كربضة[1] عَنْز ونحن أربع عشرة مائة ، فقام رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَدَعَا بما شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثم حَشَوا أَوْعِيَتَهُم ، وبَقِيَ مِثله ، فضحك / رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُه ، ١٧١ و
وقال : « أشهد أن لَا إله إلاَّ الله وأَنِّى رَسُولُ الله ، وَاللهِ لَا يَلْقَى اللهَ ـ تَعَالَى ـ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إلاَّ حُجِبَ مِنَ النَّار » .

ثم أَذَّنَ رَسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ فى[2] الرَّحيل ، فلما اْرتحلوا أُمْطِروا[3] ما شَاءُوا وهم صَائِفُون ، فَنَزَل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَنَزَلُوا ، فَشَرِبُوا مِنْ مَاءِ السَّمَاء ،

ثم قَامَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَخَطَبَهُم ، فجاء ثلاثةُ نَفَرٍ فجلس اْثْنَان مَعَ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَذَهَبَ وَاحِدٌ مُعْرِضًا ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أَلاَ أُخبِرُكُم عن الثَّلاَثَة ؟ قالوا : بَلَى يَارَسُولَ الله . قال : أَما وَاحِدٌ فاستحيا فاستحيا اللهُ مِنْه ، وأَمَّا الآخر فَتَابَ فَتَابَ اللهُ عليه ، أَمَّا الثَّالث فَأَعْرَضَ . فَأَعْرَضَ اللهُ عنه » .

وروى البيهقى عن عُرْوَةَ قال : قفلَ[4] رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجعًا فَقَالَ رجُلٌ من أَصْحابِ رسُولِ الله ـ صلى الله عنيه وسلم ـ مَاهَذَا بِفَتْح ،لقد صُدِدْنَا

---

(١) أى كقدر العنز وهى رابضة (السيرة الحلبية ٣ : ٥٨)،وشرح المفردات .
(٢) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٦ « بالرحيل »
(٣) فى المرجع السابق « مطروا » .
(٤) كذا فى ط ، وفى ت ، م « أقبل » ويوافقهما شرح المواهب ٢ : ٢١١ .

عن الْبَيْت وَصدَّ هَدْيَنَا . وَرَدَّ رَسُولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رَجُلَيْنِ من الْمُؤْمِنِين كَانَا خرَجَا إليه ، فبلغ ذَلِكَ رَسُولَ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فَقَالَ : « بِئْسَ الكلام ، بَلْ هُو أَعْظَم الْفَتْح ، قَدْ رَضِي الْمُشْرِكون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم . ويسألوكم الْقَضِيَّة ، ويَرغَبُون إليكم فى الأمان ؛ ولقد رأوا مِنكُمْ مَا كَرِهُوا ، وأَظْفَركُم اللهُ ــ تعالى ــ عَلَيْهم وَردَّكُم سَالِمين مَأْجُورِين فَهُو أَعْظَم الفتح ، أَنَسِيتُم يَوْمَ أُحد ؟؟ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وأَنَا أَدْعُوكم فِى أُخْرَاكُم !! أَنَسِيتُم يَوْمَ الْأَحْزَاب ؟ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَل مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَت الْقُلُوبُ الْحَنَاجِر وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا !! فقال المسلمون : صدق اللهُ ورسُولُه ، فهو أَعْظَمُ الْفُتُوح ، واللهِ يَانَبِيَّ اللهِ مَا فَكَّرْنَا فِيمَا فَكَّرْت فيه ، وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بالله وبالأُمور[1] منا .

* * *

ذكر نزول سورة الفتح ومرجع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وما ظهر فى ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد ، والبخارى ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حِبَّان وابن مَرْدويه عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : كُنَّا مع رَسُولِ اللهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفر يعنى « الحديبية » فَسَأَلْتُه عَنْ شَىءٍ ثَلاثَ مَرَّات ، فلم يَرُدَّ عَلَىَّ ، فقلتُ فى نَفْسِى : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابنَ الْخَطَّاب ، نَزَّرْت[2] رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ ثلاث مرات فَلَمْ يَرُدَّ عليك ، فحركْتُ بَعِيرِى ، ثم تَقَدَّمْتُ أمامَ النَّاس ، وخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِىَّ الْقُرآن ، فَمَا نَشِبْتُ أَن سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخ بى ، فرجعتُ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ نَزَلَ فِىَّ شىءٌ ، فَقَالَ النبيُّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَىَّ اللَّيْلَة سُورَةٌ هِى أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيهَا ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[3] .

---

(١) رواية شرح المواهب ٢ : ٢١١ « ولأنت أعلم بالله وبأمره منا » .

(٢) الضبط من شرح غريب رجوعه ــ صل الله عليه وسلم ــ ونزول سورة الفتح . وقد ضبط اللسان بفتح الزاى مع التخفيف . والمعنى ألححت عليه فى المسألة إلحاحاً (اللسان ٧ : ١٢١ وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٧ « نذرت » بالذال أخت الدال .

(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الفتح . والمراد كما فى السياق إنزال السورة كلها .

وروى ابنُ أَبي شَيْبَة والإمام أَحمد ، وابن سعد ، وأَبو داود ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم - وَصححَه - ابن مَرْدَويه ، والبيهقى فى الدَّلَائِل / ، عن مُجَمِّع[1] بن ١٧١ ظ
جَارِيَةَ الأَنصارى - رضى الله عنه - قال : شَهِدْنَا « الحديبية » مع رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إلى كُرَاع الغَمِيم إذا الناس يوجِفونَ[2] الأَباعر ، فقال النَّاسُ بعضهم لِبَعْض : ما للنَّاسِ ؟ قالوا : أُوحِىَ إلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَخَرَجْنَا مع الناس نوجف ، فإذَا رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على رَاحِلَته عند « كُرَاع الغميم » فاَجتمع النَّاسُ إليه فقرأَ عليهم (إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيْنًا) فقال رَجُلٌ[3] من أَصْحَابِ النبى - صلَّى الله عليه وسلم - أَو هو فتح ؟ فقال : « أَى والَّذِى نَفْسِى بيَده إنَّه فتح » زاد ابن سَعْد : فلما نزل بها جِبْرِيلُ قال : ليهنئك يا رسول الله ، فلما هَنَّأَه جبريل هنَّأَهُ النَّاس .

وروى عبد الرازق والإمام أَحمد ، وابن أَبى شَيْبَة ، وعبد بن حُميد ، والشيخان والترمذى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم عن أَنس - رضى الله عنه - قال : لما رجعنا من « الحديبية » قال رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - « أُنْزِلَتْ عَلَىَّ ضُحًى[4] آية هى أَحَبُّ إلَىَّ مِنَ الدُّنيَا جَميعًا » ثَلَاثًا - قُلْنَا - وفى لَفْظٍ قَالُوا - هنِيئًا مَرِيئًا لك يا رسول الله،قد بين الله لك مَاذَا يَفْعَل بِك ، فماذا يفعلُ بنا ؟ فنزلت ، وفى لفظ فنزلت عليه : ﴿ لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار ﴾[5] حتَّى بلغ (فَوزًا عَظِيمًا) » .

---

(١) مجمع بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة - ابن جارية - بالجيم والراء - ابن عامر الأنصارى الأوسى المدنى الصحابى . المتوفى فى خلافة معاوية . روى له الترمذى وأبو داود وابن ماجه وانظر شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

(٢) يوجفون : يسرعون السير ، وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٤ « يهزون الأباعر ينشطونها بالحداء لتخف وتسرع فى سيرها » .

(٣) فى نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٥ « فقال عمر : « أو فتح هو يا رسول الله » .

(٤) وفى رواية الموطأ « أنزلت على الليلة سورة » شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

(٥) آية ٥ من سورة الفتح .

وروى ابنُ أَبي شَيْبَة ، والإمام أَحمد ، والبخارى فى تاريخه ، وأبو داود والنسائى ، وابن جرير ، وغيرهم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « أَقْبَلْنَا مِنَ الْحُدَيْبِيَة » مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَبَيْنَا نَحْنُ نسير إِذْ أَتَاهُ الوحى ، وكَانَ إِذَا أَتَاهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَسُرِّىَ عَنْه وَبهِ من السُّرُور مَا شَاءَ الله ، فَأَخْبَرنا أَنَّه أُنْزِلَ عليه (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيناً) .

١٧٢ و وروى البيهقى من طريق المسعودى عن جامع بن / شداد عن عبد الرحمن بن أَبى علقمة عن ابن مسعود – رضىَ الله عنه – قال : لما أَقْبَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – من « الحديبية » جَعَلَتْ ناقَتُه تَثْقُل فأَنزل الله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) فأَدركنا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – من السُّرور ما شاءَ ، فَأَخبرنا أَنها أُنْزِلَتْ عليه ، فَبَيْنَا نَحْنُ ذَات ليلة إِذْ عَرَّس بِنَا ، فقال رسُولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – « من يَحْرُسُنَا » ؟ فقلتُ أَنَا يا رسُولَ الله ، فقال : « إِنَّك تنام » ثُمَّ قال : « مَنْ يَحْرُسُنَا » فقلتُ : أَنَا . فقال : أَنت ، فحرستهُم ، حتَّى إِذَا كان وَجْهُ الصبح أَدْرَكَنِى قَوْلُ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – إِنَّكَ تنام ، فما اَسْتَيْقَظتُ إِلاَّ بالشمس ، فلما اَسْتَيْقَظْنَا قال رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : « إِنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ أَن لا تناموا عنها[1] لا تناموا ، ولكنَّه أَرَادَ أَن يكون ذلك لِمَنْ بعدكم ، ثم قام فصنع كما كان يصنع ، ثم قال : « هكذا لِمَنْ نَامَ أَو نَسِىَ مِنْ أُمَّتى » ثم ذهب القومُ فى طلبهم رواحلهم فجاءُوا بهن غير راحلة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : فقال لى رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – « اذهَبْ هَاهُنَا » ووجَّهنى وَجْها فذهبتُ حيث وجَّهنِى فوجدتُ زِمَامَهَا قد الْتَوَى بشجرة ما كانت تحلها الأَيدى . قال البيهقى : كذا قال المسعودى عن جامع بن شدَّاد : إِن ذلك كان حين أَقبلوا من الحُدَيْبِية ، ثم روى من طريق شعبة – وناهيك به عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أَبى علقمة عن ابن مسعود قال : أَقبلنا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من غزوة تَبُوك قال البيهقى : يحتمل أَن يكون مراد المسعودى

---

(١) فى ت ، م « لن تناموا » والمثبت من ط .

بذكر الحُدَيْبِيَة تاريخ نزول السّورة حين أَقْبَلُوا من الحُدَيْبِيَة فقط ، ثم ذكر معه حديث النّوم عن الصّلاة ، وحديث الراحلة ، وكانا فى غزوةِ تَبُوك قلت لم يَنفردْ المسعوديّ بذلك ، قال ابن أَبي شَيْبَة فى المصنَّف : حدثنا منذر عن شعبة عن جامع بن شداد به ، ولا مانع من التعدد .

* * *

ذكر قدوم أبى بصير على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورده اليهم وما حصل له ولأصحابه من الفرج

رَوَى عبدُ الرّزاق والإمام أحمد وعبدُ بنُ حُمَيْد والبُخَارِيُّ وأبو داود والنسائيُّ عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ، والبيهقيُّ عن ابن شهاب الزُّهْرِيّ : أَنَّ رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — لَمَّا قدِمَ المدينة من الحُدَيْبِيَة أتاه أبو بَصِير عُتْبَةُ — بضم العين المهملة — ابن أَسِيد — بوزن أمير — بن جارية — بجيم — الثقفى ، حليف بنى زُهْرة — مُسْلِمًا قد أفلت من قومه — فسارَ على قدميه سعْياً ، فكتب الأَخْنَس بن شَرِيق ، وأَزْهَرُ بنُ عبد عَوْف الزُّهْرِيّ إلى رسولِ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — كتاباً وبعثا خُنَيْس — بمعجمة ونون وآخره مهملة — مُصَغَّر — ابن جابر من بنى عامر بن لُؤَىّ ، استأْجراه ببَكْر ابن لَبُون ، وحملاه على بعير ، وكتبا يذكران الصّلحَ الذى بينهم ، وأن يَردّوا إليهم أبا بصير ، فخرج العامرىُّ ومعه مولىً له يقالُ له كَوْثَرُ دليلا ، فقدما بعد أَبى بصير بثلاثة أيام فقرأَ أُبَىُّ بنُ كَعْب الكتاب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فإذا فيه : قد عرفتَ ما شَارَطْنَاك عليه ، وأشهدنا بينك وبيننا مِن[1] ردِّ مَنْ قدِمَ عليك مِنْ أَصحابنا فابْعَثْ إلينا بِصَاحبنا . فأَمر رسول الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — أبا بصير أن يرجع معهم ، ودفعه إليهما فقال : يا رسولَ الله تَردُّنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ فقال : « يَا أَبَا بَصِير إنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ القَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِى دِينِنَا الْغَدْرُ ، وَإنَّ اللهَ — تَعالَى جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً ، فقال : يا رسولَ الله تَرُدُّنى إلى

---

(١) بعد هذه الكلمة بياض بمقدار كلمتين ، ولكن الكلام متصل كما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٥ .

المشركين ؟!! قالَ : « انْطَلِقْ يَا أَبَا بَصِيرٍ ، فإِنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً » فخرج معهما ، وجعل المسلمون يُسِرُّون إلى أَبى بصير : يا أَبا بصير أَبْشر فإن الله جاعلٌ لَكَ فَرَجاً ومخرجاً ، والرَّجُلُ يكونُ خَيْراً من أَلف رجل ، فَافْعَلْ وافْعَل : يأْمرونه بقتل اللذين معه ، وقال له عمَرُ : أَنت رَجُل ، ومعك السيف ، فانْتهيا به عند صلاة الظهر بذى الحُلَيْفَة ، فصَلَّى أَبُو بَصِيرٍ فى مسجدها ركعتين ؛ صلاة المسافر ، ومعه زادٌ له من تَمْر يحمله ؛ يأْكل منه . ودعا العامرى وصاحبه ليأْكلا معه فقدما سُفْرَة فيها كِسَرٌ فأَكلوا جميعاً ، وقد علّق العامِرىُّ سيفه فى الجدار وتحادثا . ولفظ عروة : فَسَلَّ العامرىُّ سيفه ثمَّ هزّه فقال : لأَضربَنَّ بسيفى هذا فى الأَوْسِ والخَزْرَج يَوْماً إِلى الليل .
١٧٢ ظ فقال له أَبو بصير / : أَصَارِمٌ سيفُك هذا ؟ قال : نعم ، قال : ناولنيه أَنظر إِليه إِن شئت ، فناوله إِيَّاه ، فلَمَّا قبض عليه ضَربه به حتى بَرَدَ . قال ابن عقبة : ويقال بل تناول أَبو بصير السَّيْفَ بِفيهِ وصاحبهُ نائمٌ ، فقطع إِساره ثمّ ضَربه به حتَّى بَرد ، وطلب الآخر فجمز[1] مَذْعُوراً مستخفيا ، وفى لفظ : وخرج كوثرُ هَارِبا يعدو نحو المدينة وهو عَاضٌّ على أَسفل ثوبه قد بدا طرفُ ذكره ، والحَصَى يطيرُ مِنْ تَحْتِ قَدَميه مِنْ شِدَّةِ عَدْوِه ، وأَبو بَصِيرٍ فى أَثَره ، فَأَعجزه وأَتى رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو جالس فى أَصحابه بعد العصر ، فقال رَسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حين رآه : « لَقَدْ رأَى هذا ذُعْرًا فلما انتهى إلى رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « وَيْحَكَ مالك » قال : قتل والله صاحِبُكم صَاحِبِى وَأَفْلَتُّ مِنْه ولم أَكد ، وَإِنى لمقتول . وَاستغاث برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فَأَمَّنَه ، وأَقبل أَبو بصير فَأَناخ بعير العامرىّ . ودخل متوشِّحًا سيفه . فقال : يا رسول الله قد وَفَت ذِمَّتُكَ وَأَدَّى اللهُ عنك ، وقد أَسلمتنى بيد العدو ، وقد امتنعت بدينى مِنْ أَنْ أُفْتَن ، فقال رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم : « وَيل أُمّه مِسْعَرُ[2] حَرْبٍ » وفى لفظ « مِحَشّ[3] حَرْب ، لَوْ كَانَ مَعَه

---

(١) فجمز : أى عدا وأسرع (نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦) .

(٢) مسعر حرب : موقدها ، يتعجب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من شجاعته وجرأته وإقدامه (نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ ، وانظر شرح غريب قدوم أبى بصير .

(٣) محش الحرب : مسعرها ومهيجها (مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٦ ، وشرح المفردات) .

رِجالٌ » وفى لفظ له أحد. قال عُرْوَة ومحمد بن عمر : وَقَدِمَ سَلَبَ العامِرِىَّ لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لِيخَمِسه ، فقال : « إنى إذا خمستُه رَأَوْنِى لَمْ أُوفِ لَهُمْ بِالَّذِى عَاهَدْتُهُم عَلَيْه ، ولَكِنْ شأنك بِسَلَب صَاحِبك ، وَاْذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ » وفى الصحيح أَن أبا بصير لما سمع قولَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « وَيْلَ أمه مِسْعَر حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحدٌ عَرَف أَنَّه سيرده ، فخرج أبو بصير ومعه خَمسةٌ كانوا قدموا معه مسلمين مِنْ مكة حين قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يكن طلبهم أحدٌ حتى قدموا سِيفَ البحرِ ، وَلَمَّا بلغَ سُهَيْل بن عمرو قَتْلُ أَبو بصيرٍ العامِرِىَّ اشتدّ عليه وقال : ما صَالَحْنَا محمداً على هذا . فقالت قريشٌ : قد برئَ محمدٌ منه قد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق ، فما على محمد فى هذا ؟ فأَسند[1] سُهَيْلٌ ظَهْرَهُ إلى الكَعْبَةِ وقال : والله لا أُؤَخِّرُ ظَهْرِى حتَّى يُودَى هذا الرجل ، قال أَبو سفيان بن حرب : إنَّ هذا لَهُوَ السَّفَه ، والله لا يُودَى ثلاثا – وأنَّى[2] قريش تديه وإنما بَعَثَتْهُ بنو زُهْرَة ؟ فقال الأَخْنَس بن شريق : والله ما نديه ، ما قتلناه ولا أمرنا بقتله ، قتله رجلٌ مخالف[3] فأَرسلوا إلى محمد يديه . فقال أَبو سُفيان بن حرب : لا ، ما على محمد دِيَةٌ ولا غُرْمٌ قد برئَ محمدٌ . ما كان على محمدٍ أَكثر مما صنع ، فلم تخرج له دِيَة فأَقام أبو بصير وَأَصحابُه بِسِيف[4] البحر ، وقال ابن شهاب : بين العِيص وذى المَرْوَةِ من أَرض جُهَيْنَة على طريق عَيرات قُريش .

قال محمد بنُ عمر[5] : لما خرج أبو بصير لم يَكُن معه إلاَّ كَفٌّ تَمْرٍ فأَكله ثلاثة أيام ، وأَصاب حِيتَاناً قَدْ أَلقاها البحر بالسّاحل فأَكلها ، وبلغ المسلمين الذين قد حُبِسُوا بمكّة خبرُ أَبى بصير ، فتسللوا إليه .

---

(١) كما فى رواية ابن إسحاق (السيرة النبوية بن هشام ٢ : ٣٢٤) .
(٢) ما بين الحاصرتين من (مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٨) .
(٣) أى مخالف لدينا (مغازى الواقدى ٣ : ٦٢٨)
(٤) سيف البحر ؛ : أى ساحله (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣) وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ « حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلى سيف البحر » وفى السيرة النبوية لابن هشام طريق مكة إذا قصدوا الشام وهو يحاذى المدينة إلى جهة الساحل (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣) .
(٥) انظر مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٧ .

قال محمد بنُ عمر : كان عمر بنُ الخطاب هوْ الذى كَتَبَ إليهم بقول رسول
الله – صلى الله عليه وسلم – لِأَبِى بصير « وَيْلُ أمّهِ مِحَش حَرْبٍ لو كان له رجال »
١٧٣ و وأَخبرهم / أنه بالسّاحل ، وانْفلَتَ أبو جَنْدَل بنُ سُهَيْل بن عَمْرو الذى رَدّهُ رسولُ الله
– صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين بالحدَيْبِيَة ، فَخَرَجَ هو وسبعون رَاكِبًا مِمَّنْ أسلموا
فلحقوا بأَبِى بصير ، وكرهوا أن يقدمُوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى هُدْنَةِ
المشركين ، وكَرِهُوا الثواءَ بين ظَهرانى قومهم ، فنزلوا مع أَبى بصير ، ولَمَّا قدم أَبو جَنْدَل
على أَبى بصير سَلَمَ لهُ الأَمرَ ؛ لكونه قُرَشِيًّا فكَان أَبو جَنْدَل يؤمُّهم ، واجتمع إلى أَبى
جَنْدَل – حين سمِعَ بقدومه – نَاسٌ من بنى غِفَار وأَسْلَمَ وجُهَيْنَة ، وطَوائِف من النّاس
حتى بَلَغُوا ثلاثمائة[1] مقاتل – كما عند البَيْهَقِىّ عن ابن شهاب – لا تَمرُّ بهم عير لقريش إلاَّ
أخذوها وقتلوا مَن فيها ، وضيَّقُوا على قريش ، فلا يظفرون بأَحدٍ منهم إلاَّ قتلوه .

ومما قاله أَبو جَنْدل بنُ سُهَيْل فى تلك الأَيام :

أَبلغ قُرَيْشًا عن أَبى جَنْـــدلِ ... أَنّا بِذِى المَرْوَة فى السَّاحِـــل[2]
فى مَعْشرٍ تخفـــق راياتهـــم ... بالبيض فيها والقَنَا الذّابل[3]
يـأْبون أَن تَبقَى لَهُم رُفْقَـــة ... من بَعْد إسلامهم الوَاصِـــلِ
أَوْ يَجْعَل اللهُ لهم مَخْرَجـــاً ... والحقُّ لَا يُغْلَبُ بالباطِـــلِ
فَيَسْلم المـــرءُ بإِسْلَامِـــهِ ... ويُقْتَلُ المـــرءُ وَلَمْ يَأْتَـــلِ

فَأَرسلت قريشٌ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَبا سُفيَان بن حرب يسأَلونه ويتضرعون إليه أَن يبعث إلى أَبى بصير وأَبى جَنْدَل ومن معهم ، وقالوا من خَرَج منَّا إليك فأَمسِكْه فَهُوَ لَكَ حلالٌ غيرُ حرج أَنت فيه . وقال : فإِن هؤلاء الرّكب قد فَتَحُوا

---

(١) كذا جزم ابن عقبة فى مغازيه ، ولابن اسحاق : بلغوا سبعين . ولأَبى المليح : أَربعين أو سبعين ، وجزم عروة بأَنهم بلغوا سبعين ، ولكن السهيلى زعم أَنهم بلغوا ثلاثمائة رجل . وانظر (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأَرب ١٧ : ٢٤٧ – وفى السيرة الحلبية « بلغوا ثلاثمائة » ٣ : ٣٢ .

(٢) انظر معانى مفردات قصيدة أَبى جندل فى شرح المفردات .

(٣) فى نهاية الأَرب ١٧ : ٢٤٧ « الذبل » .

عَلَيْنَا بَابًا لا يصلح إقراره ، فكتب رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أبى بَصِير وأبى جَنْدَل يأمرهما أن يَقْدُما عليه ، ويأمر من معهما مِمَّن ٱتَّبَعَهُمَا من المسلمين أن يَرْجِعُوا إلى بلادهم وأهليهم فلا يتعرضوا لأحدٍ مرَّ بهم مِنْ قريش وعَيَراتها ، فَقَدِمَ كتابُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أبى بصير وهو يَمُوت . فجعل يقرؤه ، ومَاتَ وهو فى يَدَيْهِ ، فَدَفَنَهُ أبو جَنْدَل مَكَانَه ، وجعل عند قَبْرِه مسجداً .

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه ورجع سائرهم إلى أهليهم ، وأَمِنَت بعد ذلك عَيَراتُ قريش .

قال عُرْوَةُ : فَلَمَّا كان ذلك من أمرِهم عَلِمَ الذين كانوا أشاروا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يمنع أبا جَنْدَل من أبيه بعد القضيّة أنَّ طاعَةَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خَيْرٌ لهم فيما أَحَبُّوا وفيما كرهوا من رأى مَنْ ظنّ أن له قوّة هى أفضل مما خصّ اللهُ تعالى به رسُولَه من الفوز والكرامة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمّا دَخَلَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام القضية وحلق رأسَه قال : « هذا الَّذِى وَعَدْتكُم » .

ولَمَّا كانَ يوم الفتح أخذ المفتاح وقال : « ٱدْعُوا لِىَ عمرَ بنَ الخطاب . فقال : « هَذَا الَّذِى قُلْتُ لَكُم » .

ولمّا كان فى حِجَّةِ الوداع وقَفَ بعرفة وقال : « أى عمر هذا الذى قُلْتُ لكم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله مَا كَان فَتْحٌ فى الإسلام أعظم مِن صُلْح الحُدَيْبِيَة ، وكان الناس قَصُرَ رأْيُهُم عمّا كان /، وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يقول : ما كَانَ ١٧٣ ظ
فَتْحٌ فى الإسلام أَعْظَمَ مِن صُلْحِ الحدَيبِيَة ، وكان النّاس قصر رَأْيُهُم عمّا كانَ بَيْنَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبَيْنَ رَبِّهِ ، والعِبَادُ يَعْجَلُون ، واللهُ ـ تعالى ـ لا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ العبد[1] حتى يبلغ الأمور ما أراد ، لقد رَأَيْتُ سُهَيْل بنَ عمرٍو فى حِجَّةِ الوداع

(١) فى ت « العباد » .

قائماً عند المنحر يُقَرِّبُ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُدْنَه ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم يَنْحَرُها بيده ، ودعا الحلاّق فَحَلَقَ رأْسَه ، فانْظُر إلى سُهَيْلٍ يلقط[1] من شَعْرِهِ ، وأراه يَضَعُه على عَيْنَيه ، وأذكرُ آمتناعه أن يُقِرَّ يومَ الحُدَيْبِيَة بأَنْ يُكْتَبَ : « بسم الله الرحمن الرحيم » فَحَمِدْتُ اللهُ ـ تعالى ـ الذى هَدَاهُ للإسلام .

* * *

ذكر ما أنزل الله سبحانه وتعالى فى شأن غزوة الحديبية : قال الله سبحانه وتعالى « انا فتحنا لك فتحا مبينا »

بيِّنًا وظَاهِرًا ، وهذا إخبارٌ عن صلح الحُدَيْبِيَة ، وسمّاهُ فَتْحًا لأَنه كانَ بعد ظُهُورهِ على المشركين حَتَّى سَأَلُوهُ الصُّلْحَ ، وتسبب عنه فتح مكة ، وَفَرَغ به ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسائر العرب فغزاهم ، وفَتَحَ مواضعَ .

ورَوَى البخارىّ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ فى الآية قال : الفتحُ صلحُ الحُدَيْبِيَة .

ورَوَى أيضاً عن البراء رضى الله عنه ـ قال : تَعُدُّونَ أنتم الفتحَ فتحَ مكة ، وقد كان فتحُ مكَّة فتحاً ، ونحن نعُدّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضوان يومَ الحُدَيْبِيَة .

قال الحافظ رحمه الله يعنى[2] قوله تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيْنًا) وهذا موضع وقع فيه آختلافٌ قديم : والتحقيق : أنه يختلف بآختلاف المُراد من الآيات . فقوله ـ تعالى : (إنا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) المرادُ بالفتح هنا الحُدَيْبِيَة ؛ لأَنها كانت مَبْدَأَ الفتح المُبين على المسلمين لما تَرتَّبَ على الصلح الذى وقَعَ من الأَمن ورفع الحرب وتمكُّنِ مَنْ كان يَخْشَى الدخولَ فى الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك ، كما وقع لخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وغيرهم ، ثم تبعت الأَسباب بعضها بعضا ، إلى أن كمل الفتح .

---

(١) كذا فى الأصول ـ وفى السيرة الحلبية ٣ : ٣٢ « فانظر إلى سهيل كلما يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم يضعه على عينيه . »

(٢) ينظر قول الحافظ فى شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

قال الزُّهْرِىّ : لم يكن فى الإسلام فتحٌ قبل فتح الحُدَيْبِيَة أعظم منه[1] إنما كان الكفر حيث القتال[2] ، فلمَّا أَمِنَ الناسُ كلُّهم ، كلَّم بعضُهم بَعضًا ، وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، ولم يُكَلِّم أحدٌ بالإسلام يعقِلُ شيئاً إلاَّ بَادَرَ إلى الدخول فيه ، فلقد دَخَل فى تينك السَّنَتَيْن مثل مَنْ كان دَخَل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : ويدل عليه أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج فى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكَّة فى عشرة آلاف انتهى .

وأما قولُه ـ تعالى ـ فى هذه السّورة : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) فالمرادُ به فتح خَيْبَر على الصحيح ؛ لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة ، وقسمت خَيْبَر على أهل الحُدَيْبِيَة ، وأما قوله ـ تعالى : (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيباً) فالمرادُ به الحُدَيْبِيَة ، وأما قولهُ ـ تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ » فالمرادُ به فتحُ مكَّة باتّفاق[3] ، فبهذا / يرتفع الإشكال[4] وتجتمع الأَقوالُ بعَوْنِ الله . ١٧٤ و

وقال فى موضع آخر : ومما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكرهُ الزُّهْرِى ، أنه كان مقدمة بين يَدَى الفتح الأعظم الذى دَخَلَ الناسُ عَقِبَهُ فى دين الله أفواجا » فكانت الهدنة معناها كذلك ، ولَمَّا كانت قصة الحُدَيْبِيَة مقدمةً للفتح سُمِيّت فَتْحًا ؛ لأَنَّ الفتحَ فى اللغةِ فتحُ مُغْلَقٍ ، والصُّلْحُ كانَ مُغْلَقًا حتَّى فَتَحهُ اللهُ ـ تعالى . وكان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت ، فكان فى الصورة الظاهرة ضَيْمًا للمسلمين ، وفى الصورة الباطنةِ عِزًّا لهم ؛ فإن الناس لأَجل الأَمن الذى وقع بينهم اختلط بعضُهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمونَ المشركين القرآن ونَاظَرُوهُم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل لا يتكلمون عندهم بذلك إلاَّ خفية . وظَهَرَ مَنْ كان يُخْفِى إسلامه ،

---

(١) لفظ منه إضافة على الأصول من شرح المواهب ٢ : ٢١١ . والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٢٢ .
(٢) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٢١١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٢٢ « إنما كان القتال حيث التقى الناس » .
(٣) أى باتفاق الآية والحديث كما فى شرح المواهب ٢ : ٢١١
(٤) قاله الحافظ ابن حجر كما فى المرجع السابق .

فَذلَّ المشركون مِنْ حيث أَرادُوا العزّة ، وقُهِرُوا مِنْ حيث أَرادُوا الغَلَبَة ، (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) اللام للعلة الغائيّة ، جعل الغفران علة للفتح من حيث أنّه سَبَبٌ عن جهاد الكُفّار والسّعى فى إعلاء الدين ، وإزاحة الشِّرْك وتكميل النُّفُوس النّاقصة قهرًا ؛ ليصيرَ ذلك بالتَّدْرِيجِ ٱخْتِيارًا ، وتخليص الضَّعَفَةِ من أيدى الظَّلمة ، وَتَقَدَّم الكلامُ على هذه الآية فى أواخر تنبيهات المِعْرَاج ، ويأْتى له تَتِمةٌ فى الخصائص (ويُتِمَّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتَهُ) إنعامه بإعلاء الدين وضم المُلْكِ إلى النُّبُوّة (عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ) فى تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الديانة (صِراطاً) طريقاً (مُسْتَقِيماً) يُثَبِّتَكَ عليه ، وهو دين الإسلام (ويَنْصُرَكَ الله) به (نَصْراً عَزِيزاً) ذا عِز لاَ ذُلَّ مَعَه (هُوَ الَّذِى أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ) الثَّباتَ والطُّمأْنينة (فِى قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ) حتى يثبتوا ، حتى لا تقلق النفوس وتدحض الأَقدام (لِيَزْدَادُوا إيماناً) يقيناً (مَعَ إيمانِهِمْ) يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها ، أَو أنزل فيه السّكون إلى ما جاءَ به رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم (لِيَزْدَادُوا إيمَاناً) بالشرائع (مَعَ إِيمَانِهِمْ) بالله واليوم الآخر (ولِلهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ) فلو أَراد نصرَ دينه بغيركم لَفَعَلَ (وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى صنعه ، أَى لم يزل مُتَّصفًا بذلك ، ثم ذكر – تعالى – القصة فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفى أَصحابه حتى ٱنتهى إلى ذكر البيعة فقال عزَّ وجلَّ (إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بيعة الرضوان بالحُدَيْبِيَة (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ) أَى ما يبايعون أحداً إلا الله ، أَى ليست تلك المبايعة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل مع الله – تعالى – وكَما رُوعِيتَ المُشَاكَلَةُ بين قوله : (إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) وبين قوله (إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ) بنى عليها قولَه (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) على سبيل الاستعارة التخييلية تتميا لمعنى المشاكلة ، وهو كالترشيح للاستعارة ، أَى إذا كان الله – تعالى – مُبَايِعًا ، ولابُدّ للمبايع – كما تقرَّرَ وٱشْتَهَر – من الصّفقة لليد فتخيّل اليد لتأْكيدِ المُشاكلةِ ، وإلاَّ ، فَجَلَّ جَنابُه الأَقْدَس عن الجارحة ، والمعنى أَنَّ الله
١٧٤ ظ – تعالى – مُطَّلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها / (فَمَنْ نَكَثَ) نَقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) يرجعُ وبال نقضِهِ على نفسه (وَمَنْ أَوْفَى) ثبت (بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ) فى

مبايعته (فَسَنُؤْتِيه) بالفوقية والنون (أَجْرًا عَظِيماً) وهو الجنة ، ثم ذكر تعالى ما المنافقون يَعْتَلُّون به إذا لَقوا رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فقالَ تبارك وتعالى : (سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ) من الأَعراب حول المدينة ، الذين خلَّفهم الله – تعالى – عن صحبتك لَمَّا طلبتهم لِيَخْرُجُوا معك إلى مكة ، خَوْفًا من تَعَرُّضِ قريش لك عام الحُدَيْبية إذا رجعْتَ منها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) الله – تعالى – مِن ترك الخُروج مَعَك ، قال سبحانه وتعالى مكذباً لهم (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ) أى من طلب الاستغفار والاعتذار (مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون فى اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استفهام بمعنى النّفى ، أى لا أحد (يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضَّاد – ما يَضركم كقتل ، وخلل فى المال والأَهل وعقوبة عن التخلف – وبضمها – أى [الهزال وسوء الحال][1] (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) ما يضاد ذلك ؛ لأَنهم ظنُّوا أن تخلفهم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدفع عنهم الضّرر ، ويعجِّل لهم النَّفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم ، فأَخبرهم تبارك وتعالى أنه إن أرادَ بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحدٌ على دفعه (بَلْ) هنا وفيما يأْتى للانتقال من غرض إلى آخر (كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) أى ظننتم أن العدو يستأْصلهم فلا يرجعون ، (وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ) عَدَمَ الانقلاب (فِى قُلُوبِكُمْ) فتمكنَّ فيها (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْماً بُورًا) بواو وراء جمع بائِر أى هالِكِين عند الله – تعالى – بهذا الظَّن (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا) أعددنا وهيئنا[2] (لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارًا شديدة (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) يديرهُ كيف يشاء (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) إذ لا وُجُوبَ عليه (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ولم يزل مُتَّصِفًا بذلك ، ثم ذكر أن النّبى – صلى الله عليه وسلم – وأَصحابَه إذا انطلقوا

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات . والمثبت من لسان العرب ٦ : ١٢٣ وقد جاء فيه « الضر بالضم الاسم دون المصدر ، وهو الهزال وسوء الحال ، وقوله عز وجل (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه) وقوله (كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) فكل ما كان من سوء الحال وفقر أوشدة فى بدن فهو ضر ، وما كان ضد النفع فهو ضر » .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين والمثبت من اللسان .

إلى مغانم لِيَأْخذوها ٱلتَمَس المخلفون الخروجَ لِعَرَضٍ مِنَ الدّنيا ، فقال تباركَ وتعالى . (سَيَقُولُ لك المخَلَّفُونَ) المذكورون (إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا) هى مغانم خَيْبَر ؛ فإنه – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا رجع من الحُدَيْبِيَة أَقامَ بالمدينة مدة ثم غزا خَيْبَر بمن شَهِدَ الحُدَيْبِيَة ففتحها ، وغَنِمَ أَموالا كثيرة فخصّها بهم (ذَرُونَا) اتركونا (نَتَّبِعْكُمْ) لنأْخذ منها (يُرِيدُونَ) بذلك (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) وقرأ حمزةُ والكسائىّ بكسر الكاف ، وهو جمع كَلَام – أى مواعيده بغنائم خَيْبَر أَهْلَ الحُدَيْبِيَة خاصةً (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا) نفى بمعنى النهى (كَذٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) أى مِنْ قبل عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أَنْ نُصِيبَ معكم من الغنائم فقُلْتُم ذالك (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) يعلمون من الدين (إِلَّا قَلِيلاً) منهم (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ)
١٧٥ و المذكورين ٱخْتِبَارًا (سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ) أَصحاب (شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ) / حالٌ مُقَدَّرَةٌ – هى المدعو إِليها فى المعنى (أَوْ) هم (يُسْلِمُونَ) فلا يقاتَلون (فَإِنْ تُطِيعُوا) إلى قتالهم (يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا) هو الغنيمة فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) عن الحُدَيْبِيَة (يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيمًا) مؤلما (لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ) إِثْمٌ فى تركِ الجهاد (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بالياءِ والنّون (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ) فَصَّلَ الوَعْدَ وأَجْمَلَ الوعيد مبالغةً فى الوعد لِسَبْقِ رحمته ثم جمل[1] ذلك بالتكرار على سبيل التّعميم فقال : (وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ) كذلك (عَذَابًا أَلِيمًا) إذ الترهيبُ هنا أَنفعُ من التّرغيب .

ثم ذكر – تعالى – مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشجرة فقال عَزَّ وجَلَّ (لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عن ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعونَكَ) بالحُدَيْبِيَة (تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هى سَمُرَة كما رواه ابن جرير وابن أَبى حاتم عن سلمة ، أَو سِدْرَة كما رواهُ مسلم عن جابر (فَعَلِمَ) الله تعالى (مَا فِى قلوبِهِمْ) من الصدق والوفاءِ (فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ) الطمأْنينة وسكونَ النفس بالتشجيع (عليْهِمْ) ثم ذكر ما أَثابهم عن ذلك فقال : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خَيْبَر

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « أجمل »

بعد انصرافهم من الحُدَيْبِيَة (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) من يهود خَيْبر ، وكانت خَيْبَرُ ذات عقار وأموال ، فقسّمها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بينهم (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) غالباً[1] (حَكِيمًا) أىْ لم يزل مُتَّصِفًا بذلك (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) من الفتوحات التى تُفْتَحُ لكم إلى يوم القيامة (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) غنيمة خيبر ، ثمّ ذكَّرهم نعمته عليهم بِكَفِّ أيدى العدوّ عنهم فقال تعالى : (وَكَفَّ أَيْدِىَ النَّاسِ عَنْكُم) فى عيالكم لما خرجْتُمْ وهمَّت بهم اليهود ، فقذفَ اللهُ - عزّ وجل - فى قلوبهم الرُّعب ، وقِيلَ : كَفَّ أيدى أهلِ مكَّة بالصلح (ولِتَكُونَ) هذه الكفّة أو الغنيمة المعجلة - عَطْفًا عَلَى مُقدَّرٍ أى لِتَشْكُرُوه (آيَةً) علامة (لِلْمُؤْمِنِينَ) يُعرفون بها أنهم من الله - تعالى - بمكان ، أوْ صِدْقَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فى وَعْدِهِم فَتْحَ خَيْبَر حين رجوعِهِ مِنَ الحُدَيْبِيَة (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أى طريقَ التّوكل عليه ، وتفويض الأمر إليه - تعالى - (وَأُخْرَىٰ) صِفَة مَغَانِم ، فيقَدَّرُ مبتدأ (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) بعد ، لما كان فيها من الجولة ، والمراد : فارس والرّوم (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا) لأَن قدرته دائمة لا تختصّ بشىءٍ دون شىء (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالحُدَيْبِيَة ولم يُصَالِحُوا (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ) لانهزَمُوا (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحرسهم (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم (سُنَّةَ اللَّهِ) مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ بمضمون الجُملة قبله من هزيمة الكافرين ونصرِ المؤمنين ، أَى سَنَّ اللهُ - تعالى - ذلك سُنَّة (الَّتِى قَدْ خَلَتْ) مضت فى الأُمم كما قال - تعالى - (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى[2]) (مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) تغييرا منه (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) أى كفار مكة (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحُدَيْبِيَة (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) فإن ثمانين طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم غِرّة، فأُخِذُوا ، فأُتِىَ بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَعَفَا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، فكان ذلك سبب الصّلح (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من مقاتلتهم / ، وقرأ أبو عَمْرو بالتحتية (بَصِيرًا) فيجازيهم عليه (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) عن الوصول إليه (وَالْهَدْىَ مَعْكُوفًا) ١٧٥ ظ

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « عالياً »

(٢) الآية ٢١ من سورة المجادلة .

عليكم ، معكوفا : مَحْبُوسًا ، حَالٌ (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) الذى ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُون وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تعلمُوهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَطَئُوهمْ) تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم فى الفتح ، بدل اشتمال (فتصيبكم منهم) من جهتهم (مَعَرَةٌ) مكروه ؛ بوجوب الدّية ، أو الكفارة بقتلهم ، أو التأسف عليهم ، أو غير ذلك (بِغَيْرِ عِلْمٍ) منكم به ، وضمائر الغيبة به للصنفين بتغليب الذكور ، وجواب لولا محذوف أى لأُذِنَ لكم فى الفتح ولكِنْ لَمْ يؤذن فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يشاءُ) كالمؤمنين المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهمْ) من أهل مكة حينئذ بأَن نَأْذَنَ لكم فى فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً (إِذْ جَعَلَ) متعاق بعذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِى قُلوبهمُ الْحمْيةَ) الأَنفة من الشئ (حميَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) بدَلٌ من حميّة ، وهى صدّهُم رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابَه عن المسجد الحرام (فَأَنْزَلَ اللهُ سكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم ، على أن هذا[1] يعود مِنْ قَابِلٍ ، ولم يلحقهم من الحميّة مَالَحِق الكفّارَ حتّى يقاتلوهم (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطفُ تفسير (وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أى لم يزل مُتَّصِفاً بذلك ؛ ومن معلومه تعالى أن المؤمنين أهلها (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرؤيا بالحق) رأى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فى النوم عامَ الحُدَيْبِيَة قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين يحلقون رؤوسهم ويقصرون ، فأخبر بذلك أصحابه فَفَرِحُوا ، فلَمّا خرجوا معه وصدَّهَم الكفَّارُ بالحُدَيْبِيَة ورجعوا ، وشقّ عليهم ذلك ، وراب بعض المنافقين نزلت ، وقوله تعالى : (بِالْحَقِّ) متعاقٌ بصَدَقَ ، أو حال من الرُّؤيا ، وما بعدها تفسير لها (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) شعورها ، وهما حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) حالٌ مؤكده أو استئناف : أى لا تخافون بعد ذلك (فَعَلِمَ) فى الصلح (مَالَمْ تَعْلَمُوا) من

---

(١) المقصود : أن يعود المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا العام ثم يعود بعد ذلك فى العام القادم .

الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُون ذَلِكَ) أى الدخول (فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خَيْبَر ، وتحقَّقت الرُّؤيا فى العام القابل ، ويأْتى الكلام على تفسير بقيّة السّورة فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

تَنْبِيهاتٌ

الأول : الحُدَيْبِيَة : بحاء مهملة مضمومة ، فدال مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مَفْتُوحة. قال الإمام الشافعى – رحمه الله – وأهل اللغة وبعض أهل الحديث – رحمهم الله – التَّحْتِيَّة مخففة[1] . وقال أكثر أهل الحديث / مُشَدَّدَة. قال النووى – رحمه الله – ١٧٦ و
فهما وَجْهَان مشهوران .

وقال فى المطالع : ضبطنا التخفيف عن المُتقِنين وأما عامة الفُقَهاء والمُحَدِّثين فيشدِّدُونَها . وقال البكرى – رحمه الله – أهلُ العراقِ يُشَدِّدُون ، وأَهْلُ الحجازِ يخَففون .

وقال النحاس – رحمه الله – سأَلت كلَّ مَنْ لقيتُ مِمَّن أثقُ بعلمه عن « الحديبية » فلم يختلفوا عن قراءتها مخففة .

قال أحمد بن يحيى[2] – رحمه الله – لا يجوزُ فِيهَا غيره ، ونصّ فى البارع على التخفيف . وحكى التَّشْدِيدَ ابن سيده – رحمه الله – فى المحْكَم ، قال فى تهذيب المطالع : ولم أره لغيره ، وأشار بعضُهم إلى أنَّ التثقيل لم يُسْمَع حتى يَصح[3] ، ووجهُهُ أن التَّثْقِيل إنما[4] يكون فى المنسوب ، نحو الإِسْكندريَّة فإنها منسوبة إلى الاسكندر وأمَّا الحُديبية »

---

(١) أنظر الخلاف حول تخفيف ياء الحديبية الثانية وتشديدها فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠ وهو لايخرج عما هنا .

(٢) احمد بن يحى هو ثعلب كما فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ .

(٣) كذا فى ط . وفى ت وم « لم يسمع فى فصيح » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ت ، م « بأنه يكون فى المنسوب »

فلا تعقلُ فيها النِّسْبَة ، وياء النسبة فى غير مَنْسُوب قليلة ، ومع قلته موقوف على السماع . والقياسُ أن يكون أصلها حَدْبَاء بزيادة «ألفٍ للإلحاق ببنات الأَربعة ، فلما صغرت انقلبت الأَلفُ ياء ، وقيل : حُدَيْبَة ، وشهد لصحة هذا أقوالهم لُيَيْلَة بالتّصغير ، ولَمْ يَرِدْ لَها مُكَبَّر فَقَدَّره الأَئِمة ليلة لأَن المُصَغَّر فرعُ المُكَبَّر ، ويمتنعُ وجودُ فرعٍ بدون أَصْلِه .

قال المحب الطبرى – رحمه الله – : هى قريبة من مكة أكثرها فى الحرم .

وفى صحيح البخارى عن البراء « الحديبية » بِئْر . قال الحافظ – رحمه الله – يُشِيرُ إلى أَنَّ المكان المعروف بالحُدَيْبِيَة سمى ببئرٍ كانت هنالك ، هذا اسمها ، ثم عُرِفَ المكانُ كُلُّه بذلك ، وَبَيْنَهَا وبين مكة نحو مرحلة واحدة ، وبين المدينةِ تِسْعُ[1] مَرَاحل

الثانى : قَالُوا كانت سَنَةَ ستّ ، قاله الجمهور ، فى ذى القِعْدة ، وقال هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ عن أبيه – رحمهما الله – فى شوال ، وشَذَّ بذَلِكَ هِشَامُ عن الجمهور . وقد وافق أبو الأَسود عن عُرْوَة الجمهور . وفى البخارى عن عائشةَ – رضى الله عنها – قالت : مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلاَّ فِى ذِى القِعدَة ، وفيه عن أَنَسٍ – رضى الله عنه – اعْتَمَرَ رَسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلهُن فِى ذِى الْقِعْدَة ، فذكر منها عُمْرَةَ « الحُديبية » .

الثالث : اخْتَلَفَت الرواياتُ فى عِدَّةِ مَنَ كَان مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيها ، فَفِى رِوَايَةِ عبد العزيز الأَفاقى عن الزُّهْرِى فى حديث الْمِسْوَر ، ومروان : أَلف وثمانمائة .

وفى رواية إِسْرَائيلَ عن أَبى إِسْحَاقَ عن البراء : كُنَّا أَربع عشرة مائة .

وفى رواية زهير بن معاوية عن أَبى إِسْحَاق كانوا أَلفًا وأَربعمائة أَو أَكثر .

---

(١) انظر الخلاف حول المسافة التى بين الحديبية و كل من مكة والمدينة فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ .

وفى رواية لسالم بن أَبِى الْجَعْد عن جابر : أَنهم كانوا خَمْسَ عَشْرة مائة ، وكذلك رواية سَعِيدِ بنِ الْمُسَيَّب عنه ، وكذلك رواية[1] ابن أَبِى شَيْبَة عن مُجَمّع بن جارية .

قال الحافظ – رحمه الله – والجمْعُ بين هذا الاختلاف أَنهم كانوا أَكثر من أَلف وأَربعمائة ، فَمَنْ قال أَلف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال أَلف وأَربعمائة أَلغاه . ويؤيده قول البراء فى روايةٍ عنه : كُنَّا أَلفًا وأَربعمائة أَو أَكثر ، واعتمد على هذا الجمع النووى – رحمه الله / . وأَما البيهقى – رحمه الله – فَمَالَ إِلى التَّرْجِيح ، وقال : ١٧٦ ظ
إِن رِوَايَةَ مَنْ قال أَلفاً وأَربعمائة أَرجح ، ثم روى مِنْ طريق أَبِى الزبير ومن طريق سفيان بن عمر بن دينار ، كِلاَهُمَا عَن جابر كذلك .

ومن رواية مَعْقل بن يَسَار عن سَلَمَةَ بنِ الأَكوع ، والبراء بن عازب ومِنْ طريق قَتَادَة عن سَعِيدِ بنِ الْمُسَيَّب عن أَبيه ، ومعظم هذه الطرق عن مسلم .

ووقع عند ابن سعد – رحمه الله – فى حديث مَعْقل بن يَسَارٍ : زُهَاءَ أَلف وأَربعمائة ، وهو أَيْضًا فى عدم التَحْدِيد .

وأَما قولُ عبد الله بن أَبِى أَوفى – رحمه الله – : كُنَّا أَلفاً وثلثمائة كما رواه البخارى ، فَيُمْكن حَمْلُه على ما اطَّلَعَ عليه ، واطلع غيْرَه على زيادة أُنَاسٍ لم يَطَّلعْ هو عليهم ، والزيادة مِنَ الثِّقَة مقبولة . أَو الْعَدَد الَّذِى ذَكَرهُ عَدَد الْمُقَاتِلة . والزِّيَادَةُ عليها من الأَتْبَاع من الْخَدَمِ والنِّسَاءِ والصِّبْيَان الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُم .

وأَمَّا قَوْلُ ابن إِسْحَاقٍ – رحمه الله – إِنَّهُم كانُوا سبعمائة فَلَمْ يُوَافِقه [أحد[2]] عَلَيه ؛ لأَنَّه قَالَهُ اسْتِنْباطاً من قَوْلِ جَابر – رضى الله عنه – : نحرنا الْبَدَنَةَ عن عَشْرَةٍ ، وكَانُوا نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَة . وهذا لَا يَدُلُّ على أَنَّهُم لم ينحروا غير الْبُدْن ، مَعَ أَنَّ بَعْضَهم لم يكن أَحْرَمَ أَصْلاً . وقال ابنُ الْقَيِّم : مَا ذَكَرَه ابْنُ إِسْحَاق غَلَطٌ بَيِّن ، واسْتَدَلَّ به مِنْ أَنَّهم نَحَرُوا سَبْعِين بدنة ، والبدنة جاءَ إِجزاؤها عن سبعة وعن عشرة ، وهذا

---

(١) كذا فى ط ، ت ، م « رواه » .

(٢) سقط فى الأصول . والإضافة من شرح المواهب ٢ : ١٨٠ .

لا يدل على ما قاله فإنَّه قَدْ صَرَّحَ أن البَدَنَة فى هذه العُمْرَة عن سَبْعَة ، فلو كانت السَّبعُونَ عنْ جَمِيعِهِمْ كانوا أربعمائة وتسعين رجلا ، وقد قَالَ فِى تَمَامِ الْحَدِيثِ بعَيْنِه : إنَّهم كَانُوا أَلْفًا وأربعمائة .

وأَمَّا مَا وقَعَ فِى حَدِيثِ المِسْوَر ومَرْوَان عن البُخَارى أنهم خرجُوا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بضع عشرة مائة ، فَيُجْمَعُ أَيْضًا بِأَنَّ الَّذِين بَايَعُوا كَانُوا كما تقدم . وأَمَّا الَّذِينَ زَادُوا على ذَلِكَ فَكَانوا غَائبين عنها ، كَمَنْ تَوَجَّه مع عثمان ـ رضى الله عنه ـ إلى مَكَّة ، على أنَّ لَفْظَ الْبِضْع يَصْدُق على الخمس والأربع ، فلا تخَالف .

وَجَزَمَ ابنُ عقبة[1] بأَنَّهم كَانُوا أَلْفًا وسِتَّمائة ، وفى حديث سَلَمة بن الأكوع عند ابن أَبِى شَيْبَةَ أَلْفًا وسَبْعَمائة . وحكى ابنُ سَعْد : أنهم كانوا أَلْفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين . وهذا[2] إنْ ثَبَتَ تَحْرِير[3] بالغ .

وزاد ابن مَرْدَويه عن ابن عبَّاس ، وفيه ردٌّ على ابن دِحْية ، حيْثُ زَعَمَ أَنَّ سَبَبَ الاختلاف فى عددهم ، أنَّ الَّذِى ذَكَرَ عَدَدَهُم لم يَقْصِد التَّحْديد ، وإنما ذكره بالْحَدْسِ والتَّخْمِين .

الرابع : فى أَخْذِهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذَاتَ الْيَمِين عَنْ خَالِدٍ وجَيْشِه ، جواز الاسْتِتَارِ عَنْ طلائع المشركين ومُفَاجَأتِهم بِالْجَيْش طَلَبًا لِغِرَّتهم .

الخامس : فى استشارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَصْحَابَه ، استحباب مشورَةِ الإمام رَعِيَّتَه وَجَيْشَه اسْتِخْراجاً لِوَجْه الرأى ، واستطابة لِنُفُوسِهم ، وأن يخَصِّصَ بِه بَعْضَهم دُونَ الْبعض .

السادس : فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مَا خَلأَت وَمَا ذَاكَ لَهَا بخُلُق ، جَوَازُ الحُكْمِ عَلَى الشَّىء بِمَا عُرِفَ من عَادَته ، وإن جَازَ أَنْ يَطْرَأَ عليه ، وإذَا وَقَعَ مِنْ

---

(١) هو موسى بن عقبة كما جاء فى المرجع السابق .

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ١٨٠ « قال الحافظ وهذا إن ثبت تحرير بالغ » .

(٣) فى ط « تحديد » والمثبت عن ت ، م . ويوافقه ماق شرح المواهب .

شَخْصٍ هَفْوَة لَا يُعْهَدُ مِثْلُهَا مِنْه لا تنسب إليه وَيُردُّ على مَنْ نسبه إليها مِمَّن ، لَا يَعْرِفُ / / صورة حَاله ، لأن خلاًَ القصواء لوْلَا خَارِقُ الْعَادَةِ لَكَانَ مَا ظَنَّه الصَّحَابَةُ جَمِيعًا صَحِيحًا ، ١٧٧ و
ولم يُعَاتبهم النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – بِعُذْرِهم فى ظَنِّهم .

السابع : قوله – صلى الله عليه وسلم – حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ : أى حبسها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن دخول مكة كما حَبَسَ الفيلَ عن دُخُولها ، وقصة الفيل مشهورة ، وتقدمت الإشارة إِلَيْهَا . ومناسبةُ ذكرها أن الصَّحَابَة لو دَخلُوا مَكَّةَ على تِلْكَ الصُّورَةِ وصدَّتْهم[١] قريشٌ عن ذلك لَوَقَعَ بَيْنَهم قِتَال قَدْ يُفْضِى إلى سَفْكِ الدِّمَاء ونَهْبِ الْأَمْوَال ، كما لو قُدِّرَ دُخُولُ الفيل وأَصْحَابه مكة ، لكن سَبَق فى عِلْمِ الله – تعالى – فى الْمَوْضِعَيْن أَنَّه سَيَدْخُل فى الإِسْلَام خَلْقٌ منهم ، وسَيَخْرُجُ من أَصْلَابهم ناسٌ يُسْلِمُون ويُجَاهِدُون . وكان بمكة فى الحُدَيْبِيَة جمعٌ كثيرٌ مُؤمنون مِنَ الْمُسْتَضْعَفِين من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والْوِلْدَان ، فَلَوْ طَرَقَ الصحابةُ مَكَّةَ لَمَا أُمِنَ أَنْ يُصابَ مِنْهُم نَاسٌ بِغَيْرِ عَمْدٍ[٢] كما أَشَارَ إلى ذَلِكَ تَبَارَكَ وتعالى – فى قوله : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ﴾[٣] الآية .

الثامن : اسْتَبْعَدَ المهلبُ جَوازَ إِطْلَاقِ حَابِسِ الفِيل عَلَى الله عز وجل ، وقال : المرادُ حَبَسَهَا أمر الله سبحانه وتعالى . وتُعقِّبَ بأنه يَجُوزُ إطلاقُ ذلك فى حقِّ الله – تعالى – فيقال : حَبَسَهَا اللهُ حَابِسُ الفيل ، وإنما الذى يمكن أن يُمْنَع تَسْمِيَتُه – تَعَالى – حَابِسَ الفِيل ونحوه ، كما أجاب به ابن المنير ، وهُوَ مَبْنِىٌّ عَلَى الصَّحِيح من أَنَّ الأَسْمَاءَ تَوْقِيفِيَّة .

وقد تَوَسَّطَ الغزالىُّ وطائِفَةٌ فقَالُوا : مَحَلُّ المَنْع مَالَمْ يَرِد نص بما يُشْتَقُّ منه بشَرْطِ أَلاَّ يكون ذلك الاَسْمُ المُشْتَقُّ منه مُشْعِرًا بنَقص ، فيجوزُ تَسْمِيَتُهُ بالواق ﴿ وَمَنْ

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وصدهم » ويتفق شرح المواهب ٢ : ١٨٤ مع ط .
(٢) كذا فى ط وشرح المواهب ٢ : ١٨٤ . وفى ت ، م « بغير عهد » .
(٣) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

تَق السَّيِّئات يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَه)(١) ولَا يَجُوزُ تَسْمِيَتُهُ الْبَنَّاء(٢) وإنْ وَرَدَ فى قوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ)(٣) .

التاسع : فى قوله – صلى الله عليه وسلم – : « حَبَسَهَا حَابِسُ الفيل » جَوَازُ التَّشْبِيه من الجِهة العَامَّة ، وإن اخْتَلَفت الجِهَةُ الخاصَّة ، لأَن أَصْحابَ الْفِيل كَانُوا عَلَى بَاطِلٍ مَحْضٍ ، وَأَصْحاب هَذِه النَّاقة كانُوا على حَقٍّ محضٍ ، ولكن جَاز التَّشْبِيهُ من جِهَة إرَادَةِ الله – تعالى – مَنْع الْحَرم مُطْلَقًا ، أما مِنْ أَهْل البَاطِلِ فَوَاضِح . وأَمَّا مِنْ أَهْل الحَقِّ فَلِلْمَعْنَى الَّذِى تَقَدَّمَ ذِكْره فى الرابع .

العاشر : قولُه – صلَّى الله عليه وسلم – : « والَّذِى نَفْسِى بيَده لَا يَسْأَلُونى اليَوْمَ خُطَّةً .... إلى آخره » . قال السُّهيلى رحمه الله : لَمْ يَقَعْ فى شىءٍ من طُرُقِ الحديث ، أنه قالَ إنْ شَاءَ اللهُ – تعالى – مع أنَّه مأْمورٌ فى ذَلِكَ فى كُلِّ حَال .

قال : والجوابُ عن ذَلِكَ أنه كَانَ أَمْرًا واجبًا حَتْمًا ، فلا يُحْتَاج مَعَه للاَسْتِثْنَاء ، وتعقب بأَنَّه – تعالى – قَالَ فى هذه القِصَّة (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) فَقَالَ : إنْ شاءَ الله ، مَعَ تَحْقِيق وقُوعِ ذَلِكَ تعليماً وإرْشَادًا . فالأولى أن يُحْمَلَ على أَنَّ الاَسْتِثْنَاء سَقَطَ مِنَ الراوى ، أَو كَانَت القِصَّةُ قَبْلَ نزول الأَمر بذلك ، ولا يُعَارِضُه كون الكَهْف مَكِّيَّةً ، إذْ لَا مَانع من أَن يَتَأَخَّرَ نُزولُ بَعْضِ السُّورة ، وفى
١٧٧ ظ قوله – صلى الله عليه وسلم – « وَالَّذِى نَفْسِى بَيَده » الخ / تأْكيدُ القَوْلِ باليمين ليكونَ أَدْعَى إلى القَبُول . وقد حُفِظَ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الْحَلِف فى أَكْثَر مِنْ ثَمَانِين(٤) موضعاً ، كما سيأْتى بَسطُ ذَلِك فى بابه .

الحادى عشر : فى حديث البراء فى شفير بئر الحديبية أَنَّه – صلَّى الله عليه وسلم – تَوَضَّأَ فَمَضْمَضَ وَدَعَا ثم صَبَّه فيها ، وفى حديث المسْوَر ، ومَرْوَان أَن رسولَ الله – صلى

---

(١) الآية ٩ من سورة غافر .

(٢) كذا فى ط . وشرح المواهب ٢ : ١٨٤ . وفى ت ، م « بالبنا » .

(٣) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٤) قاله ابن القيم كما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ .

الله عليه وسلم - انتزع سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِه ثُمَّ أمرهم أَنْ يَجْعَلُوهُ فيها ، ويمكن الجمعُ بأَنَّ الأَمرَين وَقَعَا مَعًا ، ويُؤيِّدُ ذلك مَا رَوَاهُ محمَّدُ بنُ عُمر من طريق أَوْس بن خَولى أنّه - صلَّى الله عليه وسلم - تَوضَأَ فى الدَّلْو ثُمَّ أَفْرَغه فِيهَا وَانْتَزَعَ السَّهْمَ ثُمَّ وضَعَهُ فِيها ، وهكذا ذكر أَبُو الأَسْود عن عُرْوَة أنه - صلى الله عليه وسلم - تَمَضْمَضَ فى الدَّلْو وصَبَّه فى الْبئر ، ونزع سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِه فَأَلْقَاهُ فِيهَا ففارت .

الثانى عشر : اخْتُلِفَ فى النَّازِلِ بِالسَّهمِ ، فعند ابن إسْحَاق عَنْ رِجَال مِنْ أَسْلَم : أَنّه نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُب . قال ابنُ إسْحَاق : وَزَعَمَ بَعْض أَهْلِ العِلْمِ أَنّه الْبَرَاءُ بن عَازِب .

وروى مُحَمَّدُ بن عمر عن خالد بن عبادة الْغِفَارِىُّ قَالَ : أَنَا الَّذِى نَزَلْتُ بالسَّهْم ، ويمكن الجَمْعُ بأَنَّهم تَعَاوَنُوا عَلَى ذلك(١) .

الثالث عشر : فى حَدِيثِ جَابِر - رضى اللهُ عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بالحُدَيْبِيَة رَكْوَة فَتَوَضَّأَ فِيهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوهُ فَقَالَ « مَالَكُمْ ؟ فَقَالُوا : يَارَسُولَ الله : لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوضَّأُ وَلَا نَشْرَب إلا مَا فِى رَكْوَتِك . قَالَ : فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَهُ فى الرَكْوَة ، فجعل الماءُ يفورُ مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِه كَأَمْثَال العُيُون ، قَالَ : فَشَرِبْنَا وتوضَّأْنا .

وجَمَعَ ابنُ حِبَّان بَيْنَ حَدِيثِ جَابِر هَذَا وبين مَا تقدم بأَنَّ ذلك وَقَعَ مَرَّتَيْن فى وقتين ، وقال مَا تقدَّمَ فِى حَدِيث الْبَرَاء والْمِسْوَر وَمَرْوَان غير مَا فِى حَدِيث جَابر ، وَكَانَ حَدِيثُه قَبْل قصَّة البِئر ، وقال فِى مَوْضِعٍ آخر فى حديث جابر فى الأَشربة [مِنْ كتاب البخارىّ](٢) أَنَّ نَبْعَ الماءِ كَان حين حضرت صَلاةُ العَصْرِ عِنْد إرادَةِ الْوضوءِ ،

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ « قال الحافظ فى المقدمة : روى ابن سعد من طريق أبي مروان ، حدثنى أربعة عشر رجلا من الصحابة الأنصار : أن الذى نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل هو ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عبادة عن خالد - حكاه عن الواقدى - ووقع فى الاستيعاب خالد بن عبادة وقال فى الفتح يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره » .

(٢) مابين الحاصرتين من شرح المواهب ٢ : ١٨٦ .

وحديث البراءِ كان لإرَادَةِ ما هو أعَمّ من ذلك ، ويحتمل أنَّ الماءَ انفجر من أصَابعه ويَده فى الركوة وتوضَّأ كلهُم وَشرِبُوا ، وَأمَرَ حينئذٍ بِصَب الماءَ الَّذِى فى الركوةِ فى البئر فتكَاثَر الماءُ فِيهَا .

الرابع عشر : اقتصَر بديل بن ورقاء على قوله : تَرَكتُ كَعْبَ بن لُؤَىّ ، وَعَامِرَ ابْنَ لُؤَىّ ؛ لكون قريش الذين كانوا بِمكَّة أجمع تَرْجِعُ أنْسابُهم إلَيْهما ، وَبَقِى مِنْ قُرَيْشٍ بَنُو سَامَة بن لُؤى ، وَلَمْ يكُن بمَكَّةَ منهم أحد ، وكذلك قُرَيْشُ الظَّوَاهِر ، وتَقَدَّمَ بَيَانهم فى [من][1] اسمه القريشى .

قال هشام بن الكلبى : بنو عامر بن لُؤَى وكعب بن لؤى هما الصريحان لاشَكَّ فيهما ، بِخِلاَفِ سَامَة وعَوف ؛ أى فَفِيهِمَا خِلاَف ، قال : وَهُم قُرَيْشُ الْبِطاح ، بِخِلاَف قُرَيش الظَّوَاهِر وفى موالاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

الخامس عشر : قوله – صلى الله عليه وسلم – « إنْ أظْهَر فإن شاءُوا » إلخ إنَّمَا رَدَّدَ ١٧٨ و – صلى الله عليه وسلم – الأَمْرَ مَعَ أنَّهُ جَازِمٌ بأَنَّ اللهُ سَيَنْصُرُهُ / ويُظْهِرُهُ ؛ لِوَعْدِه – تعالى – لَهُ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيق التَّنَزُّل مَعَ الخصم وَفَرَضَ الأَمْرَ عَلَى مَا زَعَمَ الخَصم ، وَلِهَذِه النكتة حَذَفَ الْقِسْمَ الأوَّل وَهُوَ التَّصْرِيح بِظُهُورِ غَيْرِهُ ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك « ولَيُنْفِذَنَّ[2] اللهُ أمْرَه » – بِضم ٍّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ الفَاء ؛ أىْ لَيُمْضِيَنَّ الله – تعالى – أمْرَهُ فِى نَصْرِ دِينهِ ، وحسن الإتيان بِهَذَا الجزم بعد ذَلك التَّرْدِيد للتنبيه على أنَّه لم يُورِدْه إلاَّ عَلَى سبيل الفَرْض ، ووقع التصريح بذكر القِسَم الأَول فى رواية ابن إسحاق[3] كما فى القصة ، فالظَّاهر أنَّ الحَذْف وقع من بعض الرُّواة .

السادس عشر : قَوْلُ عُروَةَ لقريش ألسْتُم بالوالدِ وألسْتُ بالوَلَد هُوَ الصَّواب ، ووقع لبعض رُوَاةِ الصَّحيح عَكْسُ[4] ذلك ، وَزَعَم[5] أن كلّ واحدٍ منكم كالولد ،

---

(١) إضافة يقتضيها السياق . وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٧ « إنما اقتصر على هذين لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع إليهما ، وبقى من قريش بنو سامة بن لؤى وبنو عوف بن لؤى وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد ، وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنوتيم بن غالب ومحارب بن فهر » .

(٢) وضبطها الزركشى والدمامينى بفتح النون الأولى وشد الفاء المكسورة ، انظر شرح المواهب ٢ : ١٨٨ .

(٣) رواية ابن اسحاق « فوالله لا أزال أجاهد – الخ » السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٠٩ .

(٤) يقصد المصنف رواية أبى ذر : ألستم بالولد وألست بالوالد ؟ ، انظر شرح المواهب ٢ : ١٨٩ .

(٥) فى ت ، م « ووهم » والمثبت من ط .

وقيل : معناه أَنْتُم حَى قَدْ وَلَدَنِى ، لكون أُمِّى مِنْكُم ، وهذا هو الصحيح ، لأنه كَانَ لِسُبَيْعَةَ بنْت عَبْد شَمْس .

السابع عشر : فى قِيام المغيرة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالسَّيْف ، جَوَازُ الْقِيَامِ على رأس الأَمين لَهُ بِقَصْدِ الْحِرَاسَةِ ، وَنَحْوها من تَرْهِيْبِ الْعَدُوّ وَلَا يُعَارِضُه النَّهْىُ عَن الْقِيَام عَلَى رأْسِ الْجالِسِ ، لأَن مَحَلَّه إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ العَظَمَة والكِبْر .

الثامن عشر : كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يَتَنَاول الرجل لحْية من يكلمه وَلَا سِيَّمَا عند المُلاَطَفَة ، وفى الغَالِب إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النظير ، بالنظير لَكِنْ كَانَ الرَّسُولُ – صلى الله عليه وسلم – يُغْضِى لِعُرْوَةَ عن ذَلِكَ اسْتِمَالَةً لَهُ وتَأْلِيفًا لَه ، والمغيرةُ يَمْنعه إِجْلَالاً لِرَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وتعظيما .

التاسع عشر : فى تعظيم الصحابة_رضوانُ الله عَلَيْهم – رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – مَا ذِكْرُه يعد إِشارة منهم إِلَى الرَّدِّ على ما خَشِيَهُ عُرْوَةُ مِنْ فِرَارهم ، وَكَأَنَّهُم قَالُوا بِلِسَانِ حَالِهِم : مَنْ يُحِبُّ إِمَامَه هَذِهِ الْمَحَبَّة يُعَظِّمُه هَذَا التَّعظيم كَيْفَ يُظَنُّ بِهِ أَنَّه يَفِرُّ عنه وَيُسْلِمُه لعَدُوِّه بل هُمْ أَشَدُّ اغْتِبَاطًا بِهِ وَبِدِينِه ونَصْرِهِ مِنَ الْقَبَائل التى يُرَاعِى بَعْضُها بَعضًا بمجرَّد الرحم .

العشرون : استشكل قَوْلُه – صلى الله عليه وسلم – فى مِكْرَز هَذَا رَجُلٌ فَاجِر أَو غَادِر مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ فِى قِصَّةِ الحُدَيْبِيَة فُجُور ظاهِر ، بَلْ فيها ما يُشْعِرُ بِخِلَاف ذَلك كَمَا سَبَقَ فِى الْقِصَّة ، وفى إِجَازَتِهِ أَبَا جنْدَل لأَجل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا امتنع سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو – رضى الله عنه – قبل إسلامه ، وَأُجِيب : قال محمد بنُ عمر فى مَغَازِيه فى غزوة « بدر » إِنَّ عُتْبَة بن ربيعة قال لقريش كَيف نخرج من مكة وبَنُو كِنَانة خلْفَنَا لانأْمنهم عَلَى ذَرَارِينَا ؟ قَالَ : وَذَلِكَ أَنَّ حَفْص بن الأَخْيف – بخَاء مُعْجَمَة فَتَحْتِيَة وَبالفَاء – والد مِكْرَز كان لَهُ وَلدٌ وَضِيءٌ فَقتَلَه رَجُلٌ مِنْ بَنِى بَكْر ابْن عَبْدِ مَنَاة بدَم لَهُم ، كَانَ فِى قُرَيْش ، فتكلَّمتْ قُرَيْش فى ذَلِكَ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا ، فَعدَا مِكْرَزُ بْنُ حَفْص بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَامِر بْن يَزِيدِ ، سيِّدِ بَنِى بَكْرٍ غِرَّةً فَقَتَلَه ،

فنفرت مِنْ ذَلِكَ كِنَانَة ، فجاءَت وَقْعَةُ بَدْرٍ فِى أَثْنَاءِ ذَلِكَ ، وَكَانَ مِكْرَز مَعْرُوفاً بِالْغَدْر / وتقدَّم فِى الْقِصَّةِ أنه أَرَادَ أَنْ يُبَيِّتَ الْمُسْلِمِينَ بالْحُدَيْبِيَة ، فَكَأَنَّه - صلى الله عَلَيْه وسلَّم - أَشَارَ إِلَى هذا. ١٧٨ ط

الحادى والعشرون : فى صحيح مسلم عَنْ سَلَمَة بن الأَكْوَع - رضى اللهُ عَنْه : أَنَّهُ أَول [من][1] بايع .

وروى الطَّبَرَانِىُّ وغيره كما فِى الْقِصَّةِ عن الشَّعْبِى [ورواه][1] ابن مندة عن زِرّ بن حبيش - رحمهما الله - أن أَوَّلَ مَنْ بَايَع أبوسنان[2] الأسدى ، والجمع [ممكن][3] بينهما .

الثانى والعشرون : فى حديثِ سَلَمة بن الأكوع - رضى الله عنه - أنهم بَايَعُوا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - على الموت ، وفى حَديث جَابِرٍ وغَيْره : على أنه لا يَفِرُّ ، وَقَالَ الحافظ : لَا تَنَافى بَيْنَهُمَا ؛ لأن المُراد بالْمُبَايَعَةِ عَلَى الْمَوْت أَلاَّ يفِرُّوا وَلَو مَاتُوا ، ولَيْسَ المُرَادُ أن يَقَعَ الْمَوْتُ وَلَابُدّ ، وهو الَّذى أنكره نافع وَعَدَلَ إِلَى قَوْلِهِم ، بَلْ بَايَعَهُم عَلَى النَّصْر ، أَىْ عَلَى الثَّبَات ، وَعَدَمِ الْفِرَار ، سَوَاءٌ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى الْمَوْتِ أَمْ لَا . وَقَالَ فِى مَوْضِعٍ آخر : مَنْ أَطْلَق أن بَيْعَته كَانَتْ عَلَى الْمَوْتِ أَرَادَ لَازِمَهَا لأَنَّهُ إذا بَايَعَ عَلَى أَلاَّ يَفِرُّوا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَثْبت ، وَالَّذِى يَثْبُتُ إِمَّا أَنْ يَغْلِب وَإِمَّا أَنْ يُؤْسَر ، والذى يُؤْسَر إِمَّا أَنْ يَنْجُو وإما أَنْ يموت ، وَلَمَّا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُؤْمَنُ فِى مِثْلِ ذَلِكَ أَطْلَقَهُ الرَّاوى ، وحاصِلُه أَنَّ أَحَدَهما حَكَى صُورَةَ الْبَيْعَة وَالآخر حَكَى ما تؤول إليه .

---

(١) سقط فى الأصول ، والإضافة من شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) وقيل ابنه سنان لأن أباه مات فى حصار بنى قريظة.قاله الواقدى وضعفه بعض الحفاظ (شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت من شرح المواهب ٢ : ٢٠٨ حيث قال « والجمع ممكن و كلهم بايع مرة إلا ابن عمر فبايع مرتين مرة قبل أبيه ومرة بعده كما فى الصحيحين وإلا سلمة بن الأكوع فبايع مرتين كما فى البخارى ، وثلاثا كما فى مسلم ، قال ابن المنير : والحكمة فى تكراره البيعة لسلمة أنه كان مقداماً فى الحرب فأكد عليه العقد احتياطاً ، قال الحافظ : أو لأنه كان يقاتل قتال الفارس والراجل فتعددت البيعة بتعداد الصفة » .

الثالث والعشرون : مِنَ الْصحابةِ رضى اللهُ عنهم مَنْ بَايَعَ مَرَّتين، وهو عبدُ اللهِ بن عُمَرَ، وقد اخْتُلِفَ فى سببِ مبايعته قَبْلَ أبيه رضى الله عنهما ، كما تَقَدَّم فى القصة عن نافع عنه . وجمع بـأنه بعثه يُحضر الْفَرَسَ ورأى الناسَ مجتمعين فقال أنظُر ما شأنُهم فغدا يكشفُ حالَهم فوجَدَهُم يُبَايِعُونَ فَبَايَعَ وَتوجَّهَ إلى الْفَرَسِ فَأَحْضَرَهَا ، وأعادَ حِينئذٍ الجواب على أبيه فخرجَ وخرجَ معهُ فبايع عُمَرُ وبايع ابنُ عمرَ مرة أُخرى .

الرابع والعشرون : من الصحابة رضى الله عنهم من بايعَ ثلاثَ مراتٍ ، وهو سَلَمَة ابن الأَكْوَعِ رضى الله عنه - طَلَبَ ذلك منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع علمهِ بـأنهُ بايعَ قبل .

قَال المهلبُ : أرادَ صلى الله عليه وسلم أنْ يُؤَكِّدَ بيعتهُ لسَلَمة لعلمه بشَجَاعتهِ وغَنائهِ فى الإسلام وشهرتِه بالثَبَاتِ ، فلذلك أَمَرَه بتكريرِ المبايعةِ ليكونَ له فى ذلك فضيلة .

قال الحافظ : ويحتملُ أن يكونَ سلمةُ لما بَدَر إلى المبايعة ثم قعدَ قريباً ، واستمرّ الناسُ يبايعون إلى أن خفوا ، أَرادَ صلى الله عليه وسلم منه أن يبايعَ لتتوالى المبايعة معه ولا يقع فيها تخلُّل ، لأن العادة فى مبدإِ كل أمرٍ أن يكثر من يباشره فيتوالى ، فإذا تناهى قد يقع بين من سيجىءُ آخرا تَخَلُّل وَلاَ يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ اخْتِصَاصُ سَلَمَةَ بِمَا ذَكَرَه ، وَالْوَاقِع أَنَّ الَّذِى أَشَارَ إليه المهلبُ مِنْ حَال سَلَمَةَ فى الشجاعة وَغَيْرِهَا لَمْ يكن ظَهَرَ بَعْد» لأنه إنَّمَا وَقَعَ مِنْهُ بعد ذلك فى غزوة ذِى قرد كما سيأتى ، حَيْثُ اسْتَعَادَ السرح الَّذِى كَانَ المشركون أغارُوا عَلَيه ، فاسْتَلَبَ ثِيَابَهُمْ ، وَكَانَ آخرُ أَمْرِهِ أَنْ أَسْهَمَ لَهُ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - سَهْمَ الْفَارِس والرَّاجل .

فالأَولى أَن يقال/ تَفرَّسَ فيه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ذَلِكَ فبايعه مرتين ، ١٧٩
وأَشَارَ إلى أنه سيقوم فى الحَرْبِ مَقَامَ رجلين فَكَانَ كَذَلِكَ .

قُلْتُ : وَلَمْ يَسْتَحْضِرْ الحَافِظُ ما وَقَعَ عِند مسلم : أنه - صلى الله عليه وسلم - بَايَعه ثَلاَثَ مَرَّات ، وَلَوْ اسْتَحْضَرَهُ لَوَجَّهَه .

الخامس والعشرون : الحكمة فى قَطْعِ عُمَرَ الشَّجَرَة وفى إخفاءِ مَكَانِهَا أَنَّه لَا يحصُلُ بها افْتتان لِمَا وَقَعَ تَحْتَها مِنَ الْخَيْر ، فَلَوْ بَقِيَت لَمَا أَمِنَ مِنْ تَعظِيم الْجُهَّال لها حَتَّى

رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمْ أَنَّ لَهَا قُوَّة نَفع وَضُرّ كَمَا نَراه الآن شَاهِدًا فيما دُونَها ، وإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عُمَرُ بقَوْلِه : «كانت رحمةً مِن الله» ، أَى كان إِخْفاؤُهَا بَعْدَ ذَلِكَ رحمةً من الله تَعَالى ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يكون مَعْنَى قوله « رحمة من الله » أَى كَانَت الشجرةُ مَوْضِعَ رَحْمَة ومحل رِضْوَانه لِانْزاله الرضى على المؤمنين عِنْدَهَا . وقولُ المُسَيَّب والدُ سَعيد أُنسيناها ، وفى لفظٍ نسيناهَا ، أَى نَسِينَا موضعها بدليل قوله : فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا.

وفى رواية عند الإِسماعيلى فعمى عَلَيْنَا مكانها . وقولُ المُسَيَّب وابن عمر : أَنهما لم يعلما مكانها ، لا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِها أَصْلاً ، فَقَدْ قال جَابر كما فى الصحيح : لَوْ كُنْتُ أَبصر الْيَوْمَ لأَريتكم مكان الشجرة ، فهذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه كَانَ يَضْبِطُ مَكَانَهَا بِعَيْنِه ، وإِذَا كَانَ فى آخر عمره بعد الزمان الطويل يَضْبِطُ مَوْضعها ، ففيه دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ كانَ يعرفُها بِعينها ، قبلَ أَن يَقْطَعَها عُمَرُ - رضى اللهُ عنه .

السادس والعشرون : جزم أَبن إِسْحَاق وابن سعدٍ والجمهور بِأَن مدَّةَ الصُّلْح عشر سنين ، وَرَوَاهُ الْحَاكِم عَنْ عَلِيّ - رضى اللهُ عنه - وَوَقَعَ فى مغازى ابن عائِذ فى حديث ابن عباس وغيره أَنَّهَا كَانَتْ سنتين ، وَكَذَا وقع عند ابن عُقْبة ، ويجمع بِأَنَّ الَّذِى قَالَه ابن إِسحاق هى المدة الَّتِى وَقَعَ الصُّلْحُ فِيها حَتَّى وَقَعَ نَقْضُه عَلَى يَدِ قُرَيْش كما سَيأْتى بَيَانه فى غزوة الفتح .

وأَمَّا مَا وَقَعَ فى كامل ابن عَدِىٍّ ومُسْتَدْرَك الحاكم ، والأَوْسَط للطَّبَرَانى من حديث ابن عمر أَنَّ مُدَّةَ الصُّلح كَانَتْ أَربع سنين ، فَهُو مع ضَعْفِ إِسْنَادِه مُنكر مُخالِفٌ لِلصَّحيح .

السابع والعشرون : الذى كتب كتابَ الصُّلح بينَ رسُول الله - صلى الله عليه وسلم - وبَيْنَ سُهَيلٍ ، علىُّ بن أَبى طالب - رضى الله عنه - كما رَوَاه البُخَارى فى كِتَابِ الصلح عن البراءِ بن عَازِب - رضى الله عنهما - ، وعمر بن شَبَّة من حَدِيثِ سَلَمَة بن الأَكوع ، وإِسْحَاق بن رَاهويه عن الزُّهْرى . وَرَوَى عُمَرُ بنُ شبة عن عَمْرو بن سُهيل بن عمرو عن أَبيه قال : الكتاب عندنا كَتَبَهُ[1] محمد بن مَسْلَمة ، ويُجْمَع بأَن أَصل كتاب

(١) عبارة شرح المواهب ٢ : ١٩٥ « الكتاب عندنا كاتبه محمد بن سلمة » .

الصلح ؛ بخَطِّ على - رضى الله عنه - كما فِى الصَّحيح ، ونَسخَ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمر ، وقال الحافظ رحمه الله : ومن الأَوْهَام مَاذَكرَهُ عُمَر بن شَبَّة بَعْدَ أن رَوَى أن اسم كاتب الكتاب بين المسلمين وقريش على بن أَبِى طَالِب مِنْ طُرُق ، ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقٍ آخر أَنَّ اَسْمَ الْكَاتِب محمد بن مَسْلَمَة ، ثم قَالَ : حَدَّثَنَا يزيد / بن ١٧٩ ظ
عائشة ؛ يزيد بن عبيد الله بن محمد التيمى قال : كان اسم هشام بن عكرمة بغيضاً ، وهو الذى كتب الصحيفة فَشُلَّت يَدُه فَسَمَّاهُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - هِشَامًا .

قَالَ الحافظ : وهو غَلط فاحِش ، فإِنَّ الصَّحِيفة الَّتِى كَتَبَهَا هِشَام بن عِكْرِمَة هى التى اتَّفَقَتْ عليها قُرِيش لما حَصَرُوا بنى هاشم وبنى عبد المطاب فى الشِّعْب ، وذلك بمكة قَبْلَ الْهِجْرة - أَىْ كَمَا سبق ، فَتَوَهَّمَ عُمَرُ بن شَبَّة أن المراد بالصحيفة كتاب القصة التى وَقَعَتْ بِالحُدَيْبِيَة ، وليستْ كذلك ، بل بينهما نحو عشر سنين .

الثامن والعشرون : وقع فى بعض طرق حديث البراءِ بعد أَن ذكر اَمتناع على - رضى الله عنه - مِنْ مَحْوِ « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم » فأَخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الكتابَ وليس يُحْسِنُ يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » إلى آخره ، وسيأْتى الكلام على ذلك فى الخَصَائص(١) إن شاءَ الله تعالى .

التاسع والعشرون : اَمتناع علىٍّ - رضى الله عنه - من مَحْوِ لَفْظ « رسول الله صلى الله عليه وسلم » من بَابِ الأَدَب المُسْتَحَبِّ ، لأَنَّه لم يفهم من النبىّ - صلى الله عليه وسلم - تَحْتِيم(٢) مَحْوِ عَلِىٍّ بنفسه ، ولهذا لم ينكر عليه ، ولو تَحَتَّم مَحْوُه بنفسه لم يَجُزْ لعلىّ تركه ، ولَمَا أَقرَّهُ النبىُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - على المخالفة . وفى قوله - صلى اللهُ عليه وسلَّم - « فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا - تعظيما - وَأَنْتَ مُضْطَهَدٌ » : أى مقهور ، معجزة ظاهرة لِمَا وقع لِعَلِىٍّ - رضى اللهُ عنه - فى التحكيم(٣) كما سيأْتى فى ترجمته .

---

(١) انظر الخلاف حول مدى معرفة النبى صلى الله عليه وسلم للكتابة والقراءة فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) كذا فى ط وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ . وفى ت ، م « تحتم »

(٣) يشير إلى ماوقع لعلى رضى الله عنه يوم الحكمين ، فإنه لما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه : على أمير المؤمنين أرسل معاوية يقول : لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ماقاتلته . امحها واكتب ابن أبى طالب فقال على : الله أكبر مثل بمثل ، امحها . شرح المواهب ٢ : ١٩٦ .

الثلاثون : قال الخطَّابى – رحمه الله – تعالى : تـأَوَّل العلماءُ ما وقع فى قصَّة أَبِى جَنْدَل على وَجْهَيْن .

أَحدهما : أَن الله – تعالى – قد أَباح « التَّقِيَّة » إذا خاف الهلاك ، ورخَّص له أَن يتكلم بالكُفْر مع إِضْمار الإِيمان إن [كان][1] يمكنه التورية ، فلم يكن رَدُّه إليهم إِسْلاَماً لأَبِى جَنْدَل إلى الهلاك مع وُجودِ السَّبِيل إلى الخَلاَص من الموت بالتَّقِيَّة .

والوجه الثانى : أَنَّه إنما ردّه إلى أَبيه ، والغالب أَنَّ أَباه لا يبلغُ به الهلاك ، وإِنْ عذَّبه أَو سجنه فله مندُوحة بالتَّقِية أَيْضًا ، وأَمَّا مَا يخاف عليه من الفتنة فإِن ذلك امتحان من الله – تعالى – يَبْتَلِى بِهِ صَبْرَ عباده المؤمنين .

الحادى والثلاثون : اَخْتَلَفَ العلماء رحمهم الله ، هل يجوز الصلح مع المشركين على أَن يرد إليهم من جاءَ مُسْلِمًا من عِندهِم إلى بلاد المسلمين أَم لا ؟ فقيل : نعم ، على ما دلَّت عليه قصَّة أَبى جَنْدَل وأَبى بصير . وقيل : لا . وإِن الذى وقع فى القِصَّة : منسوخ ، وإِن ناسخه « أَنا برىء[2] من مسلم بين المشركين » وهو قولُ الحنفية ، وعند الشَّافِعية ضابط جواز الرَّد أَن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب

الثانى والثلاثون : قال النَّوَوِىُّ – رحمه الله – وافق النبى – صلى الله عليه وسلم – فى
١٨٠ و رَدِّ مَنْ جَاءَ من المشركين فى تَرْك كتابته بسم الله الرحمن الرحيم / وكتب بأَسمك اللَّهم ، وفى تَرْكِ كتابة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى رَدِّ مَنْ جاءَ منهم إلى المسلمين دُونَ مَنْ جَاءَ من المسلمين إليهم وإنما وافقهم فى هذه الأَمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أَنه لا مفسدة فى هذه الأُمور ، أَما البسملة وباسمك اللهم فمعناها واحد ، وكذلك قوله : « محمد بن عبد الله » هو أَيضاً رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) إضافة على مافى الأصول .

(٢) انظر عبارة شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ حيث قال « وأن ناسخة حديث أبى داود والترمذى وصححه الضياء عن جرير مرفوعاً « أنابرىء من مسلم بين مشركين » واختصره المصنف ، ولفظه عند رواته المذكورين « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لاتراءى نارهما ، وهو قول الحنفية ولا شاهد فيه للنسخ لأنه فيمن تمكن من الفرار ولا عشيرة له تحميه أو قاله بعد رضاء المشركين برد من جاء مسلماً . الخ » .

وليس فى ترك وصف الله تعالى فى هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينْفى ذلك ولا فى ترْك وصفه – صلى الله عليه وسلم – هنا بالرسالة لا ينفيها ، ولا مفسدة فيما طلبوه . وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتبوا ما لا يَحلُّ من تعظيم آلِهَتهم ونحو ذلك ، وإنما شَرْطُ رَدِّ من جاءنا منهم ومَنْع من ذهب إليهم فقد بيَّن النبى – صلى الله عليه وسلم – فى هذا الحديث الحكمة فيه بقوله : « منْ ذَهَبَ مِنَّا إليهم فأَبْعَدَهُ الله ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُم سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجاً وَمَخْرَجاً » . ثم كان كما قال – صلى الله عليه وسلم – فجعل الله للذين جاءُونا منهم وردَّهم إليهم فَرَجاً ومخرجا . ثم كان كما قال – صلى الله عليه وسلم .

الثالث والثلاثون : فى إتيان عُمَرَ أبا بكر وإجابة أَبى بكر لعمر بمثل ما أجاب به رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – دلالة على أنه أكمل الصحابة وأعرفهم بأَحوال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَعلمهم بأُمور الدّين وأَشدهم موافقة لأَمر الله – تعالى – وسبق فى باب إرادة الصِّديق الهجرة قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورَدِّ ابن الدغنة له ، وقوله لقريش ، إن مثله لا يخرج ، ووصفه بنظير مَا وَصَفَتْ به خديجةُ – رضى الله عنها – رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – من كونه يصلُ الرَّحمَ ويحملُ الكَلَّ ويُعينُ على نوائب الحق وغير ذلك . فلما كانت صفاتهما متشابهةً من الابتداء ، استمر ذلك إلى الانتهاء ، ولم يذكر عمرُ أنه راجع أحداً بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غَيْرَ أَبى بكر ، وذلك لجلالة قَدْرِه وسَعَةِ علْمه عِنْده .

الرابع والثلاثون : قول عُمَرَ – رضى الله عنه – فَعَملتُ لذلك أَعمالاً ، قال بعضُ الشراح – رحمهم الله : أَى من الذّهاب والمجىء والسؤال والجواب . لم يكن ذلك شَكًّا من عمر ، بل طلباً من كشف ما خَفِى عليه ، وَحثًّا على إذْلاَلِ الكُفَّار ، لما عُرف من قوّته فى نُصْرة الدّين . انتهى .

قال الحافظ : وتفسير الأَعمال بما ذُكر مردود ، بل المراد الأَعمالُ الصالحةُ ليكفر عنه ما مضى من التَّوقُّف فى الامتثال ابتداءً . وقد ورد عن عُمَرَ التّصريحُ بمراده بقوله : « أعمالا لأَتى » ، ورواية ابن إسحاق :فكان عمرُ يقولُ : ما زلت أَتصدقُ وأَصومُ

وأُصلِّى وأعتق مِنَ الذى صنعتُ يَوْمَئِذ مخافة كلامى الذى تكلمتُ به . وعند الواقدى من حديث ابن عباس : قال عمر : لقد أعتقتُ بسبب ذلك رِقَاباً وصمتُ دهراً ، وأما قوله : ولم يكن شَكّ ، فإنْ أراد نفْىَ الشَّكِّ فواضح ، وقد وقع فى رواية ابن إسحاق أنَّ أبا بكر لما قال له الزَمْ غَرْزَه فإنه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ، قال عمر :
١٨٠ ظ / أنا أشهد أنه رسول الله ، وإن أراد نفى الشك فى وجود المصلحة وعدمها فمَردودٌ ، وقد قال السُّهَيْلى – رحمه الله – هذا الشَّكُّ ما لايستمر صاحبه عليه ، وإنما هو من باب الوسوسة ، كذا قال الحافظ . والذى يظهر أنه تَوَقّف معه ليقفَ على الحكمة فى القصة ، وتنكشفَ عنه الشبهة ، ونظيره قصته فى الصلاة على عبد الله بن أُبىٍّ ، وإن كان فى الأَول لم يطابق اجتهاده الحكم ، بخلاف الثّانية ، وهى هذه القصة ، وإنما عمل الأَعمال المذكورة لهذه ، وإلا فجميع ما صدر منه كان معذورًا فيه ، بل هو مأْجورٌ ، لأَنه مجتهد فيه .

الخامس والثلاثون : إنَّمَا توقَّفَ المسلمون فى النَّحْر والحلْق بعد الأَمر بهما ، لاحتمال أن يكون الأَمر بذلك للنَّدْب ، أَو لرجاء نزول الوحى بإبطال الصلح المذكور ، وتخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم ، ويسوغ لهم ذلك ، لأَنه كان زمان وقوع التشريع . ويحتمل أن يكونوا أَبهتهم[1] صورة الحال فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذُّل عند أنفسهم مع ظهور قوّتهم واقتدارهم – فى اعتقادهم – على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة ، وأَخَّرُوا الامتثال لاعتقادهم أن الأَمر المطلق لا يَقْتَضِى الفَوْر ، ويحتمل مجموع هذه الأُمور لمجموعهم كما سبق فى القصة من كلام أم سلمة – رضى الله عنها – فى قولها « لا تلمهم » إلخ .

السادس والثلاثون : فى كلامه - صلى الله عليه وسلم - لأُمِّ سَلَمة فى توقف الناس عن امتثال أمره ، جوازُ مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أُم سلمة ووفور عقلها ، حتى قال إمامُ الحرمين : لا نعلمُ امرأَةً أَشارت برأْى فأَصابت إلا أُم سلمة ، كذا قال : وقد استدرك بعضهم عليه بنت شعيب فى أمر موسى .

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « أبهتهم » والمعنى فاجأتهم فدهشتهم وحيرتهم .

السابع والثلاثون : لا يُعَدُّ ما وقع من أبي بصير من قَتْلِهِ الرَّجُلَ الذى جاءَ فى طلبه غدْراً لأنه لم يكن فى جملة من دخل فى المعاقدة التى بين النبى – صلى الله عليه وسلم – وبين قريش ، إلا أنه إذ ذَاكَ كان محبوساً بمكة ، لكنه لَمَّا خشى أَنَّ المشركَ يُعِيده إلى المشركين دَرَأَ عن نفسه بقتله ، ودافع عن دينه بذلك ، ولم يُنْكِر عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذلك .

الثامن والثلاثون : فى حديث الْمِسْوَر ، ومروان بعد ذكر قصة أبي بصير ، فأنزل الله – تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم[1] ﴾ الآية . قال الحافظ : ظاهره أنها نزلت فى شأن أبي بصير ، وفيه نظر ، والمشهور فى سبب نزولها ما رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ، ومن حديث أنس بن مالك ، وأحمد ، والنسائى بِسَنَدٍ صحيح من حديث عبد الله بن مغفل أنها أُنْزِلَتْ بسبب القوم الذين أرادوا من قريش أن يأخذوا من المسلمين غِرَّة فظفر المسلمون بهم ، فَعَفَا عنهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقيل فى سبب نزولها غير ذلك .

التاسع والثلاثون : قال البلاذرى[2] – رحمه الله – قال العلماء : والمصلحةُ المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده الظاهرة التى كانت عَاقِبَتُها فَتْحَ مَكَّة وإسلام/ أهلها كلهم ودخول النَّاس فى دين الله أفواجا ، وذلك أنهم قبل الصُّلح ١٨١ و
لم يكونوا يختلطون ، ولا يَتَظَاهر عندهم أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما هو ولا يخلون[3] بمن يُعْلِمُهم بها مفصلة ، فلما حصل صُلحُ الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة ، وذهب المسلمون إلى مكة وَخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يَسْتَنْصحونهم ، وسمعوا منهم أقوال النبى – صلى الله عليه وسلم – مفصلَّةً بجزئياتها ، ومعجزاته الظَّاهِرة ، وأعلام نبوته المتظاهرة ، وحسن سيرته ، وجميل طريقته ، وعاينوا بأنفسهم

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الفتح .

(٢) فى ت ، م « النووى » والمثبت عن ط . ويرجحه أنه لم يرد فى نهاية الأرب ١٧ : ٢٢٩ – ٢٤٤ مايطابق هذا القول .

(٣) يخلون : من خلابه إذا انفرد به .

كثيراً من ذلك ، فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتَّى بدر خلْقٌ منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأَسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وأزداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام ، فلما كان يومُ الفتح أَسلموا كُلُّهم لِمَا كَانَ تَمَهَّدَ لَهُم من الميل ، وكانت العربُ فى البوادى ينتظرون بإِسلامهم إسلام قريش[1] فلما أَسلمت قريش أَسلمت العرب فى البوادى .

الأربعون : فى بيان غريب ما سبق :

المعرفين : الواقفين بعرفة .

استنفروا : أستنجدوا وأستنصروا .

يَعْرِضُوا له بحرب ـ بفتح التحتية وكسر الرَّاء .

فأَبطأَ عليه : بفتح الهمزة أوله وآخره .

ذو الجَدْر : بفتح الجيم وسكون الدَّال المهملة : سرح على ستة أَميالٍ من المدينة ، بناحية فيها كانت فيه لقاح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ذُو الحُلَيْفَة ـ بضمٍّ الحاء المهملة ، وفتح اللاَّم ، وسكون التحتية بعدها فاء[2]

صُحار ـ بصاد مضمومة فحاء مهملتين فأَلف : قرية باليمن .

قَلَّدَ بُدْنَهُ : علق فى عنقها قطعة من حبْلٍ لِيُعْلَم أنه هدْى فيكفّ الناس عنها .

أَشْعَرها ـ بالشين المعجمة : وَخَزَ سنامها حتى يسيل الدم فيعلم أنه هدى[3] .

البَيْدَاء : الشَّرف الَّذى قُدَّام ذِى الحُلَيْفَة فى طريق مكة .

الأَبواء : بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد : قرية من عمل الفرْع .

---

(١) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٠ « وكانت العرب من غير قريش فى البوادى ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش لمايعلمونه فيهم من القوة والرأى ، ولأنهم كانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به » .

(٢) وهى قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة .

(هامش نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ ،

(٣) وقيل : هو أن يضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فيلطخها بدمها إشعاراً بأنها هدى ، شرح المواهب ٢ : ١٨١ .

القلائد : جمع قلادة .

جَثَّامة : بفتح الجيم وتشديد الثَّاء المثلثة .

إِيْماء : بكسر أوله وسكون التحتية وبالمد .

رَحْضَة : براء مفتوحة فحاء مهملة تفتح وتسكن فضادٌ معجمة مفتوحة .

خُفاف - بخاء معجمة مضمومة وفاءين الأُولى مخففة .

العِتْر : بكسر العين المهملة وسكون الفوقية وبالراء : نبت ينبت مُتَفَرِّقًا فإذا قطع أصله خَرَجَ منه شيء شبه اللبن ، وهو المرزجوش[1] .

الضَّغَابيس- بضاد فغين معجمة فألف فموحدة : وهو صغار القثاء وقيل : هو نبت ينبت فى أصول الثمام يصلق بالخل والزيت ويؤكل . والثمَام : بالثاء المثلثة[2].

الهوام : جمع هامَّة بالتشديد ، يطلق على ما يدبُّ من الحيوان كالقمل ونحوه .

الجُحْفَة - بجيم مضمومة ، فحاء مهملة ، ففاء ، فتاء تأنيث : تقدم الكلام عليها فى غزوة ....[3]

قُمَّ بالبناء للمفعول ؛ أى كُنِسَ .

الْفَرَط - بفتحتين ؛ المتقدم فى طلب الماء[4].

شَاهتْ وُجُوهُهُم : قَبحتْ

تُكَل - بضم الفوقية وفتح الكاف : أى يتكل بعضكم على بعض .

أرتجت مكة : اضطربت .

---

(١) المرزجوش : ويقال المرزنجوش والمردقوش فارسى معرب هو الزعفران وطيب تجعله المرأة فى مشطها يضرب إلى الحمرة والسواد . (القاموس المحيط - مردقوش) .

(٢) وانظر فى تمام التعريف لسان العرب « ضغبس » ٧ : ٤٢٦ .

(٣) بياض بمقدار كلمة . ولعلها « بدر » حيث ورد ذكر الجحفة فيها أكثر من مرة وانظر مغازى الواقدى ١ : ٤٢ .

(٤) وقال فى النهاية ٣ : ١٩٤ « إنى كائن لكم فرطا : أى أجرا » .

راعهم : أفزعهم .

عَنْوَة ـ بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الواو : أخذ الشئ قهراً وكذا

إذًا / أخذ صلحاً فهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول . ١٨١ ظ

عَيْنٌ تَطْرِف : تنظر وتتحرك .

كُرَاع ـ بكاف مضمومة فراء مخففة فألف فَعَيْن مهملة : وهو طرف الغَمِيم[1] بغين معجمة مفتوحة ؛ وهو واد بين رابغ والجُحْفَة ؛ وكُرَاع كل شيء طرفه .

الأحابيش : بحاء مهملة ، فألف ، فموحدة مكسورة فتحتية فشين معجمة : واحدها أُحْبُوش بضمتين ؛ وهم : بَنُو الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ، وبَنو الحرث وبنو عبد مناة ابن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة[2] ، وتقدم الكلام على ذلك مبسوطاً فى غزوة ....[3]

أَجْلَبْتَ : استَحْثَثْتَ الناس لطلب العدو .

بَلْدَح ـ بموحدة مفتوحة ، فلام ساكنة ، فدال مفتوحة ، فحاء مهملتين : وهو وادٍ فى طريق التنعيم إلى مكة .

غَدِير : بغين معجمة مفتوحة ، فدال مهملة مكسورة .

الأَشْطَاط ـ بشين معجمة ، وطَاءَيْن مهملتين : جمع شَط وهو جانب الوادى ، ووقع فى بعض نسخ الصحيح لأبى ذر الهروى بإعجام الطاءين .

عُسْفَان ـ بعين مضمومة ، فسين ساكنة مهملتين ، ففاء : قرية بينها وبين مكة ثلاثة مراحل .

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ١٨٣ « وحكى عياض تصغيره ، وكذا وقع فى شعر جرير والشماخ » .

(٢) وجاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « والأحابيش كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له الحبش أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم ، والتحبش التجمع ، والحباشة الجماعة . وروى الفاكهى عن عبد العزيز ابن أبى ثابت أن ابتداء حلفهم مع قريش كان على يد قصى بن كلاب » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمة ، ولعلها « الخندق » فإنه كان من بين الأحزاب « أحابيشهم ومن تبعهم » . وانظر مغازى الواقدى ٢ : ٤٤٢ .

الْعُوذُ – بعين مهملة مضمومة فواو ساكنة ، فذال معجمة : جمع عائذ : وهى الناقة ذات اللَّبن.

المطافيل : الأُمهات الَّلاتى معهن أطفالهن ؛ يريد أنهم خرجُوا بذوات الألبان ليتزوَّدُوا ألبانها ، ولا يرجعوا حتى يمنعوه ، أو كنَّى بذلك عن النساء معهن الأَطفال ، والمراد خرجوا معهم نساؤهم وأولادهم لإرادة طول المقام ، وليكون أدعى إلى عدم الفرار .

قال ابن فارس – رحمه الله – : كل أنثى وضعت فهى إلى سبعة أيام عائِذ ، والجمع عُوذ ، كأنها سميت بذلك لأنها تعوذ ولدها وتلتزم ......[1] الشغل به ، وقال السُّهيلى : سُميت بذلك وإن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة والْحُنُوّ ، كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مَرْبوحًا فيها .

لبسوا جُلُود النمور : كناية على شِدَّة الْحِقْد والغضب ، تشبيهاً بأَخلاق النمورْ ، وقيل : هو مثل يُكْنى به عن إظهار العداوة والتنكير ، ويقال للرجل الذى يظهر العداوة لبس لى جلد نمر .

ذى طوى – بتثليث الطاء المهملة والفتح : أشهرُ وادٍ بمكة .

ويح : كلمةٌ تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها .

وافرين : كاملين .

تَنْفَرِدُ هذه السَّالِفَة – بسينٍ مهملة ، ولامٍ مكسورةٍ بعدها فاء : صفحة العنق ؛ كنىَّ بذلك عن القتيل ؛ لأَن القتيل تنفرد مقدمة عنقه . وقال الداودى الشارح : المراد الموت ، أى حتَّى أموت ويُحتمل أن يكون أراد أنه يُقاتل حتى ينفرد وحده فى مُقاتلتهم[2] .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين . ولكن الكلام متصل . ويؤيده ماجاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٧ .

(٢) وبقية كلام الداودى « وأبقى منفرداً فى قبرى » شرح المواهب ٢ : ١٨٨ .

وقال ابن المنير –رحمه الله – لَعَلَّه[1] – صلى الله عليه وسلم نَبَّه بالأدنى على الأعلى ؛ أَىْ أن لى من القوة بالله – تعالى – والحَوْل به ما يقتضى أنى أُقاتل عن دينه ، او أنفردت ، فكيف لا أُقاتل عن دينه مع وُجُودِ المسلمين وكثرتهم ؟ .

* * *

شرح غريب ذكر مشاورته – صلى الله عليه وسلم

١٨٢ و مَوْتُورِين – بالفَوْقية : اسم مفعول ، جمع موتور ، وهو الذى قُتِل له / قتيل فلم يُدْرِك بدمه .

مَحْرُوبِين – بحاء مهملة ، فراء [فواو][2] فموحدة : مسلوبين مَنْهُوبين ، يُقَالُ حَرَبه إذا أَخذ ماله وتركه بلا شئ

نؤمُّ – بنون فَهَمْزة : نقصد .

تكن عُنُقًا – بضم العين المهملة والنون ، وفى لفظ « عينًا قطعها الله ». قال فى المطالع : وكلاهما صحيح ، والعنق أَوْجَه لِذِكْر القطع معه ، أى أهلك الله – تعالى – جماعة منهم . والعُنُق : الشئ الكثير ، ولقوله : « عينا » وجه أيضاً ؛ أى كفَى الله – تعالى – منهم مَنْ كان يرصدنا ويتجسس على أخبارنا . والعَيْنُ : الجاسوس ، وتبعه على ذلك فى التَّقْريب – وما ذكرناه هو الوجه ، بخلاف ما قدّره[3] الكرمانى وتبعه شيخنا أبو الفضل ابن الخطيب القَسْطَلاَّنى – رحمهما الله – وقد ذكر فى القصة أن العين الذى أرسله رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – كان مُسْلِمًا وهو بُسْر – بضم الموحدة وسكون المهملة – ابن سُفْيان الخزاعى .

الغِرّة – بكسر الغين المعجمة : الغفلة .

حانت الصلاة : دخل وقتها .

---

(١) كذا فى ط وشرح المواهب ٢ : ١٨٨ . وفى ت ، م « لعلمه » .

(٢) إضافة على الأصول .

(٣) كذا فى « ط » وفى ت ، م « قرره »

الْعَصَل – بفتح العين والصاد المهملتين : جمع عَصْلَة ؛ وهى شجرة إذا أَكَلَ منها البعير سلحته[1] .

ظهْرَى[2] كذا : بينه ووسطه .

الحَمْض – بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة : ما ملح وأمرَّ من النبات كالأَثل والطرفاء ، وذكر فى الإملاء أنه هنا اسم موضع . فالله أَعلم .

الطليعة : القوم يُبْعثون أمام الجيش يتعرفون طلع العدو ، وبالكسر ، أى خبره ، والجمع طلائع .

أَجْرَل – بفتح الهمزة وسُكون الجيم وفتح الراء وآخره لام : أى كثير الحجارة . والجَرَل : – بفتح الجيم والراء : الحجارة . ويُروى بدال مهملة عِوَضاً عن اللام ؛ أى ليس به نبات .

الشِّعَاب – بكسر الشين المعجمة : جمع شِعْب بكسرها أيضاً : ما انفرج بين جبلين .

تنكبه الحجارة : تصيبه .

حَار – بِحَاء مهملة : لم يدر وجه الصَّواب .

ثنيّة ذات الحنظل : ثنية فى شعبٍ ما بين مكة وجدة .

سراوع : جمع سَرْوَعة – بفتح السين المهملة ، وسكون الراء ، وفتح العين المهملة – وهى الرابية من الرمل كذا فى النهاية . وفى مصنف ابن أَبى شيبة عن هشام بن عُروة عن أَبيه فأخذ بهم بين سَرْوَعَتَيْن ؛ أى بين شجرتين ، هذا لفظه ، فالله أَعلم .

---

(١) وفى لسان العرب « عصل » ١٣ : ٤٧٦ ، وقيل هو شجر يشبه الدخل تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم . وقيل هو حمض ينبت على المياه ، والجمع عصل . . . والعصل الرمل الملتوى المعوج » .

(٢) ماورد فى سياق القصة هو « ظهور الحمض » أما « ظهرى » فهى نص رواية وردت فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣١٤ .

قِبَلَ المغرب : بكسر القاف : ناحيته .

ما شعر : ما علم .

قَتَرةُ الجيش : بفتح القاف والفوقية : الغبار الأَسود الذى تثيره حوافر الدَّواب .

وَعِرٌ – بكسر العين : أى غليظ حزن يصعب الصعود إليه .

الشِّراك للنعل : سيرها الذى على ظهر القدم .

الْفِجَاج : – بِكسر الفاء : جمع فَجّ : الطريق الواضح الواسع .

لاَحِبَة – بالحاء المهملة والموحدة واضحة[1].

ثنية المُرَار : بضم الميم على المشهور ، وبعضهم يكسرها ، وتخفيف الراء : طريق فى الجبل يُشرف على الحديبية ، وليست الثنيّة التى أسفل مكة .

قولوا حِطَّة – بكسر الحاء وفتح الطاء المشددة المهملتين ؛ أى حُطَّ عَنَّا ذُنوبنا ،
١٨٢ ظ ويُرْوَى / بإعجام الحاء وضمها ؛ أى الخصلة والفضيلة .

سِيف البحر – بكسر السين : ساحله .

استبرأ العسكر : تأَمَّلَه وفَتَّشَه .

* * *

شرح غريب ذكر نزول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحديبية

الغائط : هنا المطمئن الواسع من الأَرض ، والجمع غيطان وأَغواط وغوط .

حَلْ حَلْ – بفتح الحاء المهملة وسكون اللام : كلمة تقال للناقة إذا تركت السَّير . قال الخطَّابى – رحمه الله – إن قلت « حل » واحدة فبالسكُون وإن أَعدتها نَوَّنْتَ الأُولى وسَكَّنْتَ الثانية . وحكى غيره السكون فيهما والتنوين كنظيره فى نخ نخ ، يقال : حلحلت فلاناً إذا أَزعجته عن موضعه .

أَلَحَّت – بتشديد الحاء المهملة : تمادت على عدم القيام ، وهو من الإلحاح ، وهو الإصرار على الشىء .

---

(١) لاحبة : ورد فى سياق الخبر ص ٦٤ « لاجبة » وشرحت فى النهاية فى غريب الحديث ٤ : ٥٠ .

خلأت : الخلأ – بخاءٍ معجمة والمد ؛ للإبل كالحِرَان للخيل . قال ابن قتيبة : لا يكون الخلأُ إلاَّ للنُّوق خاصة . وقال ابن فارس : لا يُقالُ للجمل خَلَأَ ولكن أَلحَّ .

القَصْوَاءُ : بقاف مفتوحة فصاد مهملة وبالمد ، وبعض رواة الصحيح كحُبْلَى[1] – وغلط .

بخُلُق – بضم الخاء المعجمة ، واللام والقاف : أى بعادة .

خُطَّة : بضم الخاء المعجمة : أى خصلة يعظمون فيها حرمات الله تعالى . ومعنى قوله يعظم حرمات الله تعالى فى هذه القصة تَرْكُ القتال فى الْحَرَم والجنوح إلى المُسَالَمة والكف عن إراقة الدماء .

أعطيتهم إياها : أجبتهم إليها .

وَثَبَت – بالمثلثة : قَامَتْ .

عَوْدُهُ على بَدْئِه : أى لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه .

الثَّمَد – بثاءٍ مثلثة فميم مفتوحتين فدال مهملة : حفيرة فيها ماء قليل ، يُقَال ماءُ مثمود قليل الماء .

الظَّنُون : الذى تَتَوَهَّمُه ، ولستَ منه على ثقة فَعِيل بمعنى مَفْعُول . وقيل : هو البئر التى يظن [أن][2] فيها ماء .وقوله قليل الماء تـأْكيد لرفع توهم أن يُراد لغةُ من يقول : إن الثمد : الماء الكثير . وقيل : الثمد ما يظهر فى الشتاء ، ويذهب فى الصيف .

يَتَبَرَّضُهُ النّاس – بالموحدة المشددة والضاد المعجمة : يأْخذونه قليلا قليلا . والْبَرْض – بالفتح والسكون : اليسير من العطاء . وقال صاحب العين : هو جمع الماء بالكفَّين .

---

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٤ « القصو قطع طرف الأذن ، يقال بعير أقصى وناقة قصواء . وزعم الداودى أنها كانت لاتسبق فقيل لها القصواء ، لأنها بلغت من السبق أقصاه » .

(٢) إضافة على الأصول .

لم يُلْبثْه الناس – بتحتية مضْمُومَة فلام ساكنة فمثلثة : من الإلباث . وقال ابن التين : بفتح اللام وكسر الموحدة المثقلة ؛ أي لم يتركوه أن يُقيم .

نَزَحوه – بنون فزاى فحاء مهملة ، وفى لفظٍ نزفوه بالفاء بدل الحاء : ومعناهما واحد ، وهو أخذ الماء شيئاً بعد شئ

صدَرُوا : رجعوا .

بعطن : أى رَوَوْا ورَويت إبلهم حتى بركت ؛ وعَطَن الإبل : مباركها حَوْلَ الماء لتعاد للشرب ، وقد يكون عند غير الماء .

القَلِيب – بفتح القاف وكسر اللام – عند العرب : البئر العادية القديمة مطوية كانت أو غير مطوية .

شفير الْبِئْرِ : حَرْفُها .

تَجيش – بفتح الفوقية وكسر الجيم وآخره شين معجمة : تفور .

الرِّى : بكسر الراء وفتحها .

الْمَائِح – بالتحتية ، والحاء المهملة : الذى انحدر فى الركية يملأ الدلو وذلك حين يقلّ ماؤها ، ولا يمكن أن يستسقى منها إلا بالاغتراف باليد .

١٨٣ و ومن كلامهم المائح / أعرف باست الماتح : وهو الذى يستسقى بالدَّلو ، فالنقط من أسفل لمن يكون أسفل ومن فوق لمن يكون فوق .

يُمجِّدُونكَ : يشرفونك ، والتمجيد : التشريف .

الرَّشاش[١] – براء مفتوحة فشينين معجمتين .

---

(١) الرشاش : يقال طعنة رشاش أى واسعة يتفرق منها الدم (القاموس المحيط) .

واهية : مسترخية واسعة الشق .

العادية : القوم الذين يغْدون ويسرعون الجرى .

طَمت : بفتح الطاء المهملة : ارتفع ماؤها .

نهلوا : رووا .

الركائِب : المطى ، الواحدة راحلة من غير لفظها[1] .

آن الشىء ـ بالمد : قرب .

الرَّكْوَة ـ بفتح الراء : إناء صغير من جلدٍ يُشرب فيه الماء ، والجمع رِكَاء وَرَكَوَات بالتحريك .

* * *

شرح غريب نزول المطر فى تلك الأيام

النَّوْء : سقوط نجم من المنازل فى الغرب مع الفجر . وطلوع رقيبه من الشرق . كانوا يعتقدون أنه لابد عند ذلك من مطر ، أو ريح ، فمنهم من يجعله للطالع لأنه ناء ، ومنهم من ينسبه للغارب ، فنفى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك عنه ، وكَفَّر مَنْ اعتقد أن النجم فاعل ذلك ، ومن جعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة . قال فى النهاية : فَمَنْ أسند ذلك إلى العادة التى يجوز انخرامها فقد كَرَّهَه قومٌ وجوَّزه آخرون .

الْخَرِيف ـ بالخاء المعجمة : الفصل الذى تخترف فيه الثمار ، أى تقطع .

الشِّعْرى ـ بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة : كوكب معروف ليس فى السماء كوكب يقطعها عرضاً غيره .

الْجزُور : بفتح الجيم من الإبل خاصَّة ، يقع على الذكر والأُنثى ؛ والجمع جُزُرٌ

---

(١) وفى المنجد « الركائب جمع ركوبه وهى ما يركب » .

شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء ورسل قريش

بديْل : بضم الموحدة وفتح المهملة والتصغير .

ورقاء : بفتح الواو وبالقاف .

خُزَاعَة : بضم الخاء المعجمة وبالزاى .

عَيْبَة - بفتح العين المهملة وسكون التحتية بعدها موحده : ما يوضع فيه الثياب لحفظها ؛ أى أنهم موضع النصح له والأمانة على سِرِّه ، كأنه شبه الصَّدْر الذى هو مستودع السِّر بالعيبة التى هى مستودع الثياب .

نُصْح - بضم النون ، وحكى ابن التين فتحها .

تِهَامَة - بكسر الفوقية : وهى مكة وما حولها ، وأصلها من التهم ؛ وهو شدة الحرّ وركود الرِّيح .

الأَعْدَاد - بالفتح جمع عِدّ بالكسر والتشديد وهو الماء الذى لا انقطاع له .

تَبيد : تهلك [خضراؤهم][1] بخاء فضاد معجمتين : [معظم قريش أوجماعتهم][2] .

نَهِكَتْهم الحرب - بفتح النون وكسر الهاء : أى بلغت بهم حتى أضعفتهم ، إما أضعفت قواهم ، وإما أضعفت أموالهم .

مادَدْتُهم جعلت بَيْنى وَبَيْنَهُم مدَّةً بترك الحرب بينى وبينهم . قوله : فإن ظهر أمرى ، وقوله فإن شاءوا شرط بعد شرط ، والتقدير : فإن ظهر غيرهم من الكفار عَلَىَّ كفاهم المؤونة ، وإن أَظْهَر أنا عَلَى غيرهم فإن شاءوا أطاعونى وإلاَّ فقد[3] جَمُّوا - بفتح الجيم وتشديد الميم المضمومة ؛ أى قَوُوا واستراحوا .

---

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن سياق الغزوة - وعن مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٣ .

(٢) بياض فى الأصول - والمثبت يستقيم به السياق .

(٣) كذا فى ط . ومغازى الواقدى ٢ : ٥٩٣ - وفى ت ، م « وإلا فلا جموا » .

لَيُنْفِذَنَّ – بضم التحتية وسكون النون وكسر الفاء وبالذال المعجمة : فعل مضارع مؤكد بالنون / . استنفرت أهل عكاظ : دعوتهم إلى نصركم ، وعُكَاظ بعين مهملة ١٨٣ ظ
مضمومة فكاف مخففة فألف فظاء معجمة مُشَالة : سوق بقرب عرفات .

بَلَّحُوا : بموحدة فلام مشددة مفتوحتين فمهملة مضمومة : امتنعوا من الإجابة ، وانبلح : امتنع من الإجابة .

أسيتكم – بهمزة مفتوحة : يقال أَسيه[1] بمالى مؤاساة ؛ أى جعلته أسوتى فيه .

تجتاحهم – بجيم وحاء مهملة : تهلكهم بالكلية .

أَوباش : بتقديم الواو : الأَخلاط من السِّفلة ؛ وهم أَخصّ من قوله فى رواية أَشواب بتقديم الشين المعجمة على الواو ، وهم الأَخلاط مِنْ أنواع شتى .

خليقًا – بالخاء المعجمة والقاف : حقيقاً وَزْناً ومعنىً ، ويُقَالُ خليقٌ للواحد والجمع[2] .
يَدَعُوك : يتركوك .

اُمصص – بألف وصل ومهملتين ، الأُولى مفتوحة ، زاد فى التقريب ويجوز ضمها : فعل أمر .

البَظْر – بفتح الموحدة وسكون الظَّاء المعجمة المُشَالَة : قِطْعة تبقى بعد الخِتان فى فرج المرأة .

واللات : اسم أحد الأَصنام التى كانت قريشٌ وثَقِيفٌ يعبدونها ، وكانت عادة العرب الشتم بذلك ، لكن بلفظ الأمر ، فأراد أبو بكر المبالغة فى سَبِّ عُرْوَة بإقامة مَنْ[3] كان يَعْبُدُ مَقَامَ أُمِّه ، وحَمَلَه على ذلك ما أغضبه من نِسْبة المسلمين إلى الفرار ،

---

(١) وفى اللسان ١٨ : ٣٨ « الجوهرى : آسيته بمالى مواساة جعلته أسوتى فيه » والمثبت مافى الأصول ، ولعله تحريف
(٢) ولذا وقع وصفا لأشواب (شرح المواهب ٢ : ١٩٠) .
(٣) كذا فى الأصول . وحقها أن تكون « ما » لغير العاقل زيادة فى سب عروة .

وفيه جوازُ النطق بما يستشنع من الألفاظ لإرادة زجر مَنْ بَدَا منه ما يَستحِقّ به[1] ذلك .

أمَا – بفتح الهمزة وتخفيف الميم : حرف استفتاح .

المِغْفَر : بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة .

ألْفَظّ – بالفاء وتشديد الظاء المعجمة المشالة : الشديد الخُلُق بضمتين .

الغليظ : السّيء القَوْل .

اليد : النعمة والإحسان .

لم أُجزك بها : لم أُكافئك بها .

طَفِق – بفتح الطاء ، وكسر الفاء : جعل .

أهوى بيده : مَدَّها[2] .

نعل السيف : ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها .

غُدَر – بغين معجمة – وزن عمر ، ومعدول عن غادر : مبالغة فى وصفه بالغدر ؛ وهو تركُ الوفاء .

يَرْمُق – بضم الميم : يلحظ .

يُحِدُّون بضم أوله وكسر المهملة : يدعون .

وَضُوءه – هنا بالفتح[3] : الماء

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٠ « قال ابن المنير : فى قول أبى بكر تخسيس للعدو ولديهم وتعريض بإلزامهم من قولهم اللات بنت الله – تعالى الله عن ذلك – بأنها لو كانت بنتاً كان لها مايكون للإناث » .

(٢) زاد شرح المواهب ٢ : ١٩١ « أو قصد أو أشار أو أومأ » .

(٣) فى المرجع السابق ٢ : ١٩٢ « فضلة الماء الذى توضأ به » .

كسرى : بكسر الكاف وبفتحها .

يتَألَّهون : يعظِّمون أمر الإله ، وقيل التألُّه : التعبُّد .

ٱبْعَثُوها له : أثيروها دفعة واحدة .

عُرْضِ الْوَادِى – بضمٍّ العين المهملة وسكون الرّاء ، وبالضَّادِ المعجمة : جانبه وناحيته ، وقيل : عُرْض كلّ شيء : وسطُه ، وليس المرادُ ضّد الطول ؛ ذاكَ بفتح العين .

تَفِلوا – بالمثنّاة الفوقيّة وكسر الفاء : تغيّرت رائحتهم .

الشّعَث – بالشين المعجمة ، والعين المهملة المفتوحتين وبالثاء المثلثّة : الانتشار والتفرّق للشعر .

لَخْم : بفتح اللاَّم ِ وسكون الخاء المعجمة .

وجُذَام : بجيم مضمومة ، فذال معجمة .

كندة : بكسر الكاف

حِمْيَر – بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح التحتية وبالراء : أسماء قبائل .

أَجل – كنَعَم وَزْنًا ومعنىً .

معكوف : محبوس .

* * *

شرح غريب ذكر إرساله – صلى الله عليه وسلم – خراش بن امية ، وبعده عثمان ، ومبايعته – صلى الله عليه وسلم – بيعة الرضوان ، وذكر الهدنة ، وكيف جرى الصلح

الثَّعْلَبُ – بلفظ / اسم الحيوان المعروف. ١٨٤ و

عَقرَ الدابّة : ضرب قوائمها .

وَشِيكًا – بالشِّين المعجمة والتَّحتيَّة : قريباً .

كافّة : جميعاً .

الأَماثِلُ : الخِيار من قومهم .

وافِرُون : كثيرون .

جامُّونَ ـ بتشديد الميم : مُسْتَرِيحُون كثيرون .

المُنَاجَزَةُ فى الحرب : المبادرةُ والمقاتلة .

مازن ـ بكسر الزّاى : أبو قبيلة .

البَيْعَة البَيْعَة : بنصبها على الإغراء .

روح القُدُس : جبريل ـ صلّى الله عليه وسلم ـ وتقدم الكلام على ذلك فى ترجمته فى أبواب المعراج .

ثُرْنَا ـ بالمثلثة : نهضنا .

سمُرة ـ بفتح المهملة وضمّ الميم : من شجر الطَّلْح ، وهو نوع من العَضَاه .

الحَجَفَة ـ بحاء فجيم ففاء مفتوحات : التُّرس الصغير يطارق بين جلدين[1] .

الدَّرَقة : الحَجَفَة .

عَزِلاً ـ بكسر الزّاى مع فتح العين ، وبضمهما : أى لا سلاحَ معه يقاتل به فيعتزل الحرب .

أَبْغِنى : أَعْطِنِى .

* * *

محْدِقُون به : مُحيطون ناظرون إليه بـأحداقهم .

الجَدّ بن قيس ـ بفتح الجيم وتشديد الدّال المهملة .

ضبأ إليها ـ بفتح الضاد المعجمة والموحدة مهموز : اختبأ بها

---

(١) وفى اللسان ١٠ : ٣٨٣ « الحجفة ضرب من الترسة واحدتها حجفة ، وقيل هى من الجلود خاصة وقيل هى من جلود الإبل مقورة ، وقال ابن سيده : هى من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض . ويقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب حجفة ودرقة » .

اضْطَنِعُوا – بصادٍ ساكنة فطاء مفتوحة مهملتين ، فنون مكسورة ، فعين مهملة : اتّخِذُوا صَنيعاً ؛ يعني اتخذوا طَعَاماً تُنفقونَه في سبيل الله .

لن يدرِكَ قومٌ بعدكم صَاعَكم ولا مُدَّكم ؛ الصَّاع : أربعة أمداد ، والمد : ربع صاع وهو رطل وثلث بالعراق عند الشّافعي وأهل الحجاز ، ورطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق ؛ أي ما يبلغ ثواب صاع أحدكم ولا مُدّه في الثواب إذا تصدّق به .

تشميرهم إلى الحرب : إسراعهم إليه .

القضية :........[1]

الهُدنة – بضم أوّله وسكون ثانيه وبضمه أيضاً : الصلح والموادعة بين المتحاربين .

مقنّعان في الحديد – بتشديد النون : عليهما بيضُه .

العَنْوَة – بفتح العين المهملة وسكون النون : أخذ الشئ قهراً .

عَيْبَة مكفوفة – بفتح العين المهملة وسكون التحتية : أي أمر مطويّ في صدورٍ سليمة ، وهو إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها ، والمحافظة على العهد الذي وقع بينهم .

لا إغلال – بغين معجمة : لا خيانة ، تقول أغل الرّجلُ إذا خان ، وأما في الغنيمة فيقال غلّ بغير ألف .

ولا إسلال : لا سَرِقَة ، من السلّة وهي السرقة ، والمراد أن يأمن بعضُهم من بعض في نفوسهم وأموالهم سِرًّا وجهراً ، وقيل : الإسلال من سلّ السّيوف ، والإغلال من لبس الدرع . ووهاه أبو عبيد .

إمّعَضُوا – بميم مشددة فعين مهملة فضاد معجمة ، ولبعض رُواةِ الصحيح امْتَعَضُوا – بإظهار الفوقية : أي شقّ عليهم[2] .

---

(١) بياض في الأصول بمقدار كلمتين ، ولعل المراد الصلح أو الموادعة .

(٢) وفي شرح المواهب ٢ : ٢٠٠ « أي غضبوا من هذا الشرط وأنفوا منه » .

الدِّنِيّة ــ بدال مهملة مفتوحة فنون مكسورة فتحتية مشددة : الخصلة المذمومة ، والأصل فيه الهمز وقد يخفف .

أَوَلَسْنا ــ بفتح الواو ، والاستفهام للإنكار[1] ، وكذا ما بعده .

الغَرْز ــ بفتح الغين المعجمة فراء ساكنة فزاى : ركاب كورالبعير إذا كان من جِلد أو خشب .

يتلكأ : يبطئ .

هَاتِ : فعل أمر من باب رَامَى يُرَامِى .

مُضْطَهَد : بميم مضمومة فضاد معجمة ساكنة فطاء مهملة .

لا تَحدَّث العربُ ــ بفتح الفوقية ، وتشديد الدَّال المهملة المفتوحة حذف منه

١٨٤ ظ إحدى التائين /. ضُغْطة ــ بضم الضاد ، وسكون الغين المعجمتين ، فطاء مهملة : مقهور .

التَّنْعِيمُ ــ على لفظ المصدر ، من نعمته تنعيما : مكان على ثلاثة أميالٍ من مكة من جهة المدينة .

الغِرَّة ــ بالكسر : الغفلة .

زُنَيم : بضم الزّاى وفتح النون .

اخترط السيفَ : أستلَّه .

العَبَلات ــ بفتح المهملة والموحدة : وهم من قريش أمية الصغرى ، نسبوا إلى أمهم عبلة بنت عُبَيْد .

---

(١) وفى المرجع السابق ٢ : ٢٠٥ « قال العلماء : لم يكن سؤال عمررضى الله عنه وكلامه شكا فى الدين ــ حاشاه من ذلك ــ طلباً لكشف ماخفى عليه من المصلحة وعدمها فى هذا الصلح وحثا على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف فى خلقه وقوته فى نصر الدين وإذلال المبطلين ــ ففيه جواز البحث فى العلم حتى يظهر المعنى » .

بَدْء الفجور[١] ـ بفتح الموحدة ، وسكون الدَّال المهملة وبالهمز : ابتداؤه وأوله وثُنياه ـ بضم الثاء المثلثة وسكون النون فتحتية ، أى عودة ثانية ، وفى رواية ثناه بكسر المثلثة وإسقاط التحتية .

أبو جَنْدَل ـ بالجيم : وزن جعفر .

يَرسُف فى قيوده ـ بفتح التحتية وضم السِّين المهملة وبالفاء : يمشى مشياً بطيئاً بسبب القيد .

لم نقض[٢] الْكِتَابَ بَعْد : لم نفرغ من كتابته .

أَجزه لى ـ بالجيم والزَّاى : امض لى فعلى ولا أردّه عليك أو استثنه من القضية ، ووقع فى الجمع للحميدى بالراء[٣] ، ورجّح أبو الفرج الزّاى .

ضَنَّ بأَبيه ـ بالضَّاد المعجمة ، والنُّون المشددة : بخل ، أى لم يسمح بقتله .

اَلْتَأَم ـ بهمزة مفتوحه : انسد .

يَمَّم هدْيه : قصده .

شرد جمل : نَدَّ ونَفَر .

النَّجيب : الفاضل من كل حيوان .

المَهْرِىّ ـ بفتح الميم وسكون الهاء : نسبة إلى بنى مَهْرَة كتَمْرة : قبيلة مِنْ قضاعة سمّوا باسم أبيهم مَهْرة بن حيدان ، وبلد بعمان ، والإبل المَهْرِيّة تُنْسَب إلى أحدهما .

البُرَة ـ بضم الموحدة وتخفيف الراء المخففة : حلقة تجعل فى أنف البَعير ليذل ،

---

(١) بدء الفجور : لم يرد ذلك فى متن الغزوة ـ وإنما وردت فى رواية مسلم عن سلمة (قال) « جاء عمى برجل يقال له مكرز فى ناس من المشركين فقال صلى الله عليه وسلم : دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياه فعفاعنهم » .

(٢) الضبط من شرح المواهب ٢ : ٢٠١ حيث ضبط الكلمة بالحروف « وفيه » ولأبى ذر عن المستملى والحموى لم نفض بالفاء وتشديد المعجمة .

(٣) وهى موافقة لرواية السيرة الحلبية ٣ : ٢٥ .

وأكثر ما تكون من صُفْر ، فإن كانت من شَعر فهى خزامه ، وإن كانت من خشب فهى خشاش ، بخاء وشينين معجمات .

مضطرباً فى الحل : أى كانت قُبّتَه مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم لقرب الحُدَيْبيَةِ من الحرم .

اضْطَبَع بثوبه : أدخله تحت إبطه اليمنى وألقاه على عاتقه الأيسر .

* * *

شرح غريب ذكر رجوعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونزول سورة الفتح

مَرّ ـ بفتح الميم وتشديد الرّاء ، مضاف إلى الظّهران ، بالظّاء المعجمة المُشَالَة المفتوحة ، وبين مَرّ والبيت[1] الشريف ستة عشر ميلاً .

أَرْمَلُوا من الزّاد ـ بالرّاء : نَفَذَ زادهم .

النطع : المتخذ من الأديم معروف ، وفيه أربع لغات . فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها .

ربضة عَنْز : قدرها رابضة ؛ أى باركة .

النّواجذ ـ بالنون والجيم المكسورة وبالذال المعجمة : جمع ناجذ ، وهو السّنّ بين الضّرس والناب ، وأواخر الأضراس . والمراد هنا الأنياب .

الجهد : المشقة .

يدْفعوكم بالرّاح ـ بالحاء المهملة والراء : جمع راحة وهى الْكفّ .

لا يَلوُون على أَحَدٍ : لا يَلْتَفِتُونَ إليه ، ولا يَعْطِفُون عليه .

ثكلته أمه : كلمة تقولها العرب للإنكار ، ولا يريدون حقيقتها .

نزّرت ـ بنون فزاى مشدّدة فراء : ألحت .

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادةتقتضيها السياق .

نشب ـ بنون فشين معجمة فموحدة : لبث .

يوجفون الأَباعر : يَحِثّونها على الإسراع فى السير .

هنيئاً : طيبا .

مَريًّا : سائغاً .

عَرَّسْنَا ـ بعين فراء مشددة فسين / مهملات فنون : نَزَلْنَا ليلا ، أَو آخر الليل . ١٨٥ و

* * *

شرح غريب ذكر قدوم أبى بصير ـ رضى الله عنه ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

أَبو بَصِير ـ بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون التحتية فراء .

البَكْرُ مِنَ الإبل ـ بالفتح : وهو الفتى من الدّواب خلاف المُسِنّ ، كالشاب من الناس .

حتى بَرَدَ ـ بموحدة فراء مفتوحتين فدال مهملة : خمدت حواسُّهُ ، وهى كناية على الموت ؛ لأَن الميِّتَ تسكن حركته . وأَصل البرد السكون .

الإِسَار : وزن كتاب : القيد بفتح[1] القاف .

جَمَزَ ـ بالجيم والزاى ـ أَسرع .

الذُّعْر ـ بضم الذال المعجمة وسكون المهملة : الخوف .

وَيْلُ اُمِّه ـ بضم اللاّم ووصل الهمزة وكسر الميم المشددة : وهى كلمة ذمّ تقولها العرب فى المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذّمّ ؛ لأَنّ الوَيْلَ الهلاكُ ، فهو كقولهم : لأُمِّهِ الوَيْلُ. قال الفرّاء : أَصل وَيْل وَىْ لفلان ، أَى حُزْنٌ له : فكثر الاستعمال ، فأَلحقوا بها اللاّم ، فصارت كأَنّها منها ، وأَعربوها ، وتبعه ابنُ مالك ، إلاّ أَنه قال تبعاً للخليل

---

(١) فى الأصول بكسر القاف . والصواب ما أثبته لأن بكسر القاف إنما هو بمعنى المقدار والمسافة . والمراد هنا الحبل أو الرباط الذى تشد به أيدى أو أرجل المقيدين .

إن وى كلمة تعجب ، وهى من أسماء الأَفعال ، واللام بعدها مَكسُورة ، ويجوز ضمّها إتباعاً للهمزة ، وحُذفت الهمزة تخفيفاً .

مِسْعَرَ حربٍ – بكسرِ الميم ، وسُكُون السِّين ، وفتح العين المهملتين وبالنَّصب على التمييز ، وأصله من مِسْعَر حرب . أى مُسْعِرُها ، قال الخطابى : كَأَنَّه يصِفُه بالإقدام فى الحرب ، والتَّسْعِيرِ لنارها .

مِحَشّ – بحاء مهملة وشين معجمة : وهو بمعنى مِسْعَر حرب . : وهو العود الذى تُحَرَّكُ به النَّار .

العِيص – بكسر العين المهملة ، وسكون التحتية ، وبالصاد المهملة : موضع قرب المدينة على ساحل البحر .

ذو المَروَة : موضع فى أرض جُهَيْنَة مِمَا يلى سِيف البحر بين مكة والمدينة .

الثواء – بثاء مثلثة مفتوحة وبالمد : الإقامة .

صناديد[1] قريش : عظماؤها .

المعشر – واحد المعاشر : وهى الجماعات من الناس .

تخْفِق – بخاء معجمة ساكنة ففاء مكسورة وبالقاف : تضرب .

أَيمانهم – بفتح الهمزة .

القَنَا – بفتح القاف وبالقصر : جمع قناة : الرمح .

الذَّابِلُ – بذالٍ معجمة ، فألف فموحدة ، أشار إلى أن رماحهم رقاق .

لم يَأْتَل : لم يحلف .

---

(١) لم يرد هذا اللفظ فى شعر أبى جندل ولا ماسبقه من سياق الغزوة .

الباب الثالث والعشرون

فى غزوة ذى قَرد[1] - وهى الغابة

والسَّبَبُ فيها إغارة عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزَارى فى خيل غَطَفَان على لِقَاح رسول الله - صلى الله عليه وسلّم .

روى الشيخان ، والبيهقىُّ عن يزيد بن أبى عبيد ، ومسلمٍ وابنِ سعد ، والبيهقىُّ عن إياس بن سلمة بن الأكوع كلاهما عن سلمة - رضى الله عنه . وابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ومَن لايُتَّهم عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، ومحمدٌ بن عمر عن شيوخه ، وابنُ سعد عن رجاله ، أن لِقَاحَ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - كانت عشرين لِقْحَة[2] وكانت / ترعى البيضاء[3] ودون ١٨٥ ظ
البيضاء إلى الجبل ، وهو طريق خيبر ، فأجدب ما هنالك فقرّبوها إلى الغابة تصيب من أثلها وطرفائها وتغدو فى الشجر ، وكان الرّاعى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب .

قال محمد بن عمر : وكان أبو ذَرّ قد آستأْذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى لِقَاحه[4] ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنى أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك . ونحن لا نأْمن مِنْ عُيَيْنَة بن حِصْن وذَوِيه وهى فى طرف من أطرافهم ، فألحّ عليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لكأنى بك قد

---

(١) وانظر أخبار هذه الغزوة فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٠١ ، وشرح المواهب ٢ :١٤٨ وذى قرد . ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان ، والقرد لغة الصوف .

(٢) لقحة بكسر اللام وقد تفتح وحاء مهملة . والجمع لقاح بالكسر فقط . وهى ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة بشهر واثنين وثلاثة .

(٣) البيضاء : موضع تلقاء حمى الربذة (معجم ما استعجم : ١٨)

(٤) عبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٥٣٨ « أن يكون فى لقاحه » وهو يفسر مامعنا .

قتل ابنُك وأُخِذَت امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك » فكان أبو ذرّ يقول : عجباً لى ، إنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « لكأنى بك » وأنا أُلِحّ عليه ، فكان – والله – ما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال أبو ذرٍّ : والله إنّى لَفِى منزلنا ، ولقاحُ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – قد رُوِّحَت وعُطِّفَت وحُلِبَت عَتَمَتُها ، ونمنا ، فلما كان الليل أَحْدَقَ بنا عُيَيْنَةُ بن حِصْن فى أربعين فارساً ، فصاحوا بنا وهم قيام[١] فأشرف لهم ابنى فقتلوه ، وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجَوْا ، وتنحَيت عنهم ، وشغلهم عنى إطلاقُ عُقُل اللِّقاح ، ثم صاحوا فى أدبارها ، فكان آخر العهد بها ، ولمّا قدمتُ على رسُولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وأخبرته تبسَّمَ .

وقال سلمة بن الأكوع : خرجت قبل أن يؤذن[٢] بالأُولى ، وكانت لِقَاحُ رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلم – بذى قَرَد ، فبعث رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بظَهْره مع رَبَاح – بفتح الراء وبالموحدة – غلامُ رسُولِ الله – صلَّى اللهُ عليهوسلَّم – وأنا معه ، وخرجت بفرس طلحة أُنْدِّيه[٣] مع الظَّهْر ، فلقيتُ غلاماً لعبد الرحمٰن بن عوف كان فى إبلٍ لعبد الرحمن بن عوف فأخطئوا مكانَهَا ، واهتدوا لِلقَاح رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأخبرنى أن لِقَاح رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قد أغار عليها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ فى أربعين فارساً من غطفان .

قال محمد بن عمر وابنُ سعد : ليلة الأربعاء ، قال سلمة : فقلتُ : يا رَبَاح اقْعد على هذا الفرس ، فالحق بطلحة ، وأخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن قد أُغِير على سَرْحِه[٤] ،وقمت على تلّ بناحية سلع ، فجعلتُ وجهى مِنْ قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه أسمع ما بين لابَتَيْها ثم انبعثَ القومُ ومعى سيفى ونَبْلِى ، فجعلتُ أردّهم ، وفى لفظ : أرميهم ، وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشجر ، فإذا

---

(١) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٩ « وهم قيام على رءوسنا »
(٢) أى لصلاة الصبح كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٤ .
(٣) وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٩٠ « أريد أن أنديه مع الأبل » وانظر المعنى فى شرح المفردات .
(٤) السرح : المال السائم المرسل فى المرعى ، وانظر شرح المفردات .

رجع إلىَّ فارسٌ جلستُ له فى أصل شجرة ، ثم رميتُ ، فلا يُقْبل علىَّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنَا ابــــنُ الأَكـــوع والْيومُ يــــومُ الرُّضَّـع

فألحق رجلا فأرميه وهو على رحله فيقع سهمى فى الرحل حتى انتظمت كتفه فقلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع فإذا كنت بالشجر أحرقتهم بالنَّبْل ، وإذا تضايقت الثَّنايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة ، فما زال ذلك شأنى وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتَّى ما خَلَقَ الله - تعالى - شيئاً من ظَهْر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا خلَّفْتُه وراءَ ظهرى واستنقذته من أيديهم .

قال / ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمْحًا ، وأكثر من ثلاثين ١٨٦ و
بُرْدَةً يستخِفُّون منها ، ولا يُلْقُون من ذلك شيئاً إلا جعلتُ عليه الحجارة ، وجمعتهُ على طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا اشتدَ الضحى أتاهم عُيَيْنَةُ بن بدر الفزارى مُمدًّا لهم . وهم فى ثَنِيَّة ضيقه ، ثم عَلَوْتُ الجبل ، فأنا فوقهم . فقال عُيَيْنة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا الْبَرْحَ[1] ما فَارَقَنَا بِسَحَر حتى الآن ، وأخذ كل شىء فى أيدينا وجعله وراءَ ظهره ، فقال عُيَيْنَةَ : لولا أن هذا يَرَى أن وراءَه طلباً لقد تركُكم ، وقال : لِيَقُم إليه نفرٌ منكم ، فقام إلى أربعة منهم فصَعدوا فى الجبل ، فلما أَسْمَعْتَهُمُ الصوتَ قلتُ لهم : أتعرفوننى ؟ فقالوا : ومن أنت ، قلت : أنا ابن الأَكْوَع ؛ والذى أكرمَ وجْهَ محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يطلبنِى رجلٌ منكم فيدركنى ، ولا أطلبه فيفوتنى . فقال رجلٌ منهم : إنى أظن فرجعوا .

* * *

ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى طلب العدو وتقديمه جماعة أمامه

قال ابن إسحاق[2] : وبلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صياحُ ابن الأَكْوَع يَصرخ بالمدينة « الفزع الفزع » . فترامت الخيولُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) البرح : الشدة والأذى وهى بفتح الباء وسكون الراء شرح المواهب ٢ : ١٥١ (، وانظر شرح المفردات .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ ط الشعب .

فكان أولّ من انتهى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الفرسان المِقْدَادُ بنُ عمرو ، وهو الذى يُقَالُ له ابن الأَسود حليفُ بنى زُهْرَة ، زاد محمدُ بنُ عمر – نَقْلاً عن عمارة بن غزية ، وابن سعد – فَنُودِىَ « يا خَيْلَ الله ارْكَبِى » ، وكان أَوّل مَا نُودِى بِها – كذا قال ، وزاد ابنُ عائذ عن قتادة : أنّ أَوّل ما نُودى « يا خيلَ الله ارْكبى » فى غزوة بنى قُرَيْظَة ، وهى قبل هذه عندهم .

قال محمد بن عمر : وكان المقدادُ يقول : لمّا كانت ليلة السَّرْحِ جَعَلَتْ فَرَسِى سَبْحَةُ[1] لا تَقَرُّ ضَرْبًا ضَرْبًا بيدها ، وصَهِيلاً ، فأَقول : والله إنّ لها لشأْناً ، فأَنظر إلى آريِّها[2] فإذا هو مملوء علفا ؛ فأَقول : عَطْشَى فأَعرض عليها الماءَ فما تريده . فلما طلع الفجر أسرجتها ولبستُ سلاحى ، ثم خرجتُ حتّى أُصلّى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصبح ، فلم أَرَ شيئاً ، وَدخَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بيته ، ورجعت إلى بيتى ، والفرسُ لا تَقِرّ ، فوضعت سرجَهَا والسّلاح واضطجَعْتُ ، فأَتانى آتٍ فقال : إنّ الخيلَ قد صيح بها ، فخرجت .

قال ابن إسحاق : ثم كان أَوّل فارس وقف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد المِقْداد من الأَنصار عبّاد بتشديد الموحدة ابن بِشْر[3] – بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة ، وسعْد بسكون العين – بن زيد ، وأُسَيد[4] – بضم أَوّله وفتح ثانيه – ابن ظُهَيْر – وهن[5] – تصغير ظهر – بظاء معجمة مشالة ، ومُحْرز[6] بضم الميم وسكون الحاء المهملة فراء مكسورة فزاى ابن نضلة بالنون وسكون الضاد المعجمة ، وربيعة بن أَكثم

---

(١) كذا فى ط ت ، م « سبحاء » بالمد . والمثبت يتفق وماجاء فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٨ .
(٢) آريها : الآرى الحبل الذى تشد به الدابة إلى محبسها (الصحاح ٢٢٦٧) . والمراد هنا مربطها وموضع علفها .
(٣) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء . أحد بنى عبد الأشهل السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ .
(٤) وهو أحد بنى كعب بن عبد الأشهل أيضاً (المرجع السابق) .
(٥) « وهن » أى يشك فيه كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٧ . وهو أسيد الظهرى كما فى القاموس المحيط (ظ هـ ر) .
(٦) هو محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة (السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ .

بالثاء المثلثة ، وعكاشة بتشديد الكاف وتخفيفها ابن محصن بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وأبو عيّاش[1] بالتحتية والشين المعجمة الزُّرَقى ، وأبو قتادة[2] . فلما اجتمعوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَمَّرَ عليهم سعد بن زيد ، ثمّ قال : « اخْرُجْ فى طَلَب القومِ حتَّى ألحَقكَ بالناس » .

وقال / محمدُ بن عمر[3] ، وابنُ سعد : عقد رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – للمِقْداد لواءً فى رُمْحِه ، وقال : « أمْضِ حتَّى تلحقك الخيولُ ، وأنا على أثرك » قالا : والثَّبْتُ عندنا أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَمَّرَ على هذه السّرية سعدَ ابنَ زيد الأَشْهَلِيّ ، ولكن الناس نسبوها للمِقْدَاد ؛ لقول حسّان .·. غداة فوارس المقداد .·. فعاتبه سعدُ بن زيد فقال : اضطرنى الوزن إلى المِقْدَاد[4] . ١٨٦ ظ

قال ابنُ إسحاق : وقد قالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فيما بلغنى عن رجلٍ من بنى زُرَيق – لأَبى عيَّاش : « يا أَبا عياش لو أَعطيتَ هذا الفرس رجلا هو أَفرس منك فلحق بالقوم » ، قال أبو عياش فقلت يا رسولَ الله أنا أَفرسُ النّاس ، وضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : « لَوْ أَعْطَيْتَه أَفْرَس مِنْك » وأنا أَقول : أَنا أَفرس الناس ، فزعم رجالٌ من بنى زُرَيقٍ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم[5] – لما أَعطى فرس أَبى عيّاش مُعَاذَ بن ماعص وكان ثامنا ، أو عائِذ – بالتحتية والمعجمة – ابن ماعص بعين مكسورة فصاد مهملتين . وذكر الطبرى أَن معاذ بن ماعص وأخاه قُتِلا يوم بئر معونة شهيدين كما سيأْتى فى السرايا ، وبعض النَّاسِ يعدسَلَمَة بن الأَكوع أَحد الثمانية ويسقط أُسَيْد ابن ظُهَير – والله أَعلم أَى ذلك كان ، فخرج الفرسان حتَّى تلاحقوا ، وكان أَوّل من لحق

---

(١) هو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق (المرجع السابق) .

(٢) أبو قتادة هو الحارث بن ربعى أخو بنى سلمة . (المرجع السابق) .

(٣) أنظر (مغازى الواقدى ٢ : ٥٤٢) .

(٤) وبيت حسان هو : وتسر أولاد اللقيطة أننا : سلم غداة فوارس المقداد .

(٥) إضافة تقتضيها السياق .

بالقوم مُحْرز بن نَضْلَة ، وكان يقال له الأَخرم بخاء معجمة ساكنة وراء ، ويقال له قُمَير – بضم القاف وفتح الميم .

وإن الفَزَع لَمَّا كَانَ جَالَ فَرَسٌ(١) لمحمود بن مسلمة فى الحائط حين سمع صاهلة الخيل.وكان فرسا صنيعا جامعاً ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأَشهل – حين رأَين الفرس يجول فى الحائط بجذع نَخْلٍ هو مَرْبُوط به : يا قمير هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما تَرَى ، ثم تلحق بِرَسُولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأَعْطَيْتُهُ إيَّاه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أَن بَذَّ الخيلَ بجماحه حتى أدرك القوم ، فوقف بين أَيديهم ، ثم قال : قِفُوا يامعشر بَنِى اللَّكِيعَة حتَّى يلحق بكم مَنْ وراءَكم مِن أَدباركم من المهاجرين والأَنصار ، فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقْدَر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ(٢) فى بنى عبد الأَشهل .

قال سَلَمَةُ بنُ الأَكوع : فما برحتُ من مكانى حتَّى رأَيتُ فَوَارِسَ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يتخلَّلُون الشَّجر ، فإذا أَوَّلهم الأَخرم الأَسدى ، وعلى أَثره أَبو قَتَادة، وعلى أَثره المقدادُ بن الأَسود الكندى ، فولى المشركون مدبرين ، قال سلمة : فنزلت من الجبل ، وأَخذت بعنانِ فرسِ الأَخرم ، وقلت : يا أَخرم احذرهم لا يقتطعوك حتَّى يلحق رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأَصحابه ، قال : يا سلمة ، إنْ كنْتَ تُؤمنُ بِاللهِ واليوم الآخر ، وتعلم أَنَّ الجنَّةَ حقٌّ والنَّار حق ، فلا تَحُل بينى وبين الشَّهادة . فخَلَّيْتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عُيَيْنَة فعثر بعبد الرحمن فرسُهُ ، وطعنه
١٨٧ و عبد الرحمن فقتله . وتحوّل على فرسه ، ولحق / أَبُو قتادة فارسُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين ، فعقر بأَبى قتادة ، وقتله أَبو قتادة ، وتحول أَبو قتادة إلى الفرس .

---

(١) عبارة الواقدى – المغازى ٢ : ٥٤٢ « فلما نادى الصريخ الفزع الفزع كان فرس لمحمد ابن مسلمة يقال له ذو اللمة مربوطاً فى الحائط ، فلما سمع صاهلة الخيل صهل وجال فى الحائط فى شنطه » والعبارة المذكورة هى عبارة ابن هشام فى السيرة ٢ : ٢١٤ إلى هامش الروض الأنف .

(٢) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة (انظر شرح المفردات) .

وروى محمد بن عمر عن صالح بن كيسان ، قال مُحْرِز بن نضلة قبلَ أن يَلْقَى العدوّ بيوم : رأيت السَّماء فُرجَت لى حتى دخلتُ فى السماء الدنيا ، حتى انتهيت إلى السماء السابعة ، ثم انتهيت إلى سدرة المُنْتَهَى ، فقيل لى : هذا منزلك ، فعرضتها على أبى بكر الصّديق - وكان من أعبر النَّاس - فقال : أبشر بالشهادة . فقتل بعد ذلك بيوم .

قال سلمة : ثم خرجت أعدو فى أثَرِ القوْمِ فوالذى أكرم وجهه حتى ما أرى من ورائى من أصحابِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولا غبارهم شيئاً ، ويَعْرِضُون قبل غيبوبة الشمس إلى شِعْبٍ فيه ماء يقال له ذو قَرَد ، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصرُونى أعدو وراءَهُم فعطفوا عنه ، وأَسْنَدُوا فى الثنية « ثَنِيَّة ذِى بِئر » وغربت الشَّمس ، وألْحَقُ رجلاً فأرميه وقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع والیوم یــــوم الرضـــع

قال : فقال يا ثكل أم الأكوع بُكْرَةً[1] فقلت : نعم أى عدو نفسه .

وكان الذى رميته بُكْرَة ، فأتبعته بسهم آخر فعَلِقَ به سهمان ، وخلّفوا فرسين ، فجئت بهما أسوقهما إلى رسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عُيَيْنَة بن حِصن وغشاه ببرده ، ثم لحق بالناس ، وقال محمد بن عمر ، وابن سعد : وقتل المقداد ابن عمْرو حَبِيْب بن عيينة بن حصن . [وقرفة[2]] بن مالك بن حذيفة بن بدر ، فالله أعلم . وأدرك عُكَّاشة بن حِصن أَوْبَارًا ، وابنه عمرو بنَ أَوْبَار وهما على بعير واحد فانتظمهما [بالرمح][3] فقتلهما جميعاً ، واستَنْقَذُوا بعض اللِّقاح .

وروى البيهقىّ عن عَبْد الله بن أبى قتادة : أن أبا قتادة اشترى فرسه من دوابّ

---

(١) بياض فى الأصول . والإثبات عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٩١ .
(٢) إضافة للتوضيح من شرح المواهب ٢ : ١٥٠ .
(٣) إضافة عن المرجع السابق . والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٨ .

دخلت المدينة . فلقيه مَسْعَدَة الفزارى فقال : يا أبا قتادة ، ما هذا الفرس ؟ فقال أبو قتادة : فرس أردت أن أربطها مع رَسُولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فقال ما أهون قتلكم وأشد حربكم ، قال أبو قتادة : أمَا إنى أسأل الله – تعالى – أن يلقينيك وأنا عليها فقال[أمين[1]] وكان أبو قتادة ذات يوم يعلف فرسه تمراً فى طرف بردته إذ رفعت رأسها وأصرت أذنيها ، فقال : أحلف بالله لقد أحسّت بريح خيل : فقالت له أمّه : والله يا بنى ماكنا نرام فى الجاهلية ، فكيف حين جاءَ الله بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم رفعت الفرسُ أيضاً رأسها ، وأصرت أذنيها ، فقال : أحلف بالله لقد أحست بريح خيل . فوضع سرجها فأسرجها ، وأخذ بسلاحه ، ثم نهض حتى أتى مكاناً يقال له الزَّوراء[2] فلقيه رجلٌ من أصحابه ، فقال له : يا أبا قتادة ، تُشَوِّط[3] دابتك ، وقد أُخِذَت اللقاح . وقد ذهب النبيُّ فى طلبها وأصحابه ؟! فقال : أين ؟ فأشار إليه نحو الثنيّة . فإذا بالنبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى نفر من أصحابه جلوسٌ عند ذِباب[4] ، فَقَمَعَ دَابَّتَه ، ثم خَلاَّهَا ، فمرَّ بالنَّبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال له : « آمْضِ يا أبا قَتَادة صَحِبَكَ الله » قال أبو قَتَادَة : فخرجتُ فإذا بإنسانٍ
١٨٧ ظ يحاكينى فلم ننشب أن هجمنا على العسكر ، فقال لى : يا أبا قتادة / ما تقول ؟؟ أما القوم فلا طَاقَةَ لنا بهم ، فقال له أبو قتادة : تقولُ : إنى واقف حتَّى يأْتى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أريد أن تشدّ فى ناحية وأشدُّ فى ناحية ، فوثب أبو قَتَادة فشقَّ القومَ . فَرَموه بسهم ، فوقع فى جبهته ، قال أبو قتادة : فنزعت قِدْحه ، وأظنُّ أنى قد نزعتُ الحديدة . ومضيتُ على وَجْهى فلم أنشب أن طَلَعَ علىَّ فارس على فرس فاره وعليه مغفر له فأثبتنى ولم أُثبته . قال : لقد ألقانيك الله يا أبا قتادةَ وكشف عن وجهه وأداة كليلة على وجهه فإذا هو مَسْعَدَة الفَزَارىّ ، فقال : أيمّا أحبّ إليك مجالدة أو مطاعَنَة أو مصارعة ؟ قال : فقلتُ : ذَاكَ إلَيْك ، قال فقال : صراعٌ ،

---

(١) بياض بالأصل . والإثبات عن . السيرة الحلبية ٢ : ١٢٩ ط الحلبى .

(٢) الزوراء : مكان بسوق المدينة . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٢٢٨ تحقيق محيى الدين .

(٣) أى تجرى فرسك (محيط المحيط) .

(٤) ذباب : جبل بجبانة المدينة ، وعليه مسجد الراية ، ويقال له أيضاً « ذوباب (وفاء الوفا ٤ : ١٢١٤) .

فأجال رجله على دابته ، وأجلتُ رجلى على دابتى ، وعقلت دابّتى وسلاحى إلى شجرة ، وعقل دابته وسلاحه إلى شجرة ، ثمّ تواثبنا ، فلم أنْشب أن رزقنى الله - تعالى - الظَّفَر عليه ، فإذا أنا على صدره ، فوالله إنى لمن أهَمِّ الناس من رجل متأبط قد[هممت][1] أن أقوم فآخذ سيفى ، ويقوم فيأُخذ سيفه ، وإنَّا بين عسكرين لا آمن أن يهجم على أحدهما ، إذاً بشيء مسَّ رأسى ، فإذَا نحنُ قد تعالجنا ، حتَّى بلغنا سلاح مَسْعدة فضربتُ بيدى إلى سيفه ، فلمَّا رأى أنَّ السَّيْفَ وقع بيدى قال : يا أبا قتادة ، اْستحينى ، قلت : لَا ، واللهِ أو تَردَ أُمُّك الهاوية .

قال : فَمَنْ للصِّبْيَة ؟ قلت : النَّار . قال : ثُمَّ قَتَلْته وأدرجته فى بُرْدى ، ثم أخذتُ ثيابه فلبستها ، ثم أخذت سلاحه ، ثم استويْتُ على فرسه ، وكانت فرسى نَفرَت حين تعالجنا فرجَعَت إلى العسكر ، قال : فعرقبوها[2] .

قال : ثم مضَيْت على وجهى فلم أنشب أنَا حتى أشرفْت على ابن أخيه وهو فى سبعة عشر فارساً ، قال فألَحْتُ إليهم فوقفوا ، فَلَمَّا أن دنوت منهم حملتُ عليهم حملة وطعنتُ ابنَ أخيه طعنة دققتُ عنقه[3] ، وانكشفَ مَنْ كان معه . وحبستُ اللِّقاح برمْحِى .

* * *

ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطلب العدو

قال محمد بن عمر ، وابنُ سعد :

خرج رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - غداة الأربعاء راكِباً مُقَنَّعًا فى الحديد .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم[4] .

قال : وخلف سَعْدَ بنَ عُبَادة - رضى الله عنه - فى ثلاثمائة من قومه يحرسُونَ المدينة .

---

(١) بياض فى الأصل ، والمثبت عن البيهق .

(٢) كذا فى ط ، م وفى ت و م ، ص « فعرفوها » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت و م و ص « صلبة » .

(٤) انظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

قال ابن إسحاق : ولَمَّا مَرّ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - والمسلمُونَ بِحَبِيبٍ مُسجًّى ببُرْدِ أَبي قَتَادة اَسْتَرْجَعُوا ، وقالوا : قُتِلَ أبو قَتادة ؛ فقال رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - : « ليس بأَبي قَتَادَة ، وَلَكِنَّه قتيلٌ لِأَبِي قَتَادَة ، وَضَعَ عليه بُرْدَه لِتَعرِفُوا أَنَّه صَاحِبُه ».

قال ابنُ سعد قال سلمة لحقنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخيول عشاء قال أبو قتادة - رضى الله عنه- فى حديثه السَّابق : وأقبل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ومَن معه من أصحابه ، فلمَّا نظر إليهم العسكرُ فروا قال : فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفرس أَبي قتادة قد عرقبت فقال رجلٌ من أصحابه : يا رسولَ الله !! ١٨٨ و قد عُرْقِبَت فرسُ أَبي قتادة ، قال : فوقف عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم / فقال : « ويح أمك ، رُبَّ عَدُوٍ لَكِ فى الحرب » مرتين[1] . ثم أقبل رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأصحابه حتَّى إذا انتهوا إلى الموضع الَّذِى تَعَالَجْنَا فيه إذا هُم بأَبي قتادة - فيما يَرَوْن مُسَجًّى فى ثيابه ، فقالَ رجلٌ من الصَّحَابة : يا رسولَ الله ؛ قد اَسْتُشْهِدَ أَبُو قَتَادَة ، قال ، فقالَ رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم : « رَحِمَ اللهُ أَبَا قَتَادَة ، وَالَّذِى أَكْرَمَنِى بِمَا أَكْرَمَنِى بِه إِنَّ أَبَا قَتَادَةَ على آثار الْقَوْمِ يَرْتَجِز ». فدخلهم الشَّيْطَان أنهم ينظرون إلى فرسى قد عُرْقِبَت ، وينظرون إلى مُسَجًّى عليه ثيابى .

قال : فخرج عُمر بنُ الخطَّابِ وأبو بكرٍ - رضى اللهُ عنهما - يَسْعَيَان حتى كشف الثَّوْبَ ، فإِذَا وجْهُ مَسْعَدَةَ ، فقالا : الله أكبر ، صدَقَ الله ورسولُهُ ، مسعدة يا رسولَ الله . فكبّر الناس ، ولم ينشب أن طَلَعَ عليهم أَبُو قَتَادة يحوش اللِّقَاح ، فقال رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - « أَفْلَحَ وَجْهُكَ يَا أَبَا قَتَادَة ، أَبُو قَتَادَةَ سَيِّدُ الفرْسَان ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا أَبَا قَتَادَة .

قال : قلت : بأَبِي أَنْتَ وأُمى يا رسول الله ، سَهْمٌ أَصَابَنِى ، والَّذِى أكرمَكَ بما أَكرمَكَ ، وفى ولدك وفى ولد ولدك - وأحسب عكرمة قال وفى ولد ولد ولدك - ما هذا بوجهك

---

(١) أى قال ذلك مرتين .

يا أَبا قتادة ؟ قد ظننتُ أَنّى قد نزعته ، قال : « آدْن مِنّى يا أَبا قتادة » قال : فدنوت منه . قال : فنزع النّصل نزعا رفيقا ، ثم بزق فيه رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – ووضع راحته عليه ، فوالذى أَكرم محمداً – صلّى الله عليه وسلّم – بالنبوة ما ضَرَبَ[1] علىَّ ساعةً قطّ ، ولا قَرَحَ[2] قط علىّ .

وروى محمد بن عمر وابنُ سعد عن أَبى قتادة قال : لَمَّا أَدركنى رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِى شَعْرِه وَبَشَرِه ، وقال[3] . أَفلح وجهك » قلتُ : ووجْهُك يَارسولَ الله ، قال : « قتلتَ مَسْعَدة ؟ » قلت : نعم ، وذكر نحو ما تَقدّم قال : فمات أَبُو قَتَادَةَ وهو ابن سبعين سنة وكأَنه ابن خمس عشرة سنة .

وذهب الصَّرِيخُ إلى بنى عمرو بن عَوْف ، فجاءَت الأَمْدَاد ، فلم تزل الخيلُ تأْتى والرجالُ على أَقدامهم والإِبل ، والقومُ يَعْتَقِبُونَ البعيرَ والحمارَ حتى آنتهوا إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذى قَرَد

قال ابنُ إسحاق : واستنقذوا عشر لِقاح زاد – فيها جمل لأَبى جهل ، وأَفلت القومُ بعشر.

وكانت رايةُ رسولِ لله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – العُقَابُ ، يحملها سعدُ بن زَيْد ، وكان شِعَارهُم أَمِتْ أَمِت .

وصلَّى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذٍ صلاةَ الخوف ، وسيأْتى بيانُهَا فى أَبْواب صَلَاتِهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – صلاة الخوف .

وقال سلمة : ولحقنى عَمِّى بِسَطِيحَة فيها مِذْقة[4] من لبن ، وسطيحة فيها ماء فتوضأْت وشربت .

---

(١) ضرب عليه : أى اشتد وجعه « أساس البلاغة » .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٥٤٥ « قرح أوقاح » .

(٣) كذا فى ت ، م . وفى ط « وقد أفلح » .

(٤) فى السيرة الحلبية ٣ : ٨ « أتانى عمى عامر بن الأكوع » والمذقة ؛ القدر القليل .

وروى ابن سعد عنه قال : لَحِقْنَا رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – والخيول عشاءً انتهى .

قال سلمة : فأتيتُ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وهو على الماء الذى أجليتهم عنه ، فإذا رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قد أخذ تلك الإبل ، وكلّ ما قد استنقذته من المشركين ، وكل رمح وبردة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التى آستنقذتِ من
١٨٨ ظ القوم ، وشوى لرسول اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – من سَنَامِها وكَبِدِها / فقلتُ : يا رسولَ الله !! قد حميت القوم الماء ، وهم عِطَاش خلفى ، فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القومَ فلا يبقى مُخْبرٌ إلا قَتَلْتُه . فضحك رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – حتى بدَت نَواجِذُه فى ضوءِ النّار ، وقال : « يا سلمة أتُرَاكَ كُنْتَ فاعلا ؟ » قلت : نعم . والذى أكرمك . فقال : « ملكتَ فَأَسْجح ، إنهم ليُغْبَقُون »[1] وفى لفظ لَيُقْرَون فى أرض غطفان » ، فجاءَ رجل من غطفان وقال : نَحَرَ لهم فلانٌ جَزُورا ، فلما كشطوا جلدها رَأَوا غبارا ، قالوا : أَتاكم القومُ ، فخرجوا هاربين .

قال ابن إسحاق : وقسّم رسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فى أصحابه فى كل مائة جزورا .

وأقامَ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بذى قَرَد يوماً وليلةً يَتَحَسَّبُ الخبر .

وفى حديث سلمة أنهم كانوا خمسمائة .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : ويقال سبعمائة ، وبعث سعدُ ابنُ عُبَادة – رضى اللهُ عنه – بأَحمالِ تَمْرٍ ، وبعشر جزائِر فوافتْ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذى قَرَد ، قال سلمة : فلمَّا أَصبحنا قال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم « خَيْرُ فُرُسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَة ، وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا[2] سَلَمَة » .

---

(١) يغبقون : أى يشربون الغبوق وهو مايشرب بالليل بخلاف الصبوح .
(السيرة الحلبية : ٣٠٤٢)

(٢) رواه مسلم وابن سعد فى حديث سلمة بن الأكوع – شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٥٣ .

ثم أعطانى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – سهمَ الفارس والراجل فجمعهما لى جميعاً ، ثم أردفنى رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – وراءه على العَضبَاء راجعين إلى المدينة ، فلما كان بينها وبينه قريبٌ من ضَحْوَة ، وفى القوم رجلٌ من الأنصار كان لا يُسْبَق ، فجعل يُنَادى : هل مَنْ يُسابق ؟ إلىّ رجلٌ يسَابِقُ إلى المدينة ، فَعَلَ ذلك مِراراً ، وأنا وراءَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مُرْدِفِى ، قلت له : أما تكرم كريما ، ولا تهاب شريفا ؟ قال : لا ، إلاَّ رسول اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – قلتُ : يا رسولَ الله ، بأَبِى أنت وأُمِى خَلِّنى فلأُسابق الرَّجُل ، قال : « إن شِئْتَ » قلتُ : أذهبُ ، فَطَفر عن راحلته ، وثنيت رجلى ، فطفرت عن الناقة ، ثم ارتبطت عليه[1] شرفا أو شرفين ، يعنى استبقيتُ نفسى ، ثمَّ عدوْتُ حتَّى ألحقه ، فأَصُكُّ بين كتفيه بيدى ، وقلت : سَبَقْتُكَ والله ، فضحك وقال : والله إن أظن ؛ فسبقته حتى قدمنا المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خَيْبَر[2] .

قال محمد بن عمر وابن سعد : ورجع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى المدينة يوم الاثنين ، وقد غاب خمس ليال .

وروى الزّبيرُ بن بكارٍ عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى قال : مر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى غزوَةِ ذِى قَرَد على مَاءٍ يقالُ له بيسان ، فسأَل عنه ، فقيل : اسمُه يا رسولَ الله بيسان – وهو مالح – فقال : « بل هو نُعْمَان وهو طيب » فَغَيَّرَ رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الاسم – وغَير اللهُ عز وجَل الماءَ ، فاشتراه طلحة ، فتصدّق به

* * *

ذكر قدوم امرأة[3] أبى ذر على ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد ، ومسلمٌ وأبو داود عن عمران بن حُصَين –رضى الله عنهما – فذكر الحديث ، وفيه « فكانت المرأة فى الوثاق ، وكان القومُ يُريحُونَ نَعَمَهم بين

---

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٩٢ « ربطت عليه » .

(٢) قال ابن كثير فى السيرة ٢ : ٢٩٣ « وهكذا رواه مسلم من عدة طرق عن عكرمة بن عمارة بنحوه » .

(٣) ذكر ابن حجر فى الإصابة (٤ : ٢٤١) أن اسمها ليلى ، وكانت زوجا لأبى ذر ولم ينسبها .

١٨٩ و يدى بيوتهم . فأنفلتت ذاتَ ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فجعلت / إذا دنت من البعير رَغَا فتتركه ، حتى أنتهت إلى العضبَاء فلم تَرغ ، قال : وهى ناقةٌ مدربة ، فقعدت فى عَجُزها ، ثم زَجَرَتها فأنطلقت ، وقد رأوها فطلبوها فأعجزتهم ، قال : ونَذَرَت إن نَجَّاها الله ـ عزّ وجل ـ لَتنحرنها ، فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالُوا : العَضبَاءِ ناقةُ رسولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت : إنّها نَذَرَت إن نجاها اللهُ عليها لَتنحرَنَّها ، فأتوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فذكروا ذلك له فقال : « سُبْحَانَ الله ، بِئْسَ مَا جَزَتهَا نَذَرَت إن نَجَّاهَا اللهُ لَتَنحَرَنَّهَا ،لَا وَفَاء لِنَذْرٍ فِى مَعْصِيَةٍ وَلَا فيما لا يَمْلِكُ ابنَ آدم » . زاد ابن إسحاق من مُرْسَلِ الحسن « إنما هى ناقة من إبلى ، إرجعى إلى أهلك على بركة الله » .

وقدِمَ ابنُ أخى عُيَيْنَة بلَقْحة رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ السَّمْرَاء فبشرته بها سَلْمَى[1] ، فخرج ـ صلَّى الله عليه وسلَّم مستبشراً ، وإذا رأسها بيد ابنِ أخى عُيَيْنَة ، فلما رآها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عرفها ، ثم قال : أَيْمَ بربك[2] » فقال : يا رسولَ الله أهديْتُ لك هذه اللقحة ، فتبسّم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [وقبضها][3] منه ، ثم أقام عنده يوماً أو يومين ، ثم أمر له رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بِثَلاَثِ أواقٍ من فِضَّة ، فجعل يَتَسَخَّطُ ، قالت سلمى : فقلت : يا رسولَ الله أتُثِيبه على ناقةٍ من إبلك ؟ فقالَ رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم » : نعم وهو يَتَسَخَّط علىّ » .

ثم صلَّى رسولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ الظهر ، ثم صَعِدَ المنبرَ فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إنَّ الرَّجُلَ لَيُهْدِى إلَىَّ النَّاقَةَ مِنْ إبلى أعْرِفُها كَمَا أعْرِفُ بَعْض أهْلِي ، ثُمَّ أثيبه عليها فَيَظَلُّ يَتَسَخَّطُ عَلَىَّ ، لَقَدْ هَمَمْتُ أن لا أقْبَلَ هَدِيَّةً إلاَّ من قُرَشِيّ أَوْ أَنْصَارِىّ أَوْ ثَقَفِىّ أَوْ دَوْسِىّ » .

---

(١) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٤٨ أن سلمى هى جدة عبد الله بن على .

(٢) فى المرجع السابق ٢ : ٥٤٩ « أيم بلك »

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

ذكر من قتل فى هذه الغزوة

فمن المسلمين مُحْرِزُ بن نَضلة[١] ، أحد بنى أسد بن خُزَيْمَة ، وابن وقّاص بن مُجَزِّز – بميم مضمومة فجيم فزايين معجمتين ، الأُولى مشددة مكسورة المُدْلَجىّ – فيما نقل ابن هشام عن غير واحدٍ من أهل العلم .

ومن الكفار مَسْعَدة بن حَكَمة[٢] – بفتحتين ، وأوثار – بضم الهمزة وبالثاء المثلثة عند محمد بن عمر ، وابن سعد ، وبالموحدة عند ابن إسحاق ، وقال ابن عُقبة : أَوْبَار – بفتح الهمزة وسكون الواو فموحدة والله أعلم .

وابنه عمْرُو بن أَوبار ، وحبِيْبُ بن عُيَيْنَة ، وقِرفة بن مالك ابن حُذَيْفة بن بدر ، ووقع عند ابن عقبة : وقِرفة امرأةُ مَسْعدة .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة ذى قرد

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لَوْلَا الذى لَاقَتْ ومَسَّ نُسُورَهَا ... بجَنُوب سايَة أمْسِ فى التقْوَاد

لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِى الحَقِيقَةِ ماجِدِ الأَجدادِ

وَلَسَرَّ أَولادَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... سِلْمٌ غَداةَ فَوَارِسِ المِقْدَاد

كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً ... لَجِبًا نَشُكُّوا بالرِّماح بَدَادِ

كُنَّا مِنَ [القوم][٣] الذينَ يَلُونَهُم ... ويُقَدِّمُون عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ ١٨٩ ظ

---

(١) هو محرز بن نضلة بن عبد الله الأسدى ، من بنى أسد بن خزيمة ، شهد بدراً – ونضلة بفتح وسكون الضاد المعجمة ، وعن الدارقطنى فتحها ، وحكى البغوى عن ابن اسحاق : محرز بن عون بن نضلة ، وبعضهم يقول : ابن ناضلة – قاله اليعمرى (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٥٠ .

(٢) هو مسعدة بن حكمة الفزارى رئيس المشركين يومئذ ، وهو الذى قتله أبو قتادة وسجاه ببرده (شرح المواهب . ٢ : ١٥٠ .

(٣) سقط فى الأصول ، والإثبات عن السيرة لابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٤ .

كلا وربِ الرَّاقِصاتِ إلى مِنىً ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأَطْوَادِ
حتَّى نُبِيلَ الخيلَ في عَرَصَاتِكُمْ ... ونَؤُوبَ بالمَلَكَاتِ والأَولادِ
رَهْواً بكُلِّ مُقَلَّصٍ وَطِمِرَّةٍ ... في كل مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ رَوادِ
أَفْنَى دَوابِرَهَا وَلَاحَ مُتُونَهَا ... يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيومُ طِرَادِ
وكذا الرِّعَانُ جيادُنَا مَلْبُونَةٌ[1] ... والحربُ مُشْعَلَةٌ بريحِ غَوادِ
وسُيُوفُنَا بِيضُ الحدائدِ تَجْتَلِي ... جُنَنَ الحَدِيدِ وهَامَةَ المُرْتَادِ
أَخَذَ الإِلهُ عليْهِمُ لِحَرامِهِ ... أيام ذِى قَرَدٍ وجوهَ عِبَادِ[2]

فلما قالها حسَّان بنُ ثابت غضب عليه سعدُ بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ، ثم قال : انْطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسَّان ، وقال : ماذاك أردت ولكن الرَّوِى وافق اسمَ المقداد ، وقال أبياتاً يُرْضِى بها سعدا

إذا أردتم الأَشدَّ الجَلْدا ... أو ذا غَناءٍ فعليكُم سَعْدا
سعد بن زيد لَا يُهَدُّ هَدًّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْنِ شيئا .

وقال كعبُ بن مالك في يوم ذى قَرَد للفوارس :

- أَتَحْسَبُ أولادُ اللقيطة أَنَّنَا ... على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وإنَّا أناسٌ لا نَرَى القتلَ سُبَّةً ... ولا نَنْثَنِى عند الرِّماحِ المَدَاعِسِ
وإنَّا لَنَقْرِى الضيْفَ من قمع الذُّرى ... ونضربُ رأسَ الأَبلجِ المُتَشَاوِسِ
نردُّ كُماةَ المُعْلِمِين إذَا انْتَخَوْا ... بِضَرْبٍ يُسَلِّى نخوةَ المُتَقَاعِسِ
بِكلِّ فَتىً حامِى الحقيقةِ ماجدٍ ... كريمٍ كَسِرْحَانِ الغَضَاةِ مُخَالِسِ

---

(١) في السيرة لابن هشام ٢ : ٢٨٦ « فكذاك إن جيادنا ملبونة » .
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٥
أخذ الإلـه عليهم لحـرامه ... ولعزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا ... أيام ذى قرد وجوه عباد

يذُودُون عَنْ أحْسابهم وَتِلادِهم ... ببيض تَقُدُّ الهَامَ تحْتَ الْقَوَانِسِ
فسائل بنى بدرٍ إذَا ما لَقِيتَهُم ... بِمَا فَعَل الإخْوانُ يومَ التَّمَارُسِ
إذا مَاخَرَجْتُم فاصدقُوا مَنْ لقيتُم ... ولا تكتموا أخباركم فى المجالِسِ
وقُولُوا زَلِلنا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ ... بِهِ وَحَرٌ فِى الصَّدْرِ مَا لَمْ يمارس

قال ابن إسحاق :

وقال شدّاد بنُ عارض الجُشَمِىّ فى يوم ذى قَرَد ، يعنى لِعُيَيْنَة بنِ حِصن ، وكان عُيَيْنَةُ يكنى بأَبى مَالك :

فَهلاَّ كَرَرْتَ أبَا مَالِكٍ ... وخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتَ الإيابَ إلى عَسْجَدٍ ... وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ المُقْفَلُ
وطَمَّنْتَ نَفْسَك ذا ميعةٍ ... مِسَحَّ الفَضَاءِ إذا يُرْسَلُ
إذا قَبَّضَتْهُ إليكَ الشِّمَا ... لُ جَاشَ كما اضطَرَمَ المِرْجَلُ
فَلَمَّا عَرَفتُمْ عِبادَ الإلَـ ... ـهِ لَمْ يَنْظُرِ الآخِرَ الأوَّلُ
عَرَفْتم فَوارِسَ قَدْ عُوِّدُوا ... طِرَادَ الْكُمَاةِ إذَا أسْهَلُوا
إذَا طَرَدُوا الخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ ... فِضَاحًا وإنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا
فَيَعْتَصِمُوا فِى سَوَاءِ المُقَا ... مِ بِالْبِيضِ أخْلَصَها الصَّيْقَلُ

تنبيهات ١٩٠ و

الأول : ذو قَرَد — بفتح القاف والراء ، وحُكِىَ الضم[1] فيهما ، وحُكِىَ ضم أوله وفتح ثانيه . قال الحازمىّ — رحمه الله — : الأَوَّل ضبطُ أصحاب الحديث ، والضم عن أهل اللغة ، وقال البَلاذُرىّ — رحمه الله — الصَّواب الأول . : وهى عَلَى نحو بريد مما يلى بلاد غَطَفَان ، وقيل على مسافة يوم ، قال السهيلى : والقَرَدُ فى اللغة الصّوفُ .

(١) قاله الحافظ كما فى شرح المواهب ٢ : ١٤٨ ، وماجاء هنا من الضبط والاختلاف فيه من الأقوال لايخرج عماهناك .

الثانى : قال البخاريّ فى صحيحه فى غزوة ذى قَرَد : كانت قبل خَيْبَر بثلاث ، وذكرها بعد الُحدَيْبِيَة قبْل خَيْبَر .

قال الحافظُ : ويؤيد ذلك ما رَوَاهُ الإمام أحمد ومسلمٌ مِنْ حديث إياس بن سلمة ابن الأكوع عن أبيه فذكر قصة الحُدَيْبِيَة ، ثم قصة ذى قَرَد ، وقال فى آخرها : فرجعنا - أى من الغزوة - إلى المدينة ، فَوَالله ما لَبِثْنَا بالمدينة إلاّ ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خَيْبَر .

وأما ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر وابن سعد فقالوا : كانت غزوة ذى قَرَد فى سنة ستّ قبل الحُدَيْبِيَة .

قال محمد بن عمر وابن سعد فى ربيع الأوّل .

وقيل فى جمادى الأُولى .

وقال ابن إسحاق فى شعبان فيها ، فإنه قال : كانت غزوة بنى لحْيَان فى شعبان سنة ست ، فلمّا رجع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة لم يُقِمْ إلاّ لَيَالِى حتى أغارَ عُيَيْنَة بنُ حِصْن على لِقَاحِهِ - صلى الله عليه وسلم - قال ابن كثير : وما ذكره البُخاريّ أشبه بما ذكره ابن إسحاق .

وقال أبو العباس القرطبي - وهو شيخ صاحب التذكرة والتفسير - تبعاً لأبى عمر - رحمهم الله : لا يختلفُ أهل السِّيَر أنّ غزوة ذى قَرَد كانت قبل الحُدَيْبِيَة ، يكون ما وقع فى حديث سلمة وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرّواة .

قال(1) : ويحتمل أن يجمع بأنْ يقال يُحْتَمَلُ أن يكون - صلى الله عليه وسلم - أغْزَى سَرِيّةً فيهم سلمة بُن الأكْوَع إلى خَيْبَر قبل فتحها ، فأَخبر سلمة عن نفسه وعمّن خَرَجَ معه ، يعنى حيث قال : خرجنا إلى خَيْبَر قال : ويؤيده أن ابن إسحاق

---

(١) أى أبو العباس القرطبى كما فى شرح المواهب ٢ : ١٤٨ .

ذكر أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أغزى إليها عبدَ الله بن رَوَاحَة قبل فتحها مرّتين . انتهى .

قال الحافظ – رحمه الله – تعالى : وسِياقُ الحديث يأْبى هذا الجمع ؛ فإن فيه بعدَ قوله : خَرَجْنَا إلى خَيْبَر مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجَعَل عمّى يَرْتجِزُ بالقوم ، وفيه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – من السّائِق وفيه مبارزة عمه لمرحب وقتل عامر ، وغير ذلك مِمّا وقع فى غزوة خَيْبَر حيث خرج إليها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فعلى هذا ما فى الصحيح أَصَحُّ مما ذكره أهل السِّيَرِ .

قال الحافظ : ويحتمل فى طريق الجمع أن تَكُونَ إغارة عُيَيْنَة بنِ حِصن على اللِّقَاح وقعت مرّتَيْن ؛ الأُولى التى ذكرها ابن إسحاق وهى قبل الحُدَيْبِيَة ، والثانية بعد الحُدَيْبِيَة قبلَ الخروج إلى خَيْبَر .

وكان رأْس الذين أغاروا عبدَ الرحمن بن عُيَيْنَة كما فى سياق سلمة عند مسلم ، ويؤيّدهُ أنّ الحَاكِمَ ذكر فى الإكليل / أنَّ الخروج إلى ذى قَرَد تكرَّر ، فى الأُولى خرج ١٩٠ ظ
إليها زيدُ بن حَارِثة قَبْل أُحُد ، وفى الثانية خرج إليها النّبِىّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى ربيع الآخر سنة خمس ، والثّالثة هذه المُخْتَلَفُ فيْها – انتهى . فإذا ثبت هذا قوى الجمعُ ، الذى ذَكَرْتُه ، والله أعلم[1] .

الثالث : فى حديث سلمة عند مسلم : أن عبدَ الرّحمن بنَ عُيَيْنَة بن حِصن أغار على اللِّقاح ، وفى حديثه عند الطَّبرانى أنّه عُيَيْنَة بنُ حِصن ، ولفظ ابن عقبة : أنه عُيَيْنَة بنُ بدر ، ويقال إن مسعدة كان رئيساً للقوم فى هذه الغزوة ، ولا مُنَافَاة بين ماذُكر ؛ فإنّ كُلاًّ منهما كان رئيساً فيهم ، وكان حاضراً .

الرابع : حديث سلمة – رضى الله عنه – أنه استنقذ جميع ظَهْر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعبارة بن عقبة : استنقذوا السّرح . والذى ذكره ابنُ إسحاق ،

---

(١) أنظر هذه الأقوال والجمع بينها فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٨ .

وابنُ عمر ، وابنُ سعد وغيرهم أنه استنقذ من اللِّقاح عَشْرة فقط ، وما فى حديث سلمة - رضى الله عنه - هو المعتمد[1] ، لصحة سنده .

الخامس : فى حديث سلمة - رضى الله عنه - أنّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ركبَ فى رجوعه إلى المدينة العضْبَاءَ ، وأَرْدَفَ سلمة وراءه ، وفى حديث عِمْرَانَ بنَ حُصَيْن السّابق : إن امرأة أبى ذرّ أخذتها من العدو وركبتها .

السادس : فى بيان غريب ما سبق :

حِصْن - بكسر الحاءِ الفَزَارىّ - بفاءِ مفتوحة فزاى فألف فَرَاء : قبيلةٌ من غَطَفَان .

غَطَفان : بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة المشالة ، وبالفاء .

اللِّقَاح - بكسرِ اللام ، وتخفيف القاف فمهملة : ذواتُ اللَّبن من الإبل ، واحدها لَقْحة - بكسر اللام وفتحها ، واللَّقُوح : الحلوب .

عُيَيْنَة - بضم العين المهملة وكسرها .

البَيْضَاء - تأنيث أبيض : اسم موضع عند الجبل .

الغابة - بالغين المعجمة ، والموحدة : مال من أموال عوالى المدينة[2] .

الأَثل : شجر عظيم لا ثَمَرَ له ، الواحدةُ أثلة .

---

(١) يقول الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٥٣ « قاله الشامى أى صاحب سبل الهدى والرشاد وهو المعتمد لصحة سنده قلت وقد رواه ابن سعد نفسه عن سلمة مثل رواية مسلم كما سلف ، وما أسنده مقدم على ما ذكره بلاسند فكيف وقد وافقه الشيخان . . الخ . . » .

(٢) جاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٨ « قال الشريف : ووهم من قال من عوالى المدينة ، كيف وهو مغيض مياه أوديتها بعد مجتمع الأسيال ، ثم قال : وكان بها أملاك لأهلها استولى عليها الخراب ، وبيعت فى تركة الزبير بألف ألف وستمائة ألف » .

ويقول السمهودى فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٩١ « وعوالى المدينة على أربعة أميال وقيل ثلاثة وهذا حد أدناه ، وأبعدها ثمانية أميال » وانظر الخلاف هناك .

الطَّرْفاء : شجر من شجر البادية وشطوط الأنهار ، واحدتها طَرَفة بفتح الطاء والرّاء مثل قصبة وقصباء .

يثوب : يرجع .

الضاحية : الناحية البارزة .

ذويه : أصحابه .

أحْدَق به – بهمزة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فدال مهملة فقاف : أطاف .

قبل أن يُؤَذِّن بالأُولى : يعنى صلاة الصّبح .

الظَّهْرُ : الرِّكَاب التى تحملُ الأَثْقَال فى السَّفر .

أُنديِّه – بضم أوّله وبالنّون وتشديد الدّال المهملة ؛ والتَّنْدِية أن يورد الماء ساعة ، ثم يرد إلى المراعى ساعة ثم الماء ، كذا قال أبو عبيد والأصمعى وقال ابن قُتَيْبَة : إنما هو أُبَدِّيه – بالموحدة ، أى أخرجه إلى البدو ، وأنكر الأوّل . وقال : ولا يكون إلا للإبل خاصة.وقال الأصمعى:التندية تكون للإبل والخيل ، أو هو الصحيح وهذا الحديث يشهد له . وخطأ الأزهرى ابن قُتَيْبَة وصَوَّبَ الأوَّل .

السَّرْح – بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات : المال السَّائِم المُرْسَلُ فى المرعى .

سَلْع بفتح السّين المهملة ، وسكون اللاّم ، وبالعين المهملة : جبلٌ بالمدينة

يا صَبَاحَاه : كلمة تقال عند اسْتِنْفَارِ مَنْ كان غافلاً عن عدوّهِ ، لأنهم أكثر ما يغيرون / عند الصّباح ، ويسمّون يَوْمَ الْغَارَة يَوْمَ الصَّبَاح . ١٩١ و

اللّبَتَان : تثنية لاَبّة : وهى الحَرَّةُ ، وهى الأرض ذات الحجارة السّود .

أُرَدِّيهم – بضم الهمزة ، وفتح الرّاء ، وتشديد الدّال المهملة : يرميهم .

أعقر بهم : أقتلُ دوابهم .

الأَكْوَعُ - بهمزة مفتوحة ، فكاف ساكنة ، فواو مفتوحة ، فعين مهملة العظم الكَاع : الكوعُ ؛ وهو طرَفُ الزند مِمَّا يلى الرّسْغ ؛ والكوع طرفه الذى يلى الابهام ، والكاع طرفه الذى يلى الخنصر وهو الكرسوع والكوع أخفاهما وأشدهما ، دَرْمَةٌ ؛ والدَّرْم أن لا يظهر للعظم حَجْمٌ .

اليومُ يومُ الرُّضعِ - بالرفع فيهما ، وينصَب الأول ويرفع الثانى على جعل الأوّل ظَرفاً . قال : وهو جائِز إذا كان الظّرفُ واسعاً ولم يضق عن الثانى .

الرُّضَّع - بضمٍّ الرَّاءِ كَرُكَّع ، ورضاع : وهو اللئيم . قال السُّهَيْلِىّ : قال أهل اللُّغَة : يقالُ فى اللؤم - رَضَع - بالفتح - يَرْضُع بالضَّمِّ رضاعةً لا غير . وَرَضِعَ الصَّبِىُّ ثَدْىَ أُمِّه يَرْضَعُ بالفتح - رَضَاعًا مثل سَمِعَ . يسمع سماعا ؛ والمعنى اليومُ يومُ هلاكِ اللئام ، والأَصل فيه أن شخصاً كان شديد البخل ، فكان إذا أَراد حلب ناقته اُرتضع من ثديها لئلا يحلبها ، فيسمعُ جيرانُه ومَنْ يمرُّ به صوتَ الحلْب فيطلبون منه اللَّبن . وقيل : بل صنع ذلك لئلاَّ يتبددَ من اللَّبن شيئاً إذَا حلب فى الإناء ، ويبقى فى الإناء شىءُ إذَا شربه ، فقالوا فى المثل : « ألأم من راضع ». وقيل غير ذلك .

الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة المسلوكة .

البَرْح - بفتح الموحدة وسكون الراء : الشدة والأذى .

* * *

ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى طلب العدو، وشرح غريبة

الْفَزَعَ الْفَزَعَ : منصوبان بفعل محذوف .

يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِى : على حذف مضاف ؛ أى يا فرسان خيل الله .

الأَرْى(١) - بفتح الهمزة وسكون الراءِ ، وتشديد التحتية : مربط الدابة ، وقيل : معلفها . قال فى العين : وقال الأصمعى : هو حبل مربوطٌ فى الأرض ويبرز طرفه يربط به الدابة ، وأصله مِنَ الحبس والإقامة ؛ من قولهم : تَأَرَّى بالمكان : أقام به .

(١) يبدو أن ضبط الأرى على الوجه الذى ذكره المصنف خطأ ، وقد جاء فى اللسان : الآرى محبس الدابة ، وقال ابن السكيت فى قولهم للمعلف آرى : هذا مما يضرب به الناس فى غير موضعه ، وإنما الآرى : محبس الدابة ، وانظر اللسان (أرى) .

الْحَائِطُ : البستان المحوط عليه .

فَرَساً صَنِيعاً – بفتح الصاد المهملة وكسر النون فتحتية ساكنة فعين مهملة ، فعيل بمعنى مفعول ، يُقال منه صنعت فرسى صُنْعًا ، وصنعة : إذا أحسنت القيام عليه ، فهو صَنِيعٌ .

جامًّا[1] – بجيم وميم مشدَّدة : مرتاحاً له مدة لم يُركب .

بَذَّ الْخَيْلَ – بفتح الموحدة وتشديد الذَّال المعجمة : سبقها . بجمَامه : بفتح الجيم .

اللكيعة – بفتح اللام ، وكسر الكاف ، فتحتية ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة ؛ اللئيمة .

من أدباركم : مِنْ ورائكم .

جال الفرس – بالجيم : نَفَر من مكانه

يقتطعوك : يحولون بيننا وبينك .

ثكلته أمه : فقدته .

أَكْوَعُه ، وفى لفظ : أكوعى ، برفع العين فى الأَوّل لفظاً ، وفى الثانى تقديرا ؛ أى أنت الأَكوع الذى كنت بُكْرَةَ هذا النهار ، ولهذا قال : نعم . لأنه / كان أول ما لحق بهم صَاحَ بِهِم : أنا ابن الأكوع ، فلما لحق بهم آخر النهار – وقال هذا القول قالوا : أنت الذى كنت معنا بُكْرَة ؟ قَال : نعم . ١٩١ ظ

إنتظمها : نَفَذَ رُمْحُه أو سَهْمُه فيهما .

الْجُرء – بضم الجيم ، وسكون الراء ، وبالهمزة والْجَرَاءة . بفتحتين ، وبالمد – على الشئ : الهجوم ، والإسراع بالهجوم عليه من غَيْر توقُّف .

---

(١) جاما : يقال جم الفرس يجم جما وجماماً ، وأجم : ترك فلم يركب « اللسان » .

أصرت أذنيها : جمعتها .

الزَّوْرَاءُ : بفتح الزّاى وبالمد : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد .

الشَّوْطُ ــ بالشين المعجمة والطاء المهملة : مسافة يعدوها الفرسُ كالميدان ونحوه .

ذُبَاب ــ بذال معجمة تضم وتكسر وموحدتين : جبل بالمدينة .

قمع دابّته : ذَلَّلَها .

يحاكينى : يُساوينى فى المشى .

فنشب ــ بنون فشين معجمة فموحدة : لبث .

القِدْح : بكسر القاف وسكون الدَّال وبالحاء المهملتين : السهم .

الفَارِه ــ بفاء وراء مكسورة : الخفيف النشيط .

كليلة : محيطة من جميع جوانبه .

الْمِغْفَر ــ بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة ، وفتح الفاء وبالراء : زَرَدٌ يُنْسجُ من الدُّروع على قدر الرأس يُجْعَلُ تحت الْقَلَنْسُوَة .

أثبتنى : عرفنى .

المجالدة : المُضَاربة بالسيوف .

الْمُطَاعَنَةُ : المضاربة[1] بالرماح .

مُتَأَبِّطٌ : أخذ شيئاً تحت إبطِه .

أَلَحَثُّ ــ بتخفيف الحاء المهملة : أشرت .

---

(١) فى ت . وفى م ، ط « المطاعنة » .

الْمُقَنَّع – بضم الميم ، وفتح القاف ، وفتح النون المشددة ، وبالعين المهملة ، : الذى لبِسَ بيضة .

عَدْو : جَرْى .

يَجُوسُ : أصل الجوس شِدَّة الأختلاط ومداركة الضرب .

الصَّرِيخ : بالمهملة ، وبالخاء المعجمة : الأستغاثة .

الْأَمْدَادُ – جمع مَدَد ، وهم الأعوان والأنصار .

الشعار – بكسر الشين المعجمة : العَلاَمَة فى الحرب .

أَمِتْ أَمِتْ : أمر بالإماتة ، وتقدم بيانه فى غزوتى بدر وأُحد .

السَّطِيحَةُ : المزادَةُ التى تكون من أديمين[1] ، قُوبِلَ أحدهما بالآخر فسطح عليه ، وهى من أوانى المياه .

الـمَذْقة - بفتح الميم ، وسكون الذال المعجمة : القليل من لبن ممزوج بماء .

أجليتهم عنه - بفتح الهمزة وسكون الجيم : طردتهم .

حميت القوم الماءَ : منعتهم من الشرب .

النواجذ - جمع ناجذ بالذال المعجمة : السن بين الأضراس ، والمراد هنا الأنياب .

الْعَضْبَاءُ : ناقة النبى – صلى الله عليه وسلم .

عدا : عدوا على الرجلين .

أَسْجِحْ – بقطع الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وكسر الجيم ، وبالحاء المهملة : ارْفُقْ وسَهِّلْ واعف واسمح ، والإِسْجَاحُ : حسن العفو .

يُغْبَقُون – بتحتِيَّةٍ مضمومة ، فغين معجمة ساكنة ، فموحدة مفتوحة ، الغبوق : الشرب بالعَشِىّ ، أى يسقون اللبن بالعَشِىّ .

---

(١) كذا فى ط . وفى ت ، م « جلدين » .

يُقْرَون – بضم التحتية ، وسكون القاف ، وفتح الراء يُضَيِّفُون .

يتحسَّبُ – بفتح الحاء والسين المشددة المهملتين فموحدة يتعرَّف ويستخبر .

طفرت – بالطاء والراء المهملتين بينهما فاء : وثبت ونفرت .

رَبَطْتُ نفسى : حبستها عن الجرى .

الشرف : ماآرتفع عن الأَرض .

أَصُكّ بين كتفيه : أَضرب .

* * *

شرح غريب شعر حسان – رضى الله عنه

١٩٢ و النسور – بنون ، فسين مهملة : جمع نسر ، وهو هنا ما يكون[١] فى بطن حافر الدابة / كأَنها نواة أَو حصاة ، وأَضمر ذكر الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأَن الكلام يدل عليها ، وفى الفرس عشرون عضواً كل عضوٍ منهما ، سمى باسم طائر .

ساية – بسين مهملة ، فأَلف فتحتية ؛ اسم قرية جامعة[٢] من عمل الفرع[٣] بها أَكثر من سبعين عينا .

التَّقْوَاد – بفوقية مفتوحة مشلدة ، فقاف ساكنة ، وآخره دال مهملة ؛ أَى جَرُّها بالْمِقْوَد من أَمام . والسَّوق : من خلف .

المدجج – بضم الميم ، وفتح الدال ، وفتح الجيم الأُولى وتشديدها وتكسر : الكامل السلاح .

الحامى : المانع .

---

(١) كذا فى ط ، م وفى ت « لحمة يابسة فى بطن » الخ »

(٢) ساية : ويقول السمهودى فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٣١ « واد من أعمال المدينة و فى ساية نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ، وأصلها لولد على بن أبى طالب ، وفيها من أفناء الناس ، ويطلع عليها جبل السراة دون عسفان .

(٣) الفرع : من أعمال المدينة على مرحلة ـ وقيل على ثمانية يرد منها . وهى قرية غناء كبيرة بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وأجل عيونها عينان إحداها الربض ، والأخرى النجف يسقيان عشرين ألف نخلة ، وهى كالكورة فيها عدة قرى ـ وانظر (وفاء الوفا ٤ : ١٢٨١ ، ١٢٨٢) .

الحقيقة : بحاء مهملة ، وقافين بينهما تحتية : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه .

الماجد : الشريف .

بنو اللَّقِيطَة : هم المُلْتَقَطُون الذين لا يُعرف آباؤهم .

السِّلْم - بفتح السين المهملة ، وكسرها : الصلح .

الْجَحْفَل - بجيم مفتوحة ، فحاء مهملة ساكنة ، ففاء مفتوحة ، فلام ؛ الجيش الكثير .

اللَّجِب - بفتح الهمزة واللام الثانية : وكسر الجيم ، وبالموحدة : الكثير الأَصوات .

شُكُّوا : بشينٍ معجمة ، فكاف مشددة ، والشَّك - بالفتح هنا الطعن ، ورُوى باللاَّم ، وهو الطرد .

بَدَاد - بموحدة مفتوحة فدالين مهملتين من التَّبدُّد ؛ وهو التَّفَرُّق ؛ بُنِى على الكسر ، وهو فى موضع نصب ، كأنتصاب المصدر فى قولك : مشيت القهقرى ، وقعَدْتُ الْقُرْفُصَاءَ ، كأَنه قال : طعنوا الطَّعنَة التى يُقال لها بَدَاد .

الجواد : من الخيل السريع .

الرَّاقِصَات . هنا الإبل ؛ والرَّقْص والرَّقَصَانُ ؛ ضرب من مشيها .

الْمَخَارِم[1] - بالخاء المعجمة جمع مَخْرِم : وهو ما بين الجبلين .

الأَطْوَاد : الجبال المرتَفِعة .

نُبِيل الخيل ، من لفظ التبول ؛ أى نجعلها تَبُول .

نَؤُوب : بفتح الفوقية ، وبالهمزة : نرجع .

الْمَلَكَاتِ : النساء اللاَّتى أُملكن .

---

(١) وفى اللسان « المخارم : أفواه الفجاج ، والمخارم الطرق . وقيل الطرق فى الجبال وأفواه الفجاج .

الزَّهْوُ : بفتح الراء [المشي في[1]] سكون .

الْمُقَلَّص : المشمر .

طِمِرَّة فرس : وَثَّابَة سريعة .

الْمُعْتَرَك : موضع الحرب .

رَواد : مَنْ رواه بفتح الراء فَمَعناه : سريعات ، مِنْ رَدَى الفرسُ يُرْدِي : أسرع ؛ أى تُرْدِي بفرسانها ، أى تسرع . ومَنْ رواه بكسر الراء فهو من المشى الرُّويد ، وهو الذى فيه فتور .

دَوَابرَها : أواخرها .

لَاحَ : غَيَّر وأَضْعَف .

متونها : ظهورها .

الطِّرَاد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً .

الجياد : جمع جواد ، تقدم .

مَلْبُونَةٌ : تسقى اللَّبن .

مُشْعَلَةٌ : موقدة .

غَوَادٍ ـ جمع غادية .

تَجْتلى ـ بفوقية مفتوحة ، فجيم معجمة ساكنة ، فموحدة ، فلام مكسورة ؛ تَقْطَع .

الجُنَنُ ـ بضم الجيم ، ونونين جمع جُنَّة : الترس وكذلك السلاح .

الهامة : الرأس .

---

(١) بياض فى الأصول . والمثبت يقتضيه السياق .

الْمُرْتَاد : الطالب للحرب هنا .

الْأَسْدَادِ : جمع سَدّ ، بفتح السين : ما يسدبه على الإنسان فيمنعه عن وجهه .

عِبَاد – بكسر المهملة : أحد جمع عبد .

* * *

شرح غريب قصيدة كعب بن مالك – رضى الله عنه

نَنْثَنِي : نرجع .

المَدَاعِس : المطاعن ، واحدها مدعس ، يقال دعسه بالرمح إذا طعنه .

القُمُع – بقاف ، فميم مضمومتين فعين مهملة جمع قمعة ؛ وهى أعلى سنام البعير .

الذُّرَى – بضم الذال المعجمة ، وفتح الراء : الأَسنمة .

الأَبْلَخ – بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة ، وبالخاء المعجمة : المتكبر .

المتشَاوس – بفوقية فشين معجمة ، وآخره سين مهملة : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر .

المُعْلِمين – بسكون العين ، وكسر[1] اللام .

الكُمَاة – بضم الكاف : الشجعان .

انتخوا : تكبروا .

يُسَلِّى – بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وتشديد اللام .

النَّخْوة – بفتح النون ، وسكون الخاء المعجمة : العظمة والتكبر .

المتقاعِس : الذى لا يلين ولا ينقاد .

السِّرْحَان : الذئب .

---

(١) المعلمين : كذا ضبطه المصنف ، وقد ضبطه محقق السيرة النبوية لابن كثير بفتح اللام ٣ : ٢٩٦ .

الغَضَاةُ : شجرة ، وجمعها غَضًى : ويقال : أخبث الذئاب ذئاب الغضى[1] .

المخالس : الذى يخطف الشئ سرعة على غفلة .

يذودون : يمنعون ويدفعون .

الأحساب : جمع حَسَب بفتحتين : ما يعدُّ من المـآثر .

التِّلاد : بكسر الفوقية : المال القديم .

تَقُدُّ : تقطع .

الْقَوَانِس ـ بالقاف : أعالى بيض الحديد ، واحدها قونس .

التَّمَارُس : المضاربة فى الحرب والمقاربة

المخالب ـ بميم فخاء معجمة مفتوحتين : جمع مِخْلب ـ بكسر الميم ، ظُفر كل سَبُع من الماشى والطائر ، أو هو لما يصيد من الطير ، والظفر لما لا يصيد .

الخادِرُ : الأسد فى خِدْره ، وهى الأجمة .

الْوَحَرُ : بالحاء والراء المهملتين : الحقد .

* * *

شرح غريب قصيدة شداد بن عارض الجشمى ـ رضى الله عنه

الإِيَاب : الرجوع .

عَسْجَد : بلفظ اسم الذهب : اسم موضع .

وهيهات : اسم فعل بمعنى بَعُد .

المَقْفَل : الرجوع .

ذُو مَيْعَةٍ : فرسٌ ذو نشاط .

الْمِسَحّ ـ بكسر الميم ، وفتح السين ، والحاء المشددة ، المهملتين ، الكثير الجرى .

---

(١) الغضى ، ويرسم أيضاً بالألف « الغضا » .

الْفَضَاء ـ بالفاء المعجمة : المتسع من الأَرض .

جاش ـ بالجيم ، والشين المعجمة : تحرك وغَلَى .

اضْطَرَمَ : ويروى بالباء ؛ أى فى جريه ، وبالموحدة ؛ أى تَحَرَّك .

المرجل : بكسر الميم : القِدْر .

لم ينظر : لم ينتظر .

أَسْهَلُوا : أَخذوا فى سهل الأَرض .

الْفِصَاحُ : الفاضحة ـ بالفاء ، والضاد المعجمة والمهملة .

الصيقلُ : الذى يزيل ما على السلاح من الصدأ .

الباب الرابع والعشرون

فى غزوة خيبر[1]

قال ابن عقبة ، وابن إسحاق : ولمَّا قَدِم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة من الحُدَيْبيَة – زاد ابن إسحاق فى ذى الحجة – مكث بها عشرين ليلة أَوْ قريباً منها ، ثم خرج غادياً إلى خيبر – زاد ابن إسحاق فى المحرم – وكان اللهُ – عَزَّ وجلَّ – وعده إيَّاها وهو بالحُدَيبيَة ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة ، فأَعطاه الله – تعالى – فيها خيبر ﴿ وَعَدَكُم اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِه[2] ﴾ – خيبر .

قال محمد بن عمر : أمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – أَصحابَه بالخروج فجدُّوا فى ذلك ، واسْتَنْفَرَ مَنْ حَوْلَه مِمَّن شهد الحُدَيْبِية يغزون معه ، وَجَاءَهُ المُخَلَّفُون عنه فى غزوة الحُدَيْبيَة ليخرجوا معه رجاءَ الغنيمة ، فقال : « لا تَخْرُجُوا مَعِى إلاَّ رَاغِبِينَ فى الْجِهَاد ، فَأَمَّا الْغَنِيمَةُ فَلاَ » .

١٩٣ و قال أنس – رضى الله عنه – : وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –/ لأبى طلحة[3] – رضى الله عنه – حين أراد الخروج إلى خيبر : « الْتَمِسُوا لِى غُلاَماً مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمنى » فخرج أبو طلحة مُرْدِفى وأنا غُلاَم ، قَدْ رَاهَقْت ، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا نزل خَدَمْتُه – ، فسمعته كثيراً ما يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعوذُ بكَ

---

(١) وانظر : سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٢٨ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٨١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٤٤ – والمغازى للواقدى ٢ : ٦٣٣ – وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٧ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٠ .

(٣) وهو زوج أم أنس كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٣٦

مِن الْهَمِّ وَالْحزن وَالْعجْز وَالْكَسَلِ وَالْبُخْل وَالْجُبْنِ وضلع الدَّيْن وَغَلَبَة الرِّجَال » رواه سعيد بن منْصُور .

وَاستخلَفَ رسولُ الله ـ صلّى اللهُ عليه وسلَّم ـ على المدينة . قال ابن هشام : نُميلة أىْ بضم النون ، وفتح الميم ، وسكون التحتية ، ابن عبد الله الليثى . ـ كذا قال والصحيح سِباع ـ بكسر السين بن عُرْفُطه ـ بعين مهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة ، فطاء مهملة كما رواه الإمام أحمد ، والبخارى فى التاريخ الصغير ، وابن خزيمة ، والطحاوى ، والحاكم ، والبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهم .

وأخرج معه أُم المؤمنين أم سلمة ـ رضى الله عنها .

ولمَّا تجهز رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ والناس شق على يهود المدينة الَّذين هم مُوادِعُوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرفوا أنَّه إنْ دَخَل خيبر أهلك أهْلَ خيبر ، كما أهلَكَ بنى قَيْنُقَاع ، والنَّضِير وقُرَيْظَة . وَلَمْ يَبْقَ أحدٌ من يهود المدينة له على أحدٍ من المسلمين حقٌّ إلا لزمه .

وروى محمد بن عمر عن شيوخه ، وأحمد ، والطبرانى عن ابن أبى حَدْرَد[1] بمهملات وزن جعفر ـ بسندٍ صحيح أنه كان لأبى الشَّحْم اليهودى خمسة دراهم ، ولفظ الطبرانى : أربعة دراهم فى شعير أخذه لأهله فلزمه . فقال : أجِّلْنِى فإنى أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقَّك إن شاء الله ، قد وعد الله ـ تعالى ـ نبيَّه أن يُغْنِمَهُ خيبر ، فقال أبو الشَّحْم حسداً وبَغْيًا : أتَحْسَبُون أنَّ قِتال خيابر مثل ما تلقون من الأعراب ، فيها ـ والتَّوراة ـ عشرةُ آلاف مُقاتل ، وترافعا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « أعْطِه حَقَّه » قال عبد الله : والذى بعثك بالحق ما أقدر عليها قال : أعطه حقه . قال وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قال ثلاثاً لم يراجع . قال عبد الله : فخرجت فبعتُ [أحد][2] ثوْبَىَّ بثلاثة دراهم ، وطلبت بقية حَقِّه فدفعته

---

(١) هو عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى (مغازى الواقدى ٢ : ٦٣٤) .
(٢) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٦٣٥ .

إليه ولبست ثوبى الآخر .وأعطانى ابن أسلم بن حريش بفتح الحاء وكسر الراء وبالشين المعجمة ثوباً آخر .

ولفظُ الطَّبرانى[(1)] : فخرج به ابن أبى حَدْرَد إلى السُّوق وعلى رأسه عصابة وهو يأتزر بمئزر، فنزع العمامة عن رأسه فأتزرَبها ، ونزع البردة فقال : اشترِ منِّى هذه ، فباعها منه بالدراهم .فمرت عجوز فقالت : مالك يا صاحِبَ رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فأخبرها ، فقالت : هَادُونَكَ هذا البرد ، فَطَرَحَتْه عليه ، فخرجت فى ثوبين مع المسلمين ، ونفلنى اللهُ – تعالى – من خيبر ، وَغنمتُ امرأةً بينها وبين أبى الشحم قرابةٌ ، فبعتها منه .

وجاء أبو عَبس – بموحدة – ابن جَبْر – بفتح الجيم وسكون الموحدة ، فقال يا رسُولَ الله ما عندى نفقةٌ ولا زادٌ ولا ثوبٌ أخرجُ فيه ، فأعطاه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – شقة سُنْبُلانِيَّة :جنس من الغليظ شبيه بالكرباس. قال سلمة : خرجنا مع النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا وألقينْ سكينة علينا
وثبِّت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا[(1)]

١٩٣ ظ فقال رسول الله / صلى الله عليه وسلم – : « مَنْ هَذَا السَّائِق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : « يرْحَمُه الله » وفى رواية « غَفَرَ لَكَ رَبك » . قال : وما استَغْفَرَ رَسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – لإنسانٍ يَخُصُّه إلاَّ اسْتُشْهِد . فقال عُمَرُ – وهو على جملٍ : وجَبَتْ يا رسول الله : لولا أمتَعْتَنَا بِعَامر .

(١ – ١) مابين الرقين سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٨ – ٢١٩ . والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٤٦ – وسيرد شرح المفردات فى شرح غريب الألفاظ مما يدل على سقوط ذلك فى متن الكتاب .

وروى الحارث بن أبي أسامة عن أبي أمامة ، والبيهقى عن ثوبان - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال فى غزوة خيبر : « مَنْ كَانَ مُضَعَّفًا أو مُصَعَّبًا فَلْيَرْجِع » . وأمر بلالاً فنادى بذلك ، فرجع ناسٌ ، وفى القوم رجُلٌ على صعب ، فمر من اللَّيل على سواد فَنَفَرَبه فصرعه فلما جاءُوا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « مَا شَأْنُ صَاحِبِكُم ؟ » فأخبروه ، فقال : « يا بلال ، ما كنت أَذَّنْتَ فِي النَّاس ، مَنْ كَانَ مُضَعَّفاً أَوْ مُصَعَّبًا فَلْيَرْجِعْ » ؟ قال : نعم . فأبى أن يصلى عليه . زاد البيهقى ، وأمر بلالاً فنادى فى الناس « الجنة لا تحل لعاص » ثلاثا .

قال محمد بن عمر : وبَيْنَا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فى الطريق فى ليلةٍ مُقْمِرة إذْ أبصر رجلا يسيرُ أمامه عليه شئٌ يبرق فى القمر كأنه فى شمس وعليه بيضة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « منْ هَذَا » ؟ فقيل : أبو عَبس بن جبر فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أدركوه[1] » قال : فأدركونى فحبسونى ، فأخذنى ما تقدم وما تأخر ، فظننت أنّه قد أُنْزِلَ فِيَّ أَمْرٌ من السَّماء ، فجعلتُ أتذكَّرُ ما فعلتُ حتى لحقنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « مَالَكَ تَقْدُمُ النَّاسَ لَا تَسِيرُ مَعَهُم » ؟ قلتُ : يا رسول الله : إنَّ ناقتى نَجِيبة ، قال : فأين الشُّقَيْقَة التى كسوتك » قلت يا رسول الله : بعْتُها بثمانية دَرَاهم ، فتزودتُ بدرهمين وتركتُ لأهلى دِرْهمين[2] ، وابْتَعْتُ هذه البردة بأربعةِ دَرَاهم ، فتبسَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : « أنت والله يا أبا عَبْس وأصحابك من الفقراء والَّذى نَفْسِى بِيَده ، لَئِن سَلِمْتُم وعِشْتُمْ قَلِيْلاً ليكثرنَّ زادُكم ، وليكثرنَّ ما تتركون لِأَهْلِيكم ولتكثرنَّ دَرَاهِمُكُم وَعَبيدُكُم وَمَا ذَلِكَ لَكُمْ بِخَيْر » . قال أبو عَبْس : فكان والله كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

قال سُويد بن النُّعمان - رضى الله عنه - : إن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - لمَّا وصل إلى الصَّهْبَاء - وهى أدنى خيبر - صلَّى الْعَصْر ، ثمَّ دعا بالأزواد ، فلم يؤت

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « احبسوه » .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٣٦ « فتزودت بدرهمين تمرا ، وتركت لأهل نفقة درهمين » .

إلاَّ بالسويق ، فأمر به فَثُرِّى فأكل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكلنا معه ، ثم قام إلى المغرب فَمَضْمَضَ ومضمضنا ثم صلَّى ولم يتوضأْ . رواه البخارى ، والبيهقى .

زاد محمد بن عمر : ثم صلى بالناس العشاء ، ثم دعا بالأَدلاء فجاء حُسَيْل بن خارجة[1] [وعبد الله بن نعيم الأشجعى][1] فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحُسَيْل « يا حُسَيْل : امْضِ أَمَامَنَا حتى تأخذ بنا صدور الأودية حتى تأتى خيبر من بينها وبين الشام ، فأحول بينهم وبين الشام وبين حُلَفائِهم من غطَفَان » فقال حُسَيْل : أنا أسلكُ بك ، فأنتهى به إلى موضع له طُرُق ، فقال : يا رسولَ الله إن لها طُرُقاً تُؤتى منها كلها .

١٩٤ و فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم / « سَمِّهَا لِى » وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يُحبُّ الفأْل الحسن والاسم الحسن[2] ، ويكره الطِّيَرَة ، والاسم القبيح ، فقال : لها طريقٌ يُقَال لَها حَزَن ، وطريق يقال لها : شاش ، وطريقٌ يُقالُ لها حاطب ، فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ « لاَ تَسْلُكها » . قال : لَمْ يَبْقَ إلاطريقٌ واحد يقال له : مَرْحَب ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « اسْلُكْها » .

* * *

ذكر دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أشرف على خيبر

روى ابن إسحاق عن أبى مُغِيْث بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ وهو بغين معجمة ، وثاء مثلثة عند ابن إسحاق ، وبعين مهملة مفتوحة ففوقية مشدَّدة فموحدة عند الأمير ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا » إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمَّا أشرف على خيبر ، قال لأصحابه : « قِفُوا » فوقفوا . فقال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمواتِ السَّبْع وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِيْنَ السَّبْع وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِين وَمَا أَضْلَلْن ، وَرَبَّ الرِّيَاح وَمَا أَذْرَيْنَ فإنا نَسْأَلك مِنْ خَيْرِ هَذِه القَرْيَة وَخَيْر أَهْلِها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْها ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ » . وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها . وَرَوَاه النسائى وابن حِبَّان عن صُهيب .

(١ ، ١) إضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٦٣٨ .

(٢) سقط فى الأصول . والإثبات عن المغازى للواقدى ٢ : ٦٤٠ .

قال محمد بن عمر : ثم سار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتّى أنتهى إلى المنزلة ؛ وهي سوق لخيبر ، صارت فى سَهْمِ زيد بن ثابت ــ رضى الله عنه ــ فعرّس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بها ساعة من الليل ، وكانت يهودُ لا يَظنُّون قبل ذلك أَنَّ رسولَ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم / يغزوهم لمنعتهم وسِلاَحِهم وَعَدَدِهم ، فلما أَحسُّوا بِخُروج رسُولِ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ إليهم قامُوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ، ثم يقولون : محمَّدٌ يغزونا هيهات هيهات !! وكان ذلك شأْنهم ، فلما نزلَ رسولُ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ بسَاحَتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصِحْ لهم دِيْك حتى طلعت الشمس ، فأَصبحوا وأَفئدتهم تخفق وفتحوا حُصُونَهم غَادِين معهم المَسَاحى ، والكرازين والمكاتل ، فلمَّا نظروا إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ ولَّوا هاربين إلى حصونهم . ١٩٤ ظ

وروى الإمام الشافعى ، وابن إسحاق ، والشيخان من طرق عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : سار رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ إلى خيبر ، فأَنتهى إليها ليلاً ، وكان رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ إذا طرق قوماً بليل[1] لم يُغِرْ عليهم حتى يُصبح ، فإذا سمع أَذانا أَمْسَك ، وإن لم يسمع أذاناً أَغار عليهم حتى يُصبح ، فصلينا الصُّبح عند خيبر بغلس ، فلم نسمع أذانا ، فلما أَصبح ركب رَسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ وركب معه المسلمون وأَنا رديفُ أَبى طلحة ، فأَجرى نَبِيّ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانحسر[2] عن فخذ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنى لأَرى بياضَ فَخِذِ رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإنَّ قدمى لتمسُّ قَدَمَ رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ

وخرج أهلُ القرية إلى مَزَارِعِهم بمكاتلهم ومَسَاحيهم ، فَلَمَّا رأوا رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ قالوا : محمَّدٌ والخميس . فأَدبروا هرباً . فقال رسولُ الله ــ صلَّى الله

---

(١) سقط فى الأصول : والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٢٢١ والبداية والنهاية ٤ : ١٨٣ .
(٢) أى فانحسر إزاره صلى الله عليه وسلم كما سيرد فى رواية ابن كثير .

عليه وسلم – ورفع يديه « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنَّا إذَا نَزَلْنا بساحةِ قوم فساء صَباحُ الْمُنْذَرين » .

وروى الترمذى وابن ماجهْ والبيهقىّ ، بسندٍ ضعيف عن أنس – رضى الله عنه – قال : كان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يومَ خيبر على حمارٍ مَخْطُوم برَسَن من ليف ، وتحته إكاف من ليف .

قال ابن كثير : الذى ثبت فى الصحيح ؛ أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – جرى فى زقاق خَيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، قال : ولعلَّ هذا الحديث – إنْ كان صحيحاً – محمولٌ على أنه ركبه فى بعض الأيام ، وهو مُحَاصِرُهَا[1] .

قال محمد بن عمر – رحمه الله – وجاء الحُبَاب – بضم الحاء المهملة ؛ وموحدتين ابن المنذر – رضى الله عنه – فقال : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان من أمرٍ أُمِرْتَ به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى تكلَّمنا . فقال – صلَّى الله عليه وسلم – « هُوَ الرَّأى » فقال : يا رسول الله . دَنَوْتَ من الحُصون ، ونزلْتَ بين ظَهْرَى النخل ، والنَّزّ[2] معَ أنَّ أهل النَّطاة لى بهم معرفة ، ليس قوم أبعدَ مدى سهمٍ منهم ، ولا أعدَل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا ، ينالنا نبلُهم ، ولا نأْمن من بياتهم ، يدخلون فى خَمَر النخل فتحول يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى موضع بَرِىء من النزّ ومن الوباء نجعل الحرة بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبالهم ونأْمن من بياتهم ونرتفع من النزّ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « أَشَرْتَ بِالرَّأى ، وَلَكِنْ نُقَاتِلهم هَذَا الْيَوم .

ودعا رسول الله – صلى الله / عليه وسلم – محمد بن مَسْلَمَة – رضى الله عنه – فقال : ١٩٥ و
« انْظُرْ لَنَا مَنْزِلا بعيدا مِن حصونهم بريئاً من الوباء ، نأْمنُ فيه مِنْ بَيَاتِهم ، فطاف

---

(١) ويؤيد هذا الجمع مافى السيرة الحلبية ٣ : ٤٠ ، ومافى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٠ .

(٢) النز : مايتحلب من الأرض من الماء (الصحاح ٥٩٦) .

محمد حتى أتى الرَّجيع[1] ، ثم رجع إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله وجدتُ لك منزلاً ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « عَلَى بَرَكَة الله » .

* * *

ذكر ابتدائه – صلى الله عليه وسلم – باهل النطاة

صفَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – أصحابه ووعظهم وأنهاهم عن القتال حتى حتى يأْذن لهم ، فعمد رجلٌ من أشجع فحمل على يهودى وحمل عليه اليهودى فقتله ، فقال الناسُ : اَسْتُشْهِدَ فلان ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « أَبَعْد ما نهيت عن القتال ؟ . قالوا : نعم . فأمر رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُنادِياً فنادى فى النَّاس « لا تحل الجنة لعاص » .

وروى الطبرانى فى الصغير عن جابر – رضى الله عنه – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قال يومئذ : « لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوّ ، واَسْأَلُوا الله تَعالَى الْعَافِيَة، فإنكم لَا تَدْرُونَ مَا تُبْتَلونَ بِهِ مِنْهم ، فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُم فَقُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنا وربهم ، وَنَوَاصِينا وَنَوَاصِيهِم بِيَدِك ، وإنمَا تَقْتُلهُم أَنْتَ ، ثُمَّ الْزَمُوا الأَرض جُلُوساً ، فإذا غشوكُم فَانْهَضُوا ، وَكَبِّرُوا » ، وذكر الحديث .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : وفرَّق رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – الرايات ، ولم تكن الرَّايات إلاَّ يوم خيبر ، وإنما كانت الألوية[2] .

وكانت رايةُ رسُول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – سوداءَ من بُرْد لعائشة – رضى الله عنها – تُدْعى العُقَاب ، ولواؤه أبيض ، دفعه إلى عَلِيِّ بْنِ أَبي طالب – رضى الله عنه – ودَفَع رايةً إلى الحُبَاب بن المنذر ، وراية إلى سعد بن عُبَادة ، وكان شعارهم « يَا مَنْصورُ أَمِتْ » .

---

(١) الرجيع : واد قرب خيبر (وفاء الوفا للسمهودى ٤ : ١٢١٧) .

(٢) قاله مغلطاى وغيره ، كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٢ .

وأَذِنَ رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - في القتال ، وحثَّهم على الصَّبر ، وأوّل حصنٍ حاصره حصن ناعم بالنُّون ، والعين المهملة ، وقاتل - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوْمَهُ ذلك أشدَّ القتال ، وقاتله أهلُ النَّطَاة أشد القتال ، وترّس جماعةٌ من أصحابِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ ، وعليه - كما قال محمد بن عمر - درْعَان وبَيْضة ومِغْفَر ، وهو على فرسٍ يقال له الظَّرِب ، وفي يده قناةٌ وتُرس .

وتقدَّم في حديث أنس : أنه كان على حمار فيحتمل أنّه كان عليه في الطريق ، ثم ركِبَ الفرس حال القتال . والله أعلم .

فقَالَ الحُبابُ : يا رسول الله لو تحولت ؟ فقال : « إذَا أَمْسَيْنَا - إنْ شَاءَ اللهُ - تحوَّلْنَا » .

وجعلت نبل يَهُود تُخَالِط العسكرَ وتجاوزه ، والمسلمون يَلْتَقِطُون نَبْلَهم ثم يردُّونها عليهم . فلَمَّا أمسى رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - تحوّل إلى الرَّجيع وأَمَرَ النَّاس فتحوّلُوا ، فكان رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - يغدُو بالمسلمين على راياتهم حتَّى
١٩٥ ظ فتحَ اللهُ الحصنَ عليهم /

* * *

ذكر أخذ الحمى المسلمين ورفعها عنهم ببركته - صلى الله عليه وسلم

وروى البَيْهَقِي عن طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان الفهري وعن أبي قلابة وأبي نعيم ، والبيهقي عن عبد الرحمن بن المرقع - رضي الله عنه - ومحمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله - تعالى - أن المسلمين لمّا قدِمُوا خَيْبَرَ أكلوا التَّمْرَة الخضراء وهي وَبيئةٌ وخيمةٌ ، فأكلوا من تلك التَّمْرَة . فأَهمدتهم الحُمَّى ، فشكوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلَّم - فقال « قَرِّسوا المَاءَ في الشِّنَان ، فإذا كان بين الأَذَانينَ فَاحْدرُوا المَاءَ عليكم حَدْراً ، واذكُرُوا اسْمَ اللهِ - تَعَالَى » ففعلوا[1] فكأنَّما نشطوا من العقل .

---

(١) وفي السيرة الحلبية ٣ : ٦١ « ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر كان التمر أخضر ، فأكثر الصحابة من أكله ، فأصابتهم الحمى ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بردوا لها الماء في الشنان - أي القرب - ثم صبوا عليكم منه بين آذانى الفجر ، واذكروا اسم الله عليه ، ففعلوا فذهبت عنهم .

ذكر فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الصعب بن معاذ بن النطاة وما وقـــع فى ذلك من الآيات

لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً ووَدكاً وماشية ومتاعاً منه ، وكان فيه خمسمائة مقاتل ، وكان الناس قدْ أقاموا أيَّاماً يُقَاتِلُون ليس عندهم طعامٌ إلاَّ العُلقَ[1]

وروى محمد بن عمر عن أبي اليسر كعب بن عمر – رضى الله عنه – : أنّهم حاصروا حِصْن الصَّعْب بن مُعاذ ثلاثة أيام ، وكان حصناً منيعاً ، وأقبلت غَنَمٌ لِرَجُلٍ من يهود ترتع وراءَ حصنهم ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « منْ رَجُل يطعِمُنَا من هذه الغنم » ؟ فقلتُ : أنا يا رسول الله فخرجت أسعى مثل الظَّبي ، وفى لفظ : مثل الظَّليم ، فلمَّا نظر إلىّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُوَلِّيًا قال : « اللهم مَتِّعْنَا به » فأدركْتُ الغَنَم – وقد دخل أوَّلُها الحصنَ – فأَخَذْتُ شاتَيْن من آخرها فاحْتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت أعدُو كأَنْ ليس معى شىء ، حتى انتهَيْتُ إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَمَرَ بهما فَذُبِحتا ، ثم قَسَّمهما ، فما بقى أحدٌ من العسكر الذين معه مُحَاصِرين الحصن إلاَّ أكل منهما ، فقيل لأَبى اليَسَر : كم كانوا ؟ قال : كانوا عدداً كثيرا .

وروى ابن إسحاق عن بعض مِنْ أسْلم ، ومحمدُ بن عمر – رحمه الله – عن معتِّب – بكسر الفوقية المشددة – الأَسلمى – رضى الله عنه – واللَّفظ له ، قال : أصابَتْنَا معْشَرَ أَسْلَم مجاعةٌ حين قَدِمْنَا خَيْبَر ، وأقمنا عشْرَةَ أيامٍ على حِصْن النَّطَاة لا نفتح شيئاً فيه طعام ، فأجمعت أسْلَم أن أرْسَلوا[2] أسماءَ بنَ حارثة – بالحاء المهملة والثاء المثلثة ، فقالوا ائت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقُل له : إنّ أسْلَم يقرئونك السّلام ، ويقولون : إنا قَدْ جُهِدْنَا من الجوع والضّعف ، فقال بُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيْب – بضم الحّاء ، وفتح الصاد المهملتين : والله إنْ رأيتُ كاليوم قط من بين العرب يصْنعون هذا ، فقال

---

(١) العلق : القليل من الشيء . أوهو مايتعلل به قبل الغذاء (محيط المحيط)

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٥٩ « فأجمعت أسلم أن يرسلوا » .

زيد[1] بن حارثة أخو أسماء »: والله إنى لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مفتاحَ الخير فجاءه أسماء فقال : يا رسول الله إنَّ أَسْلم تقرأ عليك
١٩٦ و السّلام ، وتقول إنّا قد جُهِدْنَا من الجوع والضَّعْف ، فَادْعُ الله لنا / فدعا لهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم قال : « والله ما بيدى ما أُقَوِّيهم به ، قد عَلِمْتُ حالَهُم ، وأنّهم ليست لهم قوة ، ثم قال : « اللهم فَافتح عليهم أعظم حِصْنٍ فيها ، أكثرها طعاماً ، وأكثرها وَدَكًا » .

ودفع اللِّواءَ إلى الحُبَاب بن المُنْذِر ـ رضى الله عنه ـ وَنَدَبَ النّاس ، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حِصْن الصّعب بن مُعاذ .

قالت أُمّ مُطَاع الأَسلمية ـ رضى الله عنها ـ لقد رأيتُ أَسْلَم حين شكَوْا إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما شكَوا من شدّةِ الحال ، فندب رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ النّاسَ فنهضوا ، فرأيتُ أسلم أوّل من انتهى إلى حِصن الصّعب بن مُعاذ ، فما غابت الشمسُ من ذلك اليوم حتى فتح الله[2] ـ تعالى ـ وما بخيبر حِصْنٌ أكثر طعاماً ووَدَكاً منه ، وكان عليه قتالٌ شديد .

بَرَزَ رَجُلٌ مِن يهود يقالُ له يُوشَع ، يدعو إلى البراز ، فبرز له الحُبابُ بن المُنْذر ، فاختلفا ضرباتٍ فقتله الحُبابُ ، وبرز له آخر يقال له الزّيال ، فبرز له عمارةُ بن عُقْبة الغِفارِىّ ، فبادَرَه الغفارى فضربه ضربةً على هامته وهو يقول : خُذْهَا وأنا الغلامُ الغفارىّ ، فقال النّاس « بَطَلَ جهاده » ، فبلغ رسولَ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ذلك فقال : « ما بأْس به يُؤْجَر وَيُحْمَد » .

وروى محمد بن عمر عن محمد بن مسلمة ـ رضى الله عنه ـ قال : رأيتُ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رَمَى بسهمٍ فما أخطأ رجلاً منهم ، وتبسَّمَ رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ إلىّ ، وانفرجوا ودخلوا الحصنَ .

---

(١) فى المرجع السابق « هند بن حارثة » .

(٢) كذا فى ط . وفى ت ، م « فتحه الله » .

وروى محمد بن عمر عن جابر ـ رضى اللهُ عنه ـ أنهم وَجَدُوا فى حِصْن الصَّعب من الطَّعَام ما لم يكونوا يَظُنُّون أنه هُنَاك من الشَّعير والتَّمر والسَّمْن والعَسَلِ والزَّيت والوَدَك .

ونادى مُنَادِى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : كُلُوا وٱعلفوا ولا تحملوا ، يقول : لا تَخرُجوا به إلى بلادكم .

* * *

ذكر محاصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ الذى صار فى سهمه بعد

رَوَى البيهقىُّ عن محمد بن عمر قال : لمَّا تحولت يهودُ مِنْ حِصْن نَاعِم وحِصْن الصَّعْب بن مُعاذ إلى قُلة الزُّبَيْر[1] حاصرهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حِصْنٌ فى رأس قُلةٍ ، فأقام محاصرهم ثلاثة أيام ، فجاء يهودىٌّ يدعى غزال فقال : يَا أبا القاسم تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النَّطَاة وتخرج إلى أهل الشَّق ؛ فإن أهل الشَّق قد هلكوا رُعباً منك ؟ فأمَّنه رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أهله وماله ، فقال اليهودى : إنك لو أقمت شهراً ما بالوا ؛ لهم دبُولٌ[2] تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك ، فإن قطعت عنهم شِرْبَهُم أَصْحَرُوا[3] لك ، فسار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى دُبُولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال .

وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأُصيب من اليهود فى ذلك اليوم عشرة ، وٱفتتحه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان هذا آخر حُصُون النَّطَاة .

فلما فرغ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم / من النَّطاة تحوّل إلى الشَّق . ١٩٦ ظ

(١) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٦٦ « قلعة » .
(٢) دبول : الدبول الأنهر الصغيرة (السيرة الحلبية ٣ : ٤٧) .
(٣) اصحروا : برزوا فى الصحراء (نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٥٦) وعبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٦٦٧ « فإن قطعت شربهم عليهم ضجوا » .

ذكر انتقاله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى محاصرة حصون الشق وفتحها

روى البيهقىّ عن محمد بن عمر ــ رحمه الله ــ عن شيوخه ــ رحمهم الله ــ قالوا : لما تحوّل رسولُ الله ــ صلّى اللهُ عليه وسلَّم ــ إلى الشّق وبه حصون ذوات عدد ، فكان أوّل حِصْن بدَأَ به حِصْن أُبَىّ ، فقام رسُول الله ــ صلّى الله عليه وسلَّم ــ على قلعة يقال لها سَمْوان[1] فقاتل عليها أهل الحصن ، قتالاً شديداً ، وخرج رجلٌ من يهود يُقال له غزول[2] ، فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُبَاب بنُ المنذر ، فاقتتلا فاْختلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحُباب ، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غزول ، فبادر راجعاً منهزماً إلى الحصن ، فتبعه الحُبَاب ، فقطع عُرْقُوبَه ، فوقع فَدَفَّفَ عليه . فخرج آخر ، فصاح : مَن يبارز ؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش ، فَقَتَل الجحشىَّ ، وقام مكانه يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دُجانة ، وقد عصبَ رأسه بعصابته الحمراء ، فوق المِغْفَر ، يختالُ فى مشيته ، فبدره أَبُو دُجانة ــ رضى الله عنه ــ فضربه فقطع رجله ثم ذَفَّف عليه ، وأخذ سلبه ، درعه وسيفه ، فجاء به إلى رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فنفله رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذلك ، وأحجم اليهود عن البراز ، فكبّر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمُهُم أَبُو دُجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحَّمُوا الجُدُرَ كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن النِّزال[3] بالشّق ، وجعل يأْتى مَنْ بقى من فلٍّ[4] النَّطاة إلى حصن النِّزال ، فغلّقوه ، وامتنعوا فيه أشدَّ الامتناع ، وزحف رسولُ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إليهم فى أصحابه ، فقاتلهم ، فكانوا أشد أهل الشّق رَمْيًا للمسلمين بالنَّبل والحجارة ، ورسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ معهم حتى أصابت النَّبْلُ ثِيابَ رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وعَلِقَت به ، فأَخذَ رسولُ الله

---

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٦٧ « سمران » بضم فسكون فراء مفتوحة .

(٢) فى السيرة الحلبية ٣ : ٤٧ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٥٦ « غزوال » .

(٣) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٦٨ « حصن النزار » وفى البداية والنهاية ٤ : ١٩٨ « حصن البزاة » .

(٤) الفل : الفلول المنهزمة (اللسان) .

صلَّى الله عليه وسلَّم - النَّبْلَ فجمعها ، ثم أخذ لهم كفًّا مِن حصى فَحَصَب به حِصْنَهُم ، فرجفَ الحصنُ بهم ، ثم سَاخَ فى الأَرض ، حتَّى جاءَ المسلمون فأَخذوا أهله أخذا .

* * *

ذكر انتقاله - صلى الله عليه وسلم - الى حصون الكتيبة(١) وبعثه السريا لوجع راسه وما وقع فى ذلك من الآيات

لما فتح رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - حُصُونَ النَّطَاة ، والشَّق انْهزمَ من سَلِم منهم إلى حصون الكَتِيبة ، وأعظم حصونها القَمُوص ، وكان حصناً منيعاً .

ذكر موسى بن عُقْبَةَ : أن رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - حاصره قريباً من عشرين ليلة ، وكانت أرضاً وخمة .

وروى الشَّيخان عن سهل بن سَعْد ، والبُخَارِيُّ وابن أبى أُسامة ، وأبو نعيم عن سلمة ابن الأَكوع ، وأبو نعيم ، والبيهقِىُّ عن عبد الله بن بُرَيْدَة عن أَبيه . وأبو نعيم عن ابن عمر ، وسعد بن أَبى وقَّاص ، وأَبى سعيد الخُدْرىّ ، وعمران بن حُصَين ، وجابر بن عبدالله، وأَبو ليلى ، ومسلمٌ ، والبيهقِىُّ عن أَبى هُرَيْرَة ، والإمامُ أَحمد وأبو يَعْلَى والبيهقىُّ عن علىٍّ - رضى الله عنهم - قال بُرَيْدَة - رضى الله عنه - كان رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - تأخذه الشَّقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشَّقِيقَة فلم يخرج إلى الناس ، فأَرسلَ أَبَا بكرٍ - رضى الله عنه - فأَخذ رايةَ رسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديدا ، ثم رجع ، ولم يكن فَتْحٌ . وقد جهد ، ثم أَرسل عمرَ - رضى الله عنه - فأَخذ رايةَ رسولِ الله - صلَّى اللهِ عليه وسلَّم - فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأَول ، ثم رجع ، ولم يكن فتح . وفى حديث عن على عند البيهقى : أنَّ الغلبةَ كانت لليهود فى اليومين(٢) .انتهى .

---

(١) الكتيبة - بكاف مفتوحة ففوقية ، وقيل مثلثة مكسورة فتحتية ساكنة ، فوحدة - ويقال بضم الكاف (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨) .

(٢) أنظر ذلك وكل القصة فى السيرة الحلبية ٣ : ٤٣ .

فأُخبر رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بذلك فقال : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ[1] ، ليس بِفَرَّارٍ ، يُحِبُّ الله ورسوله ، يأخذها عَنْوَةً » وفى لفظ « يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْه » قال بُرَيْدَةُ : فبتْنَا طَيِّبة أنفسنا أن يفتح غداً ، وبات النَّاس يدُوكون[2] ليلتهم أيُّهم يُعْطَاهَا ، فلما أصبح [الناس[3]] غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجو أن يُعْطَاهَا ، قال أبو هريرة قال عُمرُ : فما أحببت الإمارة قطُّ حتى كان يومئذ .

قال بُرَيْدَةُ : فما منَّا رجلٌ له مِنْ رسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرَّجل ، حتى تَطَاوَلْتُ أَنَالَهَا ، ورفعتُ رأسى لمنزلةٍ كانت لى منه ، وليس مِنَّةً .

وفى حديث سَلَمَة ، وجَابِر : وكان علىٌّ تخلف عن رسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لِرمدٍ شديد كان به لا يُبْصر ، فلما سارَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال : لا ، أنا أَتخلفُ عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - !! فخرج فَلَحِقَ برسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال بُرَيْدَةُ : وجاء علِىٌّ - رضى الله عنه - حتى أناخ قريباً ، وهو رمد ، قد عصبَ عينيه بِشِقِّ بُرد قطرِى ، قال بُرَيْدَة : فلما أصبح رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - صلَّى الغداة ، ثُمَّ دعا باللِّواء ، وقام قائماً . قال ابن شهاب : فوعظ الناس ، ثم قال : « أين على » ؟ قالوا : يشتكى عينيه ، قال : « فأَرسلوا إليه » قال سلمة : فجئتُ به أَقوده ، قالوا كلهم : فأُتى به رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال له رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم « مالك ؟ » قال : رَمِدتُ حتى لا أبصر ما قُدَّامى . قال : « ادْنُ منِّى » وفى حديث علىٍّ عند الحاكم : فوضع رأسى عند حجره ، ثم بَزَق فى أَلية[4]

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « على يديه » .

(٢) يدو كون : كذا فى الأصول ، وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٣ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٣ «يذكرون» والمعنى باتوا فى اختلاط واختلاف ، من الدوكة بمعنى الاختلاط . وسيرد ذلك فى شرح المفرادت .

(٣) الإضافة عن شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٣ .

(٤) فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٣ « بزق فى ألية راحته » وفى السيرة الحلبية ٣ : ٤٢ « فى كف يده » والألية : اللحمة التى تحت الإبهام ، أو باطن الكف - كما فى شرح المواهب .

يده فدلك بها عيني ، قالوا : فبرأ كأن لم يكن به وجَع قط ، فما وجعهما [على[1]] حتى مضى لسبيله[2] ، ودعا له وأعطاه الراية ، قال سهل فقال على : يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال : « انْفُذْ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى — وحق رسوله . فوالله لأن يَهْدِىَ اللهُ بكَ رَجُلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعم » وقال أبو هريرة : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لعلى : « اذهب فقاتلهم حتى يفتح اللهُ عليك ولا تلتفت » قال : علامَ أُقاتل الناس ؟ قال : « قاتِلْهُم حتى يَشهدوا أن لا إلٰهَ إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فإذا فَعَلُوا ذلك فقد مَنَعُوا منك دمَاءَهم وأموالَهُم إلاَّ بِحَقِّها ، وحِسَابُهُم على الله » فخرجوا ، فخرج بها [[3] والله يأنح يهرول هرولة[3]] . حتى ركزها تحت الحِصْن فاطَّلَع يهودىّ من رأس الحِصْن فقال : من أنتَ ؟ قال : علِيٌّ ، فقال اليهودى غلبتهم والذى أنزل التَّوراة على موسى ، فما رجع حتى فتح الله تعالى على يدَيْه .

قال أبو نعيم : فيه دلالة على أن فتح على لحصنهم مقدم فى كتبهم بتوجيه من الله وجهه إليهم ، ويكون فتح الله — تعالى — على يديه .

* * *

ذكر قتل على — رضى الله عنه — الحارث واخاه مرحبا ، وعامرا وياسرا فرســـان يهود وسبعانها

رَوى محمد بن عمر عن جابر — رضى الله عنه — قال : أوَّلُ من خرج من حصون خَيْبَر — مبارزاً — الحارثُ أخو مرْحب فى عَادِيتِه فقتله علِيٌّ — رضى الله عنه — ورجع أصحاب الحَارِثِ إلى الحِصْن ، وبَرَزَ عامِرٌ ، وكان رَجُلاً جَسِيما طويلا ، فقالَ رسولُ الله

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) مضى لسبيله : أى مات .

(٣ — ٣) مابين الحاصرتين إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٣ . ويوافقها نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٣٥ . وموضع المثبت بياض فى الأصول ، لكن ورد فى شرح الغريب لفظ « يأنح » مشروحاً . ولفظ « يهرول » أيضا .

– صلى الله عليه وسلّم – حين برزَ وطلع عامِر « أتَرَوْنَهُ خمسةَ أذرع ؟ » وهو يدعو إلى البراز ، فخرج إليه عليٌّ بن أبي طالب – رضى الله عنه – فضربه ضربات ، كل ذلك لا يصنع شيئاً ، حتى ضَرَب ساقية فَبَرَك ، ثم دفَّفَ عليه ، وأخذ سلاحه .

قال ابن إسحاق : ثم برزَ ياسرٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَر أَنِّى يَاسِر   شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مُغَاوِر

إِذَا اللُّيُوث أَقْبَلَت تُبَادِر   وأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَةِ المُسَاوِر

إِن حُسَامى فِيهِ موتٌ حَاضِر

قال محمد بن عمر : وكان من أشِدَّائِهم ، وكان معه حَرْبَة يَحُوس[1] النَّاس بها حَوْساً ، فبرز له عليٌّ بنِ أبي طالب ، فقال له الزُّبَيْرُ بن العوّام : أقسمتُ ألا خَلَّيْتَ بيني وبينه ، ففعل ، فَقَالَت صفيَّةُ[2] لمَّا خرج إليه الزُّبَيْرُ – رضى الله عنها – : يا رسول الله يَقْتُلُ ابْنِي ؟ فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « بَلْ ابْنُك يَقْتُلُه – إن شاء الله » فخرج إليه الزُّبَيْر وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَيْبَر أَنِّى زَبَّارْ   قرمٌ لقَرْمٍ غير نِكْسٍ فرَّارْ

ابنُ حماةِ المجد ، ابنُ الأخْيارْ   ياسرُ لَا يغْرُرْكَ جمْعُ الكُفَّارْ

فجمعهم مثل السَّرَاب الخَتَّارْ

ثمّ التقيَا فقتلهُ الزُّبَيْر ، قال ابن إسحاق : وذكر أن عليًّا هو الذى قتل ياسِرًا .

قال محمد بن عمر : وقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لِلزّبير لما قتل ياسرا فداك عم وخال ثم قال : « لكل نبي حواري وحواريّ الزبير ابن عمّي » .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح غريب المفردات أيضاً – وفى المغازى للواقدى ٢ : ٦٥٧ « يحوش بها المسلمين حوشاً » والمعنى يسوقهم .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم الزبير بن العوام رضى الله عنه (السيرة الحلبية ٣ : ٤٥)

حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم ، والبيهقيّ أن مَرْحَبًا – وهو بفتح الميم ، والحاء المهملة ، وسكون الرَّاء – بينهما – وبالموحدة – خَرَجَ وهو يَخْطُر بسَيْفِهِ ، وفى حديث [ابن[1]] بُرَيْدة عن [أبيه : خرج مرحب[2]] وعليه مِغْفَرٌ [مُعَصْفر[3]] يمانى وحجَرٌ قد ثقبه مثل البيضة على رأسِهِ ، وهو يرتجزُ ويقول :

قد علمت خَيْبَرُ أنّى مَرْحَبْ   شَاكِى السِّلَاحَ بَطَلٌ مُجَرَّبْ
إذا اللُّيُوثُ أَقْبَلَت تَلَهَّبْ[4]

قال سلَمةُ : فبرزَ له عامِرٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّى عَامِرُ   شَاكِى السِّلاح بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فوقع سيفُ مَرْحَب فى تُرْسِ عامر ، فذهب عامر يَسْفُل[5] له ، وكان سيفه فيه قِصَر ، فَرَجَع سيفُهُ على نَفْسِهِ ، فقطعَ أَكْحَلَهُ ، وفى رواية عين رُكْبَتِهِ[6]، وكانت فيها نفسه ، قال بُرَيْدَةُ : فَبَرَزَ مَرْحَب وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّى مَرْحَبْ   شَاكِى السِّلَاح بطلٌ مُجَرَّبْ
إِذَا اللُّيُوثُ أَقبلَت تَلَهَّبْ   وأَحْجَمَت عن صَوْلَة المغلَّبْ

فَبرَزَ له على بنُ أَبى طالب – رضى الله عنه – وعليه جُبَّة أرجوان حمراء قد أخرج خَمَلها ، وهو يقول :

---

(١) إضافة عن ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٣٥٤ .
(٢ ، ٣) بياض فى الأصول ، والإثبات عن المرجع السابق ٣ : ٣٥٥ .
(٤) فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ :   إذا الحروب أقبلت تلهب .
ومثل ذلك السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ولكنها أوردت بعد الأبيات كما يلى :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحينا أضرب   إذا الليوث أقبلت تلهب
إن حماى للحمى لا يقرب

(٥) يسفل : الضبط من شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ ؛ وشرحها بقوله « أى يضربه من أسفل » وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٦ « يسعل » بالعين المهملة ، ومعناه ينشط .
(٦) أى طرف ركبته الأعلى (شرح المواهب ٢ : ٢٢٥)

أَنَا الَّذِى سمَّتْنِى أُمى حَيْـدَرَه   كَلَيْثِ غَابَات كرِيهِ المنظره[1]

أوفِيهِمُ بالصَّاع كَيْل السَّنْدَرَه[2]

فَضَرَب مَرْحَباً ففلق رأْسهُ ، وكان الفتح .

وفى حديث بُرَيْدَة ، فاختلفا ضَرْبَتَيْن ، فَبَدَرَهُ علىٌّ - رضى اللهُ عنه - بضربة فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع فى الأَحْراش وسمع أَهل العسكر صوت ضربته وقامَ النَّاسُ مع علىٍّ حتى أَخذَ المدينة .

وروى الإمام أَحمد عن على - رضى الله عنه - قال : لما قتلتُ مَرْحَبًا ، جئْتُ برَأْسِهِ إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم .

* * *

ذكر من زعم من أهل المغازى وغيرهم أن محمدا بن مسلمة - رضى الله عنه - هو الذى قتل مرحبا

روى البيهقىّ عن عُرْوَةَ ، وعن موسى بن عُقْبة ، وعن الزُّهرىّ ، وعن ابن إسحاق ، وعن محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : واللفظ لابن إسحاق قال : حدّثنى عبد الله ابن سَهْل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : خرج مَرْحَبُ اليهودى من حِصْن خيبر ، وقد جمع سلاحه يقول من يبارز ويرتجز

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَر أَنّى مَرْحَبٌ   شَاكِى السِّلاح بطلٌ مُجَـرَّبُ

أَطْعَنُ أَحْيَاناً وَحِينــاً أَضْرِبُ   إذا اللُّيُوث أَقْبَلَت تَحرَّبُ

إن حِماى للْحِمَى لَا يُقْــرَبُ

---

(١) وفى السيرة الحلبية ٣ : ٤٤   ضرغام آجـام وليث قسورة

(٢) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٢٥   أكيلهم بالسيف كيل السندرة

وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٥   أكيلكم بالصاع كيل السندرة

والسندرة : مكيال كبير ، وقيل ضرب من الكيل غراف جراف (نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٤ - السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥) .

فأجابه كَعْبُ بنُ مالك فقال :

قَدْ عَلِمتْ خَيْبَرُ أنّى كَعْبُ   مُفَرِّجُ الغُمَّى جَرِىءٌ صُلْبُ
إذا شبَّتْ الحَرْبُ تلتها(١) الحربُ   مَعِى حُسَامٌ كالعَقيق عَضْبُ
نطأُكُمْ حتى يَذِلَّ الصَّعْـــبُ   نُعْطَى الجزاءَ أو يفِىءَ النَّهْبُ
بكَفٍّ مَاضٍ ليس فيه عَتْبُ(٢)

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد ـ رحمه الله :

قَـدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّى كَعْبُ   وأنَّنِى متَى تُشَبُّ الحَـرْبُ / ١٩٨ ظ
مَاضٍ على الهَوْلِ جَرْىءٌ صُلْبُ   مَعى حُسَامٌ كالعَقِيقِ عَضْـبُ
بكفٍّ ماضٍ لَيْس فيه عَتْبُ   نَدُكُّكُم حَتّى يَذِلَّ الصَّعْـبُ

قال : ومرحب بن عميرة .

قال جابر : فقالَ رسولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ : « مَنْ لِهَذا ؟ » قال محمد ابن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المَوْتُور الثائر ، قُتِل أخى بالأمس ، قال : « فَقُمْ إليه ، اللَّهُمَّ أعِنْهُ عَلَيْه » قال : فلمَّا دنا أحدُهُمَا مِنْ صَاحبه ، دخلتْ بينهما شجرة عُمْرِيَّة(٣) من شجر العُشَر(٤) ،فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، فكلما لاذ منه بها اقتطع صاحبُه مادونه منها ، حتى برز كلٌّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجُلِ القائم ، ما فيها فنن ، ثمّ حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مسلمة فضربه ، فاتَّقاهُ بالدَّرَقَة ، فوقع سيفهُ فيها ، فَعضّت به فأمْسَكَتْه ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . والله أعلم .

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وثار الحرب » والمثبت يتفق مع روايات كتب السيرة .

(٢) عتب : كذا فى الأصول . والمعنى كما سيرد فى شرح غريب المفردات وليس فيه مايلام عليه . وفى السيرة لابن كثير ٣ : ٣٥٧ بكف ماض ليس فيـه عيب

(٣) عمرية : أى قديمة وسيرد ضبطها وشرحها فى شرح الغريب .

(٤) العشر : شجر له صمغ وهو من العضاه ـ وسيأتى فى شرح الغريب .

قلت : جزم جماعة من أصحاب المغازى : بأن محمد بن مَسْلَمة هو الذى قتل مَرْحَبًا[1] .

ولكن ثبتَ فى صحيح مسلم ما تقدم عن سَلَمة بن الأكوع أنَّ عَلِيًا – رضى الله عنه – هو الذى قتل مَرْحَبًا .

ووَرَدَ ذلك فى حديث بُرَيْدة بن الحُصَيب ، وأبى نافع مولى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعلى تقدير صحة ما ذكره جابرٌ ، وجزم به جماعة ، فَمَا فى صحيح مُسْلِمٍ مُقَدَّمٌ عليه من وجهين : أحدهما أنه أصحّ إسناداً ، الثانى . أن جابراً لَمْ يشهد خَيْبَر كما ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما ، وقد شهدها سَلَمَةُ وبُرَيْدَةُ ، وأبو رافع – رضى الله عنهم – وهم أعلم ممن لم يشهدها ، وما قيل من أن محمد بن مَسْلَمة ضربَ ساق مَرْحَب فقطعهما ولم يجهز عليه ، ومربه على فأجهز عليه ، يأباه حديثُ سلمة وأبى رافع ، والله أعلم . وصحّحَ أبو عمر – رحمه الله – أنَّ عليا – رضى الله عنه – هو الذى قتل مَرْحَبا ، وقال ابنُ الأثير : إنه الصّحيح .

* * *

ذكر قلع على – رضى الله عنه – باب خيبر

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن حسن عن بعض أهله ، عن أبى رافع مَوْلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : خرجْنَا مع علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – حين بعثه رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – برايته ؛ فلما دَنَا من الحِصْن خَرَج إليه أهْلُه فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من يهود ، فطرح تُرْسَهُ من يدِهِ فتناول على باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل ؛ حتىّ فتح الله – تعالى – عليه ، ثمّ ألْقَاهُ من يده حين فَرَغَ ، فلقد رأيْتُنى فى نفرٍ سبعة أنا ثامنهم ، نَجْهَد على أن نَقلِب ذلك الباب ، فما نقلبه .

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « وبه جزم ابن اسحاق ، وابن عقبة ، والواقدى » .

وروى البيهقي من طريقين عن المطلب بن زياد ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر
محمد بن علي – رضى الله عنه – عن آبائه ، قال : حدثني جابرُ بن عبد الله – رضى
الله عنهما – : أنّ علياً – رضى الله عنه – حَمَل الباب يوم خيبر ، حتى صعد عليه المسلمون
فافتتحوها ، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون / رجلا – رجَالُه ثقاتٌ إلا ليثُ ١٩٩ و
ابن أبي سليم – وهو ضعيف .

قال البيهقيّ : ورُوِىَ من وجه آخر ضعيف عن جابر قال : اجتمع عليه سبعون رَجُلاً ، وكان أجهدهم أن أعادوا الباب ، قلتُ : رواه الحاكم .

* * *

ذكر اسلام العبد الأسود وما وقع فى ذلك من الآيات(١)

روى البيهقيُّ عن جابر بن عبد الله ، والبيهقيُّ عن أنس – رضى الله عنهم – والبيهقيُّ عن عُرْوَة ، وعن موسى بن عُقْبة : أنَّ عبْدًا حَبَشِيًّا(٢) لِرَجُل(٣) من أهل خَيْبَر كان يرعى غنماً لهم ، لما رآهم قد أخذوا السِّلاحَ واستعدوا لقتالِ رسول اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – سألهم : ما تريدون ؟ قالُوا : نقاتل هذا الرَّجل ، الَّذى يزعمُ أنه نبيٌّ . فوقع فى نفسه ذكر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فخرج بغنمه ليرعاها ، فأخذه المسلمون ، فجاءوا به لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى لفْظِ ابْنِ عُقْبَة : أنه عمد بغنمه إلى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فكلمه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما شاء اللهُ أن يكلِّمَه ، فقال الرَّجل : ماذا تَقُول ، وماذا تَدْعُو إليه ؟ قال : « أدعوك إلَى الإِسْلَام وَأَن تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰه إلاَّ الله ، وَأَنِّى رَسُولُ الله ، وأن لاَ تَعبد إلاَّ الله » . قال العبد : وماذا يكون لى إنْ شَهِدْتُ بذلك ، وآمنت بالله تعالى ؟ قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « لَكَ الْجَنَّة إن آمَنْتَ على ذلَك » فأسلم العبدُ ، وقال : يا رسولَ الله إنى رجلٌ أسودُ اللون قبيحُ الوجه ، مُنْتِنُ الرِّيح ، لَا مَالَ لى ، فإن قاتلتُ هؤلاء حتَّى أُقتل ، أدخل

---

(١) انظر القصة فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩١ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٦١ . وسيأتى فيمن استشهد بخيبر أنه ابن أسلم أو يسار .

(٢) ورد فى هامش ت ، م « إن اسمه عامر اليهودى » كما فى الاستيعاب .

(٣) (هامش ت ، م – والسيرة الحلبية ٣ : ٤٥)

الجنة ؟ قال : « نعم » . قال : يا رسول الله إنّ هذه الغنم عندى أمانة فكيف بها ؟ فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « أخرجها من العسكر ، وارمها بالحصباء فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ سيؤدى عنك أمانتك [1] » ففعل ، وأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلمته ، فَخَرَجَتِ الغنم تشتد مجتمعة كَأَنَّ سائقاً يسوقُها حتَّى دخلت كلُّ شاة إلى أهلها ، فعرف اليهوديُّ أنّ غُلاَمه قد أسلم ، ثم تقدَّم العبد الأسود إلى الصفّ ، فقاتل فأصابه سهمٌ فقتله ، ولم يُصَلِّ لله ـ تعالى ـ سجدة قطّ ، فاَحتمَلَهُ المسلمون إلى عسكرهم، فقال رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ « أَدْخِلُوه الفُسْطَاط » ، وفى لفظ « الخباء » فأدخلوه خباء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتَّى إذا فرغ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دخل عليه ، ثم خرج فقال « لقَدْ حَسُنَ إسلامُ صَاحِبِكُم ، لقد دَخَلْتُ عليه ، وإنَّ عِنْدَه لزَوْجتين له من الحُورِ العين » .

وفى حديث أنس : فأتى عليه رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو مقتول ، فقال : « لَقَدْ حَسَّنَ اللهُ وجهك ، وطيبّ ريحَك ، وكثّر مَالَك ، لقد رأيتُ زَوْجَتَيْه مِنَ الْحُورِ الْعين يَنْزِعَان جُبَّته [2] يَدْخُلاَنِ فيمَا بَيْنَ جِلْدِهِوَجُبَّتِهِ » .

وعند ابن إسحاق « ينفضان التُّراب عن وَجْهِهِ ، ويقولان : « تَرَّبَ اللهُ وجْهَ من تَرَّبك وَقَتَل مَن قتلك » .

* * *

ذكر نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكل لحوم الحمر الانسية وغيرها مما يذكر

روى الشيخان عن عبد الله بن أبى أَوْفى ـ رضى الله عنه ـ قال : أصابتنا مجاعةٌ ليالى خَيْبَر ، فلمَّا كان يوم خَيْبَر وقعنا فى الحُمُر الإنسية ، فأنتحرْنَاها ، فلما غَلَتِ القُدُور ، ونَادَى مُنَادِى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : أن أكْفِئوا القدور ، ولا تأكلوا من لحوم الحُمُر شيئاً .

---

(١) ورد فى هامش ت ، م « قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : إنما رد الغنم – والله أعلم – إلى حصن الوطيح أو قبل أن تحل الغنائم »

(٢) فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٦٢ « يتنازعان جبته عليه » .

وعن أنس – رضى الله عنه – قال : لما كان يوم خَيْبَر ، جاء فقال : يا رسول الله ، فَنِيَتْ الحُمُر ، فأَمر أبا طلحة فنادى « إنَّ الله ورسوله يَنْهاكُم عن لحوم الحُمُر » رواه عثمان بن سعيد الدَّارِمىّ بسندٍ صحيح .

وعن ابن عبّاس – رضى الله عنهما – قال : نهى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يوم خَيْبَر عن بيع الغنائم حتَّى تُقْسَم ، وعن الحَبالى أن تُوطَأَ حتى يَضَعْنَ ما فى بطونهنّ ، قال : « لا تسق زرع غيرك » ، وعن لحوم الحُمُر الأَهلية ، وعن كل ذى ناب من السباع – رواه الدارقطنى .

وعن أبى ثعلبة الخُشَنىّ – رضى الله عنه – قال : غزَوْتُ مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خَيْبَر ، والناسُ جياعٌ ، فأَصبنا بها حُمُراً إنسيّةً فَذَبَحْنَاهَا ، فأُخْبِرَ النبىّ – صلَّى الله عليه وسلم – فأَمر عبد الرحمن بن عَوْف فنادَى فى الناس (إنَّ لحوم الحُمُر لا تَحِل لمَنْ يشهد أنِّى رسول الله) رواه الإمام أحمد ، والشيخان .

وعن سلمة – رضى الله عنه – قال : أتينا خيبر فحاصرناها حتى أصابتنا مَخْمصةٌ شديدة : يعنى الجوع الشديد ، ثم إنَّ الله – تعالى – فتحها علينا . فلمَّا أمسى الناسُ مَسَاءَ اليومِ الَّذى فُتِحَتْ عليهم ، أوقدوا نيراناً كثيرةً ، فقالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « ما هذه النيران ؟ على أىِّ شىء توقدون ؟ » قالوا : على لحم ، قال : « على أى لحم » ؟ قالوا : لحم حُمُرٍ إنسيّة ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أهرقوها ، واكسروا الدّنان » فقال رجل : أو نُهريقوها ونغسلها ؟ قال « أو ذاك » رواه الشَّيخان ، والبيهقىُّ .

ورَوَى محمد بن عمر – رحمه الله – تعالى – عن شيوخه : أن عدة الحمر التى ذبحوها ، كانت عشرين أو ثلاثين ، كذا رواهُ على الشَّك .

ذكر فتحه – صلى الله عليه وسلم – الوطيح والسلالم
وكانا آخر حصون خيبر فتحا

قال ابنُ إسحاق : وتَدَنَّى[1] رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالأموال يأخذها مالاً مالاً ، ويَفْتَحُها حِصْناً حِصناً ، حتَّى انتهوا إلى ذينك الحصنين ، وجعلُوا لا يطلعون من حصنهم حتى همَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم أن ينصب عليهم المَنْجنيق ، لما رأى من تغليقهم ، وأنه لا يبرز منهم أحد ، فلما أيقنُوا بالهلكة – وقد حصرهم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أربعة عشر يوماً – سألوا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الصّلْحَ ، فأرسل كنانةُ بنُ أبي الحُقَيْق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – رجلاًمن اليهود يقال له شماخ يقول[2] (أنزلُ فأكلمك؟ فقالرسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « نعم » فنزل [كنانة[3]] ابن أبي الحُقَيْق ، ، فصالح رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على حقن دماء مَن فى حصونهم من المقاتلة ، وترك الذريَّة لهم ، ويخرجون من خَيْبَر وأرضها بذراريهم ، ويُخَلُّون بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصّفراء والبيضاء والكُرَاع والحَلْقة ، وعلى البَزِّ إلاَّ ثَوْباً على ظهر إنسان ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « وبرِئَت مِنْكُمْ ذِمَّةُ اللهِ وذمَّةُ رَسُولِهِ إنْ كَتَمْتُمُونى شَيْئًا » فصالحوه على ذلك ، فأرسل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى الأموال فقبضها الأوّلَ فالأوّل ، ووجد فى ذينك الحصنين مائة دِرْع وأربعمائة سيف ، وألفَ رُمحٍ ، وخمسمائة قوس عربيّة بجعابها .

* * *

ذكر سؤال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على حيى
ابن اخطب وماله اللذين حملهما لما أجلى عن المدينة، وما وقع فى ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر : كان الحَلْى فى أوّل الأمر فى مَسْك حَمَل ، فلما كثر ، جعلوه فى مَسْك ثَوْر ، ثم فى مَسْك جَمَل ، وكان ذلك الحَلْى يكون عند الأكابرمن آل أبي الحُقَيْق وكانوا يُعِيرُونَه العرب .

---

(١) تدنى : أخذ الأدنى فالأدنى (هامش السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٢٨٥ . والسيرة لابن كثير ٣ : ٣٦٧)
(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين . ولكن الكلام متصل .
(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٦٧٠ .

وروى ابنُ سعد والبيهقىٌّ عن ابن عمر ، وابنُ سعد – بسند رجالهُ ثقاتٌ – عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى لَيْلَى – وهو صدوق سيء الحفظ – عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس – رضى اللهُ عنهما – : أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لما ظهر على أهل خَيْبَر صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم ، وللنبى – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الصفراء والبيضاء والحَلْقة والسِّلاح ، ويخرجهم ، وشَرَطُوا للنبِى – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن لا يكتموه شيئاً ؛ فإن فعلوا فلا ذمَّة لهم .

قال ابن عباس : فأُتى بكنانة ، والربيع ، وكان كنانة زوج صفية ، والربيع أخوه أو ابن عمه ، فقال لهما رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلْم – « أين آنيتكما التى كنتم تُعِيرُونها أهل مكة ؟ » .

وقال ابن عمر : قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لعمّ[1] حُيَى « ما فعل مَسْك حُيَى الذى جاءَ به من النضير ؟ » فقال : وقال ابن عباس : قالا : « هربنا ، فلم نزل تضعُنا أرضٌ وترفعنا أُخرى ، فذهب فى نفقتنا كلُّ شيء .

وقال ابن عمر : أَذْهَبَتْه النَّفقات والحروب ، فقال « العهدُ قريبٌ ، والمال أكثر من ذلك » .

وقال ابنُ عبّاس : فقال لهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنكما إن تكتمانى شيئاً فاَطلعت عليه استحللتُ به دماءَكما وذراريكما » . فقالا : نعم .

وقال عُرْوَة ومحمد بن عمر فيما رواه البيهقىّ عنهما : فأخبر الله عزّ وجلّ رسولَه – صلى الله عليه وسلم – بموضع الكنز ، فقال لكنانة « إنك لمغتر بأَمر السماء » .

قال ابن عباس : فدعا رسولُ / الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – رجلاً من الأَنصار فقال : ٢٠٠ ظ
« اذهب إلى قراح[2] كذا وكذا ، ثم ائتِ النخلَ فانظر نخلةً عن يمينك ، أو عن

---

(١) هو سعيد بن عمرو (السيرة الحلبية ٣ : ٤٩) .

(٢) قراح : القراح من الأرضين كل قطعة على حيالها من منابت النخل ، وقيل الأرض المخلصة للذرع والغرث وقيل للزرعة التى ليس عليها بناء ولا فيها شجر (تاج العروس ٢ : ٢٠٥) .

يسارك مرفوعةً فأتى بما فيها » فجاءه بالآنيَة والأموال ، فقومت بعشرة آلاف دينار ، فضرب أعناقهما ، وسبى أهليهما بالنّكث الذى نكثاه .

وقال ابن إسحاق : أُتى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بكنانَةَ بن الرَّبيع ، وكان عنده كنزُ بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأُتى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ برجلٍ من يهود ، قال ابن عُقْبَة : اسمه ثَعْلَبَة[1] وكان فى عقله شىء ، فقال لرسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إنى رأيتُ كنانة يُطِيفُ بهذه الخَرِبَة كلّ غداة ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لكنانة : « أرأيتَ إنْ وَجَدْنَاه عِنْدَكَ ، أَقْتُلك ؟ » قال : نعم ، فأمر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخَرِبَة فَحُفِرَت ، وأُخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤدِّيَه ، فأمر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الزّبَيْر بن العَوام ، فقال : « عَذِّبْه حتى تستأصل ما عنده » فكان الزّبير ـ رضى الله عنه ـ يقدحُ بِزَنْدِهِ فى صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ إلى محمدِ بن مسلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

* * *

ذكر ارادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ اجلاء يهود خيبر عنهـا كما وقع شرطهم ، ثم إقراره إياهم يعملون فيها ما أقرهم الله ، وإخراج عمر ابن الخطاب لهم لمـا نكثوا العهـد[2]

روى البخاريّ والبيهقى عن ابن عمر ، والبيهقىُّ عن عُرْوَة وعن موسى بن عُقْبة : أنّ خَيْبَرَ لمّا فتحها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سألت يهودُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يُقِرَّهم فيها على نصف ما خَرَج منها من التَّمر ، وقالُوا : دعنا يا محمد نكون فى هذه الأرض . نصلحها ، ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا لأصحابه غِلْمان يقومون عليها ، وكانوا لاَ يفرغون أن يقوموا عليها ،

---

(١) وفى السيرة الحلبية ٢ : ١٦٧ ط الحلبية « اسمه سعية بن عمرو عم حيى بن أخطب ، وفى رواية سعية بن سلام بن أبى الحقيق » .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩٩ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٧٣٨ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٦٩٠ .

فأعطاهم رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خيبر على أنَّ لهم الشَّطر من كلِّ زرع ونخل وشيء ما بَدَا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفى لفظٍ ، قالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم « نقركم فيها على ذلك ما شئنا ، وفى لفظ « ما أُقركم الله » .

وكان عبدُ الله بنُ رواحةَ يأتيهم كلَّ عامٍ فيخرصها عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [شدة خرص[1]] ابن رواحة ، وأرادوا أن يَرْشُوا ابن رواحة ، فقال : يا أعداء الله ، تُطعمونى السُّحْتَ ؟ والله لقد جئتكم من عند أحبِّ النّاس إلىَّ ، ولأنتم أبغض إلىَّ من عِدَّتكم من القردة والخنازير / ولا يحملنى بغضى ١٠٢ و إيّاكم وحبِّ إيَّاه على أن لا أعدل عليكم فقالُوا : بهذا قامت السَّموات والأرض ، فأقاموا بأرضهم على ذلك .

فلمّا كان زمان عمر ، غشّوا المسلمين ، وألقوا عبدَ اللهِ بن عمر من فوق بيت فَفَدَعُوا يديه ، ويقال بل سحروه باللَّيل وهو نائم على فراشه ، فكوع حتى أصبح كأنه فى وثاق ، وجاء أصحابه ، فأصلحوا من يديه ، فقام عمر خطيباً فى النَّاس ، فقال : إنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عامل يَهُودَ خيبر على أموالها ، وقال : نقركم ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعُدِىَ عليه من الليل ، فَفُدِعَت يداه ، وليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم ، وهم تهمتنا ، وقد رأيت إجلاءهم . فمن كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها ، فلما أجمع على ذلك ، قال رئيسهُم ، وهو أحد بنى الحُقَيْق : لا تخرجنا ودعنا نكون فيها كما أقَرَّنا أبو القاسم وأبو بكر ، فقال عمر لرئيسهم : أتراني سقط عنِّى قولُ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ « كَيْفَ بك ، إذَا ارفضَّت[2] بك راحلتك تَؤُمُّ الشَّامَ يَوْمًا ، ثم يوما ؟ » وفى رواية : أظننت أنّى نسيتُ قولَ رسولِ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم « كيف بك إذَا خرجت من خيبر يَعْدُوبك قلوصك ليلة بعد ليلة » فقال : تلك هُزَيْلَة من أبى القاسم ، قال : كَذَبْتَ ، وأجلاهم عمر ، وأعطاهم

---

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٨ .

(٢) ارفضت : أى سال عرقها . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٩ « وقصت » بمعنى أسرعت .

قيمةَ مالهم من التمر : مالاً ، وإبلاً ، وعروضاً من أقتابٍ وحبال ، وغير ذلك ، وسيأتى فى أبواب الوفاة النبوية قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب » .

* * *

ذكر قصة الشاة المسمومة وما وقع فى ذلك من الآيات(١)

روى الشيخان عن أنس ، والإمامُ أحمدُ ، وابنُ سعد ، وأبو نعيم عن ابن عباس ، والدارمىُّ ، والبيهقىُّ عن جابر ، والبيهقىُّ بسندٍ صحيح – عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ، والطَّبرانىُّ عنه عن أبيه ، والبزار والحاكم ، وأبو نعيم عن أبي سعيد ، والبيهقىّ عن أبى هُرَيرة – رضى الله عنهم – والبيهقىُّ عن ابن شهاب – رحمه الله تعالى – : أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لما افتتح خيبر ، وقتل من قتل ، واطمأن الناسُ ، أهدت زينب ابنة الحارث امرأة سَلاَم بن مِشْكَم ، وهى ابنة أخى مَرْحَب – لصَفِيّة امرأته [شاة(٢)] مَصْلِيَّة ، وقد سألت : أىّ عُضْوِ الشّاة أحبُّ إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ؟ فقيل لها الذراع ، فأكثرت فيها من السّم ، ثم سمَّت سائِر الشاة ، فدخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على صفية ومعه بِشْرُ بنُ البراء بن مَعْرُور – بمهملات – فقدّمت إليه الشّاةَ المَصْلِيَّة ، فتناول رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الكتف ، وفى لفظٍ : الذِّراع ، وانتهس(٣) منها فلاكها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وتناول بشرُ ابن البراء عظماً ، فانتهس منه .

قال ابن إسحاق ، فأما بِشْر فأساغها ، وأما رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلَفَظَها ، وقال ابنُ شهاب : فلما استرط(٤) رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – لقمته

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٣٧ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٠٨ – ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٦٧٧ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق . وهى فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٩ .

(٣) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٢

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ٢٤٤ (ازدرد رسول الله) .

آسترط بشرُ بن البراء ما فى فيه / فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ آرفعوا ما فى أيديكم ، فإنَّ كتف هذه الشَّاة تخبرنى أنى نُعيت فيها . ٢٠١ ظ

قال ابن شهاب : فقال بشرُ بنُ البراء : والذى أكرمك لقد وجدتُ ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنغصك[١] طعامك ، فلمَّا سغت ما فى فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك ورجوت ألا تكون اسْتَرطّتها ، وفيها نعى . فلم يقم بشرٌ من مكانه حتى عاد لونه كالطَّيْلَسان ، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا أن حُوِّل . قال الزهرى قال جابر : واحتجم رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كاهله يومئذ ، حجمه أبو هند مولى بنى بياضَة بالقرن والشفرة ، وبقىَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه .

فقال[٢] : « ما زلتُ أجدُ من الأُكلة التى أكلتُ من الشَّاة يوم خَيْبَر عِدَاداً حتى كان هذا وانقطع أَبْهَرِى » فتوفى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ شهِيدا بلفظ ابن شهاب .

وذكر محمد بن عمر : أنه ألقى من لحم تِلْكَ الشَّاة لكلبٍ فما تبعت يدَهُ رجلهُ حتَّى مات .

وقال الصحابة السابق ذكرهم ـ رضى الله عنهم ـ إنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم أرسل إلى اليهودية ، فقال : « أسممتِ هذه الشاة ؟ » فقالت : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتْنِى هَذِهِ الَّتِى فِى يَدَىَّ وهى الذراع ، قالت : نعم ، قالَ : « مَا حَمَلَكِ على ما صنعتِ ؟ » قالت : بلغتَ من قومى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إن كان ملكاً استرحنا منه ، وإن كان نبيا فسيُخْبَرُ ، فتجاوز ـ وفى لفظٍ ـ فعفا عنها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَمَاتَ بشرٌ من أكلته الَّتى أكل ولم يُعَاقِبْهَا .

---

(١) فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٩ « أبغضك »

(٢) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر محمد بن عمر : أَنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لها : « ما حملك على هذا ؟ » قالت : قَتلتَ أَبي وعمِّى وزوْجى وأخى - فأبوها الحارث وعمها يسار وأخوها مرحب وزوجها سَلَام بن مِشْكَم .

وعن أَبي سَلَمة عن جَابر - رضى الله عنه - أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لما مات بِشْرُ بن البَرَاء أمر باليهودية فَقُتِلَت . رواه أبو داود ، ووقع عند البزار من حديث أَبي سعيد الخُدرىِّ : أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بعد سؤاله للمرأة اليهودية واعترافها - بسطَ يَدَهُ إلى الشَّاة وقال لأصحابه : « كُلُوا باسم الله » قال : فأَكلنا وذكرنا اسْمَ الله ، فلم يُضَرَّ أحد منا .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وفيه نَكَارَةٌ وغرابة شديدة . قلت : وذكر محمد ابن عمر : أَنَّ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أمر بلحم الشَّاةِ فأُحْرِق .

* * *

ذكر قدوم جعفر بن ابى طالب - رضى الله عنه - ومن معه من الاشعريين من ارض الحبشة(١)

رَوَى الشيخان ، والإسماعيلى ، وابن سعد ، وابن حبان ، وابن منده عن أَبي موسى الأَشعرى - رضى الله عنه - قال : لما بلَغَنا مَخْرَجُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ونحن باليمن ، فخرجْنَا مُهَاجِرِين إليه أنا وإخوان لى ، أنا أصغرهم ، أَحدهم أبو رُهم - بضم الراء ، وسكون الهاء - والآخر أبو بُرْدَة ؛ إما قال : فى بِضْع ، وإما قال : فى ثلاثة أوأثنين وخمسين رجلا من قومى / فركبنا سفينة - قال ابن منده : حتى جئنا مكَّة - ثم خرجنا ٢٠٢ و
فى برٍّ حتى أتينا المدينة - فألقتنا سفينتنا إلى النَّجاشى بالحبشة : فوافقنا جعفر بن أَبي طالب وأَصحابه عنده ، فقال جعفر : إنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بعثنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأَقيموا معنا ، فأَقمنا معه حتى قدِمْنَا جميعاً فوافقنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - حين فتح خيبر قال : فأَسْهَمَ لنا ، وما قَسَم لأَحدٍ غاب عن فتح خيبر

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٥٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٥٦ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٤٦ ، والبداية والنهاية ٤ : ٢٠٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٨٩ . والمغازى للواقدى ٢ : ٦٨٣ .

شيئاً إلا من شَهِدَ معه ، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، قسم لهم معنا ، وذكر البيهقى[1] - رحمه الله - أنّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - سأَل الصحابة أن يشركوهم ففعلوا ذلك ، انتهى .

قال : فكان أُناس يقولون لنا : « يعنى أَصحاب » السفينة : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماءُ[2] - بنت عُمَيْس - بعين وسين مهملتين ، وبالتصغير - وهى مِمَّن قَدِمَ معنا يومئذ - على حفصة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زائِرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر إليه ، فدخل عُمر على حفصة ، وأسماءُ عندها ، فقال عمر حين رأى أسماءَ - رضى الله عنهم - من هذه ؟ فقالت : أسماءُ بنت عميس فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، نحن أَحقُّ برسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال : فغضبت وقالت : كلاَّ والله يا عمر ، كنتم مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُطْعِمُ جِيَاعَكُم ، ويُعَلِّمُ جاهلكم ، وكنا فى دار ، أو أَرض البُعَداء البُغَضاء بالحبشة ، وذلك فى الله وفى رسوله ، وأيم الله لا أَطعم طعاماً ، ولا أَشرب شراباً حتى أَذكر ما قلتَ لرسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأَسأَله ، والله لا أَكذب ولا أزيغ ولا أَزيد على ذلك ، فلما جاءَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قالت : يا نبى الله !! إن رجالاً يفخرون علينا ، ويزعمون أنّا لسنا من المهاجرين الأَوّلِين ، فقال : « مَنْ يَقُولُ ذلك ؟ » قلتُ : إنّ عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم : « ما قُلْتِ لَه ؟ » قالت : قلتُ له كذا وكذا ، قال : « ليس بأَحَقّ لى منكم ، له ولأَصحابه هجرة واحدة ، ولكم أَنتم أَهلَ السفينة - هجرتان » قالت : فلقد رأَيتُ أَبا موسَى وأَصحابه يأْتونى أَرْسالاً يسأَلونى عن هذا الحديث ، مَا مِنَ الدّنيا شيءٌ هُمْ أَفرح ، ولا أَعظم فى أَنفسهم مما قال لهم رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال أَبو بُرَيْدَة : قالت أَسماءُ : ولقد رأَيت أَبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى ، وقال لكم الهجرةُ مرتين .

---

(١) بياض بالأصل والإثبات عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٤٦ .

(٢) هى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

وروى البيهقىّ عنْ جابر – رضى الله عنه – قال : لما قدم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من خيبر ، وقدِمَ جعفرُ من الحبشة ، تلقَّاهُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَقَبَّل جبهته ، ثم قال : « والله ما أدرى بأَيِّهما أفرحُ ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر » .

وروى البيهقىّ ، بسندٍ فيه من لا يُعرف[1] حالهُ – عن جابر – رضى الله عنه – قال :
٢٠٢ ظ لما قدم جعفر بن أبى طالب تلقّاهُ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلما نظرَ / جعفر إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « حَجَل » قال أَحَدُ رُوَاتِه : يعنى مشى على رِجْلٍ واحدة إعظاماً[2] منه لرسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَقَبَّلَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بين عَيْنَيْه .

* * *

ذكر قدوم أبى هريرة وطائفة من أوس على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بخيبر

روى الإمام أَحمد ، والبخارىُّ فى التاريخ ، وفى [3]مجمع الزوائد للهيثمى فى أول خيبر[3] عن خزيمة ، والطحاوىُّ ، والحاكمُ ، والبيهقىُّ عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قدمنا المدينة ، ونحن ثمانون بَيْتًا من أَوْس ، فصلينا الصبحَ خلف سَبَّاع بن عُرْفُطَة الغفارىّ ، فقرأَ فى الركعة الأُولى بسورة : « مَرْيَم » ، وفى الآخرة « ويْلٌ للمطَفِّفِين » فلَمَّا قرأَ « إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ[4] » قلتُ : تركت عمىّ بالسَّراة له مِكْيَالَان ، إذا اكتال اكْتال بالأَوفى ، وإذا كَال كَال بالناقص ، فلما فرغنا من صلاتنا ، قال قائلٌ : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخيبر ، وهو قادِمٌ عليكم ، فقلت : لا أَسمع به فى مكان أَبداً إلا جئته ، فزوّدنا سَبَّاع بن عُرْفُطة ، وحملنا حتى جئنا خيبر فنجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد فتح النَّطَاة ، وهو محاصر الكَتِيبة ، فأَقمنا حتى فتح الله علينا .

---

(١) هو مكى بن إبراهيم الرعينى كما فى البداية والنهاية ٤ : ٣٠٦ .
(٢) لأن أهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم (السيرة الحلبية ٣ : ٥٧ .
(٣ – ٣) مابين الرقمين من هامش ت .
(٤) سورة المطففين آية ٢ .

وفى رواية فقدمنا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد فتح خيبر ، وكلَّم المسلمين فأشركنا فى سُهْمَانِهم .

ورَوَى البخارىّ ، وأبو داود عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قدمتُ المدينة ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بخيبر حين افتتحها ، فسألتهُ أن يُسْهِم لى ، قال : فتكلَّم بعضُ وَلَدِ[1] سعيد بْنِ العاص فقال : لا تُسْهِم له يا رسولَ الله ، قال : فقلتُ : هذا والله هو قاتل ابن قَوْقَل ، فقال : وأظنه [أبان] بن[2] سعيد بن العاص سميا عجبا لِوبْر تَدَلَّى علينا من قَدُوم ضأن يعيرنى بقتل امرئ مُسلم أكرمه الله على يدَىّ . ولم يهنى على يدَيْه .

وروى البخارىّ ، وأبو داود عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : بعث رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أباناً على سَرِيّة من المدِينَة ، قِبَلَ نَجْد ، قال أبو هُرَيْرَةُ : فقَدِمَ أبانٌ وأصحابه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخَيْبَرَ بعد ما افتتحها ، وإنّ حُزُمَ خَيْلِهِم لَلِيفٌ ، فقال : يا رسول الله أرضخ لنا فقال أبو هريرة : يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا يا وبْرُ تحدَّر من رأس خالٍ – وفى لفظ – فَانٍ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « يا أبان اجْلِس » فلم يقسم لهم .

* * *

ذكر قدوم عيينة بن حصن وبنى فزارة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيبر بعد فتحها وما وقع فى ذلك من الآيات[3]

رَوَى[4] البيهقىّ عن موسى بن عُقْبَةَ عن الزُّهْرِىّ – رحمهما الله – تعالى /– : أنّ ٢٠٣ و
بَنِى فَزَارة مِمَّن قَدِمَ على أهل خَيْبَر لِيُعِينُوهم فراسلهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا يعينوهم وسألهم أن يخرجوا عنهم ولكم من خَيْبَر كذا وكذا ، فأبوا عليه ، فلما

---

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص كما صرح به فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٣ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٢٩ .

(٤) ورد فى هامش ت «وعن أبى هريرة قال : ماشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنما قط إلا قسم لى إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة ، وكان أبو هريرة وأبوموسى جاءا بين الحديبية وخيبر – رواه أحمد ، وفيه على بن زيد وهو سيىء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح » .

أن فتح الله خَيْبَر أتاه من كان هناك من بنى فَزارَة ، فقالوا : حظنا والذى وعَدْتَنا ، فقال رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ « حظكم ــ أو قال « لكم ذو الرّقيبَة » جبل من جبال خيبر ــ فقالوا : إذًا نقاتلك ، فقال : « موعدكم جَنَفًا » . فلما أن سمعوا ذلك من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خرجوا هاربين .

وروى البيهقىُّ عن محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : كان أبو شُيَيْم المُزَنِىّ ــ رضى الله عنه ــ قد أَسْلم فحسن إسلامه يُحدِّث وَيَقُول : لما نَفَرْنَا إلى أهلنا مع عُيَيْنَة بن حِصْن فرجع بنا عُيَيْنَة ، فلما كان دون خَيْبَر عرَّسْنَا من الليل ، ففزعنا ، فقال عُيَيْنَةُ : أبشروا ، إنى رأيتُ الليلة فى النوم أنى أُعْطِيتُ ذُو الرُّقيبة ــ جبلاً بِخَيْبَر ــ قد والله أخذتُ بِرَقَبَةِ محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما أن قَدِمْنَا خَيْبَر ــ قَدِمَ عُيَيْنَة ، فوجدْنا رسولَ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد فتح خيبر ، فقال عُيَيْنَة : يا محمد ! أعطنى مما غَنِمْتَ مِن حلفائى ؛ فإنِى قد خرجتُ عنك وعن قِتالك ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كذبت ولكن الصِّياح الذى سَمِعْتَ أَنْفرَك إلى أهلك قال : أَحْذنى يا محمد ؟ قال : « لك ذو الرُّقَيبة » قال عُيَيْنَةُ : وما ذُو الرُّقَيبة ؟ قال « الجبل الذى رأيت فى منامِك أنَّك أخذته » فانصرف عُيَيْنَةُ ، فلما رجع إلى أهله جاءه الحارث بن عوف ، وقال : أَلم أَقل لك تُوضِع فى غير شئ ، فالله ، لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على ما بين المشرق والمغرب ، يهود كانوا يخبروننا بهذا أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن مِشْكم يقول : إنَّا لنحسد محمدًا على النُّبُوة ، حيث خَرَجَت من بنى هَارُون ، وهو نَبِىٌّ مُرْسَلٌ ، ويهود لا تطاوعنى على هذا ، ولنا منه ذِبحان واحد بيثرب وآخر بخيابر .

* * *

ذكر مصالحة أهل فدك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم

لما أَقبلَ رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ إلى خَيْبَر فَدَنَا منها بعث محيِّصة بن مسعود الحارثى إلى فَدَك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خَيْبَر . ويحل بساحتهم ، قال مُحَيِّصَة فجئتهم فأَقمت عندهم يومين ، فجعلوا يتربَّصُون ويقولُون بالنَّطَاة عَامِر وياسر والحارث ، وسيد اليهود مَرْحب ، ما نَرَى محمداً بقرب

حراهِم[1] ، إن بها عشرة آلاف مقاتل ، قال محيّصةُ : فلما رأيت خُبْثَهم أردت أن أرجع ، فقالوا : نحن نرسلُ معك رجالاً منّا يأْخذون لَنَا الصُّلحَ ، ويظنُّون أن يهود تمتنع ، فلم يزالوا كذلك حتى جاءَهم قتلُ أهل حصن ناعم ، وأَهلُ النجدة منهم ، ففتَّ ذلك أعضادهم ، فقدم رجل من رؤسائهم يقال له نُون بن[2] يُوشع في نفر من يهود ، فصالَحُوا رسولَ اللهِ ـ صلَّى اللهُ / عليه وسلَّم ـ على أن يحقن دماءَهم ويجليهم ، ويُخَلُّوا ٢٠٣ ظ
بينه وبين الأَموال ، ففعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ويُقَال : عرضوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخرجوا مِنْ بِلاَدهم ، ولا يكونُ للنبيّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [عليهم][3] من الأَموال شيءٌ ، فإذا كان أوانُ جُذاذها جاءُوا فجذُّوها ، فأَبى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنْ يقبل ذلك ، وقال لهم مُحيِّصةُ : ما لكم منعةٌ ولا حُصُون ولا رِجال ، ولو بعث إليكم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ مائة رجل لساقوكم إليه ، فوقع الصُّلح بينهم بأَن لهم نِصْفَ الأَرضين بتربتها ، ولرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نِصْفها ، فقبل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذلك ، يقول محمد بن عمر : وهذا أثبت القولين ، وأقرهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على ذلك ، ولم يأْتِهم[4] ، فلمَّا كان عمرُ بنُ الخطاب وأجلى يهودَ خيبر بعث إليهم من يُقَوِّمُ أَرضهم ، فبعث أَبا الهيثم مالك بن التَّيِّهان ـ بفتح الفوقية وكسر التحتية المشدَّدة ، وبالنون ـ وفَرْوَة ابن عمرو بن جَبَّار[5] ـ بتشديد الموحدة ـ بن صخر ، وزيد بن ثابت ، فَقَوَّمُوهَا لهم ؛ النخل والأَرض ، فأَخذها عمر ، ودفع إليهم نصف قيمة النخل بتربتها ، فبلغ ذلك خمسين ألف درهم أو يزيد ، وكان ذلك المال جاءَ من العراق ، وأجلاهم إلى الشام .

---

(١) الحرى : جناب الرجل هامش المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٦)

(٢) فى ص يوشع بن نون .

(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٦ .

(٤) فى المرجع السابق ٢ : ٧٠٧ « ولم يبلغهم » .

(٥) فى المرجع السابق ٢ : ٧٠٧ « ابن حيان » .

ذكر المراهنة التى كانت بين قريش فى أن أهل خيبر يغلبون رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم

روى البيهقى عن عُروة ، وعن موسى بن عقبة ، وعن محمد بن عمر عن عبد الله ابن أَبي بكر بن‌حزم – رحمهم الله تعالى – قالوا – : واللفظ لمحمد بن عمر – : كان حُوَيْطب – بضم الحاء المهملة ، وسكون التحتية ، وكسر الطاء المهملة – ابن عبد الْعُزَّى – رضى الله عنه – يقول : انصرفت من صُلْحِ الحُدَيْبِيَة ، وأنا مُسْتَيْقِن أن محمَّداً – صلى الله عليه وسلم – سيظهر على الخلْق ، وتأْبى حميَّةُ الشيطان إلاَّ لزوم دينى ، فقدم علينا عبَّاس – بالموحدة المشددة – ابن مِرْدَاس – بكسر الميم – السلمى يُخبرنا أَنَّ محمَّداً – صلى الله عليه وسلم – قد سار إلى خيابر ، وأن خيابر قد جمعت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمُحَمَّدٌ لا يُفْلِت[1] إلى أن قال عبَّاس بن مِرْداس : من شاءَ بايعته أن محمدا لَا يُفْلِتَ قلتُ : أنا أُخاطرك ، فقال صفوان بن أُمية[2] : أنا معك يا عباس ، وقال نَوْفَل بن معاوية الدِّيْلَمى أَنا مَعَكَ يا عبَّاس ، وضَوَى إلىَّ نفر من قريش فتخاطرنا مائة بعير أَخماساً[3] إلى مائة بعيرٍ ، أقولُ أنا وحِزْبى : يظهرُ محمد – صلى الله عليه وسلم – ويقولُ عباس وحزبه : تظهر غَطَفَان ، وجاءَ الْخَبَر بظهورِ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَخذ حُوَيْطِبُ وحزبه الرَّهْن .

* * *

ذكر استئذان الحجاج[4] بن علاط – رضى الله عنه – من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد فتح خيبر أن يذهب الى مكة لأخذ ماله قبل وصول الخبر اليهـا / ٢٠٤ و

روى الإمام أحمد عن أَنس – رضى الله عنه – والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه ، قالوا : كان الحجاج بن عِلَاط بكسر العين المهملة ، وتخفيف

---

(١) كذا فى ط ، ص ، وفى ت و م « لايغلب »

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٢ « خماسا إلى مائة بعير »

(٤) انظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٥

اللاَّم ، السُّلَمى[١] بضم السِّين ، خرج يُغير فى بعض غاراته ، فَذُكِرَ له أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بِخَيْبَرَ ، فأَسْلَم ، وحضر مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكانت أُمُّ شيبة ٱبنةَ عُميرِ بن هاشم[٢] ـ أختُ مُصْعَب بن عُمير الْعَبْدَرِىّ ـ ٱمرأَتَه ، وكان الحجَّاج مكثرا ، له مالٌ كثيرٌ ، وله معادن الذهب التى بأَرض بنى سُلَيْم ـ بضم السين ، فقال : يا رسول الله ، إئْذَنْ لى ، فأَذهب فآخذ مالى عند ٱمرأَتى ، فإن علمتْ بإسلامى لم آخذ منه شيئاً ، وَمَالٌ لى متفرق فى تجَّارِ أَهل مكة ، فأَذن له رسول اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال : يا رسول الله ، إنَّه لَابُدَّ لى من أن أَقول ، قال « قُلْ » قال الحجاج : فخرجتُ فلما ٱنتهيتُ إلى الحرم ، هبطتُ فوجَدتهم بالثنية البيضاء ، وَإذا بها رجالٌ من قريش يتسمَّعُون الأَخبار[٣] قد بلغهم أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد سار إلى خيبر ، وعرفوا أَنها قرية الحِجَاز أَنفةً ومنعةً وريفا ورجالاً وسِلاَحاً ، فهم يتحسَّبُون الأَخبار ، مع ما كان بينهم من الرِّهَان[٤] ، فلمَّا رأَونى قالوا : الحجاج بن عِلاَط عنْدَهُ ـ واللهِ ـ الخبر ـ ولم يكونوا عَلِمُوا بإسلامى ـ ياحجاج ، إنَّه قد بلغنا أَن القاطع[٥] قد سار إلى خيبر بَلَدِ يهود ، وريف الحجاز ، فقلتُ : بلغنى أَنه قد سار إليها وعندى من الخبر ما يسرُّكُم فَالتبطوا بِجَانِبَى راحلتى ، يقولون : إيه يا حجاج ؟! فقلت : لم يَلْق محمدٌ وأَصحابُه قوماً يُحْسِنُون القتال غير أَهل خيابر ، كانوا قد ساروا فى العرب يجمعون له الجُموع ، وجمعوا لَهُ عشْرة آلافٍ فَهُزِمَ هزيمةً لم يُسمع بمثلها قط ، وأُسِرَ مُحَمَّدٌ أَسراً ، فقالوا : لاَ نَقْتُلُه حتَّى نبعثَ به إلى مكة فنقتله بين أَظهرهم بمن قَتَل منَّا ومنهم ، ولهذا فإنهم يرجعون إليكم يطلبُون الأَمان فى عشائِرهم ، ويرجعون إلى ما كانوا عليه ، فلا تقبلوا منهم ، وقد صنعوا بكم ما صنعوا ،

---

(١) فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٥ « السلمى ثم البهزى . وفى السيرة الحلبية ٣ : ٦٠ هو أبو نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفى تهتف به وتقول .

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

(٢) وفى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٥ « هى أم شيبة بنت طلحة »

(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٣ .

(٤) كذا فى ط ، ت ، م . وفى ص « مع ما كان فيهم من الرهان .

(٥) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٦٠ .

قال : فَصَاحُوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمدٌ إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليْكم فَيُقْتَلَ بين أظهركم ، وقلت : أَعِيْنُونِى علىَ جَمْعِ مَالىَ على غرمائى فإنى أريد أن أقدمَ فأُصيبَ من غنائم محمَّد وأصحابه ، قبل أن تسبقنى التُّجار إلى مَا هُنَاك ، فقاموا فجمعوا إلىّ مالى كأَحَثِّ جمع سمعتُ به ، وجئتُ صاحبتى فقلْتُ لها : مالى ، لَعَلِّى ألحَقُ بِخَيْبرَ فأُصيب من البيع قبل أن يسبقنى التُّجار .

وفشا ذلك بمكَّة ، وأظهر المشركون الفرح والسرور ، وانكسر منْ كان بمكة من المسلمين ، وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب ، فقعد وجعل لا يستطيعُ أن يقوم فأَشفق أن يدخل داره فيؤذى .وعلم أنه يؤذى عند ذلك فأَمر بباب داره أن يفتح وهو مستلق فَدعا بِقُثَم ، فجعل يرتجز ويرفع صوته[1] لِئلا يشمت به الأَعداءُ ، وحضر باب العباس
٢٠٤ ظ بين مَغِيظٍ ومحزون ، وبين شامت ، وبين مسلم ومسلمة / مقهورين بظهور الكُفْر ، والبَغْى ، فلمَّا رأى المسلمون العباسَ طَيِّبَةً نفسُه ، طابت أنفسهم ، واشتدت مُنتهم[2] ، فَدَعا غلاماً لهُ يقالُ له أبو زبيبة[3] ، بلفظِ واحدةِ زَبيبِ العِنَب ، ولم أجد له ذكراً فى الإصابة ، فقال : اذهب إلى الحجاج فقل له : يقول لك العباس : اللهُ أعلى وأجلّ من أن يكون الذى جئتَ به حقًّا ، فقال له الحجاج : اقرأْ على أَبى الفضل السَّلاَم ، وقل له[4] : لِيَخْلُ لى فى بعض بُيُوته ؛ لآتيه بالخبر على ما يسره ، واكتُم عنىِّ ، وأقبل أبو زبيبة يبشر العباسَ ، فقال : أبشر يا أبا الفضل ، فوثب العباس فَرِحاً كأَن لم يمسَّه شئٌ ، ودخل عليه أبو زبيبة ، واعتنقه العباس ، وأَعْتَقَه ، وأخبره بالذى قاله .

فقال العباس : للهِ علىَّ عتقُ عَشْرِ رِقاب ، فلما كان ظُهْراً ، جاءَهُ الحجاج ، فَنَاشَدَهُ

---

(١) وفى رواية الإمام احمد « فأخذ إبنا له يقال له قثم ، واستلق ووضعه على صدره وهو يقول : —

حبى قثم شـــبه ذى الأنف الأشم
نبى ذى النعـــم برغم من زعـــم

(٢) المنة : بضم الميم : القوة . المحيط . وانظر شرح الغريب .

(٣) كذا فى الأصل . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٤ « أبو زبينة »

(٤) فى المرجع السابق « وقل له أحلنى فى بعض بيوتك حتى آتيك ظهرا ببعض ماتحب »

اللهَ : لَتكتُمنَّ على ثلاثة أيام ، ويقال : يوماً وليلة ، فوافقه العباس[1] على ذلك ، فقال : إنى قَدْ أسلمت ، ولى مَالٌ عند امرأتى ، ودينٌ على الناس ، ولو علِمُوا بإسلامى لم يدفعوه إلىَّ وتركتُ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقد فتح خيبر ، وجرت سهام الله – تعالى – ورسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فيها وانْتَشَلَ ما فيها ، وتركته عروساً بابنة مليكهم حُيَىِّ بن أخطب ، وقُتِلَ ابنُ أَبى الْحُقَيْق فلما أمسى الحجاج من يومه خرج وطالت[2] على العباس تلك الليالى ، ويقالُ : إنما انتظره العباس يوماً وليلةً ، فلما كان بعد ثلاث ، والناس يموجُون فى شأْن ما تبايعوا عليه ، عمَد العباسُ إلى حُلَّةٍ فلبسها ، وتخلَّق بخلوقٍ ، وأخذبيده قضيباً ، ثم أقبل يخْطُر ، حتَّى وقف على باب الحجاج بن عِلَاط فقرعه ، فقالت زوجته : ألاَ تدخل يا أبا الفضل ؟ قال : فأين زوجك ؟ قالت : ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت :لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شَقَّ علينا الَّذِى بَلَغَكَ ، قال : أجل ، لا يحزننى اللهُ ، لم يكن بحمد اللهِ إلاَّ ما أَحْبَبْنَا ، فتح اللهُ على رسُولِهِ خَيبر ، وجرت فيها سهام الله ورسوله ، واصطفى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – صَفِيَّة لنفسه ، فإن كانت لَكِ حاجة فى زَوْجك فالحقى به ، قالت : أظنُّك واللهِ صَادِقًا .

ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش وهم يقولون إذا مرَّ بهم : لا يصيبُك إلا خير يا أبا الفضل !! هذا والله التجلد لحرِّ المصيبة ؛ قال : كلاَّ والله الَّذِى حَلَفْتُم به ، لم يُصِبْنِى إلا خير بحمد الله ، أخْبَرَنى الحجاجُ بنُ عِلاط أن خيبر فتحها اللهُ على رسوله ، وجرى فيها سهامُ اللهِ وسهامُ رسوله ، فردَّ الله – تعالى – الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دَخَلَ فى بيته مكتئباً حتى أتوا العباسَ فأَخْبرهم الخبر ، فَسُرَّ المسلمون . وقال المشركون [يالعباد الله][3] انفلت عدوُّ الله ، – يعنى الحجاج أمَا والله لَوْ علمنا لكان لنا وله شأْن ، ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

---

(۱) فى ط « فوائقه » والمثبت عن بقية النسخ .

(۲) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ۲ : ۷۰٤ « واستنظر العباس »

(۳) بياض فى الأصول والمثبت عن نهاية الأرب للنويرى ۱۷ : ۲٦۸ ، والسيرة الحلبية ۳ : ٦۱ .

ذكر مغانم خيبر ومقاسمها على طريق الاختصار

٢٠٥ و عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال : خرجنا مع رسولِ الله – صلى الله / عليه وسلم – عام خيبر ، فلم يغنم ذَهَبًا ولا فضة إلا الإبل والبقر والمتاع والحوائط . وفى روايةٍ إلا الأموال والثياب والمتاع . رواه مالك والشيخان ، وأبو داود ، والنسائى . وقال ابن إسحاق[١] : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشِّق ونَطَاة والكَتِيْبَة ، وكانت الشِّق ، ونطاة فى سُهمان المسلمين ، وكانت الكَتيبةُ خُمُسَ الله ، وسَهْمَ النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – وسهمَ ذوى القُربى واليتامى والمساكين[٢] ، وطُعْمَ أزواج النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – وطُعْمَ رجالٍ مَشَوْا بَيْن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وبين أهل فَدَك بالصُّلح ؛ منهم مُحَيِّصةُ بن مسعود ، أعطاه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – منها ثلاثين وِسْقًا[٣] من شعير ، وثلاثين وسْقًا من تمر ، وقُسِّمت خيبرُ على أهل الحُدَيْبِيَة ، منْ شَهِدَ خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغبْ عنها إلاَّ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام – رضى الله عنهما – فَقَسَمَ له رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كسهم من حَضَرَها ، وكان واديها – وادى السُّريرة ، ووادى خاصٍ ، وهما اللذان قُسِّمت عليهما خيبر .

وكانت نَطَاة والشّق ثمانية عشر سَهْمًا ، نطَاةُ من ذلك خمسةُ أسهم ، والشّق ثَلاَثَةَ عَشَرَ سهما ، وقُسِّمَت الشّق ونَطاة على ألفِ سهم وثمانمائة سهم ، وكانت عدَّةُ الَّذين قُسِّمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم ، للرجال أربع عشرة مائة ، والخيل مائتا فرس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلِّ رَاجلٍ سهم ، وكان لكل سَهْم رأْس جمعَ إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سَهْمًا ، جمع .

---

(١) انظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

(٢) زاد ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٣٨٣ « وابن السبيل »

(٣) الوسق : بالكسر والفتح : ستون صاعاً ، أو حمل بعير .

فَكَانَ عليٌّ بن أَبي طالب ـ رضى الله عنه ـ رأْسًا ، والزُّبير بن العوّام رأْساً ، وسَرَد ذكر ذلك ابنُ إسحاق . ثم قال : ثم قَسَّمَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ الكَتِيبةَ ؛ وهي وادى خاص بين قرابته وبين نسائه وبين رجالٍ مُسْلمين ونساءٍ أَعطاهم منها ، ثم ذكر كيفيّة القسمة .

وروى أبو داود عن سهل بن أَبي خَثْمة ـ بخاء معجمة ، فثاءٍ مثلثة ساكنة ـ رضى الله عنه ـ قال : قسم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خيبر نصفين ، نصْفاً لنوائبه وخاصَّته ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما .

روُى أيضاً عن بُشير ـ بضم الموحدة ـ بن يسار ـ رحمه الله تعالى ـ عن رجال من أَصحابِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رضى الله عنهم : أَن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ظهر على خيبر قسّمها على سِتَّةٍ وثلاثين سهماً ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمسلمين النّصْف من ذلك ، وعزَلَ النصْفَ الباقى لمن نزل به من الوفود والأُمور ونوائب الناس ، زاد فى رواية أُخرى عنه مرسلة بَيَّنَ فيها نصف النوائب : الوطِيح والكَتِيبة وما حيز معهما، زاد فى رواية والسلالم ، وعزل النصف الآخر الشق والنطاة و ما حيز معهما ، وكان سهم رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ فيما حيز معهما كسهم أَحدهم(١) .

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله ـ تعالى ـ : وكان المتولىّ للقسمة بخيبر جَبَّار ـ بفتح الجيم ، وتشديد الموحدة وبالراء المهملة ـ ابن صخر الأَنصارى من بنى سَلِمَة ـ بكسر اللاَّم ، وزيد بن ثابت من بنى النَّجّار ، وكانا حاسبين قاسمين .

وقال ابن سعد ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أَمر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالغنائم فجمعت ، وآستعمل عليها فَرْوَة بن عمرٍو البياضى ، ثم أَمر بذلك فجزئ خمسة أَجزاء ، وكتب فى سهمٍ منها ، الله ، وسائر السُّهمان أَغفال ، وكان أَوّل ما خرج سهم رسول

(١) ورواية ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٣٨٢ « فعين نصف النوائب : الوطيح والكتيبة والسلالم وماحيز معها ، ونصف المسلمين ، الشق والنطاة وماحيز معهما ، وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حيز معهما » .

الله – صلى الله عليه وسلم – لم يتحيّز فى الأخماس ، فأمر ببيع الأربعة الأخماس فيمن يريد ، فباعها فَرْوَة ، وقسّم ذلك بين أصحابه وكان الذى وَلِى إحصاءَ الناس ، زيد ابن ثابت فأحصاهم ألفاً وأربعمائة ، والخيلَ مائتى فرس ، وكانت السُّهمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهم ، وللخيل أربعمائة سهم ، وكان الخُمُس الذى صار لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – يُعطى منه ما أراه الله من السلاح والكُسوة ، وأعطى منه أهل بيته ، ورجالاً من بنى المطلب ، ونساءً ، واليتيمَ والسائلَ .

ثم ذكر قدوم الدَّوْسيين والأشعريين وأصحاب السفينتين ، وأخْذهم من غنائم خيبر ، ولم يبين كيف أخذوا .

قال فى العيون : وإذا كانت القسمة على ألف وثمانمائة سهم وأهل الحُدَيْبِيَة ألفٌ وأربعمائة ، والخيل مائتى فرس بأربعمائة سهم ، فما الذى أخذه هؤلاء المذكورون .؟

وما ذكرهُ ابن إسحاق من أن المقاسم كانت على الشِّق ، والنَّطَاة والكَتيبَة أشبه ؛ فإنّ هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عَنوة من غير صُلْح ، وأما الْوَطِيحُ والسُّلَالِم فَقَدْ يكون ذلك هو الذى اصطفاه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لما ينوب المسلمين ، ويُترجح حينئذ قولُ موسى بن عُقْبة ومن قال بقوله : إنّ بعض خيبر كان صُلْحًا ، ويكون أخْذُ الأشعريين ومَنْ ذُكِرَ معهم من ذلك ، ويكون مشاورة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهل الحديبية فى إعطائهم ليست استنزالا لهم عن شئ من حقهم ، وإنما هى المشورة العامة ، « وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ[1] » .

روى الشيخان عن عبد الله بن مُغَفَّل – بضم الميم ، وفتح الغين المعجمة ، والفاء المشددة ، وباللام – رضى الله عنه – قال أصبت جِرَاباً ، وفى لفظ : دُلِّىَ جرابٌ من شحم يوم خيبر فالتزمته ، وقلت : لا أعطى أحداً منه شيئاً ، فالتفتُّ فإذا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فاستحيَيْتُ منه ، وحملته على عُنُقِى إلى رَحْلِى وأصحابى فلقينى صاحبُ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

المغانم الَّذى جُعِلَ عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمَّ حتَّى نقسمه بين المسلمين ، قلت : لَا واللهِ لا أعطيك ، فَجعل يُجَادبنى الجرابَ ، فرآنا رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - نصنعُ ذلك ، فتبسَّم ضَاحِكًا ، ثم قال لصاحِبِ المغانم : « لا أَبَالَك ، خَلِّ بينه وبينه » فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رحْلى وأصحابى ، فأكلناه .

قال ابن إسحاق :/ وأعطى رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلم - ابن لُقَيم - بضم اللاَّم ، ٢٠٦ و
قال الحاكم : واسمه عيسى العبسى - بموحدة - حين افتتح خيبر ما بها من دَجاجة وداجن .

* * *

ذكر اهداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء والعبيد من المغانم

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نساء المُسلمين فَرَضَخَ لهن[1] من الفىء ، ولم يضربْ لهن بسهم .

روى ابن إسحاق ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، كلاهما من طريقه عن امرأة[2] من غِفَار قالت : أتيتُ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فى نِسْوَةٍ من بَنِى غفَارٍ - بكسر الغين المعجمة - فقلن : يا رسولَ اللهِ قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خَيْبَر - فنداوىَ الجرحى ، ونُعين المسلمين ما استطعنا ، فقال : « عَلَى بَرَكَةِ اللهِ تَعَالَى » . قالت : فخرجْنَا معه ، وذكرت الحديث .

قالت : فلمَّا فتح رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - خيبر رضخ لنا من الفىء .

وعن عبد الله بن أُنَيْس - رضى الله عنه - قال : خرجْتُ مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى خَيْبَر ومعى زوجتى - وهى حُبْلَى ، فنفستْ فى الطريق ، فأخبرتُ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلم - فقال : انْقَعْ لَهَا تَمْرًا ، فإذا أنعم بَلُّهُ فَامْرُثْهُ[3]

---

(١) رضخ : أى أعطاهن عطاء يسيرا لم يصل إلى نصيب السهم ، وانظر شرح الغريب .

(٢) هى أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية (المغازى للواقدى ٢ : ٦٨٥)

(٣) وكذا فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٨٦ - ومرث الشىء لينه ، والتمر بيده فى الماء : أنقعه وحركه حتى تفرق فيه ، (المحيط) وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٠٥ « فإذا انغمر فأمر به لتشربه »

لِتَشْرَبه » . ففعلتُ فما رَأَتْ شيئاً تكرهه ، فلمَّا فتحنا خيبر أحذى النساء ولم يُسْهم لهن ، فأَحْذَى زوجتى وولدى الذى وُلِد . رواه محمد بن عمر .

وروى أبو داود عن عُمير مولى أبى اللَّحْم - بالموحدة بلفظ آسم الفاعل - رضى الله عنه - قال شَهِدْتُ خَيْبَر مع سادتى فكلموا فىَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - فأَمر بى فقلِّدْتُ سَيْفًا - فإذا أنا أَجُرُّه ، فأُخْبِرَ أَنى مملوك ، فأَمر لى بشىءٍ من خُرْثِىِّ المتاع[1] .

* * *

ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين[2]

أَسلم الحبشى الراعى . ذكره أَبو عمر وآعترضه ابن الأَثير بأَنه ليس فى شئ من السياقات أَن آسمه أسلم ، قال الحافظ : وهو آعتراض متجه ، قلتُ : قد جزم ابن إسحاق فى السيرة برواية ابن هشام بأَن آسمه أَسلم الأَسود الرَّاعى ، تقدم أَن آسمه أسلم . وقال محمد بن عمر : آسمه يسار[3] .

أُنَيْف - تصغير أَنف - بن حبيب بن عمرو بن عوف .

أنيف - كالذى قبله بن واثلة[4] بالمثلثة ، أَو التحتية ،

أَوس بن جبير[5] - بالجيم - الأَنصارى من بنى عمرو بن عوف ، قُتِل على حصن ناعم ، أَورده ابن شاهين ، وتبعه أَبو موسى : أَوس بن حبيب الأَنصارى . ذكره أَبو عمر ، وقيل هو الذى قبله .

أَوس بن فايذ - بالتحيَّة والذَّال المعجمة الأَنصارى ، ذكره أَبو عمر : أَوس بن فايد - بالفاء والدال المهملة ، أَو ابن فاتك أَو الفاكه من بنى عمرو بن عوف .

أَوس بن قتادة الأَنصارى .

---

(١) كذا ضبطه المصنف بالحروف فى شرح الغريب وفسره بأثاث البيت .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٣ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٤ . والمغازى للواقدى ٢ : ٦٩٩

(٣) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٠ « يسار العبد الأسود »

(٤) فى المرجع السابق « أنيف بن واثلة »

(٥) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٠ « أوس بن حبيب » وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٦ « أوس بن الفائد » .

بِشْر – بكسر الموحدة وسكون المعجمة ابن البراء بتخفيف الراء – ابن مَعْرُور ، بفتح الميم ، وسكون العين المهملة ، وضم الراء الأُولى .

ثابت بن إثْلة – بكسر الهمزة ، وسكون الثاء المثلثة ، وزاد أبو عمر وَاواً فى أوَّلِهِ ، ولم يوافقوه .

ثَقْف – بثاء مثلثة – مفتوحة ، فقاف ساكنة ففاء ، وقال محمد بن عمر ثقاف ابن عمرو بن سُمَيط الأَسدى .

الحارث بن حاطب ، ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، وقالا : شهد بدراً ، ولم يتعرض له أبو عمر ، ولا الذهبي ، ولا الحافظ : لكونه اُسْتُشْهِدَ بخيبر : وهو أخو ثعلبة بن حاطب بن عمر بن عبيد الأَنصارى الأَوسى .

ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة – بفتح السين المهملة ، وسكون الخاء المعجمة ، وبالموحدة ابن عمرو الأَسدى ، قُتِلَ بالنَّطَاة ، قتله الحارث اليهودى .

رِفَاعة بن مَسْروح – بمهملات – الأَسدى حليف بنى عبد شمس ، قتله الحارث اليهودى .

سليم بن ثابت بن وقش الأَنصارى الأَشهلى ، ذكَرهُ ابن الكلبي ، وأبو جعفر بن جرير الطَّبَرىُّ .

طَلْحَة : ذكره ابن إسحاق ، ولم ينسبه ، ولم يقف كثيرٌ من الحفَّاظ على نسبه ، ولم يذكره محمد بن عمر ولا ابن سعد ، وقال أبو ذر فى الإملاء : هو طلحة بن يحيى ابن إسحاق بن مليل

قال أبو على الغسانى – رحمه الله – لم يخبر ابن إسحاق باسم طلحة هذا ، قلت : ولم أر لطلحة بن يحيى بن إسحاق هذا ذكراً فى الإصابة للحافظ ، ولا فى الكاشف للذهبي .

عامر بن الأكوع ، واسم الأكوع : سِنَان بن عبد الله بن قشير الأسلمى المعروف بابن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، روى الشيخان ، والبيهقى عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه -قال: لما تَصَافَّ القومُ يَوْمَ خيبر ، وكان سيفُ عامر فيه قِصَرٌ ، فتناول به ساق يهودِىٍّ ليضربه فَرجع ذباب سيفه ، فأصاب عَيْنَ ركبته فمات منه ، فلما قفلوا سمعتُ نفراً من أصحاب محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : بطل عمل عامر ، قَتَلَ نفسه ، فأتيتُ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأنا أبكى فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : لمَّا رآنى شَاحِباً : مالك ؟ قلتُ : فداكَ أبى وأمى ؛ زعموا أن عامراً حَبِطَ عمله . قال : « منْ قَالَ ؟ » قلتُ : فلانٌ وفلانٌ ، وأُسَيْدُ ابنُ الحُضير الأنصارى فقال : « كَذَبَ مَنْ قَالَه ، إنَّ له لَأَجْرَيْن » وجمع بين أُصبعيه « إنَّه لجاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، قلَّ عَرَبِىٌّ مشى - وفى لفظ نشأ[1] بها مثله » ووقع فى حديث ؛ أنه عمّ سَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، وفى حديث آخر أنه أخوه ، ولا تنافى بينهما ، لأنه عمّه وأخوه فى الرضاعة .

عبد الله بن أبى أُمية بن وهب الأسدى بالحلف ، قُتِلَ بالنَّطاة ، وذكره محمد بن عمر ، وابن سعد ولم يذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن هُبَيْب - بموحدتين - مصغر- ابن أُهَيْب ؛ ويقال : وُهَيْب بن سُحيم اللَّيْثى حليف بنى أسد ، ذكره ابن إسحاق فى رواية البكائى ، وجرير بن حازم ، ويونس بن بكير ، لكن عنده عبد الله بن فلان بن وهب ، وكذا سمّاه أبو عمر وجماعة وذكر محمد بن عمر : أنه اسْتُشْهِدَ هو وأخوه عبد الرحمن بأُحُد قال الحافظ : والأوّل أوْلَى .

٢٠٧ و عَدِىّ بن مُرّة / بن سُراقة البلوى بفتح الموحدة واللام - حليف الأنصار طعن بين ثدييه بحربة فمات منها - ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد ، وأبو عمر .

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٢٥ « الضمير - فى بها - للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة » .

عروة بن مرة بن سراقة الأوسى : ذكره أبو عمر .

عمارة بن عقبة بن حارثة الغِفارىّ ، رمى بسهم ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، وأبو عمر ، وتعقّبه الحافظ فى كونه استشهد بخيبر بِكلامٍ يدلُّ على أنه لم يراجع السِّيرة فى هذا المحل ، ولاشكَّ فى صحة ما ذكره أبو عمر .

فُضَيْل بن النُّعمان الأنصارى السَّلمى – بفتح السين ، ذكره ابن إسحاق فى رواية يُونس وابن سَلَمة وزياد ، وجزم بذلك محمدُ بن عمر ، وابن سعد هنا ، وقال ابن سعد فى موضع آخر : كذا وجدناه فى غزوة خَيْبَر ، وطلبناه فى نسب بنى سَلَمة فلم نجده ، ولا أحسبه إلاَّ وهْمًا[1] ، وإنما أراد الطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سنان ، والطُّفيل ذكره ابن عقبة فيمن شهد خيبر .

بشر بن المنذر بن زَنْبَر – بزاى ، ونون موحدة وزن جَعْفَر – بن زيد بن أمية الأنصارى ، ذكره ابن إسحاق .

مَحْمُود بن مَسْلَمة : قُتِلَ عِنْدَ حِصْنِ نَاعم ، أُلقيت عليه صخرة ، قيل ألقاها عليه مرْحب ، وقيل : كنانة بن الرَّبيع ، ولعلهما اشتركا فى الفعل .

وَمِدْعَم الأسود مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قتل بخيبر – وهو الذى غلَّ الشملة يومئذ ، وجاء الحديث أنها تشتعل عليه نارا .

مرة بن سُراقة الأنصارى ، ذكره أبو عمر ، وتعقبه ابنُ الأثير بأن الذى ذكروا أنه شهد خيبر ابنه عروة بن مرّة . قال الحافظ : ولا مانع من الجمع ، قلت : ويؤيّد كلام ابن الأثير أن أبا عمر لم يذكره فى الدرر ، بل ذكر ابنه عُرْوة .

مسعود بن ربيعة – ويقال : ربيع بن عمرو القارِىّ بالتشديد ممن استشهد بخيبر .

---

(١) وانظر الخلاف حوله فى أسد الغابة ٤ : ١٨٤ ط الوهبية .

مسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزُّرقى : ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، ونقل أبو نُعيم عن ابن عمارة أنه ذكره فيهم ، وخالفه الواقدِىّ – اهـ . نقله الحافظ وأقرّه . والذى فى مغازى الواقدى أنه اُسْتُشْهِدَ بخيبر ، وأنَّ مرحباً قتله ، فالله أعلم .

يسار : اسم الأسود الراعى ؛ ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد وسمّاه ابن إسحاق ، أسلم .

أبو سُفْيان بن الحارث ، كذا فى نسخة سقيمة عن الزهرى نقلاً عن رواية يونس عن ابن إسحاق ، ولم أره فى الإصابة .

أبوَ ضَيَّاح – بضاد مفتوحة ، فتحتية مشدّدة ، فألف ، فحاء مهملة – الأنصارى ، اسمه النّعمان ، وتقدم فى البدريين رجلٌ من أشجع ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد . وروى النسائى والبيهقى عن شدّاد ابن الهاد – رضى الله عنه – أن رجلا من الأعراب جَاءَ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فآمن واتَّبعه ، فقال : أُهاجرُ معك ، فأَوْصى به النبى – صلَّى الله عليه وسلم – بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – شيئاً قسَّمه لهم ، وقَسَمَ له ، فأعطى أصحَابَه ما قسم له ، وكان يرعى ظَهْرَهُم ، فلما جاء دَفَعُوهُ إليه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا قَسْمٌ قسمه لك رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فخذه ، فجاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :
٤٠٧ ظ ما هذا ؟ قال : « قسم قسمته لك » قال : ما على هذا أتبعك ، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى/هٰهنا ، وأشار إلى حَلْقِهِ – بسهم – فأموت ، فأدخل الجنة . فقال : « إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْك » ثم نهضوا إلى قتالِ العدو ، فأُتى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُحْمَلُ وقد أَصابه سهم حيث أشار ، فقال النبىُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « هو هو » قالوا : نعم . قال : « صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَه » فكفَّنه النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى جُبَّته ، ثم قدمه . فصلَّى عليه ، وكان مما ظهر من صلاته : « اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ وابن عَبْدِكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِى سَبِيلِك ، قُتِلَ شَهِيْدًا ، أَنَا عَلَيْه شَهِيد » .

وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلا .

ذكر انصراف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن خيبر وتوجهه الى وادى القُرى(١)

قال أبو هريرة : نزلناها أصيلاً مع مغرب الشَّمس ، رواه ابن إسحاق .

قال البلاذرى : قالوا : أتى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُنْصَرَفَه من خيبر وَادِى القُرى فَدَعا أهلَها إلى الإسلام ، فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، ففتحها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عَنْوَةً ، وغَنَّمه الله أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً ، فخمَّس رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ذلك ، وتركت الأَرض ، والنخل فى أيدى يهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهلَ خيبر .

قال محمد بن عمر : لما انصرفَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ عَنْ خيبر ، وأتى الصَّهْبَاءَ سلك على بِرْمَة(٢) ، حتى انتهى إلى وادى القُرى ، يريد مَنْ بها من يَهُود ، وكان أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ يحدث فيقول : ـ خرجنا مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من خيبر إلى وادي القُرى ، وكان رِفاعة بن زيد [بن وهب](٣) الجُذامى قد وَهَبَ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عبداً أسود يقال له مِدْعَم ـ بميم مكسورة فدال ساكنة فَعَين مفتوحة مهملتين ، وكان يُرَحِّل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلمَّا نزلنا بوادى القُرى انتهينا إلى يهود ، وقد ضوى إليها ناسٌ من العَرَب ، فبينما مِدْعَم يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وقد استقبلَتْنا يهودُ بالرَّمى حيث نَزَلْنَا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون فى آطامهم ، فيقبل سَهْمٌ عائرٌ(٤) فأصاب مِدْعَما فقتله ، فقال الناسُ : هنيئًا له الجنة ، فقال : رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كَلاَّ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه إنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِى أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْغَنَائِم لَمْ يُصِبْهَا الْمَقْسِمُ تَشْتَعِلُ

---

(١) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٦٨ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٨ والمغازى للواقدى ٢ : ٧٠٩ .

(٢) برمة : من أعراض المدينة قرب « بلاكث » بين خيبر ووادى القرى ، به عيون ونخل لقريش ، ويقال له .. « ذو البيضة » (وفاء الوفا ٤ : ١١٤٧) .

(٣) إضافة للتوضيح من البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٨ .

(٤) سهم عائر : أى لايدرى راميه (القاموس المحيط) .

عَلَيْه نَارًا » . فلما سمع النَاسُ بذلك جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بِشِرَاكٍ أَو شِرَاكَيْن ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « شِرَاكٌ مِنْ نَار أَوْ شِرا كان مِنْ نَار » .

وعبَّأَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَصحابه للقتال ، وصفَّهم ، وَدَفَعَ لواءه إلى سَعْد بن عبادة ، وَرَايَة إلى الْحُبَابِ ابْنِ الْمُنْذِر ، ورايةً إلى سهْل بن حُنَيْف ـ بضم الحاء المهملة وفتح النون ، وسكون التحتية ، ورايةً إلى عبَّاد ـ بتشديد الموحدة ، وبالدَّال المهملة ـ ابن بشر .

٢٠٨ و ثم دعاهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الإسلام وأخبرهم أنهم / إن أَسلموا أَحرزوا أَموالهم ، وَحَقَنُوا دِماءَهم ، وحسابُهم على الله ـ تعالى .

فبرز رجلٌ منهم ، فبرز له الزُّبير بن العوام فقتله ، ثم بَرَزَ آخر ، فبرز له الزُّبير فقتله ، ثم بَرَزَ آخر ، فبرز إليه عَلِيٌّ بن أَبي طالب ـ رضى الله عنه ـ فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه أَبُودُجَانة فقتله ، ثم بَرَزَ آخر فبرز له أَبُو دُجَانَة فقتله ، حتى قتل منهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَحَدَ عَشَرَ رجلاً كُلما قُتِلَ رجلٌ دعامَنْ بَقِيَ إلى الإسلام .

ولقد كانت الصَّلاةُ تحْضُر يومئذٍ فيصلى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بأَصحابه ، ثم يعودُ فيدعوهم إلى الله ورسوله ، فقاتلهم حتى أَمسوا ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشَّمْسُ حتى أعطوا بأَيديهم ، وفتحها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عَنْوة ، وغنَّمه الله ـ تعالى أَموالهم ، وأَصابوا أَثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأَقامَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بوادى القُرى أَربعة أَيام ، وقسم ما أَصاب على أَصحابه بوادى القرى ، وترك الأَرض والنخيل بأَيدى يهود ، وعاملهم عليها .

قال البلاذرى : وَوَلاَّهَا رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عمرو بن سعيد بن العاص ،

وأقطع رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جمرة ـ بالجيم ـ ابن هوذة ـ بفتح الهاء ، والذَّال المعجمة ـ الْعُذْرِىَّ رميةً بسوطه[1] من وادى القُرى .

* * *

ذكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خيبر وما ظهر فى ذلك الطريق من الآيات[2]

روى مسلم ، وأبو داود عن أبي هريرة . وأبو داود عن ابن مسعود ، وابن إسحاق عن سعيد بن المسيب ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : آنصرَف رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من وادى القُرى راجعاً بعد أن فرغ من خيبر ووادى القُرى ، فلما كان قريباً من المدينة سَرَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ليلته حتى إذا كان قُبَيْل الصُّبْح بقليلٍ نزل وعرَّس ، وَقَالَ : أَلاَ رجل صالح حافظ لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : يا رسولَ الله أنا أحفظه عليك ، فنزل رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ وَقَامَ بلال يُصَلِّى ما شاءَ اللهُ أن يُصَلِّى . ثم آستند إلى بعيره ، وآستقبل الفجر يرقبه ، فغلبتْهُ عيْنُه ، فنام ، فلم يستيقظ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا أَحدٌ من أصحابه حتَّى ضربتهم الشمس .

وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أول أصحابه هَبَّ ، فقال : « ما صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلاَل » ؟ قَالَ : يَا رسولَ الله ، أخذ بنفْسى الَّذى أخذ بِنَفْسك ، قال : « صَدَقْتَ» ثم آقتاد رسولُ الله ـ صلَّىالله عليهوسلَّم ـ بَعيره غَيْر كثير ، ثم أَناخ وأَناخ الناس فتوضَّأَ ، وتوضأَ النَّاس ، وأَمر بلالاً فأَقام الصَّلاَةَ ، فلما فَرَغَ ، قال : « إِذَا نَسِيتُم الصَّلاَةَ فَصَلُّوهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَ يَقُول ﴿ وأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى[3] » ﴾

(١) كذا فى الأصول ، وفى أسد الغابة ١ : ٢٩٤ « رمية سوطه وحضر فرسه » وفى الإصابة ١ : ٢٤٤ « حضر فرسه ورمية سوطة » .

(٢) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٦٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٢ والمغازى للواقدى ٢ : ٧١١ .

(٣) سورة طــه آية ١٤ .

روى الأئمة السِّتَّةُ[١] عن أبي موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : أشرف الناسُ على وادٍ ، فرفَعُوا أصواتهم بالتكبير : « الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله » فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « اربعوا[٢] عَلى أَنْفُسِكُم إِنَّكُم لَا تَدْعُون أَصم وَلَا غَائِبًا ، إنكُم تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا ، وَهُوَ مَعَكُمْ » وأنا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فسمعنى وأنا أقول لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله العلى العظيم ، فقال : « يا عَبْدَ الله بن قَيْس » قلت : لبيك يا رسول الله فداك أبي وأمى ، قال : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فِداك أبي وأمى ، قال : « لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ » .

ولما انتهى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الجَرْف ليلاً ، نهى أن يَطْرُقَ الرجل أَهْلَه لَيْلاً ، فذهب رجلٌ فطرق أَهْلَهُ ، فرأى ما يكره فخلى سبيله ولم يَهْجُر ، وضَنَّ بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يُحبها ، فعصى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورأى ما يكره .

ولما نظر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى جبل أُحُد ، قال : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه ، اللَّهُمَّ إنى أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابتَى المَدِينَة » .

* * *

ذكر رد رسول الله ــ صلىالله عليه وسلم ــ علىالانصار ما منحوهللمهاجرين

روى الشيخان ، والحافظ ، ويعقوب بن سفيان عن أنسٍ ـ رضى الله عنه ـ قال : لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قَدِمُوا وليس بأيديهم شئ ، وكان الأنصارُ أهلَ أرضٍ وَعَقَار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، ويكفوهم العمل والمؤنة ، وكانت أم أنسٍ أعطت رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أعذاقاً لها ،

---

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي موسى (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٨) .

(٢) إربعوا : أى أرفقوا وأمسكوا عن الجهر ، واعطفوا على أنفسكم بالرفق وكفوا عن الشدة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٩) .

فأعطاهن رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أمَّ أيمن مولاته أم أُسامة بن زيد ، فلمَّا فرغ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - من أهل خيبر ، وانصرف إلى المدينة ، ردَّ المهاجرون إلى الأَنصار منائِحهم التى كانوا قد منحوهم من ثمارهم ، وردَّ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى أُمى أعْذاقها .

وفى رواية : فسألْتُ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلم - فأَعطانيهن ، فجاءت أمُّ أيمن فجعلت الثوب فى عنقى ، وجعلتْ تقول : كلا والله الَّذى لا إله إلاَّ هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن ، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - « يا أم أيمن اتْرُكِى وَلَكِ كَذَا وكَذَا » وهى تقول : كلاَّ - والله الذى لا إله إلاَّ هو ، فجعل يقول : « لَكِ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِ كَذَا » وهى تقول : كلاَّ والله الذى لا إله إلاَّ هو حتى أعطاها عشرة أمثالها أو قريباً من عشرة أمثالها .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة خيبر

قال كعب بن مالك - رضى الله عنه[1] :

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وَفُروضَه ... بِكُلِّ فَتًى عارِى الْأَشاجِعِ مِذْوَدِ/[2] ٢٠٩ و
جَوادٍلَدَىالْغَايَاتِ لَاوَاهِنِ الْقُوَى ... جَرِىءٍ عَلَى الأَعْداءِ فى كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فى كُلِّ شَتْوَةٍ ... ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرَفِىِّ الْمُهَنَّدِ
يَرَىالْقَتْلَ مَدْحاً إنْأَصابَ شَهادَةً ... مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ
يَذُودُ وَيَحْمِى عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ... وَيَدْفَعُ عَنْه بِاللِّسَانِ وَبِالْيَـــدِ
وَيَنْصُرُه مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُه[3] ... يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ
يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا ... يُرِيدُ بِذَاكَ الْعِزَّ والْفَوْزَ فى غَدِ

---

(١) انظر قصيدة كعب بن مالك فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٧ .
(٢) كذا فى المراجع السابقة وفى ت ، ط ، م . وفى ص « مجود » .
(٣) كذات ، ط ، م - وفى ص « وينصره فى كل أمر يريبه . . » .

وقال حسان – رضى الله – تعالى – عنه[1] :

بِئْسَ ما قَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّــا ... جَمَّعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيْــلِ
كرهُوا الْمَوْتَ فاستُبِيحَ حِمَاهُمْ ... وَأَقَرُّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيْــلِ
أَمِنَ الْمَوْتِ تَهْرُبُونَ فَإِنَّ الْـــ ... مَوْتَ مَوْتُ الْهُزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : خيبر – بخاءٍ معجمة ، فتحتية ، فموحدة ، وزنُ جعفر : وهى اسم ولاية تشتمل على حُصُونٍ ومزارع ، ونخل كثير ، على ثلاثة أيام من المدينة على يسار حَاجِّ الشَّام . والخيبر بِلِسان اليهود : الحصن ، ولذا سُمِّيت خيابر[2] أيضاً – بفتح الخاء ، قاله ابن القيم مما ذكر ابن إسحاق ، وقال ابن عقبة ومحمد بن عمر وأبو سعد النيسابورى فى الشرف : أنها بجبلة – بفتح الجيم والموحدة ابن جوَّال بفتح الجيم وتشديد الواو ، بعدها ألف ولام ، وقيل : سُمِّيت بأول من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب أبنا قَانِية بن مهلايل بن آدم بن عبيل ، وهو أخو عاد .

وذكر جماعة من الأئمة : أنَّ بعضها فتح صلحاً ، وبعضها فتح عَنْوةً . وبه يجمع بين الرِّوايات المختلفة فى ذلك .

وروى عن الإمام مالك – رحمه الله تعالى – أن الكَتِيبَة أربعون ألف عذق . ولابن زَبَالة حديث « ميلان فى ميل من خيبر مقدس ، وحديث « خيبر مقدسة ، والسوارقية[3] مؤتفكة ، وحديث « نعم القرية فى سنيّات الدجال خيبر » وتوصف خيبر بكثرة التمر .

---

(١) أنظر قصيدة حسان فى البداية والنهاية ٤ : ٢١٧ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٥٠

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢١٧ « ذكره الحازمى »

(٣) السوارقيَّة ، ويقال السويرقية – مصغرة – قرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت لبنى سليم ، وقال عرام هى قرية غناء كبيرة فيها مسجد ومنبر وسوق يأتيها التجار من الأقطار ، ولكل من بنى سليم فيها شىء ، ولهم مزارع ونخيل كثيرة وموز وعنب وتين ورمان وسفرجل وخوخ ، ولهم إبل وخيل وشاه ، وقرى حواليهم ويميرون طريق الحجاز (وفاء الوفا ٤ : ١٢٣٨) .

قال حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه :

وإِنَّا وَمَن يُهْدِى القَصَائِدَ نَحْوَنَا　　كَمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أَهلِ خَيْبَرِ

وروى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قال : لما فُتِحَتْ خيبر ، قُلْنَا : الآن نشبع من التمر . وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : ما شبعنا من التَّمر حتَّى فُتِحتْ خيبر ، وتُوصف خيبر بكثرة الْحُمَّى ، قدم خيبر أعرابى بعياله فقال :

قلتُ لحمىّ خيبـــر استعدّى　　هَاكِ عِيَالِى فَأَجْهِدى وَجِدِّى

وباكِــرى بصالـــدٍ وورد　　أَعَانكِ اللهُ عَلَى ذاالجند[1]

فحُمَّ ومات ، وبقى عياله .

قال أبو عبيد البكرى ـ رحمه الله ـ فى معجمه وفى الشَّق عين تُسمى الحَمَّة ، وهى الَّتِى سَمَّاها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قسمة الملائكة[2] ، يذهب ثلثا مائها فى فَلْج / والثلث الآخر فى « فلج » والمسلك واحد وقد اعتبرت منذ زمان رسول الله ـ صلى ٢٠٩ ظ
الله عليه وسلم ـ إلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أو ثلاث تمرات فتذهب اثنتان فى الفَلْج الذى له ثلثا مائها ، وواحدة فى الفَلْج الثانى ، ولا يقدر أحد أن يأْخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث ، ومن قام فى الفَلْج الذى يأْخذ الثلثين لِيَرُدَّ الماء إلى الفلج الثانى غلبه الماءُ وفاض ، ولم يرجع إلى الفلج الثانى شئٌ يزيد على قدر الثلث وتشتمل خيبر على حصون كثيرة ، ذُكر منها فى القصّة كثير .

الثانى : اختلف فى أى سنةٍ كانت غزوتها : قال ابن إسحاق : خرج رسولُ الله الله عليه وسلَّم ـ فى بقية المحرَّم سنة سبع ، فأَقام يُحَاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر .

---

(١) فى الأصول « وباكرى بصائب وردى　　أعادتك الله على ذى الجنــد
والمثبت من معجم البلدان لياقوت ٢ : ٥٠٥ .

(٢) فى الأصول « قبة الملائكة » والمثبت عن معجم ما استعجم للبكرى ١ : ٣٣٢ .

وقال يُونس بن بكير فى المغازى عن ابن إسحاق من حديث المِسْوَر ومروان ، قالا : « انصرف رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – من الحُدَيْبِيَة ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة » فأعطاه الله فيها خيبر بقوله : (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرة تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِه[1]) ويعنى خيبر ، فقدِمَ المدينةَ فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فى المحرم .

وذكر ابن عُقْبَة عن ابن شهاب أنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر .

وعنْدَ ابن عائِذ عن ابن عباس : أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال .

وعند سليمان التيمى خمسةَ عشر يوما .

قال الإمام مالك رحمه الله – تعالى – : كان فتح خيبر سنة ست

والجمهور – كما فى زاد المعاد : أنها فى السابعة ، وقال الحافظ : إنه الراجح قالا : ويمكن الجمع بأن مَنْ أطلق سنة ست بناه على ابتداءِ السَّنة من شهر الهجرة الحقيقى ، وهو ربيع الأول .

وابن حزم – رحمه الله – يرى أنه مِنْ شهر ربيع[2] الأول .

الثالث : قال الحافظ : نقل الحاكم عن الواقدى ، وكذا ذكره ابن سعد[3] أنها كانت فى جُمَادى الأُولى . فالذى رأيته فى مغازى الواقدى : أنها كانت فى صفر ، وقيل : فى ربيع الأول ، وأغرب من ذلك ما رواه ابن سعد ، وابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخُدْرى – رضى الله عنه – قال : خرجنا إلى خيبر لثمان عشرةَ من رمضان ، الحديث . وإسناده حسن ، إلا أنه خطأ ، ولعلها كانَتْ إلى حنين فتصحفت[4] ، وتوجيهه[5] بأن

---

(١) سورة الفتح آية ٢٠ .
(٢) ولذا جزم بن حزم بأن خيبر كانت سنة ست (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٧)
(٣) ذكره ابن سعد عن الواقدى أيضاً (المرجع السابق) .
(٤) والتصحيف حصل لتقارب اللفظين (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٧) .
(٥) أى الخروج من هذا التناقض (المرجع السابق) .

غزوة حُنَيْن كانت ناشِئَةً عن غزوةِ الفتح ، وغزوةُ الفتح خرجَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيْهَا فى رمضان جَزْماً[1] ، وذكر الشيخ أَبو حامد ـ رحمه الله ـ تعالى ، فى التعليق : أَنها كانت سنة خمس ، وهو وَهْمٌ ، ولعله انتقال من الْخَنْدَق إلى خيبر ، وأَجاب بعضهم[2] بأَنه أَسقط سنة المقدم أَى وقطع النظر عن سنة الغزوة[3]

الرابع : قول عامر : اللَّهُمَّ لولا أَنت ما اهتدينا ؛ قال الحافظ فى هذا : الْقِسْم زحاف الْخَزْم بالمعجمتين ، وهو زيادةُ سببٍ خفيف ، وفى الصحيح فى الجهاد عن البراءِ بن عازب : أَنه مِنْ شعر عبد الله بن رَوَاحة ، فيحتمل أَن يكون هو وعامر تواردًا / على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة . ٢١٠ و

الخامس : استشكل[4] قول عامر : « فداءً » بأَنه لا يقال فى حق الله ـ تعالى ، إذ معنى « فِدَاءً » نفديك بأَنفسنا ، فحذف متعلق الفعل للشهرة ، وإنما يتصور الفِداءُ لمن يجوز عليه الْفَنَاءُ ، وأُجيب عن ذلك بأَنها كلمة لا يراد ظاهرها ، بل المراد بها المحبة والتعظيم ، مع قطع النَّظر عن ظاهر اللَّفظ ، وقيل : المخاطَبُ بهذا الشعر النبىّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمعنى ؛ لا تؤاخذنا بتقصيرنا فى حَقِّك ونصرك ، وعلى هذا فقوله : « اللَّهم » لم يقصد به الدعاءَ ، وإنما افْتَتَح بها الكلام ، والمخاطب بقوله : لولا أَنت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعكر عليه قوله بعد ذلك : فأَنزلن سكينة علينا : وثبت الأَقدام إن لاقينا ، فإنه دُعَاءٌ لله ، ويحتمل أَن يكون المعنى ؛ فاسأَل ربك أَن ينزل ويثبت .

السادس : فى بيان الروايات التى وردت فى هذا الرجز ومعانيها.

---

(١) وعلى هذا الأساس فيصح إطلاقه على غزوة حنين بجعلها من غزوة الفتح لكونها ناشئة عنها ، والخروج من المدينة لها واحد .

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢١٧ « وأجاب البرهان » .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

(٤) أورد هذا الإشكال الإمام الفقيه الأصولى محمد بن على بن عمر التميمى المازرى ـ نسبة إلى مازر بليدة بجزيرة صقلية ـ مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وله ثلاث وثمانون سنة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٩) .

وما اتقَّيْنَا بتشديد الفوقية بعدها قاف ؛ أى ؛ ما تركنا من الأَوامر ،« ومَا » ظرفية ، وللأَصيلى[1] والنسفى من رواية الصحيح بهمزة قطع ، فموحدة ساكنة ؛ أى ما خلفنا وراءنا مما كسبناه من الآثام ، أَو ما أَبْقَينا وراءنا من الذنوب ، فلم نَتُب منه وللقابِسى : مَالَقِينا بلامٍ وكسْرِ القاف ؛ أَى ما وجدنا من الْمَنَاهى . ووقع فى الأَدب[2] ما اقْتَفَيْنَا بقافٍ ساكنة ، ففوقية ، وفاءٍ مفتوحتين ، فتحتية ساكنة ، أَى اتَّبَعْنَا من الخطايا ، من قَفَوْت الأَثر إذا تبعته ، وكذا عند مسلم ، وهو أَشهر الروايات فى هذا الرجز .

أَلْقِيَن سكينةً علينا . وفى رواية النسفى و « أَلق » بحذف النون ، وبزيادة أَلف ولام فى السكينة بغير تنوين ، وليس بموزون

السكينةُ : الوقار ، والتثبت .

أتينا : بفوقية : أَى جئنا إذا دعينا إلى القتال أَو الحق . ورُوى بالموحدة أَى إذا دعينا إلى غير الحق امتنعنا

وبالصياح عَوّلوا علينا : أَى قصدونا بالدعاءِ وبالصوت العالى . واسْتَعَانُوا علينا ، يقالُ : عولتُ على فلان وعولت بفلانٍ .

السابع : أُختُلِف فى فتح خيبر . هل كان عَنْوةً أَو صلحاً ، وفى حديث عبد العزيز ابن صُهَيب عند البخارى فى الصلاة : التصريح بأَنه كان عَنْوَة ، وبه جزم أَبو عمر ، وردَّ على من قال فُتِحَتْ صُلْحًا ، قال : وإنما دَخَلَتِ الشُّبْهةُ على من قال فُتِحتْ صلْحاً ؛ بالحصنين اللذين أَسلمهما أَهلهما لحقْنِ دِمَائهم ، وهو ضربٌ مِنَ الصلح ، لكنه لم يقع ذلك إلاَّ بحِصَار ، وقتال ، قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى : والذى يظهر أَنَّ الشبهة فى ذلك قولُ ابن عمر : إن النبيَّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قاتل أَهلَ خيبر ، فغلب على

---

(١) انظر رأى الأصيل والقابسى وجميع الروايات المختلفة والتخريجات ووجوه الإعراب فى شرح المواهب ٢ : ٢١٨
(٢) أى ولمسلم والبخارى فى الأدب (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٨)

النخل فَصالحوه على أن يَجْلُوا منها وله الصفراءُ والبيضاءُ والْحَلْقة ، ولهم مَا حَمَلَتْ ركابُهم ، على ألا يكتموا ولا يغيبوا الحديث . وفى آخره : فسبى نساءهم وذرارِيهم ، وقسّم أموالهم للنكث الذى نكثوا ، وأراد أن يجليهم ، فقالوا : دَعْنَا فى هذه الأرض نصلحها .. الحديث ، ورواه أبو داود والبيهقى / وغيرهما ، وكذلك أخرجه أبو الأسود ٢١٠ ظ
فى المغازى عن عروة . فعلى هذا كان وقع الصلح ، ثم حصل النقض منهم فزال أمر الصلح ، ثم مَنَّ عليهم بترك القتل وإبقائهم عُمَّالاً بالأرض ، ليس لهم فيها ملك ، ولذلك أجلاهم عمر ، فلو كانوا صُولحوا على أرضهم لم يجلوا منها .

وجنح غَيْرُ واحِدٍ من العلماءِ إلى أن بعضها فُتح عَنْوَة ، وبعضها فُتح صلحاً ، وليس بنا ضرورة إلى بَسْطِ الكلام على ذلك .

الثامن : زعم الأُصَيْلِىُّ ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ حديث نومهم عن الصلاة إنَّما كان بِحُنَيْن لا بخيبر ، وأن ذِكْرَ خيبر خطأٌ ، ورد عليه أبو الوليد الْبَاجِى ، وأبو عمر فأجادا .

التاسع : اخْتُلِفَ فى إسلام زينب بنت الحارث التى أهدت الشّاة المسمُومة وفى قَتْلِهَا ؛ أما إسْلاَمُهَا ؛ فروى عبد الرَّزّاق فى مصنَّفه عن معمر عن الزُّهْرِىِّ أنها أسلمت ، وأن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تركها . قال معمر : والناسُ يقولون قَتَلَها . وجزم بإسلامها سليمان التيمى فى مغازيه ولفظه بعد قولها : « وإن كُنْتَ كاذباً أرحتُ النَّاسَ مِنْك ، وقد استبان لى أنَّك صادق ، وأنا أُشهدك وَمَنْ حَضَرَكَ أنِّى على دينك ، وأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : وانصرف عنها حين أسلمت ،

وأما قتلها وتركها ، فروى البيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما عرض لها ؛ وعن جابر قال : فلم يُعَاقِبْها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ، وروى ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر بأسانيد له مُتَعدِّدَة هذه القصة ، وفى آخرها فدفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها قال محمد بن عمر : وهو أثبت.وروى أبو داود

من طريق الزُّهْرى عن جابر نحو رواية معمر عنه ، والزهرى لم يسمع من جابر ، ورواه أيضاً عن أبى هُرَيْرَة .

قال البيهقى ـ رحمه الله ـ يحتمل أن يكون تركها أولاً ، ثم لمَّا مَات بشرُبنُ البراء من الأَكْلَةِ قَتلَهَا . وبذلك أجاب السُّهَيْلى ـ رحمه الله تعالى ـ وزاد : أنه تركها ، لأَنه كان لا ينتقم لنفسه ، ثم قتلها بِبِشْر قِصَاصًا .

قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ : يحتمل أن يكون تركها أولاً ، ثم لَمَّا مات بشرُ لكونها أسلمت ، وإنما أَخَّرَ قَتْلَهَا حتى مات بشر لأَنَّ بموته يتحقق وُجُوبُ القصاص بشرطه .

وروى أبو سعد النَّيْسَابُورى : أنَّه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قتلها وصلبها ، فالله أعلم

العاشر : وقع فى سنن أَبى داود أنها أُختَ مَرْحَب ، وبه جزم السُّهَيْلُّ ، وعند البيهقى فى الدلائل : بنت أخى مرحب ، وبه جزم الزُّهْرِى كما فى مغازى مُوسى بن عقبة

الحادى عشر : إن قيل ما الجمعُ بين قوله ـ تعالى : [والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس[1]] وبين حديث الشاة المسمومة المصلية بالسُّم الصادر من اليهودية ؟ والجواب : أن الآية نزلت عَامَ تَبُوك ، والسُّم كان بخيبر ، قبل ذلك .

الثانى عشر : اختلف فى مدَّة إقامته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بأَرض خيبر ، فروى
٢١١ و الطبرانى فى / الأوسط عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أقام بخيبر ستة أشهر ، يجمع بين الصَّلاَتين . وروى البيهقى عنه : أربعين يَوْماً ، وسَنَدُه ضعيف .

وقال ابن إسحاق ......[2]

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٢) فى ط ، ت ، م « بياض بمقدار ثلاث كلمات . وليس لهذا البياض أثر فى ص – وفى شرح المواهب ٢ : ٢٤٧ « والذى قاله ابن اسحاق والواقدى والبلاذرى يستفاد منه أن المدة كانت بضع عشرة ليلة فى الحصار حتى فتحت فى صفر وثلاثة أيام بليانيها حين بنى بصفية وثمانية أيام مدة الذهاب والإياب فغاية المدة شهر » .

الثالث عشر : فى بيان غريب ما سبق .

اسْتَنْفَرَ : استنجد واستنصر .

عسكر[1] : جَمَعَ عسكره : أىْ جَيْشه .

ثَنِيَّة الوداع : تقدَّم الكلامُ عليها مَبْسوطاً فى دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة . فى أبواب الهجرة .

الزَّغَابة ـ بالزاى والغين المعجمتين وبالموحدة كسحابة ـ ، وضبطه أبو عبيد البكرى ـ رحمه الله تعالى ـ بالضم : مجتمع السيول بأرض العقيق ، غربى مشهد حمزة ، وهو أعلى إضَم ، ووهم مَنْ قال إنه لا يُعْرَف ، وإنما المعروف الغابة .

نَقَمَى ـ بنون فقاف فميم مفتوحات فألف تأنيث : اسم وادٍ بالمدينة كجمزى ونسكى ، ويُرْوَى ـ بضم أوله وثانيه : اسم وادٍ بها .

المُشَلَّلْ ـ بضم الميم ، وفتح الشين المعجمة ، واللام الأُولى وتشديدها : ثنيةٌ تشرف على قديد .

الوطاة[1] : الأرض السهلة .

راهق ـ بالراء والقاف . : قارب .

الجُبْن ـ بضم الجيم ، وسكون الموحدة ، وتضم أيْضًا : صفة الجبان .

ضلع الدِّين ، قال القاضى ـ بفتح الضاد المعجمة ، واللام . شدته ، وثقل حمله .

قينقاع ، والنضير ، وقُرَيْظَه : تقدم الكلام عنها فى غزوتها .

سُنْبُلَانِيَّة ـ بضم السين المهملة ، والموحدة بينهما نون ؛ أى سابغة من الطول؛ يقال ثوب سُنْبُلَانى ، وسَنْبَلَ ثوبَه إذا أسبله من خلْفه ، أو أمامه ، وقال اليعمرى : منسوبة إلى موضع من المواضع . قلت : سنبلان محلة ، بأصبهان ، والمراد هنا الأول .

(١-١) هذه الألفاظ الستة لم ترد فى سياق الخبر .

الكِرْبَاس – بالكسر : الثوب[1] الخشن .

عِضْر – بمهملات فالكسر : فالسكون ، أو بفتحتين : جبل بقرب المدينة من جهة خيبر ، ومن الغرائب قول ابن الأثير مع ذكر ذلك أنه بين المدينة ووادى الْفُرْع[2] .

حَدْوُ الإبل : سَوْقُها بالشِّعْر .

الصَّهْبَاء – بفتح الصَّاد المهملة وسكون الهاء وبالمد : موضع قرب المدينة .

أَدْنَى خيبر : أسفلها .

هنيهَاتِك – جمع هُنَيْهَة ؛ وهى تصغير هَنَة كما قالوا فى تصغير سنة سنيهة ، والهنة : كناية عن كل شئ لا يعرف اسمه ، أو يعرف فيكنى عنه ، كذا فى الصحيح بالتصْغير ، وفى أُخرى هُنَيَّاتك[3] ، وفى السيرة : هناتك جمع هنة ؛ أى من أخبارك وأشعارك ، فكنىَّ عن ذلك كله ، والمراد هنا الحُدَاء للإبل .

وَجَبَتْ : أى الجنة .

لولا : حرف عَرْضٍ بمعنى هلا .

أمتعتنا – بفتح أوله : أبقيته لنا لنستمتع : أى بشجاعته ، والتمتع : الترفه إلى مدة .

على بَكْرٍ – بفتح الموحَّدة : الفتىُّ من الإبل .

السويق – بفتح السين ، وكسر الواو ؛ قمح أو شعير يُقْلَى ثم يطحن .

ثرى السويق : بله .

الرجيع – بالجيم كأمير ، وادٍ قرب خيبر .

---

(١) الكرباس : لفظ فارسى ، وهو الثوب من القطن (اللسان) .

(٢) وقد ورد التعريف به فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٦٧ ، وعقب السمهودى على التعريف بقوله « وفيه نظر » . كما ورد التعريف به فى لسان العرب .

(٣) وهى رواية الكشميهى – بحذف الهاء الثانية وشد التحتية : أى من أراجيزك (شرح المواهب ٢ : ٢١٨) .

غَطَفَان ـ بغين معجمة ، فطاء مهملة ، ففاء مفتوحات .

الفَأْل . والطِّيَرَةُ : يأْتى بيانهما فى باب محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفَأْلَ الحسنَ

* * *

شرح غريب/ذكر إرادة غطفان مساعدة يهود ، ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لما اشرف على خيبر ٢١١ ظ

قوله(١) : مُظَاهِرين : مُعَاونين .

المنْقَلَة ـ بميم مفتوحة ، فنون ساكنة ، فقاف مفتوحة ، فلام : الْمَرْحَلَةُ من مراحل السَّفر .

خالفوا إليهم : جاءوا إلى أهلهم بعد خروج قومهم .

تُبْلَوْنَ ـ بضم الفوقية ، وسكون الموحدة ، وفتح اللام .

غَشُوكم ـ بفتح الغين ، وضمّ الشين المعجمة .

النبأ : الخبر

أَظْلَلْن(٧) ـ بظاءٍ معجمة مُشالة ؛ من الظل .

أَقْلَلْن : حملن .

أَضللن ـ بضادمعجمة ساقطة : من الإِضْلَال ، ضد الإِ رشاد .

ذَرَيْن ـ بذال معجمة : حَمَلْن ، وقال : أَذْرَين لمزاوجة أَضللن .

* * *

شرح غريب ذكر وصول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر

قولهُ : عرَّس : بعين ، فراءٍ مشدَّدة ، فسين مهملات مفتوحات ، نزل ليلا ، أو آخره .

مَنَعَتهُم : قُوَّتهم وعددهم ؛ بفتح العين .

هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بَعُد .

(١-٧) لم ترد هذه الألفاظ السبعة فى سياق الخبر .

الساحة : الموضع المتسع أمام الدار ، وقال الأزهرى : هو فضاء بين دُورِ الحىِّ .

الأَفْئِدة : جمع فؤاد ؛ وهو القلب .

غدا إلى كذا : سار إليه صباحاً .

الْمَسَاحِى بمهملتين ، جمع مِسْحَاة : وهى من آلة الحرث[1] ، والميم زائدة ، لأنه من السَّحْو ، وهو الكشف والإزالة .

الكرازِن : جمع كَرْزَن – بفتح الكاف والزَّاى وبكسرهما وبالنون ويقال بالميم عوضاً عن النون : وهو الفأس .

الْمَكَاتِل – جمع مِكْتَل ، بكسر الميم ، وفتح الفوقية : الْقُفَّةُ الكبيرة التى يحمل فيها التراب وغيره ، سميت بذلك لتكتل الشئ فيها ، وهو تلاصق بعضه ببعض .

لم يُغِزْ – بضم التحتية ، وكسر الغين المعجمة : أى لم يسرع فى الهجوم عليهم .

انْحَسَر – انكشفَ .

محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم – خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو أو هذا محمد .

الخميس – بلفظ اسم أحد الأيام يروى – بضم السين وبفتحها على أنه مفعول معه ، وسُمِّىَ الجيشُ خميساً لأنه ينقسم خمسةَ أقسام ؛ لأَنَّ له ساقَةً ، ومقدمةً ، وجناحين ، وقلباً ، لامن أجل تخميس الغنيمة لأن فى تخميسها سنة الإسلام ، وقد كان الجيشُ يُسمَّى خميساً فى الجاهلية .

النَّزُّ – بفتح النون ، وتشديد الزاى : السائِل من المائع .

النَّطَاةُ – بنون فطاء مهملة بوزن : حصاة .

الْخَمَرُ – بخاء معجمة – فميم مفتوحتين فراء ، مَا وَارَاكَ من شجرٍ أو بناءٍ أَوْ غَيْرِه .

البرىء – بفتح الموحدة ، وكسر الراء المخففة ، وبالمد : السالم .

---

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد (اللسان) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٣١ جمع مسحاة من آلات الحرث .

الرجيع – بالراء ، والجيم والعين المهملتين وزن أمير ، واد قُرْب خيبر ، وهو غير الذى توجه إليه عاصِمُ حِمَى الدَّبْر[1] .

* * *

شرح غريب ذكر ابتداء القتال واخذ الحمى المسلمين

قوله : من أَشْجَع – بشين معجمة ، فجيم ، فعين مهملة .

الشعار – بكسر الشين المعجمة ، وبالعين المهملة : العلامة التى كانوا يتعارفون بها فى الحرب / يامنصور أَمِتْ : أمر بالموت ، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأَمر بالإماتة ٢١٢ و مع حصول الغرض . بالشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأَجل ظلمة الليل .

تَرَّس – بفوقية ، فراء مشددة فسين مهملة .

نَاعِم – بالنون ، والعين المهملة كصاحب : حصن من حصون خيبر .

أَهْمَدَتْهُم : أذهبت قوتهم .

قَرِّسوا – بفتح القاف وكسر الرَّاء المشددة ، وضم السين المهملة فعل أمر ؛ أى : بردّوا ، يومٌ قارس البرد .

شِنَان – بكسر الشين المعجمة : الأَسقية[2] .

أَحدروا – بالحاء ، والدال المهملتين : صبوا الماء .

نشطوا – بنون مضمومة : خلصوا ، وليس إسقاط الهمزة من أوله بلحن بل لغة صرح بها فى البارع .

العُقُل – بضمتين : جمع عِقَال .

---

(١) والرجيع الذى كانت به سرية عاصم بن ثابت يقع بين مكة والطائف ، فى أرض بنى سليم وأرض بنى كلاب (وفاء الوفا ٤ : ١١٤٢ ، ١٢١٧) ، وحمى الدبر أى الذى حماه الدبر من أخذ قريش له بعد قتله والدبر النحل أو الزنابير . وكان ذلك بسبب دعائه قبل قتله : اللهم إنى حميت دينك فى أول النهار فاحم لحمى آخره . وانظر قصته فى بعث الرجيع بشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٦٤ – ٧٤ .

(٢) الشنان : الأسقية الخلقة ، وهى أشد تبريداً للماء من الجدد . البدايه والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩٤ .

[الصعبُ[1]] : ضد السهل .

الوَدَك ـ بفتح الواو ، والدال المهملة : دسم اللحم ودهنه

العلقة من العيش ـ بضم العين المهملة : القليل منه .

الظُّبِيُّ ـ جمع ظَبْى : حيوان معروف .

الظَّلِيمُ ـ بفتح الظاء المعجمة المشالة ، وكسر اللاَّم : الذَّكر من النَّعَام .

احتضَنَ الشَّىء : جعله تحت حضنه ، وهو ما تحت الإبط إلى الخاصرة .

المعشر : جماعة الرجل ، دون النساء ،

جُهِدنا ـ بالبناء للمفعُول : حصل لنا جَهْدٌ ومشقة .

غَنَاء ـ بفتح الغين المعجمة ، وتخفيف النون ، وبالمد : الكفاية .

البَرَاز ـ بفتح الموحدة ، والراء ؛ الأَرض الواسعة الفضاء[2] .

الغفارى ـ بكسر الغين المعجمة .

الزَّيال : بزاى معجمة وياء[3] وألف ثم لام .

بادره : سارع إلى قتله .

على هامته : رأسه .

ذُبَابُ السَّيْف ـ بضم الذال المعجمة وبالموحدتين : طرفه .

الدُّعْموص ـ بِضَمٍّ الدَّال ، وسكون العين وآخره صاد : دُوَيْبَةٌ تغوص فى الماء .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) ويجوز أن يكون بكسر الباء ويكون المعنى خرجوا للمبارزة أى المقاتلة .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

شرح غريب ذكر محاصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الزبير بن العوام وحصــون الشــق

[الشق[1]] - بفتح الشين المعجمة ، أَعْرَفُ مِنْ كَسْرِهَا ، وبالقاف المشددة عند أهل اللغة .

قوله قلة الزّبير : هى القلعة التى صارت إليه من قسمة الغنائم .

الرّعب : الخوف

الدُّبول : [جمع دَبْل ، نهيرات وقنوات وجداول[2]] .

أصحروا : خرجوا إلى الصحراء .

أُبَىّ [بضم الهمزة وفتح الباءِ مُصغر][3] .

سَمْوان[4] :

دَففَ عليه - بدال ، رُوِىَ إعجامُها وإهمالها : أى أجهز عليه ، وحزّ رَقَبَتَهُ .

أبو دُجانة - بضم الدال المهملة : وتخفيف الجيم وبالنون سماك بن خرشة

يختال : [يمشى مشية المتكبر][5] .

الأثاث - بثاءين مثلثتين : المتاع .

الجدر : جمع جدار ، وهو الحائط .

ساخ فى الأرض - بالخاء المعجمة : انخسف فيها .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) إضافة على الأصول عن نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٥٦ .

(٣) بياض بالأصول ، والمثبت يقتضيه السياق . وحصن أبى هو أول مابدأ به صلى الله عليه وسلم من حصون الشق كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨ .

(٤) بياض بالأصل بمقدار ثلاث كلمات . ولعله كان يريد أن يقول بالسين المهملة والميم والواو - وقد سبق أن بينا أن اللفظ فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٦٧ « سمران » بضم فسكون فراء مفتوحة . وكذا فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٢٦ .

(٥) إضافة يقتضيها السياق .

شرح غريب انتقاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى حصون الكتيبة

قوله : الكَتيبةُ : بكافٍ مفتوحة ، ففوقية ، وقال أبو عُبَيْدَة : بثاء مثلَّثة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة ، وقيل : إنها بالتصغير .

٢١٢ و القَمُوص بالقاف / والصاد المهملة كصبور . وقيل : بغين فضاد معجمتين .

الوَخَم ـ بفتح الواو ، والخاء المعجمة : الوباء .

الشَّقِيقَةُ : وَجَعٌ يأْخذ نصف الرأس والوجه .

نهض : تحرك .

الفتح : النصر .

قد جهد : أصابه جهد ؛ وهو المشقة .

الأَرمد : الذى أَصابه الرّمد فى عينيه ، وهو وجع فيها .

الفرّار ـ بفتح الفاء والرّاء المشددة : الهرّاب .

تَفَل : بَصَقَ .

العَنْوَة ـ بفتح العين المهملة : أَخذ الشىء قهراً .

بات الناسُ يَدُوكُون ـ بتحتية ، فدال مهملة مضمومة ؛ أَى باتوا فى اختلاط واختلاف ، والدوكة : الاختلاط .

غدوا عليه ـ بالمعجمة : أَتوا صباحاً .

تطاولتُ لها : رفعتُ عنقى كى يرانى .

ثَم : بفتح المثلثة .

أَناخ : برك براحلته .

شِقّ بُرْد ـ بكسر الشين المعجمة : قطعةٌ منه .

قِطْرِى ـ بكسر القاف ، وسكون الطاء المهملة : نوع من البُرُود فيه حمرة ، ولها أعلام ، فيها بعض الخشونة ، وقيل : هى حُلَلٌ تحمل من قبل البحرين ، قال الأزهرى : فى أعراض البحرين قرية [يقال لها[1]] قطر ، وأحسبُ الثياب القطرية تنسب إليها ، فكسروا القاف للنسبة ، وَخَفّفُوا .

بَرَأَ ـ بفتح الراء ، والهمزة ، بوزن ضَرَبَ ، ويجوز كسر الراء ، بوزن عَلِم : خلص من وجعه .

مضى لسبيله : مات .

أَنْفُذ ـ بضم الهمزة ، والفاء ، بينهما نون ساكنة ، وإعجام الذال ، : امض .

على رسلك ـ بكسر الراء : على هيئتك .

حُمْر ـ بضم الحاء المهملة ، وسكون الميم : النَّعَمَ بفتح النون ، والعين المهملة ؛ الحُمْر من ألوان الإبل المحمودة ، قيل : المراد خير لك من أن تكون لك فتصدق بها ، وقيل : بل تقتنيها وتملكها ، وكانت مما يتفاخر به

علام ؛ « على » حرف الجر ، دخل على « ما » الاستفهامية فَحُذفت ألفها لدخوله .

يَأْنِحُ ـ بتحتية ، فألف ، فنون مكسورة ، فحاء مهملة : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو .

يهرول : يسرع ؛ والهرولة : فوق المشى ودون الجرى .

غلبْتُم[2] ـ بالبناءِ للمفعُول .

الرَّضْم[3] ـ بفتح الراء ، وسكون الضاد المعجمة ، ويجوز تحريكها : الحجارة المجتمعة .

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) فى سياق الخبر ص ١٩٥ « غَلَبْتَهم » .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى سياق الانتقال إلى حصون الكتيبة .

شرح غريب ذكر قتل على رضى الله عنه ـــ الحارث وأخاه مرحبا وعامرا وياسرا الخ

قوله فى عاديته[١] .....

جسيما : عظيم الجسم .

شاك السلاح – بشين معجمة ، وأصله شائك بحذف الهمزة ، ومن رواه شاك أو شاكى فإنه أخذ الهمزة إلى آخر الكلمة وقلبها ياء .

الحِمَى – بكسر الحاء ، وفتح الميم المخففة : كل ما حميته ومنعته .

المساوِر : المعاجل خصمه[٢] .

يحوس الناس ـ بحاء وسين مهملتين : يجهضهم عن أثقالهم ، أى يبلغ فى النكاية فِيهم ، وأصل الحَوْس شدة الاختلاط ، ومداركة الضرب .

زبّار : أراد زُبَيْر .

القَرْم – بفتح القاف : السيد ، وأصله الفحل من الإبل الذى أقرم ؛ أى تُرِكَ من الركوب والعمل ووضع[٣] للفِحلة .

النِّكْس – بكسر النون : الرجل الضعيف .

الحَوَارى : الناصر والمعين .

الليوث : جمع ليث ؛ الأَسد .

تلهب / أصله : تتلهب . ٢١٣ و

مغامر : يقتحم المهالك .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات والعادية : الحدة والغضب (المحيط) وكذلك الذين يعدون على أرجلهم (هامش المغازى للواقدى ٢ : ٦٥٣) .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م – وفى ص « المغاور : القتال المعاجل خصمه » .

(٣) كذا فى ت ، ط ، م – وفى ص « وودع » بالدال – وعليه فالمراد أنه وضع فى عنقه الودع دلالة على تركه للفحولة وانظر اللسان .

يَسْفُل له – بفتح التحتية ، وسكون السين المهملة ، وضم الفاء ، أى يضربه فى أسافله .

الأَكحل : عرق .

عين الركبة : طرفهما الأعلى .

الأُرْجُوان – بضم الهمزة ، والجيم : اللون الأَحمر .

وقول على – رضى الله عنه – :

* أنا الذى سمتنى أُمى حيدره *

قال ثابت بن قاسم[1] – رحمهما الله – تعالى – فى تسميته بذلك ثلاثة أقوال ؛ أَحدها أن اسمه فى الكتب المتقدمة أسد ، والأَسد هو الحيدرة ، الثانى أن أُمه فاطمة بنت أسد – رضى الله عنها – حين ولدته ، كان أَبوه غائباً ، فسمته باسم أَبيها ، فقدم أَبوه فسمّاهُ عليًّا ، الثالث : أنه كان لُقِّبَ فى صغره بحيدرة ؛ لأَن الحيدرة الممتلئ لحمًا مع عظم بطن ، وكذلك كان على – رضى الله عنه – وذكره الشيخ كمالُ الدين الدّميرى – رحمه الله – تعالى – فى شرح المنهاج[2] » .

مُجَرَّب – بفتح الراء : اسم مفعول .

أَكيلهم[3] : أَجزيهم بالياء .

السندرة : شجرة يصنع منها مكاييل عظيمة[4] .

الخَمْلُ – بفتح الخاء المعجمة ، وسكون اللام : الهدب .

---

(١) عبارة شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل »

(٢) أى النجم الوهاج فى شرح المنهاج للنووى – تأليف محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى . أبى البقاء كمال الدين (الزركلى – الأعلام ٧ : ٣٤٠) .

(٣) لم يرد لفظ « أكيلهم » فى رواية المصنف ، وإنما ورد « أوفيهم » وأكيلهم رواية شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ .

(٤) وسبق تفسير السندرة بالمكيال الكبير أوضرب من الكيل غراف جراف « نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥) .

أقبلت تحرّب : تغضب ، يقال حرّب الرجل إذا غضب ، وحربته : إذا أغضبته .

الْغُميّ : الكرب .

جرىء ـ بالجيم ، والهمزة : شجاع مقدام .

صُلْب : شديد .

شبّت الحرب : أوقدت ، وهيجت .

العَقِيق ـ هنا جمع عقيقة ، وهى شعاع البرق ، شبّه السيف به .

عَضْبُ ـ بعين مهملة ، فضاد معجمة : قاطع .

الجزا ـ بالقصر والمد : الجزية التى تؤخذ .

يفىء : يرجع .

النَّهْبُ : ما انتهب من الأموال .

ليس فيه عَتْب : ليس فيه ما يلامُ عليه .

نَدُكُّكُم : نطويكم ونلصقكم بالأرض .

حِمْير ـ بكسر الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وفتح التحتية .

الموتور ـ بالفوقية : الذى قتل له قتيل فلم يؤخذ ثأْره .

الثائِرُ ـ بالثاء المثلثة : الطَّالِبُ بالثأْر ، وهو طلب الدم .

عُمْرِية ـ بعين مهملة مضمومة ، فميم ساكنة ، فراء مكسورة : أى قديمة ، التى أتى عليها عمرٌ طويل .

العُشَر ـ بعين مهملة مضمومة فشين معجمة مفتوحة : شجر له صمغ ، وهو من العضاة ، وثمرته نفاخة كنفاخة القثاء الأصفر ، الواحدة عشيرة ، والجمع عُشَر ، وعُشَرات ـ بضم العين ، وفتح الشين .

يلوذُ : يستتر .

الفَنَن – بفتح الفاء ، والنون الأُولى : الغصن .

ورأيتُنى – بضم التاء : رأيت نفسى .

* * *

شرح غريب ذكر اسلام العبد الأسود ونهيه – صلى الله عليه وسلم – عن لحـــوم الحمر الانســـية

قوله عمد إليه : قصد .

حَفْنة – بفتح الحاء المهملة ، وسكون الفاء : ملء الكفين .

خرجت تشتد : تعدو .

سُجِّىَ – بسين مهملة ، والجيم ، بالبناء للمفعول : غُطِّىَ :

الحُمُر – بضم الحاء ، والميم : الحمير الأَهْلِيَّةُ .

الإنسية[1] – بكسر الهمزة ، وسكون النون وفتحها : وهى التى تألف البيوت ؛ الإنسية منسوبة إلى الإنس .

أُكفِئَت القدور ؛ قال ابن التين : صوابه فكفئت ، قال الأَصمعى : كفأْت الإناء قلبته، ولا يقال أكفأْته ، ويحتمل أن يكون المراد أميلت حتّى أَمَالَ ما فيها ، قال الكسائى : أكفأْتُ الإناء : أملته .

الخُشَنى – بضم الخاء ، وفتح الشين المعجمتين .

المخمصة : المجاعة .

أَهْرِيقُوهَا ؛ يقال هراق / الماء يهريقه – بفتح الهاء : صبَّه ، والأَصل الإراقة ، وأهرق يهرق ساكناً ، وأهراق يهريق كاسْطَاع يسطيع ، كأَنَّ الهاء عوض من حركة الياء . ٣١٢ ظ

الدِنّان – بكسر الدال المهملة الخوابى ؛ جمع دَنٍّ – بفتحها .

---

(١) الأنسية : بكسر الهمزة نسبة إلى الإنس ، وهم أولاد آدم . وحكى ضمها فتكون ضد الوحشية ، ويجوز فتحها وفتح النون ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٤ .

قوله . حاز ماله : ضمه إلى ملكه .

الوطيح ـ بواو مفتوحة ، فطاء مكسورة ، فتحتية ساكنة ، فحاء مهملة[١]

السُّلالِمُ ـ بسينٍ مهملة مضمومة ، وقيل بفتحها ، وكسر اللام التى قبل الميم ، ويقال فيه السلاليم .

تَدَنَّى ـ بفوقية ، فدال مهملة ، فنون مشددة مفتوحات معتل : أى أخذه مالا مالاً وحصناً حصناً .

الأَدنى فالأَدنى : أى الأَقرب .

المنجنيق ـ بفتح الميم ، وتكسر : آلة من آلات الحصار يرمى بها .

كِنَانة بكسر الكاف ، ونونين .

حُيَىّ ـ بحاء مضمومة ، فتحتية مفتوحة ، فأُخرى مشددة .

أَخْطب : بالخاء المعجمة فالطاء المهملة وبالموحدة .

الحُقَيق ـ بضم الحاء المهملة ، وفتح القاف الأُولى ، وسكون التحتية .

حَقَنَ دَمَه : امتنع من قتله وإراقته ، أى جمعه له وحبسه عليه .

الصفراء : الذهب .

الْبَيضَاء : الفضة .

الكُراع ـ بضم الكاف : اسم لجماعة الخيل خاصة .

الحَلْقَة ـ بسكون اللام : السلاح أجمع ، أو الدروع خاصة .

البَزّ ـ بفتح الموحدة ، وبالزاى : نوع من الثياب .

ذِمة الله ـ بكسر المعجمة : عهدهُ وميثاقه .

---

(١) هكذا ضبطه ابن الأثير وغيره ، وصحف من قال غير هذا ، وقال السهيلى : مأخوذ من الوطح وهو مابين الأظلاف ومخالب الطير من الطين (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨) .

المَسك - بفتح الميم ، وسكون السين المهملة : الجلد .

خَرِبة : أى مكان خرب ضد العامرة .

* * *

شرح غريب ذكر ارادته - صلى الله عليه وسلم - اجلاء يهود

قوله : الجلاء - بفتح الجيم ، وبالمد : الخروج من البلد .

بدا - غير مهموز : ظهر .

الشطر هنا : النّصْف كما فى الرواية الأُخرى .

الخَرْص - بفتح الخاء المعجمة ، وبكسرها - هنا : حزرُ ما على النخل من الرطب تمرا .

السُّحت - بضمتين ويسكن : المال الحرام ، لا يحل لبسه ، ولا أكله .

الفَدَع - بفتح الفاء ، والدال ، وبالعين المهملتين ؛ أى اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل فينقلب الكف ، أو القدم إلى الجانب الآخر ، وذلك الموضع .

انفدعت - بفتحات ، قال فى التقريب : فَدَعَ اليهودُ يَدَ عبد الله ، ففدع : غير معروف فى اللغة ، ويحتمل أن يكون بغين معجمة . قال الأزهرى : الفَدَغ : كسر شئ أجوف كالنقع ، قلت : وفيه نظر ؛ لأن الوارد أن يد عبد الله اعوجت فقط لا أنها كسرت . والله تعالى أعلم .

والإنسى - قال أبو زيد : الأيسر من كل شئ ، وقال الأصمعى هو الأيمن ، وقال كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والزندين ، والقدمين ، فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسى ، وما أدبر عنه فهو وحشى .

الكَوَع - بالتحريك : أن تعوج اليد من قَبْل الكوع ، وهو رأس اليد مما يلى الإبهام ، والكرسوع رأسه مما يلى الخنصر .

عُدِىَ عليه بالبناء للمفعول .

ارْفَضَّت : سالَ عرقها .

تؤم : تقصد .

القَلُوص ـ بفتح القاف ، وضم اللام من الإبل : بمنزلة الجارية من النساء ، وهى الشابة ؛ الجمع قُلُص بضمتين ، وقِلاص ـ بالكسر ، وقلائص .

هزيلة ـ بفتح الهاء وسكون الزاى : وهى المرة من الهَزْل ضد الجدّ .

* * *

شرح غريب قصة الشاة المسمومة

قوله سَلَام : وزن كلام .

مِشْكم : بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة .

مَصْلية ـ بفتح الميم ، وسكون الصاد المهملة ؛ أى المشوية .

انتهس اللحمَ : أخذه بمقدم الأسنان للأَكل .

لاكَ : مضغ .

ساغ اللقمة : بلعها .

لَفَظَهَا : طرحها.

اَسْتَرَط : ابتلع .

الأُكُلة ـ بضمتين : المأْكول .

الطيْلَسَان ـ بفتح الطاء ، واللام ، وتكسر .

ماطله وجعه : طالت مدته .

الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

لهوات[١] ـ بثلاث فتحات ، جمع لهاة ، وهى اللحمة المعلقة فى أقصى الفم .

---

(١) لم يرد هذا اللفظ فى متن الغزوة .

العِداد – بعين مكسورة ، فدال مهملتين : اهتياج وجع اللدِيغ ، فإنه إذا تم له سنة من حين لُدِغ عاودهُ هياج الألَم .

يُعَاودُنى – بضم أوله ، ورابعه ، وتشديده ، أى يراجعنى ألم سُمِّها .

قال الداودى : الألَم الذى حصل له – صلى الله عليه وسلم – من الأَكلة هو نقص لذة ذَوْقه . قال ابن الأثير : وليس بِبَيِّن لأن نقص الذَّوق ليس بأَلَم .

الأَبْهر – بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة : عرق يكتنف الصّلب إذا انقطع مات صاحبه .

تجاوز عنها : عفا .

* * *

شرح غريب ذكر قدوم جعفر وأبى هريرة – رضى الله عنهما

كلا – هنا : حرف ردع وزجر .

الحبيشية والبحرية[1] – بهمزة الاستفهام والتصغير لبعض رواة الصحيح ، والباقين بعدمها ، فنسبها عمر للحبشة لسكناها بها ، وإلى البحر لركوبها إياه .

البُعَداء عن الدين : البُغَضَاء له ، وهما جمع بعيد ، وبغيض .

وأيم الله : أى يمين الله ، قسم ، وفيه اثنا عشر لغة .

أهلَ السفينة – بالنصْب على الاختصاص ، وعلى النداء بِحَذْفِ أداته ، ويجوز الجر على البدل من الضمير .

أرسالاً – بفتح الهمزة : أفواجاً ، يتبع بعضهم بَعْضاً .

الحَجْل – بحاء مهملة مفتوحة ، فجيم ساكنة ، فلام ؛ أى يرفعُ رِجْلاً ويقفز على الأُخرى من الفرح ، وقد يكون بالرجلين .

التطفيف : نقص المكيال .

---

(١) الحبيشية والبحرية : لم يرد هذان اللفظان فى المتن .

اكتال منه وعليه : أخذ يتولى الكيل بنفسه ، ويقال : كَالَ الدافع ، واكتال الآخذ .

السَّراة – بفتح السين المهملة : أعظم جبال العرب[1] .

السُّهمان – بالضم ، والأسهم ، والسهام ؛ جمع سَهْم : وهو النصيب .

الحُزُم – بضم الحاء المهملة ، والزاى ؛ جمع حِزَام .

لَلِيف : بلام التأكيد ، وهو معروف .

ابن قَوْقل – بقافين بينهما واو – وزن جعفر ، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أَصْرم – بصادٍ مهملة ، وزن أحمد – ابن فَهْم بن ثعلبة بن غَنْم – بفتح الغين ٢١٤ ظ المعجمة / وسكون النون ، بعدها ميم – ابن عمر بن عوف الأنصارى ، الأوسى . وقَوْقَل : لقب ثعلبة ، وقيل أصرم ، قتله أبانُ فى أُحُد – رضى الله تعالى عنه – .

أكرمه الله على يدى : أى استشهد بأن قُتل فأكرمه الله – تعالى – بالشهادة .

ولم يهنّى على يديه – بتشديد النّون – أصله يُهِينُنِى فأدغمت إحدى النونين فى الأخرى .

يا عجبا لِوَبْر : الوَبْر – بفتح الواو ، وسكون الموحدة – دابّة كالسنَّور وحشية ، ونقل أبو على القالى – بالقاف – عن أبى حاتم : أن بعض العرب تُسَمِّى كل دابّة من حشرات الجبال وَبْرًا ، قال الخطابى : أراد بأن يُحَقِّر أبا هريرة ، وأنه ليس فى قَدْرِ من يشير بعطاءٍ ولا منع ، وأنه قليل القُدْرة على القتال ، قال الكرمانى – رحمه الله تعالى – وفيه تعريض بكنية أبى هريرة .

تدلى : تحدر – وفى روايةٍ : تدأدأ بدالين مهملتين بينهما همزة ساكنة – قيل : أصله تَدَهْدَه ، فأُبدلت الهاء همزة ، وقيل : الدأدأة : صوتُ الحجارة فى السيل : أى هجم علينا بغتةً .

---

(١) والسراة هو الحد الفاصل بين تهامة ونجد ، وذلك أنه أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام . . . وما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز (وفاء الوفا ٤ : ١١٨٣) .

قَدّوم ـ بقاف مفتوحة للأكثر ، فدال مهملة مشدَّدة ، وضم بعضهم القاف : اسم ثنية ببلاد دَوس .

ضأل ـ باللام المخففة : فسره البخارى فى رواية المستملى ، بالسدر ، وكذا قال أهل اللغة : إنه السّدر البَرّى ، وتوهيم صاحب المطالع للبخارى ليس بشىء .

ضان : بغير همزة ـ قيل هو رأس الجبل ، إلا أنه فى الغالب موضع مَرْعى الغنم ، وقيل : هو جبل الدَّوْس : قوم أبى هريرة .

يَنْعَى ـ بفتح التحتية وسكون النون ، وفتح العين المهملة : أى يعيب عَلَى ، وفى رواية يُعيِّرنى .

وأنت بهذا : أى أنت تقول بهذا ، أو قائل بهذا ، أو أنت بهذا المكان والمنزلة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع كونك لست من أهله ، ولا من قومه ولا من بلاده .

قِبَل ـ بكسر القاف ، وفتح الموحدة .

نَجْد ـ بفتح النون ، وسكون الجيم .

* * *

شرح غريب ذكر قدوم عيينة بن حصن وبنى فزارة ومصالحة اهل فدك

قوله : عُيَيْنَة : تصغير عين .

فَزَارة ـ بفتح الفاء ، والزاى المخففة .

ذو الرُّقَيْبَة ـ تصغير رقبة ؛ وقيل : كسفينة : جبلٌ مطلٌّ على خيبر .

جَنَفَا ـ بفتح الجيم والنون ، والفاء ، والمد والقصر ، وقد يضم أوّله فى الحالين : ماء من مياه بنى فزارة بين خيبر وفدك .

أَحْذاه ـ بالحاء المهملة ، والذال المعجمة : أعطاه .

توضع : تسرع .

محَيِّصة ـ بميم فحاء مهملة مفتوحة ، فتحتية مشددة مكسورة ، فصاد مهملة .

فَدَك ـ بفتح الفاء ، والدال المهملة ، وبالكاف : بينها وبين المدينة كما قال ابن سعد : ستة أميال .

النّجدة : القوة .

نُرى ـ بنون ، فراء مهملة مبنياً للمفعُول : نَظن .

حراهم ـ جمع حَرّة ـ بالحاء المهملة ، والراء المشدَّدة : وهى أرض ذات حجارة سود نَخِرَة كأنها أحرقتْ بالنار .

فتّ أعضادهم : كسر قوتهم ؛ والعضد : الناصر والمعين .

شرح غريب ذكر المراهنة وخبر الحجاج بن عِلَّاط ـ رضى الله تعالى عنه

يُفْلِت ـ بضم التحتية ، وسكون الفاء ، وبالفوقية بعد اللام : يَخْلُص نَجَاةً .

خَاطَره ـ بالخاء المعجمة ، والطاء المهملة : راهنه .

ضوى إليه ـ بالضاد المعجمة الساقطة : أى مال .

يُغير ـ بغين معجمة : من الإغارة وهى كبس العدو .

الثّنية البيضاء : عقبة تهبطك إلى فخ ـ بالخاء المعجمة ـ وأنت مقبل من المدينة تريد أسفل مكة قَبْلَ ذِى طُوَى .

الرِيف ـ بالكسر : الخصب والسعة فى المطعم ، وحيث تكون الخضرة والحياة .

يَتَحَسَّسُون الأخبار ـ بفتح التحتية والفوقية والحاء ، والسين المشددة المهملتين . وضم الموحدة ؛ أى يتطلبونها .

اِلْتَبَطُوا لجنب ناقتى : مشوا إلى جنبها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها .

الحجاز : ما بين نجد والسّراة .

الأنفة ـ بفتح الهمزة ، والنون : الحميّة .

المَنَعَة ـ بالتحريك : جمع مانع ؛ ككاتب وكتبة ، ويسكن على معنى منعة واحدة ، وهى العشيرة فالحُماة .

الرِّيعُ ـ بكسر الراء ، والتحتية وسكون : المكان المرتفع .

الفَل ـ بفتح الفاء : القوم المنهزمون .

يُقَدِّم ـ بضم أوله ، وفتح الدال .

أحثّ ـ بالثاء المثلثة : أسرع .

الشامت : الذى يفرح ببلاء ينزل على غيره .

وبين مسلم ومسلمة : أى ومؤمن ومؤمنة .

المؤنة ـ بضم الميم : القوة .

ليُخْلِ لى فى بعض بيوته : أى لينفرد فيه .

ناشده الله : ذكَّرَهُ به .

أنتثل ما فيها ـ بهمزة ، فنون ساكنة ففوقية فثاء مثلثة : استخرج .

العروس : وصف يستوى فيه الذكر والأُنثى .

الخَلُوق : نوع من الطيب .

خَطِر فى مشيته : أقبل بيده وأدبر كثيرا .

التجلد : التصبر .

الكآبة : الحزن .

أولى له : كلمة معناها الوعيد من ولى الأمر أى تداوله شر .

ينشبوا : يلبثوا .

شرح غريب ذكر غنائم خيبر ومقاسمها

قوله : أَحْذى النساء : أعطاهن .

الحوائِط – جمع حائِط : وهو هنا البستان .

شريق – بالشين المعجمة ، والقاف .

وادى خاص – بالخاء المعجمة ، فألف ، فصاد مهملة ، كذا عند ابن إسحاق ، وجرى عليه ياقوت والسيد وغيرهما ، وقال أبو الوليد الوقشى : إنما هو وادى خُلص باللام . قال البكرى : وهو بضم أوّله ، وإسكان ثانيه ، وبالصاد المهملة .

الجِراب – بكسر الجيم ، ويجوز فتحها فى لغة نادرة .

لا أبالك : هو أكثر ما يستعمل فى المدح : أى لا كافى لك غير نفسك ، وقد يذكر فى معرضِ الذم ، وقد يكون بمعنى جِدَّ فى أمرك وشمّر ؛ لأن من له أب اتَّكَل عليه فى بعض شأنه .

رضخ – بالخاء – والضاد المعجمتين : أعطى .

خُرْثِىّ المتاع – بخاء معجمة ، مضمومة ، فراء ساكنة فثاء مثلثة مكسورة فتحتية مشددة : هو أثاث البيت ومتاعه ؛ فالإضافة بيانية .

الدجاج – بتثليث الدال : الطائر المعروف .

الداجن : ما ألف الناس فى بيوتهم كالشاة التى تعلف ، والدجاج ، والحمام ، وسمىّ داجِنًا لإقامته مع الناس ، يقال : دجن بالمكان إذا أقام به .

* * *

شرح غريب من استشهد بخيبر

قوله : قفلوا : رجعوا .

شاحبا – بشين معجمة فحاء مهملة ، فموحدة : أى متغير اللون .

كذب من قاله : أخطأ .

إنه لجاهِدٌ مجاهدٌ - كذا للأكثر باسم الفاعل فيهما ، وكسر الهاء ، وبالتنوين ، والأول مرفوع على الخبر والثانى إتباع ، ولأبى ذَرٍّ عن الجمحى والمستملى - بفتح الهاء والدال ،قال القاضى - رحمه الله - تعالى : والأول هو الوَجْهُ ، قال ابن دُرَيْد - رحمه الله تعالى - : رجل جاهِدٌ ؛ أى مُجِدٌّ فى أموره ، وقال ابن التِّيه - رحمه الله تعالى : الجاهِدُ : من يرتكب المشقة لأعداء الله تعالى .

مشى - بشين معجمة - كذا فى رواية بالميم والقصر من المشى. والضمير فى [بها][1] للأرض أو للمدينة أو للحرب أو للخصلة ، وفى رواية نشأ - بنون وهمزة ، وحكى السُّهَيْلى : أنه وقع فى رواية مُشَابِهًا - بضم الميم ، اسم فاعل من الشبه : أى ليس مشابهاً فى صفات الكمال فى القتال ، وهو منصوب بفعل محذوف تقديره رأيت مشابها أو على الحال ، من قوله عربى ، قال السهيلى : والحال من النكرة يجوز إذا كان فى تصحيح معنى .

* * *

شرح غريب ذكر انصراف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومصالحة أهل تيماء

قوله : أُصُلا - بضم أوّله وثانيه : جمع أَصيل وهو العَشِىّ .

وادى القُرَى - بضم القاف[2] .

العَنوة - بفتح العين المهملة : القهر .

الجُذامى - بضم الجيم ، وذال معجمة .

الشَّمْلة : كساء غليظ يلتحف به .

ضَوَى - بفتح الضاد المعجمة ، والواو : مال .

---

(١) إضافة للتوضيح ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ .

(٢) وادى القرى : واد كثير القرى بين المدينة والشام . وقيل مدينة قديمة بين المدينة والشام ، وانظر الخلاف حول حدود هذا الوادى فى وفاء الوفا ٤ : ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ .

الآطام – جمع أُطُم : الحصن .

مِدْعَم – بكسر الميم ، وسكون الدال ، وفتح العين المهملتين .

يُرَحِّل – بضم التحتية ، وفتح الراء ، وكسر الحاء المهملة المشددة : أى يضع الرَّحل على الدابة ويشدُّه .

سَهم عائر – بعين مهملة فألف فهمزة مكسورة . : لا يُدْرى مَنْ رَمَى به .

سهم غَرْب[1] بفتح الغين المعجمة ، وسكون الرّاء ، وتُحرّك ، يضاف ولا يضاف : أى لا يُدْرَى من رماهُ .

هنيئًا له الشهادة : أى جاءَته بلا مشقّة .

الشِراك – بكسر الشين المعجمة : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

تَيْمَاء – بفتح الفوقية – وسكون التحتية : بلد بين المدينة والشام .

* * *

شرح غريب نومهم عن الصلاة ورجوعه – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة

قوله : سَرَى ليلته : سار فيها .

عَرّس – بفتح العين ، والرّاء المشددة والسين المهملات : نزل آخر الليل .

هَبَّ – بفتح الهاء ، والموحدة المشددة : استيقظ .

اقتاد بعيره : قاده .

من كنز الجنة ، أى أجرها يُدَّخَر لقائلها كما يُدَّخر الكنز .

الجُرُف – بضم الجيم ، والراء وبالفاء : موضع بينه وبين المدينة ثلاثة أميال إلى جهة الشام .

طَرَق أهلَه : أتاهم ليلا .

---

(١) سهم غرب : لم يرد ذلك فى رواية المصنف .

ضَنَّ بكذا ـ بضادٍ معجمة ساقطة ، فنون مشددة ، مفتوحتين : بخل .

لابتا المدينة : حَرَّتَاها ، وهما جانباها .

* * *

شرح غريب ذكر رد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الأنصار ما منحوه للمهاجرين ، وغريب شعر كعب بن مالك ـ رضى الله عنه / ٢١٦ و

فُرُوضه ـ بضم الفاء والراء وبالواو والضاد المعجمة : المواضع التى فيها الأنهار[1] .

الأَشَاجع : عروق ظهر الكفّ .

مِذْوَد ـ بميم مكسورة ، فذال معجمة ساكنة ، فواو مفتوحة ، فدال مهملة : مَانِعُ [الواهن[2]] قال فى الإملاء الواهن : الضعيف .

المَشْرَفِى : السّيف .

يذود : يمنع ويحمى .

الذِّمار ـ بذال معجمة مكسورة ، وراء : ما تَجِبُ حمايته .

الأَنْبَاء ـ بفتح الهمزة : الأخبار .

الغيْب : هنا بالياء ويروى [بالنون ثم][2] بالميم من الغنيمة .

* * *

شرح غريب أبيات ابن القيم ـ رضى الله تعالى عنه[3]

الفَيْلَق ـ بفتح الفاء ، وسكون التحتية ، وفتح اللام ، وبالقاف .

شهباء : كثيرة السلاح .

---

(١) الفروض : المواضع التى يشرب منها من الأنهار (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩) .

(٢) الإضافة يقتضيها السياق .

(٣) لم ترد أبيات ابن القيم رضى الله عنه فى سياق المتن . وهى كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٥ : ـ

رميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار

واستيقنت بالذل لما شيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار

صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار

جرت بأبطحها الذيول فلم تدع ... إلا الدجاج تصيح بالأسحار

ولكل حصن شاغل من خيلهم ... من عبد الاشهل أو بنى النجار

ومهاجرين قد اعلموا سيماهم ... فوق المغافر لم ينوا لفرار

ولقد علمت ليغلبن محمد ... وليثوين بها إلى أصفار

فرت يهود عند ذلك فى الوغى ... تحت العجاج غمائم الأبصار

المناكب – جمع مَنْكِب كمسجد : مجتمع رأس العضد والكتف .

الفقَار – بالفتح : مفاصل عظم الصُّلب . جعل لها مناكبَ وَفقارا : يريد بذلك شِدَّتُها .

شُيِّعَتْ : فُرقت .

أَسْلَم ، وغِفَار – بكسر الغين المعجمة : قبيلتان .

الأَبطح : المكان السَّهْل .

عبد الأَشهل – بالشين المعجمة ، وبنو النجار ، من الأَنصار .

سِيمَاهُم : علائِمهم .

المَغَافِر – جمع مِغْفر : وهو الذى يجعل على الرأس .

لم يَنُوا – بتحتية ، فنون : لم يضعفوا أو لم يفتروا .

يَثْوِيَنَّ – بالثاء المثلثة : يقمن .

أَصْفَار : جمع صَفَر – ، وهو الشهر .

فرّت يهود : هربت .

الوَغَى – بفتح الواو ، وبالغين المعجمة : الحرب .

العَجَاج : الغُبَار .

الغمائِمَ – بالغين المعجمة : جفون العيون .

الأَبصار – بالموحدة . قال ابن سراج : ويصح أَن تكون عمائِم بالمهملة ، جمع عمامة ، ويكون الأَنصار بالنون ، وقال السهيلى : قوله فرت يهود « هو بيت مشكل ، غير أَن بعض النسخ ، وهى قليلة عند ابن هشام ، أَنه قال : فرّت : فَتَحت ، مِنْ قولك : فَرت الدّابة إذا فتحت فاها وغمائِم الأَبصار ، مفعول فرّت ، وهى جفون أَعينهم ، قال السهيلى : هذا قول . وقد يصح أَن يكون فرّت من الفرار . وغمائِم الأَبصار من

صفة العجاج ، وهو الغبار ، ونصبه على الحال من العجاج ، وإن كان لفظه لَفْظ المعرفة عنده ، وليس بشاذ فى النحو ، ولا مانع فى العربية ، وأَمَّا عند أهل التحقيق فهو نكرة لأَنه لم يُرِد الغمائِم ، حقيقة ، وإنما أَراد مثل الغمائِم ، استدل السهيلى على ذلك بأَشياء ذكرها .

الباب الخامس والعشرون

فى غزوة ذات الرِّقاع [1]

وهى غزوة محارب ، وبنى ثعلبة ، وسببها أنّ قادماً قدم بجَلَب[2] إلى المدينة ، فاشتراهُ منه أهلها ، فقال للمسلمين : إنّ بنى أنْمار بن بَغِيض ، وبنى سعد بن ثَعْلَبَة قد جمعوا لكم جُمُوعا ، وأراكم هادئين عنهم ، فبلغ ذلك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فاستخلف على المدينة – قال ابن إسحاق : أبا ذَرٍّ الغِفَارِى ، وقال محمد بن عمر وابنُ سعد وابن هشام : عثمان بن عفان ، وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم / من ٢١٦ظ
المدينة ليلة السبت لعشرٍ خَلَوْن من المحرم . فى أربعمائة أو سبعمائة ، أو ثمانمائة ، وسلك على المضيق[3] ، ثم أفضى إلى وادى الشُّقْرة[4] . فأقام فيها يوماً ، وبَثّ السّرايا ، فرجعوا منها مع الليل وخبّرُوه أنهم لم يروا أحدا ، ووطئوا آثاراً حديثة ، فسار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أصحابه حتى أتى نخلا[5] . وأتى مجالسهم ، فلم يجد فيها أحَدًا إلا نسوة ، فأخذهن وفيهن جاريَة وضيئة ، وقد هربت الأعراب فى رءُوس الجبال ، وهم مُطِلُّون على المسلمين .

قال ابن إسحاق : فلقى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – جَمْعًا من غَطَفَان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم ، قتال ، فخاف الفريقان بعضُهم من بعض ، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم ، وهم غارّون ، وخاف المشركون أن لا يبرح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى يستأصلهم .

---

(١) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٨٦ وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٦٠ ، والمغازى للواقدى ١ : ٣٩٥ .

(٢) الجلب : ماجلب من خيل وابل ومتاع (هامش : نهاية الأرب ١٧ : ١٥٨ .

(٣) المضيق : قرية كبيرة بجبل آرة المقابل لقدس وهو من أشمخ الجبال . (وفاء الوفا ٤ : ١١١٦ ، ١١١٧) .

(٤) الشقرة : بضم الشين المعجمة وسكون القاف (شرح المواهب ٢ : ٨٩) .

(٥) نخل : بلفظ اسم الجنس ، من منازل بنى ثعلبة بنجد على يومين من المدينة – وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٣١٩ .

ولما حانت الصلاة ــ صلَّى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأصحابه صلاة الخوف .

وروى البيهقيُّ عن جابر ــ رضى الله عنه ــ قال : صلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الظهر ، فَهَمَّ به المشركون ، فقالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أَحبُّ إليهم من أَبْنَائِهم ، فنزل جبريل على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأَخبره ، فصلىّ العصرَ صلاة الخَوْف .

قال ابن سعد : وكان ذلك أوّل ما صلاّها ، ثم انصرف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ راجعاً إلى المدينة .

وبعث بجُعَال ــ بضم الجيم ، وبالعين المهملة ، واللام ، بن سُرَاقة ــ رضى الله عنه ــ بشيراً إلى أهل المدينة بسلامة المسلمين .

وغاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خمس عشرة ليلة .

وقد وقع فى هذه الغزوة آيات كثيرة ، روى أكثرها جابرُ بن عبد الله ــ رضى الله تعالى ــ عنه ــ .

روى البَزَّار والطبرانى فى الأَوسط عنه ، قال : كانت غزوة ذاتِ الرقاع تُسَمَّى غزوة الأَعاجيبِ ــ انتهى . منها ما وقع عند إرادة غَوْث بن الحرث الفَتْكَ برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

روى الشيخان وغيرهما من طُرُق عن جابرٍ ــ رضى الله عنه ــ قال : غزونا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل نجد ــ وفى روايةٍ ذات الرقاع ، فَلَمَّا قَفَل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أدركته القائلة يوماً بوادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تحت ظِل شجرة فعلَّق بها سيفَهُ ، فَنِمْنَا نَوْمَةً ، فإذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يَدْعُونا فَجِئناه ، فإذا عنده أعرابى جالس ، فقال : « إنَّ هذا اخْتَرَط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يَدِه صلتاً ، فقال لى : منْ يَمْنَعُك منى ؟ قلت : الله . قال : من يمنعك

منى ؟ قلت : الله ، قال : من يمنعُك مِنِّى ؟ قلتُ : الله ـ ثلاث مرَّات ، فَشَامَ[1] السيف وجلس ، ولم يعاقبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ولهذه القصة[2] طرق تأتى مع بعض ما يتعلق بها من الفوائد فى أبواب عصمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مِمَّنْ أراد الفتكَ به .

ومنها قصة الصبىّ الذى به جنُون ، روى البزار والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة ذات الرقاع حتى إذا أتى حَرّة واقُم ، حضرت امرأة بدويَّةٌ بابنٍ لها ، فقالت : يا رسول الله ، هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ، ففتح فاه فبزق فيه ، فقال : « أخسأ عدو الله أنا رسولُ الله ثلاثاً ، ثم قال : « شأنك بابنك لن يعود الله بشىء ، مما كان يصيبه »

ومنها قصة البيضات الثلاث : روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال فى غزوة ذات الرقاع : جاءعُلْبَة بن زيد الحارثى ـ رضى الله عنه ـ بثلاث بيضات أُداحى ، فقال يا رسول الله : وجدت البيضات هذه فى مفحص نَعَام ، فقال : دونك يا جابر ، فاعمل هذه البيضات فعملتهن ، ثم جئت بِهنَّ فى قَصْعةٍ فجعلتُ أطلب خُبْزاً فلا أجده ، فجعل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بِغَير خُبْزٍ حتَّى انتهى إلى حاجته والبيض فى القصعة كما هو ، ثم قام[3] فأكل منه عامة أصحابه ، ثم رحنا مُبْرِدِين .

---

(١) شام السيف : وضعه فى غمده ، وهى من الأضداد ؛ لأن شام معناها استل وأغمد (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٩٠) .

(٢) ورد فى هامش ت ص ٣٥٨ مايلى : وسيأتى فى حنين قصة شبيهة لهذه ، وتقدم مثلها فى غزوة غطفان . روى ابن حبان فى صحيحه أن فى هذه القصة نزل قوله تعالى « والله يعصمك من الناس » وروى ابن أبى حاتم ، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أنمار نزل على ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على بئر قد دلى رجليه فقال النوث من بنى النجار : لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟ قال : أقول له أعطنى سيفك فإذا أعطانيه قتلته . فأتاه فقال : يامحمد أعطنى سيفك أشمه . فأعطاه إياه ، فرعدت يده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حال الله بينك وبين ماتريد ، فأنزل الله الآية . ووقع عند الواقدى فى شبيه هذه القصة أن اسم الأعرابى دعثور ، وأنه أسلم ، لكن ظاهر كلامه أنها قصتان فى غزوتين ، وقيل : إن الرجل الذى أراد الفتك به عليه السلام اسمه عمرو بن جاش . نقله الولى العراقى فى المبهمات . ا هـ »

(٣) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (المغازى للواقدى ١ : ٣٩٩) .

ومنها قصة الرجل الذى دعا عليه – صلَّى الله عليه وسلَّم – بِضَرب رقبته : روى محمد ابن عمر ، والحاكم ، وأبو نُعيم عن جابر – رضى الله عنه – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – رأى على رجلٍ ثوباً مخروقاً ، فقال : مَا لَهُ غَيْرُه ؟ فقالوا له ثوبان جديدان فى العيبة ، فَأَمره بلبسهما ، فلما وَلَّى الرَّجُلُ ، قال رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلم – « أليس هذا أحسن ؟ ماله ضرب الله عنقه ؟ » فسمعه الرجلُ فقال[1] : يارسولَ الله فى سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فى سبيل الله فقتل الرجل فى وقعة اليمامة .

ومنها قصة الجمل الَّذى شكى إليه حاله .

روى الْبَزَّار ، والطَّبَرَانىُّ فى الأَوسط ، وأبو نُعَيْم عن جابرٍ – رضى الله عنه – قال : رَجَعْنَا من غَزْوة ذَاتِ الرِّقَاع ، حتَّى إِذَا كنا بمهبط الحرة ، أَقْبَلَ جَمَلٌ يرقلُ ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أتدرون ما قال هذا الجمل ؟ » هذا جَمَلٌ يَسْتَعْدِيْنِى على سَيِّده ، يزعم أنه كان يَحْرُثُ عليه منذ سنين ، وأنه أَراد أن ينحره ، إذهبْ يا جابر إلى صاحبه فأتِ به ، فقلت : لا أعرفه . فقال : إنه سيدلُّك عليه » فخرج بين يدىَّ مقنعاً ، حتَّى وقف على صاحبه ، فجئت به فكلمه صلى الله عليه وسلم – فى شأن الجمل[2] .

ومنها قصة جَمَلِ جَابر – رضى الله عنه – روى الإمام أَحمد عن جابر – رضى الله عنه – قال : فقدتُ جَمَلِى فى ليلةٍ مُظْلمة ، فمررت على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : « مَالَك » . فقلتُ يارسولَ الله !! فقدْتُ جملى ، فقال : « ذاك جَمَلُك ، اذْهَبْ فَخُذْه » . فذهبْتُ نَحْوَ مَا قال فلم أَجده ، فرجعتُ إليه ، فقال مثل ذلك ، فذهبتُ فلم أَجده ، فرجعت إليه ، فَانطلق معى حَتَّى أَتَيْنا الجمل ، فدفعه إلى .

---

(١) بياض فى الأصول والإثبات عن السيرة الحلبية ٢ : ٦٥ ط الحلبى سنة ١٣٤٩ هـ

(٢) قصة جمل جابر رواها ابن اسحاق عن وهب بن كيسان عن جابر مطولا . ومثل ذلك فى طبقات ابن سعد وأنها كانت فى منصرفة صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع . وفى البخارى أنها كانت فى غزوة تبوك ، وفى مسلم فى غزوة الفتح وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٩٢ . والسيرة الحلبية ٢ : ٦٥ .

٢١٧ ظ قصة أخرى : روى الإمام أحمد ، وأبو نُعَيْم / والشيخان ، ومحمد بن إسحاق ومحمد ابن عمر من طرقٍ عن جابرٍ – رضى الله عنه – قال : كنّا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى غزوة بنى ثعلبة ، وخرجتُ على ناضح لى ، فأبطأ عَلَىَّ ، وأعيانى حتى ذهب الناس ، فجعلت أرقبه ، وَهَمَّنِى شأنه فأتى علىَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : « مَا شَأْنُك » ، فقلتُ : يا رسول الله !! أبطأ علىَّ جملى ، فأناخ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بعيره ، فقال : « مَعَكَ مَاء » ؟ فقلتُ : نعم. فجئته بِقَعْبٍ من ماء ، فنفث فيه ثم نضح على رأسه وظهره ، وعلى عجزه . ثم قال : « أَعْطِنِى عَصًا » ، فأعطيته عَصًا معى ، أو قال : قطعتُ له عَصًا من شجرة ، ثم نَخَسه نخسات ، ثم قرعه بالعصا ، ثم قال : « ٱرْكَب » فركبت فخرج – والَّذى بعثه بالحق – يُوَاهِقُ(١) نَاقَتَه مُوَاهَقَةً ما تفوته ناقته ، وجعلت أكفّه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حياءً منه ، وجعلت أتحدث مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبقية الحديث يأتى فى باب مِزاحه ومداعبته – صلى الله عليه وسلم – وفى باب كرمه وجوده ، وفى باب بيعه وشرائه .

ومنها قصة الشجرتين ، وقصة تخفيف العذاب عن ميتين ، وقصة نبع الماء من بين أصابعه ، وقصة الدَّابة التى ألقاها البحر لَمَّا شكى المسلمون من الجوع .

روى مسلم ، وأبو نعيم ، والبيهقى : عن جابرٍ – رضى الله عنه – قال : سرنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقاع ، حتى نزلنا وادياً أَفْيَح ، وذهب رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقضى حاجته ، وٱتبعته بإداوة من ماء ، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادى ، فانطلق رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – إلى إحداهما ، فأخذ بغُصْنٍ من أغصانها ، وقال : « ٱنْقَادِى عَلَىَّ بإِذْنِ اللهِ تعَالَى » فٱنقادت منه كالبعير المُخَشْوَش(٢) الذى يصانع قائده ، حتى أتت الشجرة الأُخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها وقال : « انْقَادِى علَىَّ بإِذْنِ اللهِ تَعَالى » فانقادت

---

(١) يواهق : أى يباريها فى السير ويماشيها ، ومواهقة الإبل مد أعناقها فى السير (النهاية ٤ : ٢٤٣) .
(٢) المخشوش : بخاء وشينين معجمتين . وهو الذى يودع فى أنفه خشاش (شرح الشفاء للشهاب ٣ : ٥١) .

معه كذلك حتى إذا كان بالمنْصَف[1] فيما بينهما لأم بينهما ، يعنى جَمَعَهما فقال : « الْتَئِمَا عَلَىَّ بإِذْنِ اللهِ تَعَالَى » . فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يُحِسّ رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – بقدمى[2] فيبتعد فجلستُ أحدِّثُ نفسى ، فحانت مِنّى لفتة ، فإذا أنا برسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – مُقْبل ، وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كلٌّ واحدةٍ منهما على سَاق ، فرأيت رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلم – وقفَ وقفةً فقال[3] برأسه : « هَكَذَا يَمِينًا وشِمَالاً » . ثم أقبل ، فلما انتهى إلى قال : « يَاجَابِر ! هل رأيت مَقَامِى ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « فَانْطَلِق إلَى الشَّجَرَتَين فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ واحدةٍ مِنْهُمَا غُصْناً وأقبل بِهِما ، حتَّى إذَا قُمْتَ مَقَامى فَأرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِك وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِك » . قال جابر : فقمتُ ، فَأَخذتُ حَجَراً فكسرته / وحسرته ٢١٨ و
فانذلق لى ، ثم أتيتُ الشجرتين فقطعتُ من كل واحدةٍ منهما غُصْنًا ، ثم أقبلتُ أجترهما حتَّى إذَا قمتُ مقام رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أرسلتُ غُصنًا عن يَمينى وغُصْنًا عن يسارى ، ثُم لحقت برسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقلتُ : قد فعلتُ يا رسولَ الله ، فَعَمَّ ذلك ؟ قال : إنى مررت بقبرين يُعَذَّبَان ، فأحببت بشفاعتى أنْ يَرْفه[4] عنهما مادَام القضيبان رطبين فأتينا العسكر ، فقالَ رَسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم : يا جابر ، ناد بالوضوء ، فناديت : ألا وضوء ألا وضوء ؟يارسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة ، وكان رَجُلٌ من الأنصار يبرد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – الماءَ فى أَشْجَابٍ له[5] على حِمَارَةٍ[6] من جريد ، فقال : « انطلق إلى فلان بن فلان الأنصارى ، فانظر هل فى أشجابه من شئ ؟ فانطلقتُ إليه فنظرت فلم أجد فيها قطرة ماء إلاَّ قطرةً فى عَزْلَاء[7] شجب منها ، لو انِّى أفرغه بشربة يابسة ؟، فأتيتُ

---

(١) المنصف : أى حل وسط المكان (المرجع السابق) .
(٢) كذا بالأصول ولعلها بقدومى
(٣) أى حركة (شرح الشفاء للشهاب ٣ : ٥١) .
(٤) يرفه : يخفف ويسترد فى شرح الغريب .
(٥) الأشجاب : جمع شجب وهو السقاء الذى بلى (شرح الغريب) .
(٦) الحمازة : أعواد تعلق عليها أسقية الماء (شرح الغريب) .
(٧) العزلاء : فم القربة الأسفل (شرح الغريب) .

رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فأَخبرته ، قال : « اذهب فأْتنى به » ، فأَتيته به ، فأَخذه بيده ، فجعل يتكلم بشئ لا أَدرى ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أَعطانيه ، فقال : « يا جابر ، ناد بِجَفْنَة » ، فقلت : يا جفنة الركب فأُتيت بها تُحمل ، فوضعت بين يديه ، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بيده هكذا ، فبسطها فى الجفنة ، ففرَّق بين أَصابعه ، ثم وضعها فى قعر الْجَفْنَة ، وقال : « خُذْ يا جابر ، فَصُبَّ عَلَيَّ ، وقل بِسْمِ الله » فرأَيتُ الماءَ يفُورُ مِنْ بين أَصابعه . ففارت الْجَفْنَة ، ودارت حتَّى امتلأَت . فقال : « يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء » فأَتى الناس فاستقوا حتَّى رووا ، فقلت : هل بقى أَحد له حاجة ؟ ورفع رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يده من الْجَفْنَة ، وهى ملأَى .

وشكى الناس الجوع ، فقال : « عَسَى اللهُ أَنْ يُطْعِمَكُم بسيف البحر » فأَتينا سيف[1] البحر ، فأَلقى دابة فأَوْرَيْنا على شقِّها النَّار ، فشوينا ، وأَكلنا وطبخنا ، وشبعنا .

قال جابر : فدخلتُ أَنا وفلان وفلان ، حتى عَدَّ خمسة فى حجَاج[2] عَيْنِها ، مايَرَانا أَحد حتَّى خرجْنا ، وأَخذنا ضِلْعًا مِن أَضلاعها ، فقوسناه ، ثم دعونا بأَعظم رجل فى الركب وأَعظم جمل فدخل تحته ما يطأْطئ رأسه .

* * *

ذكر قصة الطائر الذى سقط على فرخه لما صاده بعض الصحابة / رضى الله عنهم

ت ٣٩٢ م ٢١٨

روى محمد بن عمر ، وأَبو نُعيم - رحمه الله تعالى - عن جابر - رضى الله عنه - قال : إنَّا لمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إِذْ جَاءَ رجلٌ من أَصحابه بفَرْخِ طائِر ، ورسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ينظر إِليه ، فأَقبل أَبواه أَو أَحدهما حتَّى طَرَحَ نفسه فى يدى الذى أَخذ فرخه ، فرأَيت النَّاسَ يَعْجَبُون من ذلك ، فقالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - : « أَتعجون مِنْ هذا الطَّائِر ؟ أَخذتم فَرْخَه ، فطرح نفسه رحمةً بفرخه ، والله لَرَبُّكُم أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ بِفَرْخِهِ » .

---

(١) سيف البحر : جانب البحر ، وقد تقدم بيان ذلك فى غريب غزوة الحديبية .

(٢) حجاج العين : العظم الذى فوق العين . أو العظم الذى عليه الحاجب (وانظر شرح الغريب) .

ذكر منقبة لعباد بن بشر – رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن جابر – رضى الله عنه – ومحمد بن عمر عن شيوخه – رحمهما الله تعالى / أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – أصاب فى نخل المشركين فى هذه الغزوة ٢١٨ ط امرأة ، وكان زوجُها غائباً ، فلما أتى أخبر الخبر ، وقفل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَحَلَفَ زوجُها لا ينتهى حتَّى يهريق فى أصحاب محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم – دَمًا[1]، فخرج يتبع أثر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فنزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منزلاً ليلةً ذَات ريح فى شِعْب آستقبله . فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَكْلأُنا » ؟ فقام عَبَّاد بن بشر ، وعمار بن ياسر – رضى الله عنهما – فَقَالَا ؛ نحن يا رسول الله نكلؤك ، وجعلت الريح لا تسكن ، وجلس الرَّجُلَان على فَمِ الشِّعب ، فقال أحدهما لصاحبه : أىّ الليل أحب إليك أن أكْفِيكَ أوَّلَه ، وتكفينى آخره ؟ قال : آكفنى أوَّله ، فنام عمار بن ياسر ، وقام عَبَّاد يُصَلِّى ، فأَقبل زَوْجُ المرأة يَطْلُبُ غِرَّة ، وقد سكنت الرِّيح ، فلما رأى سواد عباد من قريب قال : يعلم الله أن هذا رَبيئة[2] القوم ، ففوَّق سهْمًا فَوَضَعَه فيه ، فآنتزعه عَبَّاد ، فرماه بآخر فوضعه فيه ، فآنتزعه ، فرماه بآخر فآنتزعه ، فَلَمَّا غلبه الدَّم رَكَعَ وَسَجَد ، ثم قال لصاحبه : إجلس فقد أُتِيت ، فجلس عمار ، فلما رأى الأعرابى عَمَّارًا قَدْ قَامَ عَلِمَ أنه قد تذرا به[3]، فهرب ، فقال عمار : أى أخى ، ما منعك أن تُوقِظَنى فى أوَّلِ سهم رمى به ؟ قال : كنتُ فى سورة أقرأُها وهى سورة الكهف ، فكرهت أنْ أقطعها حتى أفْرُغ منها ، ولولاأنى خشيت أن أُضيِّعَ ثغرا أمرنى به رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما آنصَرفت ، ولو أُتِيَ على نَفْسى .

---

(١) وفى المغازى للواقدى ١ : ٣٩٧ « حلف زوجها ليطلبن محمدا ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمدا أو يهريق فيهم دماً أو تتخلص صاحبته »

(٢) الربيئة : حارس القوم (هامش المغازى للواقدى ١ : ٣٩٧) .

(٣) نذرا به : أى علما به (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٩ هامش) .

ويقالُ إن الْمَرْمِىَّ عمار ، قال محمد بن عمر : وأَثْبَتُها عندنا عَبَّاد بن بشر[1]ـ رضى الله عنه .

وروى ٱبن إسحاق عن جابر – رضى الله عنه ـ أَن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا قَدِم صرارا نزل به ، وأمر بذبح جزور ، وأقام عليها والمسلمون يومهم ذلك ، فلما أَمسى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ دخل المدينة ودخلنا معه .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ٱختلف[2] فى تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقَاع ـ بكسر أوله ، فقيل : هى اسم شجرة سميت الغزوة بها ، وقيل : لأَن أَقدامهم نَقِبَت فلفوا عليها الْخِرَق كما فى صحيح مسلم عن أَبى موسى الأَشعرى ، وقيل : بل سُمِّيَتْ بِرِقاعٍ كانت فى أَلْوِيَتِهِمْ . قال فى تهذيب المطالع : والأَصح أنه مَوْضِعٌ ، لقوله : حتَّى إذا كُنَّا بذات الرقاع . وكانت الأَرض التى نَزَلوها ذات أَلوان[3] تُشْبِه الرقاع ، وقيل : لِأَن خَيْلَهُم كان بِها سواد وبياض .

قال محمد بن عمر الأَسلمى : سميت بجبلٍ هناك فيه بقع ، ورجَّحَ السُّهَيْلى ،
٢١٩ و والنَّوَوِىُّ / السَّبَبَ الَّذِى ذَكَرَه أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِى .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ ويحتملُ أَنها سُمِّيَتْ بالمجموع ، وبه جزم صاحب تهذيب المطالع . فى التقريب .

الثانى : اختلف مَتَى كانت هذه الغزوة فقال البخارى ومن تبعه : أنها كانت بعد خيبر ، لأَن أَبا موسى الأَشعرى جاءَ من الحبشة سنة سبع بعد خيبر ، كما فى الصحيح فى باب غزوة خيبر . وتقدَّم ذكره هناك . وصح أَيضاً كما فى الصحيح أَنه شهد ذات

---

(١) فى المغازى للواقدى ١ : ٣٩٧ « ويقال الأنصارى عمارة بن حزم ، قال ابن واقد : وأثبتهما عندنا عمار بن ياسر » .

(٢) وانظر الاختلاف حول سبب التسمية فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٨٨ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٨٨ « ذات بقع سود وبقع بيض » .

الرِّقاع ، وإذَا كان ذلك كذلك لزم أن غزوة ذات الرقاع بَعْدَ خيبر ، وقال أبو هريرة – رضى الله عنه – صليتُ مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فى غزوة نجد صَلاَةَ الخوف . رواه البخاريُّ تعليقاً ، وأبو داود ، والطحاوى ، وابن حبان مَوْصُولاً .

قال البخارى ، وأبو هريرة : إنما جاءَ إلى النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم أيام خيبر أى فَدَل على أن غزوة ذات الرقاع بَعْدَ خيبر ، وتعقب بأنه لا يلزم من كَوْنِ الغزوة كانت فى جهة نجد ، أى لا تتعدد ، فإن نجداً وقع القصد إلى جهتها فى عدة غزوات . وذكرت فى باب صلاته – صلَّى الله عليه وسلَّم – صَلاَةَ الخوف ما يُغنى عن إعادته ، فيحتمل أن يكون أبو هريرة حضر التى بعد خيبر ، لا التى قبلها ،والجواب أن غزوة نَجْد إذا أُطلقت فالمراد بها غزوة ذات الرقاع ، كما جاءَ ذلك فى أحاديث كثيرة .

وكذلك عبد الله بن عمر ، ذكر أنه– صلَّى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – صلاة الخوف بنجد ، وتقدم أن أول مشاهده الخندق ، فتكون ذات الرقاع بَعْدَ الخندق .

وفى الصحيح عن جابر – رضى الله عنه – قال : صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – صلاةَ الخوف فى غزوة السابعة ، غزوة ذات الرقاع . قال الحافظ : قوله فى غزوة السابعة ، من إضافة الشئ إلى نفسه على رأى ، أو فيه حَذفٌ تقديره : غزوة السفرة السابعة .

وقال الكرمانى وغيره : تقديره غزوة السنة السابعة ، أى من الهجرة ، وفى هذا التقدير نظر ، إذْ لو كان مُرَاداً لكان هذا نَصًّا فى أن غزوة ذات الرقاع تأخرت بعد خيبر ، نَعَمْ التنصيص بِأنَها سابع غزوة من غزوات النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم – تأييد لِمَا ذهب إليه البخارى مِنْ أنَّهَا كانت بعد خيبر ، فإنه إذا كان المراد الغزوات التى خَرَجَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم فيها بنفسه مطلقًا ، سواءٌ قاتل أو لم يُقَاتِل ، فإن السابعة منها تقع قبل أُحُد ، ولم يذهب أَحَدٌ إلى أَنَّ ذَاتِ الرقاعِ قبل أُحُد إلاَّ ما سيأْتى من تردد ابن عُقْبَة ، وفيه نَظر ؛ لأنهم متفقون على أن صَلاَةَ الخوف مُتأخرة عن غَزْوَةِ الْخَنْدَق ، فتعيَّنَ أن يكون ذات الرقاع بعد قُريظة ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ المراد

الغزوات التى وقع فيها القتالُ . والأُولى منها بدر ، والثانية أُحُدُ ، والثالثة الْخَنْدَق ، والرابعة قُرَيْظَة ، والخامسة المُرَيْسِيعُ ، والسادسة خَيْبَر ، فيلزم من هذا أن تكون ذاتُ الرقاع بعد خيبر لِلتَّنْصِيص على أنها السابعة ، فالمراد تاريخ الوقعة لا عدد المغازى ، وهذه العبارات / أقرب مما وقع عند الإمام[1] أحمد بلفظ كانت صلاةُ الخوف فى السابعة ، ٢١٩ ظ فإنه يصح أن يكون التقدير فى الغزوة السابعة ، كما يصح فى غزوة السنة السابعة ، قلت : لا مزيد على هذا التحقيق البليغ ، فرحم الله الحافظ وجزاه خيراً .

وجزم أبو معشر : بأنها كانت بعد بنى قريظة ، وهو موافق لما ذهب إليه البخارى ، قال فى الزهر[2] ـ وأبو معشرٍ[3] من المعتمدين فى المغازى .

وقال ابن القيم بعد أن ذكر الخلاف فى تاريخها : الصوابُ تحويلُ غزوةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ من هذا الموضع ، يعنى كونه ذكرها بعد غزوة بنى النَّضِير ، وقبل غزوة بَدْر الموعد إلى بعد الخندق ، بل بعد خيبر .

قال : وإنما ذكرته ههنا تقليداً لأهل المغازى والسير ، ثم تَبَيَّن لَنَا وهْمُهُم

الثالث : قال ابن عُقْبَة : لا ندرى هل كانت ذات الرقاع قبل بدر أو بعدها ، أو قبْلَ أُحُدٍ أو بعدها . قال الحافظ : وهذا الترَدُّدُ لا حاصل له ، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بَنِى قُرَيْظة ، لأن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وحديث وقوع صلاة الْخَوْفِ فى غزوةِ ذَاتِ الرِّقاع يدُلُّ على تأخرها بعد الخندق .

الرابع : قال أبو الفتح ـ رحمه الله تعالى ـ جعل البخاريُّ حديث أبى موسى حجة فى أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر ، وليس فى خبر أبى موسى ما يدل على شئٍ من ذلك . قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ وهذا النَّفى مردود ، والدِّلالةُ من ذلك واضحةٌ كما تقدم تقريره .

---

(١) إضافة على الأصول .

(٢) أى قال مغلطاى فى الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم (مخطوط) .

(٣) هو نجيح بن عبد الرحمن السندى الهاشمى ـ مولاهم ـ أبو معشر المدنى . توفى سنة ١٧٠ هـ (الخلاصة للخزرجى ٣٤٨) .

وقال الإمام علاء الدين الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ وهذا الذى ذكره البخارى ظاهر الوضوح لأن سياق الأحاديث يدل على ما قاله .

الخامس : ادعى الحافظ الدمياطى غلط الحديث الصحيح[1] ، فإن جميع أهل السير على خلافه ، والجواب أن الاعتماد على ما فى الحديث أولى ، لأن أصحاب المغازى مختلفون فى زمانها ، فعند ابن إسحاق ، أنها بعد بنى النَّضِير ، وقَبْلَ الخندق فى سنة أربع .

وعند ابن سعد ، وابن حبَّان : أنها كانت فى المُحَرَّم سنة خمس وجزم أبو معشر بأنها كانت بعد بنى قريظة والخندق ، وجزم ابن عُقْبَة بتقديمها ، لكن تردَّدَ فى وقتها كما تقدم . وأيضًا فقد ازداد حديث أبى موسى قوة بحديث أبى هُرَيْرة ، وبحديث ابن عمر كما تقدَّمَ تقريره .

السادس : قيل : إنَّ الغزوة التى شهدها أبو موسى ، وسُمِّيَتْ ذات الرقاع غير غزوة ذات الرقاع التى وقعت فيها صلاةُ الخوفِ ، لأن أبا موسى قال فى روايته : أنهم كانوا ستة أَنْفُس ، والغزوة التى وقعت فيها صلاةُ الخوف . كان المسلمون فيها أضعاف ذلك ، والجواب عن ذلك أن العدد الذى ذكره أبو موسى محمولٌ على مَنْ كان مُرَافِقًا له من ألزامه ، لا أنَّه أراد مَنْ كان مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم .

السابع : وقع فى الصحيح « باب غزوة ذات الرقاع » وهى غزوة مُحَارِب/[2] [بن] خَصفة من بنى ثعلبة بن غطفان . قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يقتضى أن ثعلبة جَدٌّ لمحارب ، وليس كذلك ، ووقع عند القابسى : خصفة بن ثعلبة ، وهو أشد فى الوهم . والصواب ما وقع عند ابن إسحاق وغيره ، وبنى ثعلبة بواو العطف ، فإن ثعلبة ابن سعد بن ذُبْيَان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وغطفان بن سعد بن قيس عيلان ، ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان ، فمحارب وغطفان ابنا عم !! فكيف يكون الأعلى منسوباً إلى الأدنى ؟! ٢٢٠ و

---

(١) يعنى حديث أبى موسى الأشعرى (شرح المواهب ٢ : ٨٨) .
(٢) سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٨٦ .

وفى الصحيح فى حديث جابر بلفظ محارب وثعلبة بواو العطف على الصحيح ، وفى قوله ثعلبة من غطفان بميم فنون نظر أيضاً كما يُعلم مما تقدم ، وقد يكون نَسَبَه لجده الأعلى . وفى الصحيح من رواية بكربن سَوَادَة يوم محارب وثعلبة ، فغاير بينهما ومُحَارِب بضم الميم ، وبالحاء المهملة والموحدة ، وخصفة بفتح الخاء المعجمة ، والصاد المهملة ، ثم فاء ، أضيف إليه محارب للتمييز عن غيره من المحاربين ، فإن فى مضر محارب بن فهر ، وفى المغتربين محارب بن صباح ، وفى عبد القيس محارب بن عمرو .

الثامن : غَوْرَث : وزن جعفر ، وقيل بضم أوله ؛ وهو بغين معجمة وواو وثاء مثلثة ، مأخوذ من الْغَرْث وهو الجوع ، ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة . وحكى الخطَّابِى فيه غُوَيْرِثْ بالتصغير . وحكى القاضى عن بعض رواة الصحيح : من المعارثة بالعين المهملة . قال القاضى : وصوابه بالمعجمة

وذكر غويرث هذا الذهبيُّ فى التجريد من جملة الصحابة ، ولفظ غورث بن الحرث الذى قال : من يمنعك منىِّ ؟ قال : الله تعالى - فوقع السيفُ من يده ، قاله البخارى من حديث جابر . ا.هـ .

وتعقبه الحافظ بأنه ليس فى شئ من طُرُق أحاديثه فى الصحيح تعرّض لإسلامه ، ثم أورد الطُّرُق . ثم قال : رويناه فى المسند الكبير عن مسدّدالخزرجى وفيه ما يصرح بعدم إسلامه ، ولفظه بعد أن ذكر وقوع السيف من يده ، وقول النبى - صلَّى الله عليه وسلَّم - من يمنعك منى؟قال : كن خير آخذ . قال : لا إلا أن تُسلم . قال :لا ولكن أُعاهدك ألا أُقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يُقاتلونك . فخلىَّ سبيله ، فجاء إلى قومه وقال : جئتكم مِنْ عند خير النَّاس ، وكذا رواه الإمام أحمد ، ونقله الثَّعْلَبِىّ عن الْكَلْبِى عن أبى صالح عن ابن عباس ، ثم قال الحافظ : هذه الطرق ليس فيها أنه أسلم ، وكان الذهبى لما رأى فى ترجمة دُعْثور بن الحرث أن الواقدى ذكر له شبيها لهذه القصة ، وأنه ذكر أنه أسلم ، فجمع بين الروايتين ، فأثبت إسلام غَوْرَث . فإن كان كذلك ففيما صنعه نظر من حيث إنه عزاه للبخارى ، وليس فيه أنه أسلم من حيث إنه يلزمه الجزمُ بكَوْن

القصتين واحدة ، ومع احتمال كونهما واقعتين إن كان الواقدى أتقن ما نقل . وفى الجملة فهو على الاحتمال . قلت : سبق الذهبيَّ فى نقل إسلام غورث عن البخارى الأَميرُ أبو نصر/ ٢٢٠ ط
ابن مَاكُولَا فى الإكمال . وجزم به الذَّهبى فى مشتبه النِّسْبَة ، وأقره الحافظ فى التبصرة على ذلك ولم يتعقبه . والذَّهبى لم يغير ذلك للصحيح حتى يرد عليه بما قاله الحافظ . والظاهر أن البخارى ذكر ذلك فى أحد تواريخه / فتراجع ، ولم أَقف الآن فيها إلا على رُبع التاريخ الكبير ولم يصل إلى حرف الغين المعجمة . ولم أر مَنْ حَرَّر هذا الموضع . ويحتمل إن صح إسلامه أن يكون أسلم فى غير هذا اليوم ووقع للحافظ فى الفتح فى إسلام غورث كلام غير محرر يأْتى الكلام عليه فى الحادى عشر .

التاسع : قول غورث للنبى – صلى الله عليه وسلم – من يمنعك مِنِّى على سبِيل الاستفهام الإنكارى ، أى لا يمنعك منِّى أَحَدٌ لأَن الأَعرابى كان قائماً بالسيف على رأس رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – والسيف فى يد الأَعرابى والنبى – صلى الله عليه وسلَّم – جالسٌ لا سيف معه ، ويؤخذ من مراجعة الأَعرابى فى الكلام أن الله – سبحانه وتعالى – منع نبيّه منه ، وإلا فما الذى أحوجه إلى مُرَاجعته وتكرارها ثلاث مرات كما عند البخارى فى الجهاد ، مع احتياج غورث إلى الحُظوة عِنْدَ قومه بقتله ، وفى قول النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى جوابه : « اللهُ يَمنَعُنِى مِنْك » إشارة إلى ذلك ، ولذلك أعاده الأَعرابى فلم يزده على ذلك الجواب غاية الثبات للنبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعدم مُبَالاته به أصلاً .

العاشر : فى رواية يحيى بن أَبى كثير : فَتهدَّده أَصحاب رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال الحافظ – رحمه الله تعالى – فظاهرها مُشعرٌ بأَنهم حضروا القصة وأنه إنما رجع عما كان عزم عليه بالتهديد ، وليس كذلك ، بل وقع فى رواية إبراهيم بن سعد فى الجهاد بعد قوله : قلتُ الله !! فشام السَّيفَ أى أغمده ، وكان الأَعرابى لما شاهد ذلك الثَّبَات العظيم وعرف أنه حيلَ بَيْنَه وبينه ، تحقق صِدْقه ، وعلم أنه لا يصل إليه ألقى السلاح ، وأمكن من نفسه .

الحادى عشر : فى حديث جابر فإذا هو جالس ، ووقع فى رواية ابن إسحاق بعد قوله : « قَالَ الله » فدفع جبريلُ فى صَدره ، فوقع السيفُ من يده فأَخذه النبى – صلَّى

الله عليه وسلّم ـ فقال : من يمنعك أنت منى ؟ قال : لا أحد ، قال : قم فاْذهب لشأنك ، فلما وَلَّى قال : أنت خير منى .

ويجمع بين ما فى الصحيح وبين ما ذكره ابن إسحاق من قوله : « فاْذْهَب » أنه بعد ما أخبر أصحابه بقصته ، ولشدة رغبته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى ائتلاف الكفار ليدخلوا فى الإسلام ، لم يؤاخذه وعفا عنه . قال الحافظ : وقد ذكر الواقدى فى نحو هذه القصة أنه أسلم ، وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير ، ووقع فى رواية ابن إسحاق ـ التى أشرت إليها ـ ثم أسلم .. بعد .

قلت : وعلى الحافظ فى هذا الكلام مؤاخذات .

الأُولى : قوله « ووقع » فى رواية ابن إسحاق بعد قوله « فدفع جبريل فى صدره »

٢٢١ و صوابه : وقع عند / الواقدى ، لإبن إسحاق ، فإن ابن إسحاق لم يذكر ذلك أصلا .

الثانية : أن الواقدى ، إنما ذكر ذلك فى غزوة غَطَفَان التى تعرف بذى أمرّ لا فى ذات الرِّقاع ، وسمَّى الرَّجُلَ دعثورا .

الثالثة قوله : وذكر الواقدى فى نحو هذه القصة إلخ . قد يُوهم أن الرجل غورث ، وليس كذلك ، بل هو دعثور .

الرابعة قوله : ووقع فى رواية ابن إسحاق التى أشرت إليها أنه أسلم ليس فى كلام ابن إسحاق أنه أسلم بلا ريب ، ومن راجع كلام ابن إسحاق ، والواقدى فى مغازيهما تبيَّن له صحة ما قلته . والله ـ تعالى ـ أعلم .

الثانى عشر : قول ابن إسحاق : أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ استعمل على المدينة فى غزوة ذَاتِ الرِّقَاع أبا ذر ، لا يستقيم على مذهبه أن ذات الرقاع قبْل الْخَنْدق ، فإن أبا ذر أسلم قديماً ، ورجع إلى بلاده ، فلم يجئ إلا بعد الخندق ، كما ذكره محمد ابن عمر .

الثالث عشر : وقع فى الوسيط للإمام حجة الإسلام الغَزالى ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ غزوةَ ذات الرقاع آخر الغزوات . قال الحافظ : وهو غلط واضح . وقد بالغ ابن الصلاح فى إنكاره ، وقال بعض من انتصر للغزالى : لعله أراد آخر غزوة صُلِّيت فيها صلاةُ الخوف ، وهو انتصار مردود أيضاً ، لما رواه أبو داود ، والنسائى . وصححه ابن حِبَّان من حديث أبى بكر أنه ـ صلَّى مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلاةَ الخوف ، وإنما أسلم أبو بكرة فى غزوة الطَّائِف بالاتفاق . وذلك بعد غزوة ذَاتِ الرِّقاع قطعاً .

الرابع عشر : جمهور أهل المغازى على أن غزوة ذات الرقاع هى غزوة مُحَارب ، كما جزم به ابن إسحاق .

وعند محمد بن عمر . أنها ثنتان وتبعه القطب فى المورد .

الخامس عشر : قول ابن سعد أن صلاةَ الخوف أول ما صُلِّيَتْ « بذات الرقاع» محمول على ما ذكره هو وغيره من تقدمها على غزوة الحُدَيْبِيَة ، أما على تأْخير ذات الرقاع عن خيبر فتكون أول ما صُلِّيَتْ صلاة الخوف فى عُسْفَان .

السادس عشر : فى بيان غريب ما سبق .

الْجَلَب ـ بفتح الجيم واللام ، وبالموحدة : ما يجلب من بلد إلى بلد للبيع .

بنو أنْمَار ... بفتح الهمزة .

بغيض ـ بموحدة ، فغين ، فضاد ، معجمتين بينهما تحتية .

هادين : غافلين عن أمرهم .

المضيْقُ ـ بفتح الميم ، وكسر الضَّاد المعجمة ، ومثناة تحتية وقاف : قرية .

أفضى إلى كذا : وصل إليه .

الشُّقْرَة ـ بضم الشين المعجمة ، وسكون القاف : اسم موضع على يومين من المدينة .

أتى نخلا ـ بالخاء المعجمة بلفظ اسم جنس النخلة : موضع على يومين من المدينة أيضاً .

وَضِيئَة ـ بالضاد المعجمة : أى حسنة .

غارون : غافلون .

يستأصلهم : يهلكهم جميعا .

حانت الصلاة : دنا وقتها .

* * *

شرح غريب ذكر حديث جابر فى قصة غورث

قوله ـ قفل : رجع .

الْعِضَاه ـ بكسر العين المهملة ، وبالضاد المعجمة ، وبالهاء ، : شجر أم غيلان ، وكل شجر عظيم له شوك . / ٢٢١ ط

اخترط السَّيْفَ : سلَّه من غِمده .

صَلْتاً ـ بفتح الصاد المهملة ، وسكون اللاّم ، وبالفوقية : أى مجردا من غمده .

شَامَ السَّيْفَ ـ هنا ـ أدخله فى غمده .

فتك به : أتاه ليقتله .

وهو غار : غافل .

فى حَرَة ـ بفتح الحاء وكسرها . الحرَّة : أرض ذات حجارة سود كأنها أُحرقت بالنار والجمع [حرار[1]] ككلاب .

واقُم ـ بالواو ، والقاف ، والميم ، وزن آطُم ، من آطام المدينة ، تنسب إليه حرة واقُم .

بيضات أُدَاحى ـ بالدال ، والحاء المهملتين جمع أُدحى بضم الهمزة ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعامة وتفرخ .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

الْمَفْحَص – بفتح الميم ، وسكون الفاء ، وفتح الحاء ، وبالصاد المهملتين : اسم الموضع الذى يَحْفِرُه الطائر ليبيض فيه .

العيبة – بفتح العين المهملة ، وسكون التحتية ، وبالموحدة : ما تجعل فيه الثياب .

اليمامة : مدينة على يومين من الطائِف ، وأربعة من مكة .

يرفل – بسكون الراء ، وبالفاء : يمشى مشى الْمُخْتَال .

يستعدينى : يطلب منى نصره .

مقنعا – بالقاف ، والنون ، والعين المهملة : أى ذليلا .

الناضح : الذى يُسْتَى عليه ، ثم استعمل فى كل بعيرٍ

الْقَعْبُ – بقاف مفتوحة ، فعين مهملة : قدح من خشب .

يُواهِق – بتحتية مضمومة ، فواو ، فهاء مكسورة ، فقاف : أى يُبَارى ناقة النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى السير ويماشيها .

* * *

شرح غريب حديث جابر الطويل

قوله : وادٍ أفيح : واسع .

الإداوة – بالكسر : المطهرة .

شاطئُ الوادى : جانبه .

الغُصْن – بضم الغين المعجمة .

البعير المُخَشْوش – بالخاء والشين المعجمتين هو الذى يُجْعَل فى أنفه الْخِشَاش . بكسر الخاء : وهو عود يجعل فى أنف البعير يشدّ به الزمام ليكون أسرع فى انقياده .

وانقاد فلان للأمر : أعطى القياد إذا أذْعن طوعا أو كرها .

الْتَأَمَتَا عليه : انطبقتا عليه وسترتاه .

أُخْضِر – بضم الهمزة ، وإسكان الحاء ، وكسر الضاد المعجمة : أى أعدووأسعى سعياً شديدا .

دانت – بالنون ، وروى باللّام : أى وقعت واتّفقت .

لفتة : نظرة .

حسرته – بحاء وسين مهملتين : حددته ونحيت عنه ما يمنع حِدّته بحيث صار مما يمكن القطع به .

انذلق – بذال معجمة ، أى صار حَادًا .

أَمَّمْتُ[1] الشئ : قصدته .

أجترهما : أَجُرُّهما .

فعمّ ذاك – أدغمت النون فى ما الاستفهامية ، وحذفت ألفها لدخول الجار .

يَرْفَه عنهما – بفتح التحتية ، وسكون الراء ، وفتح الفاء وبالهاء : يخفف .

الأَشجاب – جمع شجب : وهو السّقاء الذى خلق وبلى ، وصار سيئاً .

الحِمازة – بكسر الحاء ، وتخفيف الميم والزاى : وهى أعواد يعلق عليها أسقية الماء .

القطرة : الشئ اليسير .

الْعَزْلاء – بفتح العين المهملة وسكون الزاى ، وبالمد : وهى فم القربة الأَسفل .

شربة يابسة : أى قليل جداً ، فلقلته مع شدة يُبْس باقى الشجب يذهب ما فيه .

يغمزه : يعصره .

٢٢٢ و الجَفْنَة – بفتح الجيم : إناءٌ كالقصْعة ، والجمع الْجِفَان بالكسر / والجفنات بالتحريك

---

(١) أممت ، كذا هنا . وفى سياق المتن « أتيت » .

ونادِ يا جَفْنَة الركب : أى التى تشبعهم أو ياصاحب جفنتهم فحذف المضَاف ، أى من كان عنده جفنة تشبعهم فليحضرها .

سِيف البحر — بكسر السين المهملة ، وإسكان التحتية : جانبه .

حَجَاج عَيْنها — بفتح الحاء المهملة ، وكسرها ، وبجيمين : العظم المستدير ، وقال ثابت : الحجاجان ؛ العظمان المشرفان على العينين ، وفى المخصص : الحجاج العظم الذى عليه الحاجب .

الكِفْلَ[1] — بكسر الكاف ، وسكون الفاء : وهو هنا — الكساء الذى يدار حول سنام البعير ثم يركب .

* * *

شرح غريب ذكر منقبة عباد بن بشر — رضى الله عنه

يُهْرِيقُ — بضم التحتية ، وفتح الهاء ، وكسر الراء : يصب ويسيل .

يَكْلَؤُنا : يحفظنا ويحرُسُنا .

الشِّعْبُ — بالكسر : الطريق فى الجبل .

الرَّبِيئَة — بفتح الراء المشددة ، والموحدة المكسورة ، وبالهمزة ، والمفتوحة : طليعةُ الْقَوْم وَعَيْنُهُم ؛ الذى يكشف لهم الخبر .

الثغر — بالثاء المثلثة ، والغين المعجمة : ما يلى دار العدو .

صرار — بصاد ورائين مهملتين : اسم أُطم بالمدينة شرقيها[2] .

---

(١) لم يرد هذا اللفظ فى سياق المتن .

(٢) وقيل صرار : بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . وقيل موضع على ثلاثة أميال من المدينة وقيل هو اسم جبل . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٢٥١ ، ١٢٥٢ .

الباب السادس والعشرون

فى عمرة القضاء(١)

لما دخلَ هلالُ ذِى القعدة سنة سَبْع ، وهو الشهر الذى صَدَّه فيه المشركون عن البيت ، وأنزل الله تبارك وتعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاص(٢)) الآية . أمر رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلَّم – أصحابه أن يتجهزوا للعمرة ، ولا يتخلف أَحدٌ ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف أَحد شهدها ، إلاَّ رجالٌ استشهدوا بخيبر ، ورجال ماتوا ، فقال رجال مِنْ حَاضِرِى المدينة مِنَ العرب : يا رسولَ الله ، والله مالنا زاد ، وما لنا أَحدٌ يُطعِمُنَا ، فأَمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم المسلمين أن ينفقوا فى سبيل الله – تعالى ، وأن يَتصدقوا ، وألا يكفوا أيديهم فيهلكوا ، فقالوا : يا رسول الله ، بم نتصدق وأَحدنا لا يجد شيئاً ؟ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « بما كَانَ وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَة » .

وروى وكيع وابن عُيَيْنَة وابن سعيد(٣) ،ومنصور(٤) ، وعبد بن حميد ، والبخارى، والبيهقى فى سننه عن حُذيفة ، ووكيع ، وعبد بن حميد ، والبيهقى عن ابن عباس – رضى الله – تعالى عنهم – وابن جرير عن عكرمة ، ووكيع عن مجاهد –رحمهما الله – تعالى – قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وأَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ الله ، ولَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة ﴾(٥)

---

(١) وانظر فى هذه العمرة شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٣٧٠ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٧١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٢٨ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٣١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤

(٣) هو عبد الله بن سعيد بن جبير ، الخلاصة للخزرجى ١٩٩ سنة ١٣٤٩ هـ

(٤) هو منصور بن المعتمد السلمى أبو عتاب الكوفى المتوفى سنة ١٣٢ هـ (الخلاصة للخزرجى ٣٨٨ ، المغازى للواقدى ٢ : ٧٣٢) .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٥ .

إن التهلكةَ تركُ النفقة فى سبيل الله ، ليس التهلكةُ أن يُقْتَل الرجل فى سبيل الله ، ولكن الإمساك فى سبيل الله ، أَنفق ولو مِشْقَصًا .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : وٱستعمل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على المدينة أَبَا رُهْم ـ بضم الراء ، وسكون الهاء ـ الْغِفَارِىّ ـ رضى الله عنه ـ وقال ابن هشام : واستعمل عُوَيْف ـ بالواو والفاء ، تصغير عوف ، ويقال فيه عويث / ـ بتحتية فمثلثة ابن الأَضْبَطْ ـ بضادٍ معجمة ، فموحدة ، فطاء مهملة ـ رضى الله تعالى عنه ـ ٢٢٢ ط
وقال البَلَاذُرى : ٱستعمل أَبَا ذَرٍّ . ويقال : عويف بن الأَضبط والله أعلم .

* * *

ذكر ماساقه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الهدى وتقديمه السلاح والخيل امامه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن دينارٍ ـ رحمه الله تعالى ـ قال : جعلَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ناجية بن جندب الأَسلمى على هَدْيه ، يسيرُ به أَمامه ، يطلب الرَّعى فى الشجر ، معه أَربعة فتيانٍ من أَسلم ، زاد غيره : وأَبو هريرة .

وروى محمد بن عمر عن محمد بن إبراهيم بن الحرث قال : ساق رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فى القضية ستين بدنة وروى أَيضاً عن شعبة مولى[1] بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قَلَّدَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هَدْيه بيده .

ورَوَى أَيضاً عن عاصم بن عمر عن قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ قال : حمل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ السلاح ، والبيض ، والدروع ، والرماح وقاد مَائة فرس عليها محمد بن مَسْلَمَة ، فلما ٱنتهى إلى ذى الحُلَيْفَة قدّم الخيل أَمامه ، وٱستعمل على السلاح بشير بن سعد ، بالموحدة والشين المعجمة ، وزان أَمير ، فقيل يا رسول الله : حملْتَ السِّلَاح وقد شرطوا أَن لا ندخلها عليهم بنسلاحٍ إلاَّ سلاح المسافرِ ، السيوف فى الْقُرُب ! فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ « إِنَّا لَا نُدْخِله عليهم الْحَرَم ، ولَكِنْ يَكُونُ قريباً مِنَّا ، فَإِنْ هَاجَنَا هَيجٌ مِنَ القَومِ كَانَ السِّلَاحُ مِنَّا قريباً .

---

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٣٣ .

فمضى بالخيل محمد بن مسلمة – رضى الله عنه – إلى مَرِّ الظهران[1] ، فوجد بها نفراً من قريش فسألوه فقال : هذا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُصَبِّح هذا المنزل غدا إن شاء الله – تعالى – ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً ، حتَّى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذى رأوه من الخيل والسلاح ، ففزعت قريش ، وقالوا والله ما أحدثنا حدثًا ، وإنَّا على كتابنا ، ومُدَّتنا ، فَفِيمَ يَغْزُونَا محمدٌ فى أصحابه .

قال ابنُ عقبةَ – رحمه الله تعالى – : بعث رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – جعفر ابن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحٰرث يخطبها عليه ، قلت : وسيأتى بيانُ ذلك فى ترجمتها .

* * *

ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة وإحرامه

روى محمد بن عمر – رحمه الله – تعالى – عن جابر – رضى الله – تعالى عنه – قال : أحرم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من باب المسجد ، لأنه سلك طريق الفُرْع[2] ، ولولا ذلك لأهلَّ من البيداء . قالوا : وسار رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يلبى
٢٢٣ ظ والمسلمون معه يُلَبُّون ، حتَّى انتهى إلى / مَرِّ الظَّهْرَان ، وقدم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – السلاحَ إلى بطن يَأجَج حيث نظر إلى أَنْصَاب الحرم ، وبعثت قريش مِكْرز – بكسر الميم ، وسكون الكاف ، وكسر الراء ، وبالزاى – بن حفص فى نفرٍ من قريش حتى لقوه ببطن يأججَ ، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – فى أصحابه ، والهدىُ والسلاحُ قد تلاحق ، فقالوا له : والله يا محمد ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً – بالْغَدْر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك ، وقد شَرَطْتَ لهم أَلاَّ تَدْخُل إلاَّ بسلاح المسافر ؛ السيوف فى الْقُرُب !! فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – « إِنِّى لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِم بِسِلَاح . » فقال مِكْرز : هو الذى تُعْرَفُ به ، البرّ والوفاء ، ثم رجع مِكْرز سريعاً إلى مكة بأصحابه ، فقال : إن محمداً لا يدخلُ بسلاحٍ ، وهو على الشرط الذى شرطلكم .

---

(١) مر الظهران : واد قرب مكة يضاف إليه مر ، وهى قرية (شرح المواهب ٢ : ٢٥٤) .

(٢) الفرع : بضم الفاء وسكون الراء أوبضمهما (شرح المواهب ٢ : ٢٥٤) وقد سبق أن ضبطه المصنف بضم الفاء والراء .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : لما نزل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – مَرَّ الظَّهْرَان فى عمرته ، بلغ أصحابُه أن قُريشاً تقول ما يَتَبَاعثون من العَجَف[1] ، فقال أصحابه : لو انْتَحَرْنَا مِنْ ظَهْرِنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَحَسَوْنَا مِنْ مرقه ، أصبحنا غداً حين نَدْخُلُ عَلَى القَوْمِ وَبِنَا جَمامة[2] ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « لَا تَفْعَلُوا ، ولكن اجمعوا إلى من أَزْوَادِكُم » ، فَجَمَعُوا له ، وَبَسَطُوا الأَنطاع فأَكلوا حَتَّى تركوا ، وَحَشَا كُلٌّ وَاحِدٍ فى جرابه .

* * *

ذكر دخول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – قدم رسولُ الله – صلِّى الله عليه وسلَّم – مكة صبيحةَ الرابع من ذى الحجة ، ولمَّا جاءَ مِكْرزُ قُرَيْشًا بخبر رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – استنكف رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – غيظاً وحَنقا ، ونَفَاسة ، وأمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بالهدى أمامه حتى حُبِس بِذِى طُوى ، ودخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على راحلته القصواءِ وأصحابُه محدقون به ، قد توشَّحُوا السيوفَ يُلَبُّون ، فلما انتهى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى ذِى طُوًى وقف على راحلته والمسلمون حَوْله ، ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الْحَجُون .

وروى البخارى تعليقاً ، وعبد الرَّزاق ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حِبّان عن أنس – رضى الله عنه – وابن عقبة عن الزُّهْرى ، وابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم : أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – دخل مكة عام الْقَضِيَّة على ناقته وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها ، وهو يقول :

خَلُّوا بَنِى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِه[3] نَحْنُ ضَرَبْنَاكُم عَلَى تَأْويله

---

(1) يتباعثون من العجف : أى لايقوون على الحركة من الهزال (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٣٧) .

(2) الجمامة : البقية من القوة (هامش من المرجع السابق) .

(3) أنظر القصيدة فى شرح المواهب ٢ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧١ وفيها اختلاف عما جاء هنا – والمغازى للواقدى ٢ : ٧٣٦ .

ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِه وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِه
قَدْ أَنزَلَ الرَّحْمٰن فِى تَنْزِيلِه فِى صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِه
يَارَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ إِنِّى رَأَيْتُ الْحَقَّ فى قَبُوله

٢٢٣/ط فقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه / – يا ابن رواحة !! بين[١] يدى رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – وفى حرم الله – تعالى – تقول الشعر ؟ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « خَلِّ عَنْه يا عُمَر » فلهى[٢]أسرع فيهم من نضح النبل » . وفى رواية « يا عمر إنى أسمع ، فاسكتْ يا عمر »[٣] فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « يا ابن رواحة قل : « لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه ، نَصَرَ عَبْدَه ، وَأَعَزَّ جُنْدَه ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَه » . فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها .

* * *

ذكر طواف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ماشيا وما جاء انه طاف راكبا

روى الإمام أحمد ، والشيخان ، وابن إسحاق عن ابن عباس – رضى الله – تعالى عنهما – قال : « قدم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابُه مكَّةَ ، وقد وَهَنَتْهُم حُمَّى يَثْرِب ، فقال المشركون : إنه يقدُمُ غداً قومٌ قد وهنتهم الْحُمَّى ، ولقوا فيها شِدَّة ، فجلسوا على قُعَيْقِعَان مما يلى الْحِجْر ، فأطلع اللهُ – تعالى – نبيَّه على ما قالوا ، فلما دخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – المسجدَ اضطبع بردائه وأخرج عضده الأيمن ، ثم قال : « رَحِمَ اللهُ امرأً أراهم من نفسه قُوَّة » . وفى رواية : « أروهم مَا يَكْرَهُون» وأمرهم أن يُرْمِلُوا ثَلَاثَةَ أشواط ، ويمشوا بين الرُّكنين ، ليرى المشركون جَلَدَهُم ، ثم اَستلَمَ الركن ، وخرج يُهرولُ وأصحابُه معه ، حَتَّى إذَا وَاراه البيتُ منهم، واَسْتَلَم الرُّكْنَ [اليمانى[٤]] مشى حتى استلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سَائِرَهَا . قال ابن عباس : ولم يأمرهم أن يُرْمِلُوا الأَشْوَاطَ كلها لِلإِبْقَاء عَلَيْهِم ، فقال المشركون :

---

(١) استفهام محذوف الأداة ، وفى رواية بإثباتها (شرح المواهب ٢ : ٢٥٦) .
(٢) أى هذه الجملة أو الأبيات أو الكلمات .
(٣) وفى رواية « فأسكت عمر » شرح المواهب ٢ : ٢٥٧ . وهى توافق نسخة صنعاء .
(٤) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧١ .

« هَؤُلَاءِ الذين زعمتم أن الحُمَّى قَدْ وهنتهم ؟ هؤلاءِ أجلد من كذا وكذا ، ما يرضون بالمشى ، أما إنهم لينقزون نقز الظَّبى » وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يكايدهم كلَّمَا اَستطاع .

قال محمد بن [عمر ، وابن[1]] سعد وغيرهم : ولم يزل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يُلَبِّى حَتَّى اَستلم الرّكنَ بمحجنه .

وروى الحُمَيْدىُّ والبخارى ، والإسْمٰعيلى عن عبد الله بن أَبى أَوْفَى ـ رضى الله عنه ـ قال : لما اعتمر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سترناه من غلمان المشركين ، وفى رواية مِنَ السُّفَهَاءِ والصبيان مَخَافَةَ أَن يؤذوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وروى يُونُس ابنُ بكير ـ رحمه الله تعالى ـ عن زيد بن أسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دَخَلَ عَامَ القضية مكَّةَ ، فطاف على نَاقَتِهِ ، واستلم الركن بمحجنه . قال هشام ، وابن سعد : مِنْ غير ـ عِلَّةٍ ـ والمسلمون يشتدُّون حَوْلَ رسول الله ـ صلَّى الله عليه ـ وسلَّم / وابن رواحة يقول الرجز السابق : وذكر محمد بن عمر ، وابن سعد : أَنَّ رسولَ الله / ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ طاف رَاكِبًا ، وتبعهما القطبُ فى المورد . ٢٢٤ و

* * *

ذكر دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيت

روى البيهقى من طريق محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لما قضى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ طوافه فى عمرة القضاء دَخَلَ البيتَ ، فلم يزل فيه حتَّى أَذَّن بلال بالصبح ، فوق ظهر الكعبة ، وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أمره بذلك ، فقال عكرمةُ بنُ أَبِى جَهْل ـ وأسلم بعد ذلك ـ لقد أكرم الله ـ تعالى ـ أبا الحكم ، حيث لم يسمع هذا العبد يقولُ ما يقول .

وقال صفوانُ بن أمية ـ وأسلم بعد ذلك ـ الحمدُ لله الَّذى أذهب أَبى قبل أن يرى هذا .

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت يستقيم به السياق .

وقال خالد بن أَسِيد – كأمير – وأسلم بعد ذلك : الحمدُ لله الَّذى أمات أَبى ولم يشهدْ هذا اليوم حين يقومُ بلال [ابن أم بلال[1]] ينهق فوق الكعبة

وأمَّا سُهيل بن عمرو – وأسلم بعد ذلك – ورجالٌ معه لما سمعوا ذلك غطوا وجوههم ، كذا فى هذه الرِّواية : أنَّ النَّبى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – دخل البيتَ .

وروى البخاريُّ عن إسماعيل بن أَبى خالد – رحمه الله تعالى – أَنَّ رجلاً سأَل ابن أَبِى أَوْفَى – رضى الله عنه –أكان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – دخل فى القضيَّة الكعبة؟ قال : لا .

وقال محمد بن عمر بعد أن رَوَى ما سبق عن ابن عباس : حدثنى إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحُصَيْن قال : لم يَدْخُلْ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الكعبةَ فى القضيَّة . وقد أَرسل إليهم ، فأَبوا وقالوا : لم يكن فى شرطك .

* * *

ذكر سعيه – صلى الله عليه وسلم – بين الصفا والمروة

روى محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – طاف بين الصَّفَا والمروة على راحلته ، فلما كان الطَّوَافُ السَّابع عند الْمَرْوَة عند فراغه – وقد وقف الهدى عند المَرْوَة – قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « هذا المنحر وكل فِجَاج مكة مَنْحَر ، فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَة .

قال محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – وقد كان اعتمر مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قومٌ لم يشهدوا الْحُدَيْبية فلم يَنحُروا ، فأَمَّا من شهدها وخرج فى الْقَضِيَّةِ فإنهم اشتركوا فى الهَدْى . وأمر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مائتين من أَصحابه حين طافوا بالبيت وسعوا أَن يذهبُوا إلى أَصحابه ببطن يَأْجَج فيقيمون على السِّلاَح ، ويأْتى الآخرون فيقضوا نُسُكَهُم ففعلوا .

---

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٣٨ .

ذكر خروجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة

روى محمد بن عمر عن عمر بن على بن أبي طالب ــ رحمه الله تعالى ــ قال : لما كان عند الظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو ، وحُوَيْطب / بن عبد الْعُزَّى ــ وأسلما بعد ٢٢٤ ط ذلك قال ابن إسحاق : وكانت قريش قَدْ وَكَّلَتْ حُوَيْطب بإخراج رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ فأتياه وهو فى مجلسٍ من الأنصار يتحدث مع سعد بن عُبَادة ، فَقَالاَ : قد انْقَضَى أجلك ، فأخرج عَنَّا ، فقال رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ : « وما عليكم لَوْ تركتمونى فَأَعْرَسْت بين أظهركم فَصَنَعْت طعاماً ؟! » فقالا : لاَ حاجة لَنَا فى طَعَامِك اخرج عنَّا ، نَنْشُدُكَ الله يا محمد ، والعقد[١] الذى بيننا وبينك إلاَّ خَرَجْتَ مِنْ أرضنا ، فهذه الثلاثة قد مضت .

وكان رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم ينزل بَيْتَا ، إنَّمَا ضُرِبَتْ له قُبَّة من أديمٍ بالأبطح ، فكان هناك حَتَّى خرج مِنْهَا ، ولم يدخل تحت سقف بيت مِنْ بُيُوتها ، فَغَضِبَ سعد بن عُبَادة ــ رضى الله عنه ــ لِما رأى من غَلظة كلامهم للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال لِسُهَيْل بن عمرو : كذبت لا أمَّ لك ليست بأرضك ولا أرض أبيك ، والله لا يخرج منها إلاَّ طائعاً راضياً ، فتبسَّم رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقال يا سعد : لا تؤذ قوماً زارونا فى رحالنا ، وأُسْكِت الرجلان عن سعد .

وفى الصحيح عن البراء بن عازب ــ رضى الله عنهما ــ أن الأجل لما مضى أتى المشركون عليًّا ــ رضى الله عنه ــ فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عَنَّا فقد مضى الأَجل ، فذكر ذلك على ــ رضى الله عنه ــ لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبا رافع ــ بالرحيل ، وقال : لا يُمْسِيَن بها أَحَدٌ من المسلمين » وَرَكِبَ رسولُ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ [حتى نزل[٢]] بسَرِف ، وتَتَامَّ النَاس ، وخَلَّفَ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبا رافع ليحمل إليه زَوْجَتَه مَيْمُونَة حين يُمْسِى ، فأقام أبو رَافع حتَّى

(١) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٤٠ « العهد » .
(٢) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٤٠ .

أمْسَى ، فخرج بمَيْمُونَة وَمَن معها ، وَلَقِيَتْ مِنْ سفهاءِ مكة عناء ، وسيأْتى الكلام على دخول رسول الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — بها فى ترجمتها .

* * *

ذكر خروج ابنة حمزة — رضى الله عنها

روى الشيخان عن البراء بن عازب ، والإمام أحمد عن على ، ومحمد بن عمر عن ابن عبّاس — رضى الله عنهم — قال ابن عباس : إن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب ، وقيل ٱسمها أُمامَة[1] قال الحافظ : وهو المشهور وأُمها سَلْمَى بنت عُمَيْس ، كانت بمكَّة ، فلما قَدِمَ رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — مكة كلَّم على بنُ أَبى طالب — رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — فقال عَلاَمَ نترك ٱبنة عَمِّنَا يتيمةً بين ظهرانى المشركين ؟ ، فلم ينهه رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — فَخَرَج بِهَا .

وقال البراء : إنَّ رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — لما خرج تبعته ٱبنةُ حمزة تُنَادى يَا عَمِّى يَا عَمِّى ، فتناولها علىٌّ فأَخذ بيدها . وقال لفاطمة — رضى الله عنها — : دونك ٱبنة عمك ، فٱختصم فيها . زيد وعلى وجعفر ، أى بعد أَن قَدِمُوا المدينة كما سيأْتى .

٢٢٥ و وكان زيد وصىٌّ حمزة ، وكان رسولُ / الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — قد واخى بينهما حين واخى بين المهاجرين . فقال على : أنا أَحق بها ، وهى ٱبنة عَمِّى ، وأَنا أَخرجتها مِنْ بين أَظهر المشركين ، وقال جعفر : بنت عَمِّى وخالتها أَسماء بنت عُميس تحتى . وقال زيد : بنت أَخى . فقضى فيها رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — لخالتها ، وقال : « الْخَالَةُ بِمَنْزِلَة الأُم » وقال لعلى : « أَنْتَ مِنِّى وَأَنَا مِنْكَ » . وفى حديث ابن عباس — رضى الله عنه — « وَأَمَّا أَنت يا عَلِىّ فأَخى وَصَاحِبِى » وقال لجعفر : « أَشْبَهْتَ خَلْقِى وخُلقى » . وقال لزيد : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا » . وفى حديث ابن عباس — رضى الله عنه — « أَنْتَ مَوْلَى اللهِ وَرَسُولِه » .

---

(١) قالوا : أمامة ، أو عمارة ، أوسلمى ، أو فاطمة ، أو أمة الله ، أو عائشة ، أو يعلى . أقوال : سبعة وقال الحافظ : أمامة هو المشهور . وترجم به فى الإصابة ، وعزاه لأبى جعفر بن حبيب وابن الكلبى والخطيب فى المبهمات ، وسماها الواقدى عمارة ، وابن السكن فاطمة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٥٩) .

قال محمد بن عمر : فلمَّا قَضَى بها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لجعفر قام جعفر فَحَجل حولَ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ـ : « ما هذا يَا جَعْفر » ؟ قَالَ : يا رسولَ الله ، كان النجاشى إذَا أَرضى أحداً قام فحجل .

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ ثم انْصرَف رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى ذى الحجة .

وكان عِدَّةُ المسلمين سوى النِّساء والصِّبْيَان أَلفين .

قال ابن هشام ـ رحمه الله ـ تعالى ـ : فأَنزل الله ـ تعالى ـ فيما حدَّثنى أَبو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا[1] ﴾ يعنى خيبر .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : يقال لهذه العمرة عمرةُ الْقِصَاص . قال السُّهَيْلى ـ رحمه الله ـ تعالى ـ وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاص[2] ﴾ ورواه عبد بن حُميد بسندٍ صحيحٍ عن مجاهد ، وبه جزم سُليمان التيمى فى مغازيه وهذه الآية نزلت فيها كما تقدم .

ويقال لها : عمرةُ الْقَضَاء ، واختلف فى تسميتها بذلك ، فقال السُّهيلى : لأَنَّ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قاضى قُرَيْشًا عليها . لأَنه قَضَى العُمْرَةَ الَّتِى صُدَّ عن البيت فيها ؛ فإنها لم تكن فسدت بِصَدِّهم له عن البيت ، بل كانت عمرة تَامَّةً

(١) سورة الفتح آية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤ .

متقبلة ، حَتَّى إنهم حين حَلَقُوا شُعُورَهم بالحِلِّ احتملتها الريح فألقتها بالحرم ، فهى مَعْدُودَةٌ فى عُمَرِ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – زادْ القاضى[1] : فالمراد بالقضاءِ الفصل الذى وقع عليه الصُّلح ، ولذلك يقال لها عُمْرَةُ القضيةْ .

قال أهل اللُّغة : قَاضَى فُلاَنٌ فُلاَناً : عاهده ، وقاضاه : عاوضه ، فيحتمل تسميتها بالأمرين ، ويرجح الثانى تسميتها قِصَاصًا .

وقال آخرون : بل كانت قَضَاءً عن العمرة الأُولى ، وَعَدَّ عمرةِ الحديبية فى العمر لثبوتِ الأجرِ فيها لَا لِأَنَّهَا كَمُلَت ، وهذا خلافٌ مَبْنِيٌّ على الاختلاف فى وُجُوبِ ٢٢٥ ط القضاء على من اعتمر فَصُدَّ عن البيت . فقال الجمهور / : يجب عليه الْهَدْى ، ولا قَضَاءَ عليه .

وعن الإمام أَبِي حنيفة – رحمه الله – تعالى – عكسه ، وعن الإمام أحمد رواية : أنه لا يلزمه هدى ولا قضاء وأُخرى أنه يلزمه الْهَدْى والقضاء ، وبيان حجج كُلٍّ ليس مِنْ غَرَضِنَا .

وقال ابن إسحاق : تُسَمَّى أيضاً عمرةُ الصُّلْح اهـ.

فتحصَّل من أسمائها أربعة : الْقَضَاء ، والْقَضِيَّةُ ، والْقِصَاصُ والصُّلْح .

الثانى : وجهوا كون هذه العمرة غزوة بأن موسى بن عقبة ذكر فى المغازى عن ابن شهاب أنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – خرج مُسْتَعِدًّا بِالسِّلَاح والْمُقَاتَلِةِ خَشْيَةَ أن يقع من قريش غَدْر ، ولا يلزم من إطلاق الْغَزْوةِ وقوع الْمُقَاتَلَة .

وقال ابن الأَثير – رحمه الله تعالى – فى الجامع : هذه الْعُمْرَة ليست من الغزوات ، وذكرها البخارى فى الغزوات حيث تَضَمنتْ ذكر المصالحة مع المشركين .

الثالث : قال ابن هشام – رحمه الله تعالى – قوله : « نحن قتلناكم على تأْويله » إلى آخر الأَبيات لِعَمَّار بن ياسر فى غير هذا اليوم ، قال السُّهَيْلى : يعنى يوم صفِّين .

---

(١) أى القاضى عياض (شرح المواهب ٢ : ٢٥٣) .

قال ابن هِشام : والدليل على ذلك أَنَّ ابن رَوَاحَة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل ، وإنَّمَا يقاتَلُ على التأويل من أَقَرَّ بالتنزيل . قال فى البداية : وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإن الْبَيْهَقِىّ رَوَى من غَيْرِ وَجْهٍ عن عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهرِى عن أنس قال : لما دَخَلَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكة فى عُمْرَة الْقَضَاء مَشَى عبد الله بن رواحة بين يديه وفى روايةٍ وهو آخذ بغرزه وهو يقول الأَبيات السابقة . ورواه عن يزيد بن أسلم ـ كما سبق ـ وقد تابع ابن إسحاق على ذلك ابن عُقْبَةَ وغيره ، وقال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ إذا ثبتت الرِّوَايَة فَلاَ مانع من إطلاق ذلك ، فإنَّ التقدير على رأى ابن هشام : نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْويله أى حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل ، ويجوز أن يكون التقدير : نحن ضربناكم على تأْويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإذا كان ذلك محتملاً ، وثبتت الرِّوايةُ سقط الاعتراض . نعم الروايةُ التى جاءَ فيها .

« فَالْيَوْمَ نَضْربكم عَلَى تأْويله » يظهر أنه قول عمار ، ويبعد أَن يكون مِنْ قول ابن رواحة ، لأَنه لم يقع فى عُمْرَةِ القضاء ضَرْبٌ ولا قِتَال ، وصَحِيْحُ الرِّوَايَةِ .

« نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْويله . كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيله .

يُشِير بِكُلٍ منهما إلى ما مضى ، ولا مانع من أن يتمثل عَمَّارُ بنُ ياسر بهذا الرجز ويقول : هذه اللفظة ، ومعنى قوله : « نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْويله » أى الآن ، وجاز تسكين الباء لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ ، بل هى لغة قُرِىءَ بها فى المشهور .

الرابع : قال الحافظ أبو عيسى التِّرْمذى ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بعد أن ذكر رجز ابن رَوَاحة ، ثم قال : وفى غير هذا الحديث أن هذه الْقِصّة لكعبِ بنْ مَالك ، وهو الأَصح ، لأَن عبد الله بن رواحة قُتِلَ بمؤته ، وكانت عمرة الْقَضَاء بعد ذلك ، قال الحافظ ـ رحمه الله ـ وهو ذهول شديد ، وغَلَطٌ مردود ، وَمَا أَدْرِى كيف وقع الترمذى فى ذلك ، ومع أَنَّ فى قِصَّةِ عُمْرَةِ الْقَضَاء اختصام جعفر وأخيه علىّ ، وزيد بن حارثة فى بنْتِ حمزة ، أى كما سبق / وجعفر قُتِلَ هُوَ وَزَيْد وابن رواحة فى موطن واحد ، ٢٢٦ و

فكيف يَخْفَى على التِّرْمذى مثل هذا . ثم وجدت عند بعضهم أن الَّذى عند التِّرْمِذى من حديث أنس : أنَّ ذلك كان فى فتح مكة . فإن كان كذلك اتجه اعتراض التِّرمذى ، لكن الموجود بخطِّ الكروخى راوى الترمذى على ما تقدم . قلت : وكذلك رأيته فى عِدَّةِ نسخ من جامع الترمذى .

الخامس : مجئ سُهيل ، وحُوَيْطِب يَطْلُبانِ رَحِيلَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – نصف النهار ، الظاهر أنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – دخل فى أوائل النهار ، فلم تكمل الثلاث إلا فى مثل ذلك الوقت من النهَّار الرابع الذى دخل فيه بالتلفيق ، وكان مجيئهم فى أول النهار قريب مجئ ذلك الوقت .

السادس : « قول ابنة حمزة يا عم » كأنها خاطبت النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذلك إجلالا ، وإلاَّ فهو ابن عمها ، أو بالنسبة إلى كون حمزة – وإن كان عمه من النسب – فهو أخوه من الرَّضَاعَة .

وكانت خُصُومَةُ عَلِيٍّ وجعفر ، وزيد فى ابنة حمزة بعد أن قَدِمُوا المدينة ، كما صح ذلك من حديث عَلِيٍّ عند أحمد ، والحاكم .

السابع : أقر النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – عَلِيًّا على أخذها من مكة مع اشتراط المشركين ألاَّ يخرج بأحدٍ من أهلها أراد الخُرُوجَ ؛ لأنهم لم يَطْلُبُوهَا ، وأيضاً فإنَّ النِّسَاء المؤمناتِ لم يَدْخُلْنَ فى ذلك ، لكن إنَّمَا نزل القرآن بعد رُجُوعهم إلى المدينة .

الثامن : فى بيان غريب ما سبق :

التَّهْلُكَةُ : الهلاك ، وهو من نوادر المصادر .

الْمِشقَص – بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح القاق ؛ سهم فيه نصل عريض ، والجمع مشاقص .

تقليدُ الهدْى : أى تُعَلَّق بعنق البعير قطعةٌ من جلدٍ لِيُعْلَمَ أَنَّه هَدْى فيكفَّ النَّاسُ عنه .

ذو الْحُلَيْفَة – بضم الحاء المهملة تصغير الْحَلَفَة بفتحات ، واحد الْحَلْفَاء ؛ وهو النبات المعروف .

هَاجَه : حركه ؛ الْهَيَجُ – بفتح الهاء ، والتحتية ، وبالجيم : الحرب .

مَرّ الظَّهران : تقدم الكلام عليه غير مَرَّة .

* * *

شرح غريب ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة

قوله الْفُرُعْ – بضم الفاء ، والراء ، وبالعين المهملة : عمل واسع من أعمال المدينة .

البيداء : فى الأَصل المفازة ، وهنا الشرف الذى قُدَّام ذى الحليفة إلى جهة مكة .

يَأْجَج – بتحتية ، فهمزة ساكنة ، فجيمين ؛ الأُولى مفتوحة – وقد تكسر : واد قريب من مكة .

أَنْصَاب الحرم : الأَعلام على حدوده .

الْعَجَف ، وزان التَّعَب : الضعف .

حَسَوْنا – بحاءٍ فسين مهملتين مفتوحتين ، فواو ساكنة ، فنون : شربنا .

الْحَنَقُ – بفتح الحاء المهملة ، والنون وبالقاف : الغيظ(1)

النفاسة – يقال نَفِسَ الشئ بالكسر نفاسةً : حسده عليه ولم يره أَهْلاً له .

ذى طوًى – بتثليث الطاء : وادٍ بقرب مكة ، يصرف ولا يصرف .

القصواء : كحمراءَ .

محدقين : محيطين .

توشح السيف : أَلقى طرف علاقته على منكبه الأَيمن من تحت يده اليسرى ، ويأْخذ طرفه الذى أَلقاه على منكبه الأَيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقدهما على صدره .

---

(1) وفى اللسان : الغيظ الذى يلازم الإنسان .

الثَّنِيّة : كل عقبة مَسْلُوكَة .

الحَجُون ـ بفتح الحاء المهملة ، وضم الجيم ، وبالواو ، والنون : جبل بمكة .

الْهَامُ . جمع هامة / . وهى الرأس . ٢٢٦ ط

وَهَنَتْهم الْحُمَّى أصعفتهم .

اضطبع بثوبه : جعل وسط الثوب تحت الإبط اليُمنى ، وطرفه على الكتف اليسرى .

العضد ـ بفتح العين المهملة ، وضم الضاد المعجمة وتسكن ، وبفتح العين ، وكسر الضاد ، وبضمهما ، وبضم العين وسكون الضاد : خمس لغات ، وهى مؤنثة عند أهل تهامة ، وتُذَكَّر عند بنى تميم : وهى ما بين الْمِرْفَق والْكَتِف .

رَملَ فى طوافه ـ بالراء هرول .

الأشواط ـ بالشين المعجمة جمع شوط : وهو الجرى إلى الغاية ، وهى هنا من الحجر إلى الحجر .

جلدهم ـ بفتح الجيم واللام : قُوتّهم وصبرهم .

وَاراه : ستره .

أبقى عليه : رفق [به وأشفق][1] عليه .

قُعَيْقِعَان ـ بقافين ، الأُولى مضمومة ، بعد كل منهما عين مهملة وبعد الأُولى تحتية : جبل بمكة .

نقز ـ بالقاف والزاى : وثب .

الظُّبَى ـ جمع ظبى : حيوان معروف .

---

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٢٥٨ .

الْمِحْجَنُ – بكسر الميم ، وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم : عصا مقنعة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه .

يشتدون : يعدون .

المروة : جبل معروف بمكة .

الْفِجَاجُ – بكسر الفاء جمع فج ، وبالفتح : هو الطريق الواسع .

نَنْشُدُكَ الله : نذكرك به ونستعطِفُك ، أَو نسأَلك به ، مُقْسِمين عليك .

الأَبطح : كل مسيل فيه دقاقُ الحصى ، والمراد هنا مكان معروفٌ بمكة .

سَرِف – بفتح السين المهملة وكسر الرَّاء ، وبالفاء : ما بين التَّنْعِيم وَبَطْنِ مَرْو ، وهو إلى التنعيم أقرب .

حَجَلَ – بحاءٍ مهملة ، فجيم ، فلام مفتوحات : رفع رِجلاً وقفز على الأُخرى من الفرح ، وقد يكون بالرِّجْلَيْن ، إلاَّ انه قفز ، وقيل الْحَجَلُ : المشى المقيد .

الباب السابع والعشرون

فى غزوة الفتح الأَعظم الذى أعزّ الله تعالى به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأَمين[1]

وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأشرق به وَجْهُ الأَرض ضياءً وٱبْتِهاجاً ، وكان فى شهر رَمَضَان سنةَ ثمانٍ . قال ابن عباس – رضى الله عنهما – غزا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – غزوة الفتح فى رمضان .

قال الزُّهرى : وسمعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول مثل ذلك ، رواه البخارى .

* * *

ذكر الأسباب الموجبة للمسير الى مكة

كانت خُزَاعةُ فى الجاهلية أصابوا رجلاً من بنى الْحَضْرَمِىّ واسمه مَالِك بن عَبَّاد ، وحِلْفُ الْحَضْرَمِىِّ يومئذٍ إلى الأَسود بن رَزْن ، خرج تاجراً ، فلمَّا توسَّط أرض خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه فقتلوه وأَخذوا ماله فَمَرَّ رَجُلٌ من خُزَاعة على بنى الدِّيل بعد ذلك فقتلوه ، فوقعت الحربُ بينهم ، فمرّ بنو الأَسود بن رَزْن . وهم ذُؤيب ، وسُلمى ، وكُلْثُوم
٢٢٧ و على خُزَاعَة فقتلوهم بعرفة عند أَنْصَاب الحرم ، وكان قومُ الأَسْود مَنْخَر[2] بنى / كنانة يُودَوْنَ فى الجاهلية دِيَتَيْنِ لفضلهم فى بنى بكر ، ونُودَى دية ، فبينا بنو بَكْرٍ وخُزَاعة على ذلك بُعِثَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَحُجز بالإسلام بينهم ، وتشاغل النَّاس به – وهم على ما هم عليه من العداوة فى أنفسهم – فلمَّا كان صُلْحُ الْحُدَيْبِيَة بين رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – وبين قريش ، ووقع الشَّرْطُ « ومن أَحَبَّ أن يدخُل فِى عقْدِ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فليدخل ، ومن أرادَ أن يدخل فى عقْدِ قريش

---

(١) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٨٨ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٨٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٦ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٨٠ . وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٨٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٨١ .

(٢) و ابن كثير وهم مفخر بنى كنانة ٣ / ٨٢٥ .

فليدخل » فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فى عقْدِ رسولِ - صلى الله عليه وسلم - وكانت خُزَاعَةُ حلفاء عبد المطلب بن هاشم ، وكان رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلم - بذلك عارِفاً، ولقد جاءته خُزَاعَةُ يومئذٍ بكتاب[1] عبد المطلب فقرأه عليه أُبَىُّ بنُ كعب - رضى الله عنه - وهو : « باسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هَذَا حِلْفُ عَبْدِ المطَّلب بنِ هَاشِمٍ لخزاعة ، إذ قَدِمَ عليه سَرَوَاتُهم وأَهْلُ الرأى ، غائبهم مُقِرٌّ بما قَاضَى عليه شَاهِدُهُم ، إنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم عهودَ الله وعقودَه ، وَمَالَا يُنْسَى أبداً ، اليَدُ وَاحِدة ، والنصرُ وَاحِد ما أشرف ثبير ، وثبت حراء مكانه وما بلَّ بحرٌ صوفة، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أبَدَ الدهرِ سرمدا . فَقَالَ رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - : « مَا أَعْرَفَنِى بِخُلُقِكُم وَأَنْتُم عَلَى مَا أَسْلَمْتُمْ عَلَيْه مِنَ الْحِلْفِ ! فكُلُّ حِلْفٍ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ فلا يزيده الإسلام إلاَّ شِدة وَلَا حِلْفَ فِى الإِسْلَامِ .

* * *

ذكر نقض قريش العهـد

لما دَخَل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صُلْحِ الحديبية ، كلمت بنو نُفَاثة وبنو بكر أشرافَ قريش أن يُعِينُوهم بالرِّجَال والسّلاح على عَدُوِّهم من خُزَاعة ، وَذَكَّروهم القتلى الذين أصابت خُزَاعَةُ منهم ، وأرادُوا أن يُصيبُوا منهم ثأْر أُولئك النَّفَرِ الذين أصابوا منهم فى بنى الأَسود بن رَزْن ، وناشدوهم بأَرْحامهم ، وأخبروهم بدخولهم فى عقْدِهِم وعدم الإسلام ، ودخول خُزَاعَةَ فى عقْدِ محمد وَعهده ، فوجَدُوا القوْمَ إلى ذلك سِرَاعاً ، إلا أن أبَا سُفْيَانَ بن حربٍ لم يُشاوَر فى ذلك ولم يَعْلم ، ويُقَالُ إنهم ذاكروه فأَبَى ذلك ، فأعانوا بالسِّلاح والْكُرَاع والرِّجَال ، ودسُّوا ذلك سِرًّا لئلاَّ تحذر خزاعة ، وخزاعة آمنون غارون لحال المُوادَعة ، وَلِمَا حجز الإسلام بينهم .

ثم اتَّعَدَت قريش وبنو بكرٍ وبنو نُفَاثة الْوَتير[2] ، [3] وهو موضع أسفل مكة ، وهو ماء لخزاعة[3] فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش من كبارهم متنكرون منتقبون ؛

---

(١) انظر كتاب عبد المطلب لخزاعة فى شرح المواهب ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٢) الوتير : هو الورد الأبيض سمى به الماء (شرح المواهب ٢ : ٢٨٩) .

(٣) مابين الرقين إضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٣ ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٨٦ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٠ .

صفوان بن أُمية ، وعكرمة بن أَبى جهل ، وحُوَيْطب[1] بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان ـ ـ وأسلموا بعد ذلك ـ ومكرز بن حفص ، وأجلبوا معهم أرقاءهم ، ورأس بنى بكرٍ نوفل بن معاوية الدّئلى[2] ـ وأسلم بعدذلك ـ فبيَّتُوا خُزَاعَةَ ليلاً وهم غَارُون آمنون ـ وعامّتهم صِبْيَانٌ ونساءٌ وضُعَفَاءُ الرِّجال ـ فلم يزالوا يقتلونهم حتى أنتهوا إلى أَنْصَابِ الْحَرَم ،

٢٢٧ ط فقال أصحاب نَوْفَل بن / معاوية له : يا نوفل إلهك إلهك قَدْ دخلْتَ الحرم ! فقال : كلمةٌ عظيمة ، لا إله لى اليوم ، يا بنى بكر ، لعمرى إنكم لَتَسْرِقُون الحاج فى الحرم ، أفلا تدركون ثأْركم من عدوكم ، ولا يتأخر أحدٌ منكم بعد يومه عن ثأْره ؟! فلمَّا أنتهت خُزَاعَةَ إلى الحرم دخلت دارَ بديل بن ورقاء ، وَدَارَ مولى لهم يقال له رافع ـ الْخُزَاعِيين ، وأنتهوا بهم فى عِمَايةِ الصُّبْح ، ودخلت رؤساءُ قريش منازلَهُم وهم يظُنُّون أنهم لا يعرفُون ، وأنه لا يَبْلُغُ هذا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصبحتْ خُزَاعَةُ مُقَتَّلِين على باب بديل ورافع .

وقال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث : قَدْ رأيت الَّذى صنعنا بك وبأَصحابك وَمَنْ قتلت من القوم ، وأنت قد حصدتهم تريد قتل مَنْ بقى ، وهذا ما لا نُطَاوعك عليه ، فاتركهم فتركهم ، فخرجوا وندمت قريش ، ونَدِمُوا على ما صَنَعُوا ، وعرفُوا أَنَّ هذا الذى صنعوه نقضٌ للذِّمة والعهد الذى بينهم وبَيْنَ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجاءَ الحارثُ بنُ هِشَام ، وعبد الله بن أَبى ربيعة إلى صَفْوان بن أُمية ، وإلى سُهيل ابن عمرو وعكرمة بن أَبى جهل فَلامُوهم بما صنعوا من عَوْنِهم بنى بكر على خُزَاعَة ـ وقالوا : إنَّ بينكم وبين محمدٍ مُدَّةً وهذا نقض لها .

* * *

ذكر إعلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما حصل لخزاعة يوم اصيبوا

روى محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ أَن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بنى نُفَاثَة وخُزَاعة بالوَتِير : « يَا عَائِشَة : لَقَدْ حَدَثَ

---

(١) حويطب كذا فى الواقدى ٢ : ٧٨٣ وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٨٧ ، وسيرد فى شرح غريب المفردات « خويطب » بخاء معجمة مكسورة .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٣ « الدئلى » .

فِى خُزَاعَةَ أَمْرٌ[1] » فقالت عائشة : يَا رسول الله ، أَتَرى قريشاً تجترئ على نَقْض العهد الذى بَيْنَكَ وبينهم ، وقد أفناهم السيفِ ؟ فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : « ينْقُضُونَ العَهْدَ لِأَمرٍ يُرِيدُه اللهُ تَعَالَى » فقالت : يا رسولَ الله « خير » قال : « خير[2] »

وروى الطَّبَرَانِىُّ فى الكبير والصغير عن مَيْمُونَة بنت الحارث - رضى الله عنهما - أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بات عندها ليلةً ، فقام ليتوضأَ إلى الصَّلاة ، فسمعته يقول فى مُتَوَضَّئِه : « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ - ثلاثاً - نُصِرْتَ نُصِرْتَ نُصِرْتَ - ثلاثاً - » فلما خرج ، قلتُ : يا رسولَ الله ، سمعتُك تَقُول فى متوضئك « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ - ثَلاثا » - نُصِرْتُ نُصِرْتُ » ثلاثا ، كأَنك تكلِّمُ إنساناً ، فهل كان معك أحد ؟ قال : « هَذَا رَاجِزُ بَنِى كَعْب يَسْتَصْرِخُنِى ، وَيَزْعُمُ أَنَّ قُرَيشاً أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ بَكْرَ بْنَ وائِل » . قالت ميمونة : فأَقمنا ثلاثا ثم صلَّى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - الصبح بالناس فسمعتُ الرَّاجز ينشد :

يَارَبِّ إِنِّى نَاشِـــدٌ مُحَمَّدَا حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيـــه الأَتْلَـــدَا

فذكرت الرجز الآتى .

* * *

ذكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره بما وقع لهم / ٢٢٨ و

روى الطَّبَرَانِىُّ فى الكبير والصَّغير عن ميمونة بنت الحارث ، والْبَزَّارُ بسندٍ جيِّد عن أَبى هريرة - رضى الله عنه - وابنُ أَبى شَيْبَةَ فى المصنف عن عكرمة ، والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه : أن عَمْرَو بْنَ سالم الْخُزَاعِى خرج فى أربعين راكباً من خُزَاعَةَ يستنصرون رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ويخبرونه بالذى أَصابهم ، وَمَا ظاهرت عليهم قريشٌ ومعاونتهم لهم بالرجال ، والسِّلاَح ، والْكُرَاع ، وحُضُورِ صفوان بن أُمية وعكرمة ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ قُرَيْش ، وَأَخْبَرُوه بِالخبر ورسولُ

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٨ « لقد جرت فى أمر خزاعة » .

(٢) فى المرجع السابق « قالت عائشة : خير أو شر يارسول الله ؟ قال : خير »

الله – صلى الله عليه وسلم – جالس فى المسجد بين أَظْهُرِ الناس ، ورأْس خزاعة عَمْرُو ابنُ سالم ، فلما فرغوا من قِصَّتِهِم ، قام عمرو بن سالم فقال[1] :

يارَبِّ إِنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّـــدًا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيــهِ الأَتْلَـدَا
قَــدْ كُنْتُمْ وُلْداً وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَــدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُــوكَ المَوْعِدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المُؤَكَّـــدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدًا[2] ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَـــدَدَا
هُمْ بَيَّتُونَا بِالوَتِيــرِ هُجَّدَا ... وَقَتَّلُونَا رُكَّعـــا وَسُجَّدَا[3]
وَجَعَلُـــوا لى فى كَدَاءٍ رُصَّدَا ... فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْرًا أَيدا[4]
وادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَـــددا ... فيهم رسولُ اللهِ قَــدْ تَجَرَّدَا
أَنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّــدا ... فِى فَيْلَقٍ كَالبحْرِ يَجْرِى مُزْبدَا

قَرْم لقرم من قروم أَصْيَـــدَا

فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بن سَالِم » فما برح حتَّى مرت عَنَانَةٌ[5] من السماءِ فرَعَدَت ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِى كَعْب » .

وروى أبو يَعْلَى بسندٍ جَيِّدٍ عن عائِشة – رضى الله عنهما – قالت : لقد رأيت

---

(١) انظر الشعر فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٠ وقد وردت القصيدة بروايات مختلفة .

(٢) فى الأصول (أن ليس تدعو أحدا ..) والمثبت عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ .

(٣) فى الأصول (.. تتلوا القرآن ركعاً وسجداً ..) والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ونهاية الأرب ١٧ : ٢٨٨ .

(٤) سيأتى فى شرح غريب المفردات أن المصنف اختار مكة « اعتدا » بدل « أيداً » وجعل أيدا رواية مرجوحة وقد أثبتها اتباعاً لنهاية الأرب . والسيرة النبوية لابن كثير ، وشرح المواهب وسيرة النبى لابن هشام .

(٥) العنانة : السحاب هامش السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ . وشرح المواهب ٢ : ٢٩٢

رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ غضب مِمَّا كان مِنْ شَأن بنى كَعْب غضباً لم أرهُ غضبه مُنْذُ زمان . وقال : « لَا نَصرَنِى اللهُ ـ تعالى ـ إنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِى كَعْب » .

وروى محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن عبَّاس ـ رضى الله عنهما ـ أَن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما سمع ما أصاب خُزَاعَة ، قام ـ وهو يَجُرُّ رِدَاءَه ـ وهو يقول : « لَانصِرْتُ إنْ لَمْ أَنْصر بَنِى كَعْبٍ مِمَّا أَنْصر مِنْهُ نَفْسِى » .

وروى عبد الرزَّاق وغيره عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أَن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لَمَّا بلغه خَبَرُ خُزَاعَة قال : « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لَأَمْنَعَنَّهُم مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِى وَأَهْلِى وَبَيْتِى » .

قال ابن إسحاق وغيره : وقدم بذلك ورقاءُ الخزاعى فى نَفَرٍ من قومه على رسول الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فأَخبروه بما حَصَلَ لهم .

قال ابن عقبة ، ومحمد بن عُمَر : إن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لعمْرو بن سالم وأَصحابه : « أَرْجِعُوا وَتَفرَّقُوا فِى الْأَوْدِيَة » . فرجعوا / وتفرقوا ، وذهبت فِرْقَةٌ إلى السَّاحل بعارِض الطَّريق ، ولزم بُدَيل بن وَرْقَاء فى نفرٍ من قومه الطَّريق . ٢٢٨ ط

وروى محمد بن عمر عن مِحْجَن بن وهب قال : لم يَرُمْ بُدَيْلُ بن[1] ورقاء مكَّةَ من حين انصرف رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ من الْحُدَيْبِيَة حتى لقيه فى الْفَتْح بِمَرِّ الظَّهرَان . قال محمد بن عمر وهذا أثبت .

وأَخبر عمرو بن سالم ومن معه أَن أَنس ابن زنيم هجا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأَهْدَرَ دَمه .

---

(١) عبارة محمد بن عمر الواقدى ـ كما فى شرح المواهب ٢ : ٢٩٢ « أن بديلا لم يفارق مكة من الحديبية حتى لقيه فى الفتح بمر الظهران » .

ذكر ما قيل أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما بلغه خبر خزاعة أرسل الى قريش يخيرهم بين أمور ثلاثة

روى ابن عائذ عن ابن عمر – رضى الله تعالى عنهما ، ومحمدُ بن عمر عن حِزام بن هشام الْكَعْبِيِّ ومسدد فى مسنده بسندٍ صحيح عن محمد بن عباد بن جعفر أحد ثقات التَّابِعين وأَئِمَّتِهم – رحمهم الله تعالى – واللفظ لمحمد بن عمر ، قال حزام : إن قريشاً ندمت على عَوْنِ بنى نفاثة ، وقالوا : محمد غَازِينَا ، فقال عبد الله بن أبى سرح – وهو يومئذ عندهم حال رِدَّته عن الإسلام – وأسلم بعد ذلك – إنَّ عندى رأياً ، إن محمدا لن يغزوكم حتى يُعْذِر إليكم ، ويخيِّركم فى خصالٍ كلها أهون عليكم من غزوه ، قالوا ما هى ؟ قال : يرسل إليكم أن دوا[1] قَتْلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً ، أو تبرءُوا مِنْ حِلْفِ مَنْ نقض الصُّلح وهم بنو نُفَاثة ، أو ينبِذ إليكم على سواء ، فما عندكم فى هذه الخصال ؟ فقال القوم : أحْرِ بما قال ابن أبى سرح – وقد كان به عالما – قال سهيل بن عمرو : ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حِلْفِ بنى نُفَاثة . فقال شيبةُ ابن عثمان العبدرى[2] حفظت أخوالك ، وغضبت لهم. قال سهيل[3] : وأى قريشٍ لم تلده خُزَاعة ؟ قال شيبة : ولكن ندى قتلى خُزَاعَة فهو أهون علينا ، وقال قرظة[4] ابن عبد عمرو : لا والله لا يُودَوْنَ ولا نبرأ من حِلْفِ بنى نُفَاثَة ، ولكنا نَنْبِذُ إليه على سواء . وقال أبو سفيان : ليس هذا بشئ ، وما الرأى إلاَّ جَحْد هذا الأَمر ؛ أن تكون قريش دخلت فى نقض عَهْدٍ أو قَطْعِ مدة وإنه[5] قطع قوم بغير رضى مِنَّا ولا مشورة فما عَلَيْنَا . قالوا : هذا الرأى لا رأى غيره .

وقال عبد الله بنُ عمر – رضى الله تعالى عنهما – : إن رَكْبَ خُزَاعَةَ لَمَّا قدموا على رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وأخبروه خبرهم ، قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه

---

(١) دوا قتلى خزاعة : ادفعوا ديتهم .

(٢) الإضافة للتوضيح عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٧ .

(٣) سقط فى الأصول والإثبات عن المرجع السابق .

(٤) فى الأصول قريظة والمثبت عن الواقدى وشرح المواهب ٢ : ٢٩٢ .

(٥) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٨ « فإن قطعه قوم بغير هوى » .

وسلَّم ـ : « فمن تُهَمَتُكُم وظِنَّتكُم ؟ » قالوا : بنو بكر ، قال :« أكلها ؟ » قالوا : لا ، ولكن بنو نُفَاثة قَصْرَةً ورأس القوم نَوْفَلُ بن معاوية النُّفاثى . قال : « هَذَا بَطْنٌ مِنْ بَنِى بَكْرٍ ، وأَنَا بَاعِثٌ إلى أَهْلِ مَكَّةَ فسائلهم عن هذا الأَمر ومُخَيِّرُهُم فى خِصَالٍ ثلاث » ، فبعث إليهم ضمرة ـ لم يسم أباه محمدُ بن عمر ـ يُخَيِّرُهُم بين إحدى خلال ، بين أن يَدُوا قَتْلَى خُزَاعَة أو يبرءُوا من حلف بنى نفاثة ، أو ينبذ إليهم على سواء . فأتاهم ضمرة رسولُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأناخ راحلته /بباب المسجد ، ٢٢٩ و

فدخل وقريش فى أَنْدِيتها ، فأخبرهم أنه رسول رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأخبرهم بالذى أمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ به فقال قَرَظَة[١] بن عبد عمرو الأعمى : أمّا أن ندى قتلى خُزَاعة فإن نُفَاثة فيهم عُرَام[٢] فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سَبَدٌ[٣] ولا لبد ، وأما أن نتبرأ من حِلْف نُفاثة فإنه ليس قبيلة من العرب تحجّ هذا البيت أشد تعظيماً له من نُفَاثة ، وهم حلفاؤنا ، فلا نبرأ من حِلْفِهم ، أو لا يبقى[٤] لنا سَبَدٌ ولا لَبَد ، ولكن نَنْبِذ إليه على سَواء ، فرجع ضمرةُ إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بذلك من قولهم .

وندمت قريشٌ على ردِّ رسول رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وبعثت أَبَا سُفيَان فذكر قصة مجيئه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما سيأتى .

* * *

ذكر اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن ابا سفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما أخبر

روى محمد بن عمر عن حِزَام بن هشام عن أبيه ـ رحمهما الله ـ أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « لكأَنَّكُم بِأَبى سُفْيَانَ قَدْ جاءَ يَقُول : جَدِّد العَهْدَ وَزِدْ فِى الْهُدْنَة[٥] ، وَهُوَ رَاجعٌ بِسُخْطِه » .

(١) فى الأصول « قرنطة » وانظر التعليق قبل السابق .
(٢) العرام : الشدة والقوة والشراسة (النهاية فى الغريب ٣ : ٨٩) .
(٣) السبد : الشعر . واللبد : الصوف (القاموس) .
(٤) كذا فى الأصول ـ وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٧ « مابقى لنا » .
(٥) كذا فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٩١ ـ وفى شرح المواهب ٢ : ٢٩٢ « المدة » وكذا فى البداية والنهاية ٤ : ٢٨٠

وروى عبد الرزّاق عن نعيم مولى ابن عباس ، وابن أبى شيبة عن عكرمة ، ومحمدُ ابن عمر عن شيوخه ، واللفظ له : أن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى ربيعة مشيا إلى أبى سفيان بن حرب ، فقالا : هذا أمر لابُدَّ له من أن يُصْلح ، والله لئن لم يُصْلَحْ هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد فى أصحابه ، فقال أبو سُفيان : قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كَرِهْتها وأفظعتُها . وخفتُ من شَرِّها ، قالوا : وما هى ؟ قال : رأت دماً أقبل من الْحَجُون يسيل حتّى وقف بالْخنْدَمَة[1] مَلِيًّا ، ثم كأن ذلك الدَّم لم يكن . فكره القوم الرُّؤيا .

وقال أبو سُفيان : لما رأى ما رأى من الشَّر : هذا والله أمرٌ لم أشْهَدْه ، ولم أغِبْ عنه ، لا يحمل هذا إلا علىّ ، ولا والله ما شوورتُ فيه ، ولا هَوِيْتُه حين بلغنى ، والله ليغزونا محمدٌ إن صدَقَنِى ظنى ، وهو صادق ، وما بد من أن آتى محمداً فأُكلمه أن يزيدَ فى الْهُدْنة وَيُجَدِّدَ العهد . فقالت قريشٌ : قد والله أَصَبْتَ ، ونَدِمَتْ قريشٌ على ما صنعت من عون بنى بكرٍ علىخزَاعَة ، وتَحَرَّجُوا أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يدعهم حتى يغزوهم . فخرج أبو سفيان ، وخرج معه مولى له على راحلتين ، فأسرع السَّير وهو يرى أنه أوّل من خرج من مكة إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلقى بُدَيْلَ ابن وَرْقَاءَ بِعُسْفَان ، فأشفق أبو سفيان أن يكون بُدَيْل جاءَ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بل كان اليقينُ عنده ، فقال للقوم : أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها ؟ قالوا : لا علْم لنا بها ، فعلم أنهم كتموه ، فقال : أما معكم من تَمْرِ يثرب شئ تطعمونه ، ٢٢٩ ط فإن لِتَمْرِ يثْرب فضلا على تمور تِهَامة ؟ قالوا : لا . فأَبت نفسه / أن تُقِرّه حتى قال : يا بُدَيْل : هل جئت محمداً ؟ قال :لا ما فعلت ، ولكن سِرْتُ فى بلاد بنى كعب وخزاعة من هذا السَّاحل فى قتيل كان بينهم فأصلحت بينهم[2] . فقال أبو سُفيان : إنك ـ والله ـ ما علمت برٌّواصلٌ ، ثم قايلهم أبو سفيان حَتّى راح بُدَيْل وأصحابه ، فجاءَ

---

(١) الخندمة : جبل بمكة (معجم ما استعجم ٣١٩) .

(٢) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٩٢ .

أبو سفيان مِنْزَلهم فَفَتَّ أبعار أباعرهم فوجد فيها نوى[1] من تمر عجوة كأنها ألسنةُ الطَّير ، فقال أبو سفيان : أحلفُ بالله لقد جاء القومُ محمَّدًا .

وكان القومُ لما كانت الوقعة خَرَجُوا من صُبْح ذلك اليوم فسارُوا ثلاثاً ، وخرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سُفيان ثَلاثاً ، وكانت بنو بكرٍ قد حبست خُزَاعَة فى دارى بُدَيْل ورافع ثلاثةَ أيام يكلمون فيهم ، وأتئمرت قريش فى أن يخرج أبو سُفيان ، فأقام يومين . فهذه خمس بعد مقتل خُزَاعة ، وأقبل أبو سُفْيَان حتى دخل المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبَة زوج النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأراد أن يَجْلِسَ على فِرَاشِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلَّم – فطوته دونه . فقال : يا بُنَيَّة !! أرغبت بهذا الفراش عنى أوبى عنه ؟ قالت : بل هو فراشُ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلَّم – وأنت امرؤٌ مشرك نَجِس ، فلم أُحب أن تجلس على فراش رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قال : يا بُنَيَّة لقد أصابك بعدى شرٌّ ، فقالت : بل هدانى اللهُ للإِسْلَام . وأنت يا أَبت سيِّد قُريش وكبيرها ، كيف يسقُط عنك الدّخول فى الإسلام ؛ وأنت تعبدُ حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟ فقام من عندها ، فأتى رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو فى المسجد ، فقال : يا محمد !! إنِّى كنتُ غائباً فى صلح الحُدَيْبِيَة فاشدد العهد ، وزِدْنا فى المدّة ، فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « فَلِذَلِكَ جِئْتَ يَا أَبَا سُفْيَان ؟ » قال : نعم . فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – : « هَلْ كَانَ من قبلِكُم من حدث ؟ » قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحُدَيْبِيَة لا نغير ولا نُبَدِّل ، فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – : « فنَحنُ عَلَى مُدَّتِنَا وَصُلْحِنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَة لا نغيّر ولا نبدّل » فأعاد أبو سفيان على رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – القَوْلَ ، فلم يردّ عليه شيئاً .

فذهب إلى أبي بكر – رضى الله عنه – فكلمه وقال : تُكلمُ محمدا أو تجير أنت بين الناس ، فقال أبو بكر : جِوَارى فى جِوَار رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – زاد ابنُ عُقْبَة : واللهِ لو وجَدْتُ الذرَّ تقاتلكم لأَعنتها عليكم .

---

(١) فى الأصول « نوايتين » والمثبت عن المرجع السابق . ويؤكده عود الضمير فى « كأنها ألسنة الطير » .

فأتى عمرَ بن الخطاب – رضى اللهُ عنه – فكلمه بمثل ما كلَّم به أبا بكر ، فقال : أنا أشفعُ لكم عنْدَ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم !! فوالله لو لم أجد إلاَّ الذرَّ لجاهدتكم
٢٣٠ و به ، ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله ، وما كان منه متيناً فقطعه الله / ، وما كان منه مقطوعاً فَلاَ وَصَلَهُ الله . فقال أَبُو سفيان جُوزِيتَ من ذِى رحم شرًّا .

فأتى عثمانَ بْنَ عفَّان – رضى الله عنه – فقال إنَّه ليس فى القوم أحدٌ أقرب رحماً منك ، فَزِدْ فى المدة ، وَجَدِّدِ العهد ؛ فإنَّ صاحبك لا يرُدُّه عليك أبدا ، فقال عُثْمان : جوَارِى فى جوار رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم .

فأتى عليًّا – رضى الله تعالى عنه – فقال : يا على إنك أَمَسّ القوم بى رحما ، وإنى جئتُ فى حاجةٍ فلا أرجع كما جئت خَائبا ، فاشفع لى إلى محمد . فقال : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفيان ! والله لقد عزم رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – على أمرٍ ما نستطيعُ أَن نكلمه فيه ، فأتى سعدَ بن عُبَادة – رضى الله تعالى عنه – فقال : يا أبا ثابت أنت سيد هذه البحيرة فأَجِرْ بين الناس ، وزِدْ فى المدة ، فقال سعد : جوارى فى جوار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما يجير أَحدٌ على رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأتى أشراف قريش والأنصار فكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مَا يجير أحد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما أَيِسَ مِمَّا عندهُم ، دخل على فاطمة الزَّهراء – رضى اللهُ عنها – والحسن غلامٌ يَدِبُّ بين يَدَيْها فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تجيرى بين النَّاس ؟ فقالت : إنَّما أنا امرأة ، وأبت عليه ، فقال : مُرِى آبْنَكِ هذا – أى الحسن بن على – رضى الله عنهما – فيجير بين النَّاس ، فيكون سيِّد العرب إلى آخر الدَّهر . قالت : والله ما بلغ آبنى ذلك أن يُجِيرَ بين الناس ، وما يجير أحدٌ على رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

فقال لعلى : يا أَبا الحسن ، إنى أَرى الأُمورَ قد اشتدَّت علىّ فانْصَحنى . قال : والله ما أعلم شيئاً يُغْنى عنك شيئاً ، ولكنك سيِّدُ بنى كنانة وقال : صدقت ، وأنا كذلك . قال : فقم فأَجِرْ بين الناس ثم الحق بأَرضك ، قال : أَوَ تَرَى ذلك مُغْنِيًا

عَنِّى شيئاً ؟ قال : لا والله[1] ، ولكن لا أجدُ لك غير ذلك ، فقام أبُو سُفيان فى المسجد ، فقال : أَيُّهَا النَّاس إنِّى قد أَجَرْتُ بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ، ثم دخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا محمد إنى قد أجرت بين الناس فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا حَنْظَلَة !! » ثم ركب بعيره وانطلق .

وكان قد احتبس وطالت غيبته ، وكانت قريش قد اتَّهمته حين أبطأ أشدّ التهمة ؛ قالوا : والله إنّا نراه قد صبأ ، واتَّبَع محمداً سِرًّا وكتم إسلامه .

فلما دخل على هند امرأته ليلا ، قالت : لقد احْتَبسْتَ حتَّى اتَّهمك قومُك ، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنُجْحٍ[2] فأَنت الرجل ، ثم دنا منها فجلس مجلس الرجل من امرأته[3] . فقالت ما صنعت ؟ فأَخْبَرها الخبر ، وقال : لم أجد إلاَّ ما قال لى عَلِىّ ، فضربت برجلها فى صدره وقالت : قُبِّحْتَ من رسُولِ قوم ، فما جئت بخير .

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف ونائلة ، وذبح لهما ، وجعل يمسح بالدم رءُوسهما ويقول : لا أُفارق عبادتكما حتَّى أموت على ما مات عليه أَبى ، إبراءً لقريش مما اتهموه به ، فلما رأته قريش ، قاموا إليه فقالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتابٍ من محمد أو زيادة فى مُدَّةٍ مَا نَأْمَن به أن يغزونا محمد ؟ فقال : والله لقد أَبى علىّ ، وفى لفظٍ : لقد كلمته ، فوالله ما ردَّ على شيئاً ، وكلمتُ أبا بكر فلم أَجِدْ فيه خيراً ، ثم جئت ابنَ الخطَّاب – رضى الله عنه – فوجدتُه أدنى العدو[4] ، وقد كلمت عِلْية أصحابه ، فما قدرت على شىءٍ منهم إلا أنَّهم يرموننى بكلمة واحدة ، وما رأيت قوماً أطوعَ لملك عليهم منهم له ، إلاَّ أن عليًّا لما ضاقت بى الأُمور قال : أنت سيد بنى كنانة ، فأَجِرْ بين النَّاس ، فناديتُ بالجوار ، فقال محمد « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة !! »

---

(١) وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٩٣ « قال : لا والله ما أظنه » .
(٢) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « جئتهم بشىء » .
(٣) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « من أمته » .
(٤) وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٩٤ « أعدى العدو » وكذلك فى السيرة الحلبية ٣ : ٨٦ .

لم يزدنى . قالوا : رضيت بغير رضى ؛ وجئْتَ بما لا يُغنى عَنَّا ولا عَنْكَ شيئا ، ولعمْرُ اللهِ ما جوارُكَ بجائِز ، وإنّ إخْفَارك عليهم لهيّن ، ما زاد[1] عَلِيٌّ من أن لَعِبَ بك

تلعباً . قال : والله ما وجدت غير ذلك . / ٤٦٥ت ٢٣١م

* * *

ذكر مشاورته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أبا بكر وعمر ـــ رضى الله عنهما ـــ فى غزو قريش

روى ابن أَبِى شَيْبَة عن محمد بن الحنفيّة ـ رحمه الله ـ عن أَبِى مالك الأَشْجَعِىّ ـ رضى الله عنه ـ قال : خرج رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ من بعض حجره فجلس عند بابها ـ وكان إذا جلس وَحْدَه لم يأْته أحدٌ حتى يدعوه ـ ، فقال « ٱدْعُ لى أَبا بكر » .فجاء فجلس أَبو بكر بين يديه ، فناجاه طويلاً ، ثم أَمَرَه فجلس عن يمينه ، ثمّ قال : « ادْعُ لى عمر » فجاءَ فجلس إلى أَبى بكر فناجاه طويلا ، فرفع عُمَرُ صوته فقال : « يا رسول الله هُمْ رأْسُ الكُفْرِ ، هم الذين زَعَمُوا أَنَّك سَاحر ، وأَنك كاهن ، وأَنك كذَّاب ، وأَنك مفتر » ، ولَمْ يَدَعْ عمر شَيْئًا ، مِمَّا كان أَهلُ مكة يقولونه إلاَّ ذَكَرَه ، فأَمره أن يجلس إلى الجانب الآخر ، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ثُمَّ دَعَا الناس فقال : « أَلا أُحَدِّثكم بمَثَل صاحبيكم هذين ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، فأَقبل بوجهه إلى أَبى بكر فقال : « إنَّ إبْرَاهيم كان أَلْيَنَ فى الله تعالى من الدّهن اللّيّن ، ثم أَقبل على عمر ، فقال : « إنَّ نُوحاً كان أَشَدَّ فى الله من الحَجَر ، وَإنَّ الأَمْرَ أَمرُ عمر ، فتجهزوا وتعاونوا ، فتبعوا أَبا بكرٍ فقالوا : يا أَبا بكر ، إنا كَرِهْنَا أَن نسأَل عمرَ عمّا ناجاك به رسولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ قال : قال لى : « كيف تأْمرنى فى غزو مكة ؟ » قال : قلت يا رسولَ الله هم قَوْمُك !! ، حتَّى رأَيْتُ أَنّه سيطيعنى ، ثم دعا عمر فقال عمر : هم رأْس الكفر ، حَتَّى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه ، وأَيم الله وأَيم الله لا تَذِلّ العرب حتى تذل أَهل مكة ، وقد أَمركم بالجهاد ليغزوا مكة .

---

(١) كذا فى ص . وفى ت ، ط ، م « مازاد على أن لعب بك » وفى شرح المواهب ٢ : ٢٩٤ « مازاد – أى على بن أبى طالب » .

ذكر جهاز رسول الله — صلى الله عليه وسلم / — واجابة دعائه بأن لا تعلم قريش بمسيره ، وأمره بحفظ الطرق ٢٣١ و

ذكر ابن عقبة ، وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - أن رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - مكث بعد خروج أَبي سفيان ما شاءَ اللهُ أن يمكث ثم قال لعائشة : « جَهِّزِينَا وأَخفى أَمرك » . وقال : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يَرَوْنَا إلاَّ بغتة ، وَلَا يسْمَعُونَ بِنَا إلاَّ فجأَة[1] » وأمر رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - جماعةً أن تقيم بالأَنقاب[2] ،وكان عمر بن الخطاب يطوفُ على الأَنقاب ، فيمر بهم فيقول : لا تَدَعُوا أَحدًا يمر بكم تُنْكِرُونه إلا رَدَدْتُمُوه ، وكانت الأَنقاب مُسلمة - إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأَل عنه .

* * *

ذكر كتاب حاطب بن أبى بلتعة[3] — رضى الله عنه — الى قريش ليعلمهم بغزو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إياهم ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد ، والخمسةُ عن أَبي رافع عن على . وأبو يعلى ، والحاكم والضياء عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - والإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد عن جابر ، وابن مردويه عن أنس - رضى اللهُ عنهم - وابن مردويه عن سعيد بن جبير ، وابن إسحاق عن عُرْوَة ، وابن مردويه عن عبد الرحمن عن حَاطب بن أَبي بَلْتَعَة ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى : أن رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لَمَّا أَجمع السَّيْرَ إلى مكة ، كتب حَاطِبُ بن أَبي بَلْتَعَةَ - رضى الله عنه - كتاباً إلى قريش يُخْبِرهم بالذى أَجمع عليه رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - من الأَمر فى المَسِير

---

(١) فى الأصول « إلا فلتة » والمثبت عن السيرة الحلبية » ٣ : ٨٦ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٩٦ .

(٢) الأنقاب : الطرق ، كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٨٦ .

(٣) هو عمرو بن عمير اللخمى ، حليف بنى أسد ، اتفقوا على أنه شهد بدرا . مات سنة ثلاثين من الهجرة (شرح المواهب ٢ : ٢٩٤) .

إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، قال ابن إسحاق ، زعم محمد بن جعفر أنها مِنْ مُزَيْنَة — قال محمد بن عمر : يقال لها كَنُود ، قال ابن إسحاق : وزعم لى غير ابن جعفر : أنَّهَا سارة مَوْلَاةٌ لبعض بنى المطلب ، وجعل لها جُعْلاً ، قال محمد بن عمر دِيْنَاراً ، وقيل عشرة دنانير ، على أن تبلغه أهل مكة ، وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تَمُرِى على الطريق ؛ فإن عليه حَرَساً ، فجعلته فى رَأْسِهَا ، ثم فَتَلَت عليه قُرونَها ، ثم خرجت به ؛ فسلكت غير نقب عن يسار المَحَجَّة فى الفُلوق[1] حَتَّى لَقِيَت الطريق بالعقيق .

وذكر السّهيلى — رحمه الله — تعالى — أنه قد قيل إنه كان فى كتاب حاطب : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد توجّه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسَّيْل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وَحْدَه لنصره الله تعالى عليكم ، فإنه منجزٌ له ما وعده فيكم ، فإن الله — تعالى — ناصره ووليّه .

وفى تفسير ابن سلام أنه/ كان فيه : إن محمداً — صلى الله عليه وسلم — قد نفر ٢٣١ ط
فإمَّا إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذَر . انتهى .

وذكر ابن عقبة أن فيه : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد آذن بالغزو ، وَلَا أَراه إلاَّ يريدكم ، وقد أَحْبَبْتُ ، أن يكون لى يَدٌ بكتابى إليكم .

وأَتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الخبر من السماء بما صنع حاطِب ، فبعث علىَّ بنَ أَبى طالب ، والزّبير بن العوام — زاد أبو رافع : المِقْدَاد بن الأَسود وفى رواية عن أَبى عبد الرحمن السلمى عن على : أَبا مَرْثَد ، بدل المقداد ، فقال رسولُ الله — صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم — « أدرك امرأة قد كتب معها حاطِبٌ بكتابٍ إلى قريش ، يُحَذِّرهُم ما قد أَجْمَعْنَا له فى أَمْرِهم ، ولفظ أَبى رافع « انطلقوا حَتَّى تَأْتوا روضة خاخ[2] ،

---

(١) فى الأصول « العلوق » ويقول المصنف فى شرح الغريب ص « لم أجد له ذكرا » (والمثبت عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٩٩ والفلوق جمع فلق بمعنى الشق . يقال مررت بحرة فيها فلوق أى شقوق) الصحاح ١٥٤٤ ،

(٢) روضة خاخ . موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة (مراصد الاطلاع) وهو على بريد من المدينة (شرح المواهب ٢ : ٢٩٥ (وفى وفاء الوفا ٤ : ١١٩٨) « وقال الواقدى : روضة خاخ بقرب ذى الحليفة على بريد من المدينة ، وفى حديث على بعثنى . . . الخ وبين فيه أن المكان على قرب من اثنى عشر ميلا من المدينة وبقرب خاخ خليقة عبد الله ابن أبى أحمد . . . » .

فإن بها ظعينة معها كتاب » فخرجوا – وفى لفظٍ : فخرجا ، حَتَّى إذا كان بالخَلِيقَة ، خليقة بنى أحمد[1]

وقال ابن عقبة : أدركاها ببطن ريم ، فاستنزلاها فالتمساه فى رَحْلِها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب – رضى الله عنه – : إنى أحلف بالله ما كذب رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وما كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لَنَكْشِفَنَّكِ ، فلما رأت الجِدّ ، قالت : أَعْرِضَا . فحلَّت قُرُونَ رأسها ، فاستخرجتْ الكتابَ منها ، فدفعته إليه فأَتَى به رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فإذا فيه : من حاطب بن أَبى بَلْتَعَة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فدعا حَاطِبًا ، فقال : « يا حاطب ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هذا ؟ قال : يا رسولَ الله . إنى والله لمؤمن بالله ورسوله ؛ ما غيّرتُ ، ولا بدّلتُ ، ولكنى كنت امْرَأً ليس لى فى القومِ من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم - .

ولفظ أبى رافع - فقال : يا رسولُ الله لا تعجل علىّ ، إنى كنت امْرَأً مُلْصَقاً فى قريش ، ولم أَكُنْ من أَنْفُسِهِم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم بها وأهليهم بمكة ، ولم يكن لى قرابة ، فأَحببت إذ فاتنى ذلك من بنيهم أن أَتَّخذ فيهم يَدًا أَحمى بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كُفْراً بعد إسلام . فقالَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « إنّه قَدْ صَدَقَكُم » . فقال عمر لحاطب : قاتلك الله !! ترى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يأخذُ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أضرب عنقه ؛ فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ما يُدْرِيك يا عمر أن الله عز وجل اطَّلَع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : « اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم » فاغْرَورقت عينا عمر ، وقال : اللهُ ورسولُهُ أعلم ، حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال .

---

(١) هى خليقة عبد الله بن أحمد بن جحش ، وهى أرض بنواحى المدينة يدفع فيها سيل العقيق بعد خروجه إلى النقع والتقائه بوادى ريم ، وبها مزارع وقصور ونخيل ، ويقال إنها على اثنى عشر ميلا من المدينة ، (وفاء الوفا ٤ : ١٢٠٢) .

وأنزل الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ » أى كفّار
٢٣٢ و مكة « أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ » توصلون «إِلَيْهِمْ» قصد/النبى غَزْوَه الذى أسره إليكم - وورّى
بخبره «بالمَوَدَّة» بينكم وبينهم « وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الحَقِّ » دين الإسلام
والقرآن « يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ » من مكة بتضييقهم عليكم لأجل « أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً » للجهاد « فِى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى » وجواب الشَّرط دلَّ عليه ما قبله : أى فلا تتخذوهم أولياءَ « تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُم » أى إسرار خبر النبى إليهم « فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيل » أخطأ طريق الهدى ، والسواء فى الأصل : الوَسَطُ « إِنْ يَثْقَفُوكُمْ » يظفروا بكم « يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُم » بالقتل والضرب « وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ » بالسَّب ، والشتم « وَوَدُّوا » تمنوا « لَوْ تَكْفُرُونَ . لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ » قراباتكم « ولا أَوْلَادُكُمْ » المشركون ، الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب فى الآخرة « يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَفْصِلُ » بالبناء للمفعول والفاعل « بَيْنَكُمْ » وبينهم فتكونون فى الجنة ، وهم فى جملة الكُفّار فى النار « واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[1] » .

* * *

ذكر إجماع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسير الى مكة

قال ابن عقبة ، وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهم : لَمَّا أرادَ رَسُولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ المسيرَ إلى مكَّة ، بعث أبا قَتَادَةَ بن ربعى إلى بطن إِضَم ؛ ليَظُنَّ الظَّانُّ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توجَّه إلى تلك الناحية ، وأن لا تذهب بذلك الأخبار وأبان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسير إلى قريش ، وأرسل إلى أهل البادية ، ومن حولهم من المسلمين ؛ يقول لهم « من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة » وبعث رُسُلاً فى كل ناحية حتى قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الممتحنة الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

وقال حسّان بن ثابت – رضى الله عنه تعالى – يُحرّض الناس ويذكر مُصابَ[1] رجال خزاعة :

عَنَانِى وَلَمْ أَشْهَدْ بِبطحاء مَكَّة ... رِجَالُ بَنِى كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
بأَيْدِى رجالٍ لم يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِى ... سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا
فَلاَ تأْمَنَنْها يَا ابنَ أُمِّ مُجَالِدٍ ... إِذَا احْتُلِبَتْ صِرْفاً وأَعْصَلَ نَابُهَا
وَلَا تجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيوفنا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفتحُ بَابُهَا

قال ابن إسحاق : وقول حَسَّان – رضى الله عنه / : بأيدى رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفهم : يعنى قريشاً ، وابن أُم مُجَالِدٍ ؛ عِكْرِمَةُ بنُ أَبى جهل . ٢٣٢ ظ

واستخلف رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – على المدينة أبا رُهْم كُلْثُوم بن حُصَين الغفارى ، ويقال ابن أم مَكْتُوم ، وذكره ابن سعد ، والبَلاذُرِى ، والأوّل هو الصحيح ، وقد رواه الإمام أحمد والطبرانى بسندٍ حسن عن ابن عباس – رضى الله عنهما .

* * *

ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة قاصدا مكة

قال محمد بن عمر – رحمه اللهُ تعالى – خرج رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يوم الأربعاء بعد العصر [لعشر خلون][2] من رمضان ، ونادى مناديه : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِر » وصام رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فما حَلَّ عُقْدَةً حَتَّى انتهى إلى الصُلْصُل[3] ، وخرج فى المهاجرين والأنصار ، وطوائف من العرب ، وقادوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، وقدَّم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –

---

(١) وانظر الشعر فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٩٨ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٩٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٨٣ .

(٢) الإضافة عن الواقدى ٢ : ٨٠١ .

(٣) الصلصل : موضع على سبعة أميال من المدينة ، وهو جبل معروف اليوم فى أثناء البيداء على يمين المتجه إلى مكة شرق عظم إلى القبلة (وفاء الوفا ٢ : ٣٣٦ ط الآداب) .

أمامه الزُّبَيْر بنَ العوَّام فى مائتين من المسلمين ، ولما بلغ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – البيداء قال فيما رواه محمد بن عمر عن أبى سعيد الخُدْرِىّ : « إنى لأرَى السَّحاب يُسْتَهَل بنصر بنى كعب » .

ولما دخلَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – العَرْج[١] وهو صائِم ، صَبَّ الماءَ على رأسه ووجهه من العطش – كما رواه الإمام مالك ، ومحمد بن عمر عن رَجُلٍ من الصحابة – وروى الحاكم فى الإكليل بِسَنَدٍ صحيح عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : « رأيتُ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بالعَرْجِ يَصُبُّ الماءَ على رأسه من الحرِّ وهو صائم » ، ولما سار رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عن العَرْج – وكان فيما بين العَرْج والطَّلوب[٢] – نظر إلى كَلْبَةٍ تَهِرُّ عن أولادها ، وهُنَّ حَوْلَها يَرْضَعْنَها ، فأَمَرَ جميل بن سراقة – رضى اللهُ عنه – أن يقوم حذاءها ؛ لا يعرض لها أَحَدٌ من الجيش ، ولا لأولادها[٣] .

وقدم – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بمائة جريدة[٤] تكون أمام المسلمين ، فلما كانوا بين العَرْج والطَّلوب أتوا بعَيْنٍ من هوازن ، فاستخبره رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره أنّ هوازن تَجْمَعُ لَهُ فقال : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيل » فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خالد بن الوليد أن يحبسه لئلا يذهب فيحذر الناس ، ولما بلغ قُدَيْدًا[٥] لقيَته سُلَيْم هناك ، فعقد الألوية والرّايَات ، ودفعها إلى القبائل[٦]

---

(١) العرج : قرية جامعة على ثلاثين ميلا من المدينة (وفاء الوفا ٤ : ١٢٦٣) .

(٢) الطلوب : ماء فى الطريق بين المدينة ومكة (معجم ما استعجم ٢ : ٤٥٤) .

(٣) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٢ « روى البيهقى عن ابن شهاب: أن أبابكر قال : يارسول الله أرانى فى المنام وأراك دنونا من مكة فخرجت إلينا كلبة تهر ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فإذا هى تشخب لبناً . فقال صلى الله عليه وسلم : ذهب كلبهم وأقبل درهم ، وهم سيأوون بأرحامهم ، وإنكم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلاتقتلوه » وسترد فى السياق فيما بعد .

(٤) وعبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٨٠٤ « تقدمت أمامه جريدة من خيل طليعة تكون أمام المسلمين » .

(٥) قديد : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه (وفاء الوفا ٤ : ١٢٨٧ – شرح المواهب ٢ : ٢٩٩) .

(٦) دفع لبنى سليم لواء وراية ، وبنى غفار راية ، وأسلم لواءين ، وبنى كعب راية ، ومزينة ثلاثة ألوية ، وجهينة أربعة ألوية ، وبنى بكر لواء ، وأشجع لواءين (شرح المواهب ٢ : ٣٠٢ – السيرة الحلبية ٣ : ٩٠) .

وروى محمد بن عمر عن يزيد بن أسلم ، وأبى الحويرث - رحمهما الله تعالى - أن رسولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - لما انتهى إلى قُدَيْدٍ قيل له : يا رسول الله هل لك فى بِيضِ النساء ، وأُدْم/ الإبل ؟ بنى مُدْلِج ، فقال :- صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم -: ٢٣٣ و
« إن الله عَزَّ وَجَلَّ حرَّمَهُن عَلَىَّ بِصِلَةِ الرَّحم » . وفى لفظٍ « ببر الوالد ، ووَكْزهم فى لبّات الإبل » .

وقَدم العباس على رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - مُسْلِمًا . قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفَةِ[1] فأرسل ثقله إلى المدينة ، وسار مع رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . قال البَلاذُرِى : وقال رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « هِجرَتُكَ يا عَمُّ آخِرُ هِجْرَةٍ ، كما أنَّ نُبُوّتِى آخر نُبُوَّة »وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة لَقِيَاهُ بنَقْبِ العُقَاب[2] ، وستأتى قصة إسلامهما فى ترجمتهما .

* * *

ذكر فطره - صلى الله عليه وسلم - وأمره به

روى مسلم ، والترمذى عن جابر ، والشيخان ، وأبو داود ، والنسائى ، والطحاوىّ عن ابن عباس - رضى الله عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج من المدينة فى غزوة الفتح فى رمضان يصوم ويصومون ، حتى بلغ الكُدَيْد بين عُسْفَان وقُدَيْد ، وفى روايةٍ بين عُسْفان وأَمَج[3] ، وفى حديث جابر : كُرَاع الغميم ، بلغه أنَّ النَّاسَ شقَّ عليهم الصِيام ، وقيل له : إنما ينظرون فيما فعلتَ ، فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناءٍ من لبن ، أو ماء ، وجزم جابر بأنه ماء . وكذا ابن عباس ، وفى روايةٍ : فوضعه على راحلته ليراهُ النّاسُ ، فشرب فأفطر ، فناوله رجلاً إلى جنبه فَشَرِبَ

---

(١) الجحفة : أحد المواقيت ، قرية كانت كبيرة ذات منبر على نحو خمس مراحل ، وثلثى مرحلة من المدينة وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة ، وكانت أولا تسمى « مهيعة » (وفاء الوفا ٤ : ١١٧٤) .

(٢) نقب العقاب . ويقال نيق العقاب : موضع قرب الجحفة (وفاء الوفا ٤ : ١٣٢٥ - شرح المواهب ٢ : ٣٠١ - سيرة النبى لابن هشام ٤ : ١٤) .

(٣) أمج : بلد من أعراض المدينة ، وقيل واد من حرة بنى سليم يصب فى البحر بعد خليص بجهة مكة بميلين . وبعده بميل وادى الأزرق (وفاء الوفا ٤ : ١١٣٠) .

فقيل له بعد ذلك : إنَّ بعض الناس صَامَ ، فقال : « أُولئكَ العُصَاة ، أُولئك العُصَاة » فلم يزل مفطراً حَتَّى آنسلخ الشهر .

وروى مسلم عن أَبى سعيد الخُدْرِى – رضى الله عنه – قال سافرنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونحنُ صِيَامٌ ، فنزلنا منزلاً ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنكم قَدْ دَنَوْتُم مِن عدوّكم ، والفطرُ أَقوى لكم » وكانت رخصة ؛ فَمِنَّا مَنْ صام ، ومِنَّا مَنْ أَفطر ، ثم نزلنا منزلاً آخر ، فقال : « إنكم مصبحوا عدوّكم ، والفطْرُ أَقوى لكم ، فافطروا » فكانت عزيمة ، فأَفطرنا .

* * *

ذكر نزوله – صلى الله عليه وسلم – بمر الظهران

قالوا : ونزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم والمسلمون مرّ الظَّهْران عشاءً ، وأَمر أَصحابه أَن يوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمرَ بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – قال عروةُ كما عند ابن عائذ ، وبه جزم ابنُ عقبة وابنُ إسحاق ، ومحمدُ ابن عمر وغيرهُم ، وعُمِّيَت الأَخبارُ عن قريش ، فلم يبلغهم حرفٌ واحدٌ عن مسير رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ولايدرُون ما هو فاعلٌ ، وهم مُغْتَمُّونَ لما يخافون من غزوه إيّاهم ، فَبَعَثُوا أَبَا سفيان بن حرب .

وروى إسحاق بن راهويه ، والحاكم ، والبيهقىُّ بسندٍ صحيح عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : مضى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عَامَ الفتح حتى نزلَ مرّ
٢٣٣ ط الظَّهْران فى عشرة آلاف / من المسلمين ، وقد عُمِّيَت الأَخبار عن قريش فلا يأْتيهم خبرٌ عن رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ولايدرون ما هو صانع .

وفى الصحيح عن عُرْوة قال : لمّا سار رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عام الفتح بلغ ذلك قريشاً ، فخرج أَبُو سفيان بن حربٍ يتحسّس الأَخبار . وقالت قريش : لأَبى سفيان : إن لقيت محمداً فُخذْ لنا منه أَماناً ، فخرج هو وحكيم بن حزام ، فلقيا بُدَيْل بن ورقاء ، فاستتبعاه ، فخرج معهما يتحسّسُون الأَخبار ، وينظرون هل يجدون

خَبراً ، أو يسمعون به ، فلما بَلَغُوا الأَرَاكَ من مرّ الظَّهْران ، وذلك عَشِيًّا رأَوْا العسكرَ والقِبَابَ والنِيرانَ كأَنها نيران عرفة[1] ، وسمعوا صهيل الخيل ، ورُغَاء الإِبل ، فَأَفْزَعَهم ذلك فَزَعَاً شديداً . قال عروة كما فى الصحيح – : فقال بُدَيْل بن ورقاء : هؤلاءِ بنو كعب – وفى روايةٍ بنو عمرو : يعنى بها خزاعة – حَمَشَتْهَا[2] الحرب . فقالَ أَبُوسُفيان : بنو عمرو أَقلُّ من ذلك .

* * *

ذكر المنام الذى رآه أبو بكر الصديق – رضى الله عنه

روى البيهقىُّ عن ابن شهابٍ – رضى اللهُ تعالى عنه – أن أَبا بكر قال : يا رسولَ الله !! أُرَانى فى المنام وأُراك دَنَوْنَا من مكة ، فخرجتْ إلينا كلبةٌ تَهِرّ ، فلما دَنَوْنَا منها اَسْتلقَتْ على ظهرهَا ، فإِذَا هى تشخُبُ لبناً ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه عليه وسلَّم « ذَهَبَ كَلَبُهم وأَقبل دَرُّهم ، وهم سيأوون بأَرحامهم وإنكم لاقون بعضهم فإِن لقيتم أَبا سُفْيانَ فلا تَقْتُلُوه .

* * *

ذكر إعلامه – صلى الله عليه وسلم – بالليل بأن أبا سفيان فى الأراك وأمره بأخذه

روى الطبرانىُّ عن أَبى لَيْلَى – رضى الله عنه – قال : كُنّا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بِمَر الظَّهْران ، فقال : « إِنَّ أَبَا سُفْيَان بالأَرَاك فَخُذُوه » فدخلنا ، فأَخذناه .

قال ابن عُقْبَة : فبينما هم ؛ يعنى أَبا سُفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْلاً بن ورقاء كذلك لم يَشْعُرُوا حتى أَخذهم نَفَرٌ كان رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بعثهم عُيُوناً له ، فأَخذوا بِخُطُمِ أبعرتهم فقالوا : من أَنتم ؟ فقالوا : هذا رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وأَصحابه ، فقال أَبو سُفْيان : هل سمعتم بمثل هذا الجيش ، نزلوا على أَكباد قومٍ لم يعلموا بهم .

---

(١) نيران عرفة : إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة (شرح المواهب ٢ : ٣٠٢) .

(٢) كذا فى الأصول – وجاء فى شرح الغريب : خمشتها : بالخاء والميم والشين ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٣ ، « جاشت بهم الحرب » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ « حمشتها الحرب » بالحاء المهملة والشين المعجمة أى أحرقتها ، وقيل بالسين المهملة : أى اشتدت عليها . من الحماسة وهى الشدة – وكذلك فى السيرة الحلبية ٣ : ٩١ .

وروى ابن أَبِي شَيْبَة عن أَبِي سَلَمة ، ويحيي بن عبد الرحمن بن حَاطِب ـ رحمهما اللهُ تعالى ـ قالا : أَخِذَ أَبُو سفيان وأصحابه [وكان][1] حَرَسُ رسولِ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نفرٌ من الأَنصار ، وكان عمر بن الخطَّاب ـ رضى الله عنه ـ تلك الليلة على الحَرَس ، فجاءُوا بهم إليه ، فقالوا : جئناك بنفرٍ أخذناهم من أهل مكة ، فقال عمر وهو يضحك إليهم : والله لو جئتمونى بأَبى سفيان مازدتم . قالوا : قد والله آتيناك بأَبى سفيان . فقال : احبسوه فحبسوه حتى أصبح . فغدا به على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : ابن عقبة : لما دخل الحرس بأَبى سفيان وصاحبيه، لقيهم العبّاس بنُ عبد المطَّلب ، فأَجارهم .

وروى ابنُ أَبى شيبة عن عكرمة : أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال : دلُّونى على العبّاس ، فأَتى العباسَ فأَخبره الخبر ، وذهب به إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وروى إسحاق بن راهويه ـ بسندٍ صحيح عن ابن عبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما نزل مرّ الظهران ، رقَّت نفسُ العبَّاس لأَهل مكّة فقال : واصباحَ قريش ، والله لئن دخلها رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ عَنْوَة قبل أن يأْتوه فيستأْمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَة ، [إنه][2] لهلاك قريش إلى آخر الدهر ، قال العبَّاسُ : فأَخذتُ بغلةَ رسولِ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ الشَّهْبَاء فركبتُها ، وقلتُ : أَلتمس حَطَّاباً ، أو صاحبَ لبن ، أو ذا حاجة يأْتى مكّة فيخبرهم بمكانِ رسُولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَة ، فواللهِ إنِّى لفى الأَراك أَلتمس ما خَرَجْتُ إليه إذ سَمِعْت كَلَام أَبى سُفْيَان ، وبُدَيْل بن وَرقَاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ! فقال بُدَيل بن ورقاء : هذه والله خُزَاعة خَمَشَتْهَا الحربُ ، فقال أَبُوسفيان : خُزاعة أَقَلُّ وأَذَلُّ من أن تكونَ هذه نيرانُها وعسكرها ، قال العباس : فعرفتُ صَوْتَ أَبِى سُفيان ، فقلتُ : يا أَبا حَنْظَلَة ، فعرف صوتى ، فقال : لبَّيْك يا أَبا الفضل ،

---

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٤ .

(٢) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٠٢ .

مالك فِداك أَبى وأُمِّى ! ! وعرف صوتى ، فقلتُ : وَيلك !! هذا رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فى عشْرَةِ آلاف [فقال][1] واصبَاحَ قريش والله بأَبى أنت وأُمى فما تأْمرنى ، هلْ من حيلة ؟ قلت : نعم ، اركب عَجُزَ هذه البغلة ، فأَذْهَب بك إلى رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَستأمنه لك ؛ فإنه والله إن ظُفِر بك دُونَ رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلم – لَتُقْتَلَن ، فركب خلفى ، ورجع صاحباه – كذا فى حديث ابن عباس وعند ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر : أَنهما رجعا – وذكر ابن عُقْبَة ، ومحمد بن عمر فى موضعٍ آخر : أَنهما لم يرجعا ، وأَنَّ العباس قَدِمَ بهم إلى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – انتهى .

قال العبَّاس : فجئتُ بأَبى سفيان ، كُلَّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قَالُوا : من هذا ؟ فإذا رأَوا بغلةَ رسولِ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وأَنا عليها قالوا : عمّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب – رضى اللهُ عنه – فلما رآنى ، قام ، فقال : مَنْ هذا ؟ قلتُ : العباس ، فذهب ينظر ، فرأَى أَبا سُفيان خلْفِى ، فقال : أَى عدوّ الله !! الحمدُ لله الَّذى أَمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نَحْوَ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ورَكضتُ البغلة فسبقته كما تسبق الدَّابة البطيئةُ الرجلَ البطىءِ ، فاجتمعنا على باب قُبَّةِ رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فاَقتحمتُ عن البغلة فدخلتُ على رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم / – ودخل عمر على أَثرى ، فقال عمر : يا رسولَ الله !! هذا أَبو سُفيان قد [أَمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأَضرب عنقه ، قال قلت : يا رسول الله إنى قد][2] أَجرته ، ثم التزمتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَخذت برأْسه ، فقلتُ : والله لا يُناجيه اللَّيْلَة دونى رجلٌ . فلما أَكثر عمر فى شأْنه ، فقلتُ : مَهْلاً يا عمر ، فواللهِ لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك قد عَرَفْتَ أَنه مِنْ رِجَالِ بنى عبد مناف ؛ فقال : مَهْلاً يا عبَّاس ، وفى لفظٍ يا أَبا الفضل ، فواللهِ لإِسلامُكَ يومَ أَسلمتَ ٢٣٤ ط

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ .

(٢) سقط فى الأصول والإثبات عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٠٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩١ .

كان أَحبَّ إلى من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفتُ أن إسلامَكَ كان أَحَبَّ إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من إسلام الخطاب لو أسلم .

وذكر ابنُ عقبة ، ومحمدٌ بن عمر فى موضع آخر : قال العباس ، فقلتُ : يا رسولَ الله !! أَبُو سُفْيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن ورقاء قد أَجَرْتُهُم ، وهم يدخلون عليك ، فقالَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « أَدْخِلْهُم » فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامَّة اللَّيل يَسْتَخبِرهم[1] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : نشهد أن لا إله إلاَّ الله ، فقالَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « إشهدُوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فشهد بُدَيْل ، وحكيم بن حزام ، وقال : أبو سفيان : ما أَعلم ذلك ، واللهِ إنَّ فى النَّفْس من هذا لشئ بعد ، فأرجئها .

وعند أبى شيبة عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب : أَنَّه قيل لحكيم ابن حزام : بَايِعْ ، فقال : أبايعك ولا أَخِرّ إلاَّ قائِما . فقال رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « أما مِنْ قِبَلِنا فَلَنْ[2] تخِرَّ إلا قائِما » . انتهى .

وقيل لأَبى سفيان ذلك ، فقال : كَيْفَ أَصْنَعُ بِاللَّات والعُزَّى ؟ فقال عمرُ بنُ الخطاب ـ وهو خارجُ القُبَّة : إخرأ عليها ، أما والله لو كنت خارج القبة ما قُلتها ، فقال أَبو سُفْيان : مَنْ هذا ؟ قالوا : عمر بن[3] الخطاب قال العبَّاس : فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ : « اذهب به يَاعَبَّاس إلى رَحْلِك ، فإذا أصبحت فأْتنى به » قال : فذهبت به إلى رحلى .

وعند ابن عقبة ، ومحمد بن عمر : فلما أَذَّنَ الصُّبْحُ أَذَّنَ العسكر كلهم : أى أَجَابُوا المؤذن ـ ففزع أَبُو سُفْيَان من أذانهم ، فقال : ما يَصْنَع هؤُلَاء ؟ قال العبَّاس ، فقلتُ : الصَّلَاة . قال : كم يُصلون ؟ قلتُ : خَمْسَ صَلَواتٍ فى اليوم واللَّيْلَة ، ثم رآهم

---

(١) أى عن أهل مكة (المغازى للواقدى ٢ : ٨١٧) .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « فلاتخر » .

(٣) وفى رواية عبد بن حميد فقال أبو سفيان : ويحك ياعمر ، إنك رجل فاحش ، دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم (شرح المواهب ٢ : ٢٣١) .

يتلقَّوْن وضُوءَ رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : ما رأيت ملكاً قط كاليوم لا ملك كسرى ولا قيصر ، قال العبَّاس : فلمَّا صلَّى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الصُّبحَ غدوتُ به . وعند ابن عقبة ، ومحمد بن عمر : أن أبا سُفيان سأل العبَّاس فى دخوله على رسول اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ، وعند ابن أبى شَيْبَةَ عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمٰن بن حَاطِب : فلمَّا أصبَحُوا قام المسلمونَ إلى / طَهُورهم ، فقالَ أبُو سُفيان : يا أبَا الفضل !! مَا للنَّاسِ أُمِروا فى بشىء ؟ قال : ٢٣٥ و
لا ولكنهم قامُوا إلى الصَّلاة ، فأمره العبَّاس فتوضأَ ، وذهبَ به إلى رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلمَّا دخلَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الصلاةَ كبَّر وكبَّر النَّاس ، ثم ركع ، فركعُوا ، ثُمَّ رَفَعَ ، فرفعوا ، ثم سَجَد فسجدُوا ، فقال أبُو سُفيان : ما رأيتُ كاليوم طاعة ، قوم جمعهم مِنْ هٰهنا وهٰهنا ، ولا فارس الأَكارِم ، ولا الرّوم ذات القرون بأَطوع منهم له ، يا أبَا الفضل أصبَح ابنُ أخيك والله عظيمَ المُلْكِ ، فقال العبَّاس : إنه ليس بمَلِك ، ولكنها النبوة ، قال : أو ذاك . قال العبَّاس : فلما فرغَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قال : « يَا أبَا سُفْيَان ! ألم يأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إلٰهَ إلاَّ الله ؟! قال : بأَبى أنت وأمى !! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ! إنَّه لو كان مع اللهِ إلٰهٌ لقد أغنى عَنِّى شَيْئًا بعد ، لقد استنصرتُ إلٰهى ، واستنصرتَ إلٰهَكَ ، فَواللهِ ما لقيتُك مِنْ مرةً ، إلا نُصِرْتَ عَلَىَّ ، فلو كان إلٰهى مُحِقًّا وإلٰهك مُبطلا لقد غلبتُكَ ، فقال : « ويْحَك يَا أبَا سُفْيَان أَلَمْ يأْن لك أنِ تَعْلَمَ أَنِّى رسول الله ؟ قال : بأَبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ! أمَّا هذه فوالله إنَّ فى النَّفْس منها شيئاً حتَّى الآن ، فقال العبَّاس : ويحك ! أَسْلِم قبل أن تُضرب عُنُقك . فشهِدَ شهادة الحقّ ، فقال : أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله . وظاهر كلام ابن عقبة ومحمد بن عمر فى مكان آخر أن أبا سفيان قال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله من غير أن يعرض ذلك عليه أحدٌ . قال : قال أبو سفيان ، وحكيم بن حزام : يا رسول الله جِئْتَ بأَوباش النَّاس من يُعْرَفُ ومن لا يُعرف إلى أهلك وعشيرتك ! فقالَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « أَنْتم أظْلَم وَأَفْجَر ؛ قَدْ غَدَرْتُم بِعَهْدِ الحُدَيْبِيَة ، وظَاهَرْتُم عَلَى بَنِى كَعْب بِالْإِثْمِ وَالعُدْوَان فى حَرَمِ الله – تعالى – وَأَمْنِه » ، فقال حكيم

وأبو سُفيان : صدقت يا رسولَ الله : ثُمَّ قالا : يا رسولَ الله !! لو كنت جعلت جِدَّك ومكيدتك لِهَوَازِن ، فهم أَبْعَدُ رَحماً ، وأشد عداوة لك ؟ فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : « إِنِّى لَأَرْجُو مِنْ رَبِّى أَنْ يَجْمَعَ لى ذَلِكَ كله . فتح مكة ، وإعزاز الإِسْلَام بها ، وهَزِيمة هَوَازِن ، وَغَنيمة أَمْوالهم وَذَرَارِيهم ؛ فَإِنِّى أَرْغَبُ إِلَى الله - تعالى - فى ذلك » .

قال ابن عقبة : قال أَبُو سفيان ، وحكيم بن حزام : يا رسولَ الله ادعُ النَّاس بالأَمان ، أَرأَيت إن اعتزَلَتْ قريشٌ وكفَّتْ أَيديها آمنون هم ؟ فقالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - « نَعَم » قال العبَّاس ، قلتُ : يا رسولَ الله !! قد عرفت أَبا سفيان وجه الشرف والفخر ، فاْجعل له شيئاً .

وعند ابن أَبى شيبة عن أَبى سلمة ، ويحيي بن عبد الرحمن : أن أَبا بكر قال : ٢٢٥ط يارسولَ الله / إن أَبا سُفيان رجلٌ يحبُّ السَّماع ؛ يَعْنِى الشَّرَف - انتهى . فقال « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيانَ فَهُو آمن » فقال : وما تَسَعُ دارى ؟ زاد ابن عقبة « وَمَنْ دَخَلَ دارَ حكيم بن حزام فَهُو آمن » ودار أَبى سُفيان بأَعلى مكَّة ، ودار حكيم بأَسفلها « ومن أَغلق بابه فهو آمن ، ومن دَخَلَ المسجد فهو آمن » فقال أَبُو سُفْيان : وما يسع المسجد ؟ قال : « وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَه فَهُو آمن » فقال أَبو سفيان : هذه واسعة .

* * *

ذكر ارادة ابى سفيان ، وحكيم بن حزام الانصراف الى قومهما ليعلماهم بذلك ووقوفهما ليريا جنود الله تبارك وتعالى

قال ابنُ عقبة : لما توجهوا ذاهبين ، قال العبَّاس : يا رسول الله إنى لا آمن أَبا سُفيان أن يرجع عن إسلامه فاردده حتى يفقُه ، ويرى جنود الله - تعالى - معك .

وروى ابن أَبى شيبة عن أَبى سلمة ، ويحيي بن عبد الرحمن بن حَاطب : أن أَبا سفيان لما وَلَّى ، قال أَبو بكر : يَارسولَ الله ، لو أَمرت بأَبى سفيان فحبس على الطريق ؟

وقال ابنُ إسحاق ، ومحمد بن عمر : إنَّ أَبا سفيان لَمَّا ذهب لينصرف ، قالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لِلْعَبَّاس : « احْبِسْه بِمَضِيق الْوَادِى » . قال ابن عقبة ،

ومحمد بن عمر : فأدركه العبَّاس فحبسه ، فقال أبُو سفيان أغدراً يا بنى هاشم ؟ فقال العبَّاس : إن أهْلَ النُّبوَّةِ لا يغدِرُون . ولفظ ابن عقبة : إنَّا لَسْنَا بغدر ، ولكن[1] أَصْبِح حتَّى تنظر جنود الله ، وإلى ما أعَدَّ الله للمشركين ، قال ابنُ عقبة فحبسهم بالمضيق دون الأَراك إلى مكَّة حتَّى أصبحوا .

وروى ابن عساكر عن عطاء قال : لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس – رضى الله – تعالى – عنهما – قال : قالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ليلةَ قُربه من مكَّة فى غزوة الفتح « إنَّ بمكة لأربعة نفرٍ من قريش أَرْبَأُ بِهِم عن الشِّرْك ، وأرغبُ لهم فى الإسلام » قيل : ومن هُم يا رسولَ الله ؟ قال : « عَتَّاب بن أَسِيد ، وجُبَيْر بن مُطْعِم ، وحكيم بن حِزَام ، وسُهَيْل بن عمرو » .

* * *

ذكر تعبئة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه رضوان الله عليهم ومرورهم بأبى سفيان ، وما وقع فى ذلك من الآيات

قال ابنُ عقبة – رحمه الله تعالى – وأمر رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – منادياً يُنادى ؛ لتصبح كل قبيلةٍ قد أرْحَلت ، ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر ما معها من الأَداة والعدّة . فأَصبح النَّاسُ على ظهر ، وقَدَّم بين يديه الكتائبَ . قالوا : وَمَرَّتْ القبائل على قادتها . والكتائبُ على راياتها .

قال محمد بن عمر : وكان أوّل من قَدَّم رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خالد ابن الوليد / فى بنى سُلَيم – بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وسكون التحتية ، وهم ألف ، ويقالُ : ٢٣٦ و
تسعمائة ، ومعهم لواءان وراية ، يحمل أحد اللواءين العباسُ بن مِرْدَاس بكسر الميم ، والآخر يحمله خُفَاف – بخاء معجمة مضمومة – بن نُدبة – بنون مضمومة ، فدال مهملة – ويحمل الراية الحجاج بن عُلَاط – بعين مضمومة فطاء مهملتين ، فلمّا مرّوا بأَبى سُفيان ، كبَّرُوا ثلاث تكبيرات ، ثم مضوا ، فقال أَبُو سُفيان : يا عبَّاس !! من

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٤ « ولكن لى إليك حاجة فتصبح فتنظر » .

هؤُلَاءِ ؟ فقال : هذا خالدُ بن الوليد ، قال : الغلام ؟ قال : نعم قال : ومن معه ؟ قال : بنو سُليم ، قال : ما لى وبنى سُلَيم !

ثم مَرَّ على أَثَرِه الزُّبير بن العوّام فى خمسمائة من المهاجرين وَأَفْنَاءِ العرب ، ومعه رايةٌ سوداء . فلما مَرُّوا بأبى سُفْيان كبَّرُوا ثلاثاً ، فقال أَبُو سُفْيان : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : هذا الزّبير بنُ العوَّام ، قال : ٱبن أُختك ؟ قال : نعم ، ثم مَرَّت بَنُو غِفَار - بكسر الغين المعجمة - فى ثلاثمائة ، يحمل رايتهم أبو ذَرٍّ ، ويقال : إيماء - بكسر الهمزة ، وفتحها ، وسكون التحتية ؛ ممدود مصروف ، وقد يقصر مع الفتح - بن رَحَضَة - بحاءٍ ، فضاد معجمة مفتوحات ، وَأَجاز ابن الأَثير : سكون الحاءِ ، وٱقتصر النَّوَوِىُّ على الفتح ، وقال السهيلى : بضم الرّاء - فلمَّا حاذوه ، كبَّرُوا ثَلاثاً ، فقال أَبو سُفْيَان مَنْ هؤلاء ؟ قال : بنو غِفار ، قال : مالى ولبنى غِفَار ؟ ثم مرت أسلم فى أربعمائة ، فيهما لواءان يحملُ أَحدهما بُرَيْدَة - بلفظ تصغير البرد - بن الحُصَيب - بضم الحاءِ ، وفتح الصاد المهملتين ، فتحتية فموحدة - والآخر ناجية - بالنون ، والجيم - بن الأَعجم[1] ، فلما حاذوه كبَّرُوا ثلاثاً ، فقال : من هؤلاء ؟ قال العباس : أَسلم ، قال : مالى ولأَسلم ؟ ثم مرت بنو كَعْب بن عمرو فى خمسمائة ، يحمل رايتهم بُسْر - بضم الموحدة ، وسكون السين المهملة - بن سفيان فلما حاذوه ، كبَّرُوا ثَلَاثاً ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قال العباس : بنو عمرو بن كعب بن عمرو ، إخوة أَسلم ، قال : نعم ، هؤلاء حلفاء محمد ، ثم مرت مُزَيْنَة - بضم الميم ، وفتح الزاي ، فى أَلفٍ فيها ثلاثة أَلوية ومائة فرس ، يحمل أَلويتها النعمان بن مُقْرِن - بضم الميم ، وسكون القاف ، [وبالراء][2] والنون ، وعبد الله بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث ، فلما حاذوه كبّروا ثلاثاً ، قال : من هؤلاء ؟ قال : العباس : مُزَيْنَة ، قال : مالى ولمزينة ؟ قد جاءَتنى تقعقع مِنْ شواهقها ، ثم مرَّت جُهَيْنَة - بضمِّ الجيم ، وفتح الهاء وسكون التحتيَّة ، وبالنُّون - فى ثمانمائة ، فيها أَربعة أَلْوِيَة ، يحملها أَبو رَوْعة - بفتح الراءِ ، وسكون الواو - معبد

---

(١) انظر ترجمته فى الإصابة ٣ : ٥١١

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

ابن خالد ، وسويد بن صخر ، ورافع بن مَكِيث – بفتح الميم ، وكسر الكاف ، وبالمثلثة – وعبد الله بن بدر – بالموحدة – فلما حاذوه كبَّرُوا ثلاثاً ، فقال مَنْ هؤلاء ؟ قال : جُهَيْنَة ، قال : مالى ولجُهَيْنَة ؟ ثم مَرَّتْ كِنَانة – بكسر الكاف – بنو ليث وضَمْرَة ، وسعد بن بكر فى مائتين ، يحمل / لواءهم أبو واقد – بالقاف – اللَّيْثى ، فلمَّا حَاذُوه ٢٣٩ ط
كَبَّروا ثلاثاً ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قال العبَّاس : بَنُو بكر ، قال : نعم ، أَهل شُؤْمٍ والله ! هؤلاء الَّذِين غزانا محمَّدٌ بسببهم ، قال العبَّاس : قد خَارَ اللهُ – تعالى – لكم فى غَزْوِ محمد – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أَتاكم أَمنكم ، ودخلتم فى الإِسْلام كَافة[1] ، ثم مَرَّت أَشجع – بالشين المعجمة ، والجيم – وهم آخر من مَرّ ، وهم ثلاثمائة معهم لواءان ، يحمل أَحدهما معقل – بالعين المهملة ، والقاف – ابن سنان ، والآخر : نعيم بن مسعود. فَلَمَّا حاذوه كَبَّرُوا ثلاثاً قال أَبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العبَّاس : هؤلاءِ أَشجع ، قال أَبو سفيان : هؤلاء كانُوا أَشدّ العرب على محمد ، قال العبَّاس وأَدخل الله – تعالى – الإِسلامَ فى قلوبهم ، فهذا فضلُ من الله ، ثم قال أَبو سُفيان : أَبَعْدُ ما مضى محمد ؟ فقال العبَّاس : لا ، لم يمض بعد ، لو أَتت الكتيبة الَّتى فيها محمد رأَيت فيها الحديدَ والخيل والرجال ، وما ليس لأَحدٍ به طاقة ، قال : ومن له بهؤلاء طاقة ؟ وجعل النَّاسُ يمرّون ، كل ذلك يقولُ أَبُو سُفيان ما مرّ محمد ؟ فيقولُ العبَّاسُ : لا ، حتَّى طلعت كتيبةُ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الخضراءُ[2] الَّتى فيها المهاجرُون والأَنصار ، وفيها الرَّايات والأَلوية ، مع كلِّ بطنٍ من بُطون الأَنْصَار لواء وراية ، وهم فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَدَق ، ولِعُمَر بن الخطاب – رضى الله عنه – فيها زَجَل[3] بصوتٍ عالٍ وهو يَزَعُهَا ويقولُ : رويداً [حتى][4] يلحق أَولكم آخركم – يقال : كان فى تلك الكتيبة أَلفا دارع ، وأَعطى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – رايته سعدَ بن عُبَادة ، فهو

---

(١) زاد الواقدى فى المغازى ٢ : ٨٢٠ « وحدثنى عبد الله بن عامر عن أبى عمرة بن حماس قال : مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون ، يحمل لواءها الصعب بن جثامة ، فلما مروا كبروا ثلاثاً . فقال : من هؤلاء ؟ قال: بنوليث » .

(٢) سميت الخضراء للبسهم الحديد . والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة (السيرة الحلبية ٣ : ٩٤) .

(٣) الزجل : التطريب (اللسان) .

(٤) إضافة عن السيرة الحلبية ٣ : ٩٤ .

أمام الكتيبة ، فلما مَرَّ سعدٌ برايةِ رسول اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ نادى أبا سفيان فقال : اليومُ يومُ الملحمة[١] ، اليومُ تُسْتَحَلُّ الحرمة[٢] اليومُ أذلَّ اللهُ قريشا قال أبو سفيان : يا عباس ، حبَّذَا يوم الذِّمار[٣] . فمرت القبائِل ، وطلع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو على ناقته الْقَصْوَاء . قال محمد بن عمر : بينَ أبي بكر الصِّدِّيق ، وأسيْد بن الحُضير ، ـ وهو يحدثهما ـ فقال العبَّاس : هذا رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وفى الصحيح عن عُرْوَة أنَّ كتيبة الأَنْصارِ جاءَت مع سعد بن عُبادة ، ومعه الرَّاية ، قال : ولم يُرَ مثلها ، ثم جاءَت كتيبةٌ هى أقل الكتَائِب ، فيهم رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ وأصحابه ، وراية رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع الزُّبير ، قال فى العُيُون : كذا وقع عند جميع الرّواة . ورواه الحُمَيْدِيُّ فى كتابه : هى أجلّ الكتائب ، وهو الأَظهر انتهى .

فقال أبُو سفيان : لقد أَصْبَحَ مُلكُ ابن أخيك اليوم عظيما .قال العباس : قلت : يا أبا سفيان إنها النُّبُوَّة ، قال : فنعم إذًا .

وروى الطبرانى عن العباس ـ رضى الله عنه ـ قال : لمّا بعث رسولُ اللهِ ـ صلَّى
٢٣٧ و / الله عليه وسلَّم ـ قلتُ لأَبى سُفيانَ بن حرب : أسلم بنا ، قال : لا والله حتَّى أرى الخيْل تطلعُ من كَدَاء ، قال العباس : قلتُ ما هذا ؟ قال شىء طلع بقلبي ، لأَنَّ الله لا يطلع خيلا هُناك أبدا ، قال العبَّاس : فلما طلع رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من هناك ذكَّرْتُ أبا سفيان به فذكره .

---

(١) الملحمة : قال الحافظ : بالحاء المهملة ـ أى يوم حرب لايوجد منه مخلص ، أو يوم القتل ، ويقال : لحم فلانا إذا قتله (شرح المواهب ٢ : ٣٠٥) .

(٢) الحرمة : المقصود بها الكعبة (المرجع السابق ٢ : ٣٠٦) .

(٣) يوم الذمار : أى تمنى أن تكون له قوة فيحمى قومه ويدفع عنهم ، وقيل المعنى : حبذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه ، وقيل معناه : هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى لقربك للمصطفى وحبه لك وإقباله عليك (شرح المواهب ٢ : ٣٠٦) .

فلما مَرَّ رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ بأَبى سفيان ، قال : يا رسول الله أمرت بقتل قومك ؟! أَلَمْ تعلمْ ما قال سعدُ بنُ عبادة قال : « ما قال » قال : كذا وكذا ، وإنى أَنشدك اللهَ فى قومك ، فأَنت أَبرّ الناس ، وأَوصل الناس ، وأَرحم الناس ، فقال رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « كَذَبَ سَعْد يَا أَبا سُفْيَان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم يُعظم الله فيه الكعبة ، اليوم يوم تُكْسَى فيه الكعبة ، اليوم يوم أَعز الله فيه قريشا » .

وعند ابن إسحاق : أن سَعْدًا لما قال ما قال ، سمعه رَجُلٌ مِنَ المهاجرين ، قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ما نأمن أَن يكون له فى قريش صَوْلَة : وأستبعد ذلك الحافظ من عمر هنا لكونه كان معروفاً بشدة البأس عليهم .

وعند محمد بن عمر : أن عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، قالا ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وقال ضِرارُ ـ بضادٍ معجمة ـ بن الخطاب الفهرى ـ فيما ذكره محمد بن عمر ، وأَبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ـ شعراً يستعطف[1] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ على أهل مكة حين سمع قول سعد ، قال أَبو الربيع وهو من أَجود شعر قاله .

وعند ابن إسحاق وعند ابن عساكر من طريق أَبى الزبير عن جابر ـ رضى اللهُ عنه ـ أن امرأة من قريش عارضت رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بهذا الشِّعر ، فكأَنّ ضِرَاراً أَرسل به المرأة ليكون أَبلغ فى أنعطاف رسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلَّم ـ على قريش[2] :

يا نبيَّ الهُدَى إليك لَجَـــا حيُّ قريش وَلَاتَ حِينَ لَجَاء[3]
حِينَ ضَاقَتْ عليْهِم سَعَةُ الأَرْ ضِ وعادَاهم إِلَه السماء

(١) كذا فى ت ، ط ، م ـ وفى ص « يتعطف » .
(٢) وهذا القول الذى ذهب إليه ابن إسحاق وابن عساكر موافق لما فى شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ .
(٣) انظر القصيدة فى شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

والْتقَتْ حلقَتا البِطَان علَى القَوْ ... مِ ونُودُوا بِالصَّيْلم الصَّلْعَاء

إنَّ سَعْدًا يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظَّهْ ... رِ بِأَهْلِ الحَجُون وَالْبَطْحَاء

خَزْرَجِيّ لَوْ يَسْتَطِيعُ من الغيـ ... ـظ رَمانا بالنَّسر والعَوَّاء[1]

وغِـــرُ الصَّدْرِ لَا يَهُمُّ بِشَىءٍ ... غير سَفْكِ الدِّمَا وَسَبْى النِّسَاء

قَدْ تَلَظَّى عَلَى الْبِطَاحِ وَجَاءَتْ ... عَنْهُ هِنْدٌ بِالسَّوْءَةِ السَّوْآء

إذْ يُنَادِى بِذُلِّ حَىّ قُرَيْشٍ[2] ... وابن حَرْب بِذَا مِنَ الشُّهدَاء

فلَئِنْ أَقْحَمَ اللِّواءَ وَنَادَى ... يَا حُمَاةَ الأَدبَارِ[3] أَهل اللِّواء

ثُمَّ ثَابَتْ إِلَيْهِ من بُهَم الخز ... رج والأَوْس أَنْجُمُ الْهيْجَاء

لتكونن بالبطاح قريشٌ ... فِقعَةَ الْقَاعِ فِى أَكُفِّ الإِمَاء

٢٣٧ ط / فأنهَيْنَه فإنه أَسدُ الأُسْـ ... ـدِ لَدَى الْغَاب والغ فى الدِّمَاء[4]

إنَّه مُطْرِقٌ يُرِيدُ لَنَا الأَمْـ ... ـرَ سكوتاً كَالْحَيَّةِ الصَّماء

فأَرسل رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – إلى سعد ، فنزع اللواءَ من يده ، وجعله إلى ابنه قيس بن سعد ، ورأى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أن اللواءَ لم يخرجْ من يَدِ سعد ، حتى صار إلى ابنه .

قال محمد بن عمر : فأَبى سعد أن يسلم اللِّوَاءَ إلاّ بأَمارةٍ مِنْ رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فأَرسلَ النَّبيُّ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بعمامته ، فدفع اللِّواءَ إلى ابنه قيس ، ويقالُ : إنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَمر عليًّا فأَخذ الرَّاية ، فذهب بها إلى مكة حتى غرزها عند الركن .

---

(١) فى الأصول « خزرجى لايستطيع من البغض رمانا بالنسر والعواء
والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ وسيرة ابن كثير ٣ : ٥٦٠ وشرح المواهب ٢ : ٣٠٧ .

(٢) فى الأصول : إذ ينادى ياذل حى قريش والمثبت عن المرجع السابق

(٣) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٠ (.·. ياحماة اللواء أهل اللواء)

(٤) فى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥٦٠
فانهينه فإنه الأسد الأسود والليث والغ فى الدماء

قال أبو عمر – رحمه الله تعالى – : قد رُوِىَ أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أعطى الرَّايةَ للزبير إذْ نزعها من سعد .

وروى أبو يعلى عن الزبير – رضى الله تعالى عنهما – أَن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلَّم – دَفَعهَا إليه فدخل بلواءَين ، وبه جزم موسى بن عقبة .

قال الحافظ : والذى[1] يظهر فى الجمع أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أَرسل عليًّا لينزعها ، وأَن يدخل بها . ثم خَشِىَ تغيِّر خاطر سعد ، فأَمر بدفعها لأَبنه قيس ، ثم إنَّ سعداً خشى أَن يقع من ابنه شيء يكرهه رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فسأل رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَن يأْخذها ، فحينئذٍ أَخذها الزبير ، ويؤيِّد ذلك ما رواه البزار بسند على شرط البخارى عن أَنَسٍ – رضى الله عنه – قال : كان قيسٌ فى مقدمة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – لَمَّا قَدِمَ مكة ، فكلم سعدٌ النبى – صلى اللهُ عليه وسلَّم – أَن يصرفه عن المَوْضِع الذى هو فيه مخافة أَن يقدم على شىء فصرفه عن ذلك . انتهى .

وروى ابن أَبى شيبة عن أَبى سَلَمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب ، والطبرانى عن عُرْوة : أَن العبّاس قال : يا رسولَ الله !! لو أَذنت لى فأَتيتهم . أَى أَهل مكة – فدعوتهم فأَمنتهم ، فركبَ العباسُ بغْلَةَ رسولِ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الشهباءَ ، وانطلق ، فقال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم : « ردُّوا علَىَّ أَبِى ، رُدُّوا عَلَىَّ أَبِى ، فإن عَمَّ الرجل صِنْوُ أَبيه – « إنى أَخافُ أَن تَفْعل بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَت ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ ابن مسعود ؛ دَعَاهُم إلى الله – تعالى – فَقَتَلُوه ، أَما واللهِ لَئِن رَكِبُوهَا مِنْه لأَضرمنَّها عَلَيْهِمْ نَارًا » فكره عباسُ الرجوع ، وقال : يا رسولَ الله ، إن تُرْجع أَبا سفيان راغبا فى قلَّةِ النَّاس ، فيكفر بعد إسلامه فقال « احْبِسْه » فَحَبَسَه ، فذكر عرْضَ القبائل

---

[1] وقد ورد فى المواهب اللدينة وعليها شرح الزرقانى ٢ : ٣٠٧ « فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التى نزعت من سعد . والذى يظهر فى الجمع – كما قال الحافظ – أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس . ثم إن سعداً خشى أن يقع من إبنه شيء ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير » ويستمر السياق على ما هنا فى المتن .

ومرورها بأبي سفيان ، وفيه فقال أبو سفيان : امض يا عبّاس . فانطلق العباسُ حتى دخل مَكّةَ فقال : يا أهل مكة ! ! أَسْلِموا تَسْلَمُوا قد استبطنتم بأَشهب بازل . انتهى .

٢٢٨ و وفى حديث عُرْوَة عند الطبرانى/ : وكفهم اللهُ عزّ وجل – عن العباس – انتهى . قال العبّاس ، فقلت لأبى سفيان بن حرب : أَنجُ ويحك – فأُدرك قومَك قبل أن يدخل عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فخرج أبو سفيان ، فتقدمّ الناس كلَّهم حتّى دخل مكّةَ من كداء فصرخ بأعلى صوته : يَامَعْشَرَ قُريش ، هذا محمد قد جاءَكم بمَا لا قِبَل لكم به ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، مَنْ دخل دَارَ أَبِى سُفيانَ فهو آمن . قالُوا : قاتالك الله ! وما تُغْنِى دارك ؟! قال : وَمَنْ أَغْلَق بابَه فهو آمن ، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن . فقامت إليه هندُ بنتُ عُتْبَة زوجتُه ، فأَخذت بشاربه ، وقالت : أَقْتُلُوا الحَمِيتَ[1] الدَّسِم الأَحْمَس ، قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ . فقالَ أَبُو سُفيان : ويلكم ! لا تغرنّكُم هذه مِنْ أنفسكم ، فإنَّه قد جاءَكم مالا قِبَلَ لكم به .

* * *

ذكر من امر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقتله يوم الفتح ، ولا يدخـل فيما عقد من الأمان[2]

هم عبد العزى ابن خَطَل – بفتح الخاء المعجمة ، والطّاء المهملة ، وآخره لام وكان قد أَسلم ، وسماه رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عبد الله وهاجر إلى المدينة ، وبعثه رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلم – سَاعِياً ، وبعثَ معه رَجُلاً مِنْ خُزَاعة ، وكان يصنع له طعامه ويخدمه فنزلا فى مجمع – والمجمع حيث تجتمع الأَعراب يؤدون فيه الصدقة – فأَمره أن يصنع له طعاماً ، ونام نصف النهار ، واستيقظَ ، والخزاعى نائم ، ولم يصنع له شيئا ، فَعَدَى عليه فضربه فقتله ، وارتدّ عن الإِسلام ، وهربَ إلى مكة ، وكان يقول الشعرَ يهجو به رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وكان له قينتان ، وكانتا فَاسقتين ، فيأمرهما ابن خَطَل أن يغنيا بهجاء رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

---

(١) الحميت : زق السمن – والدسم : الكثير الودك . والأحمس : الذى لاخير عنده (نهاية الأرب ١٧ : ٣٠٢) ، وشرح المواهب ٢ : ٣١٣ ، وسترد المعانى فى شرح الغريب .

(٢) وانظر شرح المواهب ٢ : ٣١٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٣ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٣١٧ والمغازى للواقدى ٢ : ٨٢٦ ، وسيرة النبى لابن هشام بشرح الروض الأنف ٢ : ٢٧٣ .

وعن [أنس[(١)]] قال : دَخَلَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – مكة يومَ الفتح على رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءَ رجلٌ فقال : ابن خَطَل متعلِّق بأَسْتَار الكعبة ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « اقْتُلُوه » رواه الإمام مالك والشَّيخان .

قال محمد بن عمر : لَمَّا دخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلَى ذِى طُوىً ، أقبل ابنُ خَطَلٍ مِنْ أعلى مكة مُدَجَّجًا فى الحديد على فرسٍ وبيده قناة ، فَمَرَّ ببنات سعيد بن العاص فقال لهن : أما والله لا يدخلها محمدٌ حتى تُرَيْنَ ضربا كأفواه[(٢)] المزاد ، ثم خرج حتى انتهى إلى الخَنْدَمة ، فرأى خَيْلَ الله ، ورأى القتال فدخله رُعْبٌ ، حتَّى ما يَسْتَمْسِكُ مِنَ الرِّعدة ، فرجع حتَّى انتهى إلى الكعبة ، فنزل عن فرسه ، وَطَرَحَ سِلاَحَه وأتى البيت فدخل تحت أستاره ، فَأخذَ رَجُلٌ من بنى كعبٍ سِلاَحَه وَأَدْرَكَ فرسه عَائِراً فَاستوى عليه ، ولحق برسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالحَجُون .

وعبد الله بن سعد / بن أبى سَرْح – بفتح السِّين ، وإسكان الرَّاء ، وبالحاء المهملات – ٢٢٨ ط
كان أَسْلَم ، ثمَّ ارتد ، فشفع فيه عُثْمانُ يومَ الفتح ، فحقن دمه ، وأسلم بعد ذلك فقبل إسلامه ، وحَسُنَ إسْلاَمُه بعد ذلك ، وَوَلاَّه عمرُ بعْضَ أعماله ، ثُمَّ وَلاَّه عُثْمان ، ومات وهو ساجد فى صَلاَةِ الصُّبح ، أو بعدَ انْقِضَائها ، وكان أحد النُّجباء الكرماء العُقلاء من قريش ، وكان فارس بنى عامر بن لؤى المقدم فيهم ، وسيأتى خبره مبسوطاً فى أبواب كتَابه – صلى الله عليه وسلم .

وعكرمَة بن أبى جهل ، أسلم فَقَبِل إسلامه .

---

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٣٢١ ؛ فإن هذا الخبر من حديث مالك عن ابن شهاب عن أنس رضى الله عنه .

(٢) الكلمة غير واضحة فى الأصول ، والإثبات عن المغازى للواقدى ٢ : ٨٢٧ . وشرح محققه المزاد بقوله المزاد جمع مزادة وهى الراوية . قال أبو عبيد: لاتكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع (الصحاح ٤٧٩) وفى وفاء الوفا ٤ : ١٣٠٢ « المذاد – بالفتح وذال معجمة وآخره مهملة من ذاده، إذا طرده ، اسم أطم لبنى حرام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح به سميت الناحية ، عنده مزرعة تسمى المذاد ، قال كعب بن مالك يوم الخندق : –

من سره ضرب يرعبل بعضه ... بعضاً كمعمعة الإناء المحرَق
فليأت مأسدة تسل سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندق

والحُوَيْرث – بالتصغير – بن نُقَيْدر بضم النون ، وفتح القاف ، وسكون التَّحتية ، فدال مهملة ، فراء مهملة ، كان يُؤذِى رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ونَخس بزينت بنت رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – لما هَاجرَت إلى المدينة ، فأَهدر دمه . فبينما هو فى منزله قد أَغلق عليه بابه ، فسأَل عنه على بن أَبى طالب – رضى الله عنه – فقيل هو بالبادية ، فأُخبِر الحويرث أنّه يُطْلَب ، فَتَنَحى عَلِيٌّ عن بابه ، فخرج الحويرث يريد أن يَهْرب من بَيْتٍ إلى آخر ، فَتَلَقَّاه علِيٌّ ، فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وكان العباسُ بنُ عبد المطلب حمل فاطمة ، وأُم كلثوم بنتى رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – مِنْ مكَّة يُريدُ بهما المدينة ، فَنَخَسَ بِهِمَا الحويرثُ فرمى بهما الأَرض .

قال البلاذرى – رحمه اللهُ تعالى – وكان يُعْظِمُ القولَ فى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وينشدُ الهجاءَ فيه ، ويكثرُ أَذاه وهو بمكة .

ومِقْيَس . بميم ، فقاف ، فسين مهملة – بنُ صُبَابة ، بصادٍ مهملة ، وموحدتين ، الأُولى خفيفة – ، كان أَسلم ، ثم أَتى على رجلٍ من الأَنصار فقتله ، وكان الأَنصارى قتل أَخاه هِشَاماً خَطَأً فى غزوة ذى قَرد ، ظَنَّه مِن العدوّ ، فجاءَ مِقْيَس ، فأَخذ الدّية ، ثم قَتَلَ الأَنْصارى ، ثم ارتد ، فقتله نُمَيْلَة – تَصغير نملة – بن عبد الله يومِ الفتح .

وهَبَّار – بفتح الهاءَ ، وتشديد الموحدة بن الأَسود ، أَسلم ، وكان قَبْلَ ذَلك شديدَ الأَذى للمسْلِمين ، وعرَضَ لزينبَ بنت رسولُ الله – صَلْى اللهُ عليه وسلَّم – لَمَّا هاجرت فنخسَ بها ، فأسقطت ، ولم يزل ذلك المرضُ بها حتَّى ماتت ، فَلَمَّا كان يومُ الفتح ، وبلغه أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أَهْدَرَ دَمَه ، فَأَعلن بِالإِسلام ، فقبله منه رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – وعَفَا عنه .

والحُوَيْرث بن الطلاطل الخُزَاعى ، قتله علِيٌّ – رضى الله عنه – ذكره أَبو معشر .

وكعب بن زهير ، وجاءَ بعْدَ ذلك فأَسلم ، ومَدَحَ . ذكرَهُ الحاكمُ .

ووحْشِيٌّ بن حرب ، وتقدَّم شأْنه فى غزوة أُحد ، فَهَرَبَ إلى الطَّائف ، فلما أَسلم أَهلها جاءَ فأَسلم .

وسارةُ مولاة عمرو بن[1] هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت مغَنِيةً نوَّاحةً بمكة ، وكانت قَدِمَتْ على رسول الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – قبل الفتح ، وَطَلَبَتْ منه الصِّلة / وشكت الحاجة ، فقالَ رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم « ما كان فى غنائِك ٢٣٩ و ما يُغْنيك ؟ » فقالت : إنَّ قُرَيْشًا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناءَ ، فوصلها رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – وأوقر لَهَا بعيراً طعاماً ، فرجعت إلى قريش . وكان ابنُ خَطَلٍ يُلْقى عليها هِجَاءَ رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فتغنى به . وهى التى وُجِدَ معها كتابُ حَاطِبِ ابن أَبى بَلْتَعَة ، فأَسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب

وهند بنت عُتْبَة امرأَةُ أَبى سفيان بن حرب ، وهى الَّتى شقَّت عن كَبِدِ حَمْزَة ابن عبد المطَّلب عمّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فأَسلمتْ ،فَعَفَا عنها .

وأَرنب مولاة ابن خَطَل ، وقينتان لابن خطَل ، كانتا تغنيان بهَجْو رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – اسم إحدهما فَرْتَنَى – بفتح الفاء ، وسكون الرَّاء وفتح الفوقية ، فنون ، فأَلف تأْنيث مقصورة ، والأُخرى قَرِيبَة – ضدّ بعيدة ، ويقال : هى أَرنب السابقة ، فاستؤمن لإحداهما فأَسلمت ، وقتلت الأُخرى ، وذكر عن ابن إسحاق أَن فَرْتَنَى هى التى أَسلمت ، وأَن قَرِيبة قتلت .

وأُم سعد قتلت فيما ذكره ابنُ إسحاق ، ويحتمل كما قال الحافظ – رحمه اللهُ – تعالى – أَن تكون أَرنب ، وأُم سعد القينتان . واختلف فى اسمِهما باعتبار الكُنيةِ واللَّقَب .

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٣١٤ « وسارة مولاة لبعض بنى المطلب بن هاشم بن عبد مناف – كذا وقع بإبهام البعض عند ابن إسحاق ، ويقال فى تعيين هذا البعض كانت مولاة عمرو بن صيفى بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وهى التى وجد معها كتاب حاطب » وقيل كانت مولاة العباس وانظر السيرة الحلبية ٣ : ١٠٧ .

ذكر دخوله — صلى الله عليه وسلم — مكة وارسال طائفة من اصحابه أمامه وارادة بعض المشركين صدهم عن دخولهم ، وقتل المسلمين لهم

قال ابنُ إسحاق — رحمه اللهُ تعالى — وغيرُه : لَمَّا ذَهَبَ أبو سفيان إلى مكَّة بعد ما عاين جنودَ اللهِ — تعالى — تمرّ عليه ، فأنتهى المسلمون إلى ذى طوًى ، فوقفوا ينتظرون رسولَ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — حتَّى تلاحَقَ النَّاسُ ، وأقبلَ رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلم — فى كتيبته الخضراء ، وهو على ناقته القصواء ، مُعْتَجرا بشقّ بُرد حِبَرة حمراء .

وعن أنسٍ — رضى اللهُ عنه — قال : لَمَّا دَخَلَ رسولُ الله — صَلَّى الله عليه وسلم — استشرفه النَّاسُ ، فوَضَع رأسه على رحله متخشِّعًا ، رواه الحاكم بسندٍ جيّد قويٍّ ، ورواه أبو يَعْلَى من طريق آخر ، وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : دخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ وعليه عمامة سوداء ، ورايتهُ سوداء ، ولواؤه أسود حتَّى وقف بذى طوًى ، وتوسَّطَ الناس ، وإنَّ عُثْنُونَهُ[1] ليَمَسّ واسطة رحله ، أو يَقْرُبُ منها تواضُعاً لله عزّ وجلّ حين رأى ما رأى مِنْ فتح الله تعالى ، وكثرة المسلمين ، ثم قال : « اللَّهُم إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الأَخِرَة» قال : وجعلت الخيلُ تمعج بذى طُوى فى كل وَجْه ، ثُمَّ ثابت وسكنت حين توسطهم رسولُ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — رواه محمد ابن عمر .

وعن أنسٍ — رضى اللهُ تعالى عنه : أنَّ رسولَ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — دخل مكَّة وعليه عمامة سوداء بغير / إحرام ، رواه الإمام أحمد ، ومُسلم ، والأربعة . ٢٣٩ ظ

وعن عمرو بن حريث — رضى الله عنه قال : كأنى أنظر إلى رسولِ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ فتح مكَّةَ ، وعليه عِمَامَةٌ سوداء خَرْقَانِيَّة[2] ، وقد أرخى طرفها

---

(١) العثنون : اللحية (شرح المواهب ٢ : ٣٣٠) .

(٢) كذا فى الأصول بالخاء : نسبة إلى خرقان قرية من قرى همذان (ياقوت) وبالحاء المهملة كما فى شرح المواهب ٢ : ٣١٩ — نسبة إلى الحرقة بالضم ثم الفتح . ناحية بعمان (ياقوت) .

بين كتفيه ، رواه مسلم ،وعن عائشة – رضى اللهعنها – قالت : دخلَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ الفتح من كَدَاءَ من أعلى مكَّة ، رواه البخارى ، والبيهقىُّ .

وعن جابرٍ – رضى اللهُ عنه – قال : كان لواء رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ دخل مكة أبيض ، رواه الأربعة .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : كان لواءُ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ الفتح أبيض ، ورايته سوداء تُسَمَّى العُقاب ، وكانت قطعة مِرْط مُرَحَّل ، رواه ابن إسحاق .

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : لَمَّا دخل رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكة عام الفتح ، رأى النِّساء يَلطِمْنَ وُجُوهَ الخيل بالخُمُر ، فتبسَّم إلى أبى بكرٍ ، فقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان » فأنشده أبو بكر ، قول حسَّان – رضى الله عنهما :

عدمت بُنَيَّتِى إن لم تَرَوْهَــا تثير النَّقعَ من كتفى[1] كداء

ينازعــن الأعنَّــة مُسْرَجَات يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُــر النساء

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ادخلوها من حيث قال حسَّان » .

وفى الصحيح وغيره عن عروة : « أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمر الزُّبَير ابن العوَّام أن يَدْخُلَ مِنْ كَدَاء من أعلى مكة ، وأن يغرز رايته بالحَجُون ، ولا يبرح حَتَّى يأتيه » . وفى الصحيح أيضاً عن العبَّاس أنَّه قال للزبير بن العَوَّام : يا أبا عبد الله هَاهُنَا أمرك رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – أن تركز الراية ؟ قال : نعم .

---

(١) كذا فى الأصول : وفى ديوان حسان بن ثابت ص ١٢ ط السعادة :

عدمنــا خيلنــا إن لم تــروهــا تشــير النقــع موعــدها كداء

ومطلع القصيــدة :

عفت ذات الأصابع فالجــواء إلى عــذراء منزلها خــلاء

قال : وأَمَرَ رسولُ الله – صلى اللهُ عليه وسلَّم – خَالِدَ بنَ الوليد – وكان على المُجَنِّبَةِ اليُمْنى ، وفيها أَسْلَم ، وسُلَيم ، وغِفَار ، ومُزَيْنَة ، وجُهَيْنة ، وقبائل مِنَ العرب – أن يدخلوا من اللِّيط ، وهو أسفل مكة ، وأمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت[1]

وأَمَّر[2] أبا عبيدة بن الجراح – رضى الله عنه – على الحُسَّر[3] ، كما عند الإمام أحمد.

وفى صحيح مسلم عن [عبد الله بن رباح[4]] أن أبا عبيدة كان على البَيَاذقة[5] ، يعنى الرجالة .

وعند ابن إسحاق وعبد الله بن أبى نجيح أن أبا عبيدة بن الجراح أقبل بالصَّفِ من المسلمين يَنْصَبُّ لمكة بين يدَى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

قالُوا : وأمر رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أُمَراءَه أن يكفوا أَيْدِيَهم ، ولا يقاتلُوا إلاَّ مَنْ قاتلهم ، قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر رحمهما الله تعالى : إنَّ صَفْوَان بنَ أُميّة وعِكْرِمة بن أبى جَهْل ، وسُهَيْلَ بن عمرو ، – وأسلموا بعد ذلك – دَعوا إلى قتال رسول اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وَجَمَعُوا أُنَاساً بِالخَنْدَمَة وضوى إليهم ناسٌ مِنْ قريش ، وناسٌ من بنى بكر ، وهُذَيْل ، ولبسوا السلاح ، يُقْسِمُون بالله لا يَدْخُلها محمد عَنْوةً أبدا ، وكان رجل من بنى الدِّيل يقال له جِمَاش[6] / – بكسر ٢٤٠ و
الجيم وتخفيف الميم – وبالشين المعجمة – بن قَيْس بن خالد لَمَّا سَمِعَ بدخول رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – جعل يُصْلِحُ سلاَحَه ، فقالت له امرأتُه : لمن تُعِدُّ هذا ؟

---

(١) بعد هذا بياض فى ت ، ط ، م بمقدار خمس كلمات . أما فى ص فلا يوجد أى بياض ٢ : ٢٠٦ والكلام متصل كما ترى .
(٢) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٣١٧ « وبعث أبا عبيدة الخ » .
(٣) الحسر : الذين بغير سلاح أولا دروع لهم (شرح المواهب) ٢ : ٣١٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٧) .
(٤) بياض فى الأصول ، والمثبت عن صحيح مسلم ٣ : ١٤٠٧ تحقيق عبد الباق .
(٥) البياذقة : كلمة فارسية معربة تعنى الرجالة (شرح المواهب ٢ : ٣١٧) .
(٦) جماش – كذا هنا وهو يخالف ماسيرد فى شرح الغريب ص حيث جاء « حماس بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم وبعد الألف سين مهملة » ويصحح الأخير ما ورد فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٢٧ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٣٠٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٩٦ .

قال : لمحمد وأَصْحَابِه ، قالت : واللهِ ما أَرى يَقُومُ لمحمد وأَصحابه شيء . قال : والله إنى لأَرجو أن أُخْدِمَكِ بَعْضَهُم فإنّك محتاجةٌ إليه. قالت : وَيْلَكَ : لا تفعل ، ولا تقاتل محمدا والله لَيَضُلن عنك رأيُك ، لو قد رأيتَ محمداً ، وأَصحابَه ، قال سترى ثم قال :

إنْ يُقْبِلُوا اليَوْمَ فَمَالِي عِلَّهْ هذا سلاح كَامِـــلٌ وأَلَّةْ
وَذُو غِرَارَيْن سَرِيْعُ السَّلَّةْ

ثم شهد الخَنْدَمَة مع صَفْوَان ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعِكْرِمة ، فلما دخل خالدُ بنُ الوليد من حيث أَمره رسولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ وجد الجمعَ المذكور ، فمنعوه الدُّخولَ ، وشهرُوا له السِّلاح ، ورموه بالنبل ، وقالُوا : لا تدخلها عَنْوَةً ، فصاح فى أَصحابه فقاتلهم ، وقُتِلَ منهم أَربعة وعشرون رجلاً مِنْ قُرِيش ، وأَربعةٌ من هُذَيل .

وقال ابن إسحاق : أُصيبَ مِنَ المشركين قريبٌ من اثنى عشر أَو ثلاثة عشر ، وانهزموا أَقبح الانهزام ، حتَّى قتلوا باالحَزْوَرة ، وهم مُوَلُّون فى كُلِّ وَجْه ، وانطلقَتْ طائفةٌ منهم فوق رءُوس الجبال ، وأَتبعهم المسلمون .

قال محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ وجعل خَالِدُ ـ رضى اللهُ عنه ـ يتمثَّلُ بهذه الأَبيات :

إذَا مَا رسُولُ اللهِ فِينَا رأَيتــه كَلُجَّةِ بحرٍ نالَ فيها سريرُهــا
إذا ما ارتدينا الفارسية فوقهــا رُدَيْنِيَة(١) يَهْدى الأَصمَّ خَرِيرُها
رأَينا رسول الله فينا مُحَمَّـــــدًا لهـــا ناصِرًا عزّت وعَزَّ نصيرُها

قال ابن هشام : وكان شِعارُ المهاجرين من أَصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يومَ فتح مكَّة وحُنَين والطَّائف : يا بَنِى عبد الرحمن ، وشِعَارُ الخَزْرَج : يا بنى عبد الله ، وشِعَارُ الأَوْس : يا بنى عُبيد الله .

---

(١) الردينية : القناة والرمح الرديني . زعموا أنه منسوب لامرأة السمهرى وتسمى ردينة ، وكانا يقومان القناة بخط هجر (الصحاح ٢١٢٢)

وجعل أَبُو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزَام يصيحان : يا معشر قريش عَلَامَ تَقْتُلُون أَنْفُسَكم ؟! مَنْ دَخَلَ داره فهو آمن ، وَمَنْ وضَعَ السَّلاحَ فهو آمن ، فجعل النَّاس يقتحمون الدُّور ويَغْلِقُون عليهم ، ويطرحون السِّلاح فى الطُرق حَتَّى يأخذه المسلمُون ، ورجع حمَاس[١] مُنْهَزِمًا حتى انتهى إلى بيته ، فَدَقَّه ، ففتحت له امرأته ، فدخل وقد ذهبت روحه ، فقالَتْ له : أين الخادم الذى وعَدْتَنِى ؟ ما زلتُ منتظرةً لك منذ اليوم – تسخر منه – فقال : دَعِى هذا عنك ، وأغلقِى عَلَىَّ بابِى ، ثم قال :

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ   إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْـرِمَهْ
وَأَبُو يَزِيدٍ كالعجوز المُؤتِمَهْ   وٱسْتَقْبَلَتْهُمْ بالسُّيوفِ المُسْلِمَـهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِـدٍ وجُمْجُمَهْ   ضَرْباً فلاَ تُسْمَعُ إلاَّ الغَمْغَمَهْ / ٢٤٠ ط
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَـهْ   لَمْ تَنْطِقِى فِى اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ[٢]

وأقبل الزّبير – رضى الله عنه – بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحَجُون عند منزلِ رسولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ولم يُقْتَل من المسلمين إلاَّ رجُلَان من أصحاب الزُّبير ، أخطآ الطَّرِيق فسلكا غيره فَقُتِلاَ ، وهما كُرْز بن جابر[٣] الفِهْرِىّ ، وحُبَيْش[٤] – بحاء مهملة مضمومة ، فموحَّدَة مفتوحة ، فتحتية ساكنة فشين معجمة – بن خالد بن ربيعة بن الأَشعر – بشين معجمة ، وعين مهملة – الكعبى – رضى الله عنهما – ومضى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – فدخل مكة من أذاخِر[٥] ، فلما ظهر على أذاخِر ، نظرَ إلى البارقة مع فَضَضِ المشركين ، فقال : « مَا هَذِه الْبَارِقة ؟! أَلَمْ أَنْهَ عَنْ القِتَال ؟ »

(١) أنظر التعليق فى الصفحة السابقة . فقد ورد أنه « جماش » بشين معجمة .

(٢) لم تنطق فى اللوم أدنى كلمة . كذا فى الأصول وفى السيرة الحلبية ٢ : ٢١٨ ط سنة ١٣٤٩ هـ « لاتنطق » .

(٣) هو كرز بن جابر بن حسن بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشى الفهرى أسلم بعد الهجرة ، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الذى بعثه فى أثر العرينين الذين قتلوا راعيه . (الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ٣ : ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

(٤) هو حبيش بن خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حبيش بن حرام بن كعب بن عمرو الخزاعى ، يكنى أباصخر ، وهو أخو أم معبد (الإصابة ١ : ٣٠٩) .

(٥) أذاخر : ثنية بين مكة والمدينة « شرح المواهب ٢ : ٣١٠ ، ويقال موضع قرب مكة ينسب إليه نبت أذاخر (وفاء الوفا ٤ : ١١٢٣) .

قالوا : يا رسول الله ، خالدُ بن الوليد قُوتل ولو لم يُقَاتَل ما قَاتَل ، وما كان يا رسول اللهِ ليعصيك ، وَلَا يخالف أمرك ، فقالَ رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليهوسلَّم – « قضَاءُ اللهِ خَيْر » .

وروى الطَّبرانى عنْ ابن عبَّاسٍ – رضىَ الله عنهما – أن رسولَ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – خطبَ ، فقال : « إنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّة[1] » الحديث ، فقيل : هذا خالد يَقْتُل ، فقال : « قُمْ يَا فُلَان فَقُلْ لَه فَلْيَرْفَع يَدَيْه من الْقَتْل » فأتاه الرَّجُل ، فقال له : إن رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم – يقولُ لك ، اُقْتُل مَن قَدَرْت عليه ، فقتل سبعين ، فَأُتَى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – فَذُكِرَ له ذلك ، فأَرسلَ إلى خالد « ألم أَنْهَكَ عن القتل ؟! » فقال : جاءَنى فلان فأَمرنى أن أَقْتُلَ مَنْ قَدَرتَ عليه ، فأَرسلَ إليه « ألم آمُرك أنْ تُنْذر خَالِدًا ؟ » قال : : أردتَ أمرا فأَرادَ اللهُ أمرا ، فكان أمرُ الله فوقَ أمرِكَ ، وما استطعت إلاَّ الذى كان ، فَسَكَتَ رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – ماردّ عليه[2] .

وروى الإمام أحمد ، ومسلمُ ، والبيهقىُّ ، وغيرهم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : لَمَّا كان يومُ فتح مكَة ، وَبَّشت قريش أَوْبَاشًا لَهَا وأَتْبَاعا ، فقالوا : نُقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شىء كنا معهم ، وإن أصيبوا أُعْطِينَا الذى سُئلنا فرآنى رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : « يَا أَبَا هُرَيْرَة » قلتُ : لبيك ، قال : « اهْتِفْ بِالأَنْصَار ، وَلَا يَأْتِينِى إلاَّ أَنْصَارِى » قال : فَفَعَلْت ما أمرنى به ، فأتوه ، فقال : « انْظروا قريشاً وأَوْبَاشهم فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا » ثم قال بيديه إحداهُمَا عَلَى الأُخرى ، فَانطلقْنَا فما أَحَدٌ يوجّه إلينا شيئاً ، وما منا أَحدٌ يريدُ أحداً منهم إلاَّ أخذه ، فجاءَ أبو سفيان

---

(١) ونص الحديث « أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » شرح المواهب ٢ : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) قيل : وهذا الرجل أنصارى فيحتمل أنه تأول ، ويحتمل أنه سبق إلى سمعه ما أمر به خالداً كما قد يرشد إلى كل من الاحتمالين قوله : « وأراد الله أمراً » الخ (شرح المواهب ٢ : ٣١١) .

ابن حربٍ فقال : يا رسولَ اللهِ – أُبيدَت خَضْراءُ قريش ، لاَ قُرَيْش بعد اليوم . فقال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيَانَ فَهُو آمن ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ فَهُوَ آمن » فألقى النَّاسُ سِلاَحَهُم .

وروى محمد بن عمر عن جابر – رضى الله عنه– قال : كنت ممن لَزِمَ رسولَ الله – صَلَّى / الله عليه وسلم – فدخلتُ معه يوم الفتح فَلَمَّا أشرفَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه ٢٤١ و
وسلَّم – من أَذَاخِرِ ، ورأى بيوت مكَّة ، وقف عليها فَحَمَدَ الله – وأثنى عليه ، ونظر إلى موضعِ قُبّته فقال : هَذَا منْزلنَا يا جابر حَيْثُ تَقَاسَمَتْ[1] قُرَيْش عَلَيْنَا فى كُفْرِهَا » قال جابر : فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعته منه قبل ذلك بالمدينة ، « مَنْزِلُنَا إِذَا فَتَحَ الله علينا مكّة فى خَيْف[2] بَنِى كِنَانةً حَيْثُ تَقَاسَموا على الكُفْر » .

* * *

ذكر قراءته – صلى الله عليه وسلم – سورتى الفتح والنصر فى يومه

عن عبد الله بن مُغَفَّل – بضم الميم ، وفتح الغين المعجمة ، والفاء المشددة ، وباللاَّم – رضى الله تعالى عنه – قال : رأيتُ رسولَ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – يوم فتح مكَّة على ناقته ، وهو يقرأ سورة الفتح ، يُرَجِّع صَوْتَه بالقراءة ، قال معاويةُ بن قُرَّة : لولا أن يجتمع الناس حَوْلِى لرجَّعْتُ كَمَا رَجَّع عبدُ الله بنُ مُغَفَّل يحكى قراءة النَّبى – صَلَّى الله عليه وسلَّم – قال شعبة : فقلتُ لمعاوية : كيف كان ترجيعه ؟ قال : ثلاث مرّات ، رواه البخارىّ فى التفسير وفضائِل القرآن والمغازى والتوحيد ، ومسلم فى الصَّلاة ، والنسائى ، والحاكم .

وروى الطبرانى عن أبى سعيد الخُدْرى – رضى الله عنه – قال : قال رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – يوم الفتح « هَذَا مَا وَعَدَنى رَبِّى » ثم قرأ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ[3] ﴾

---

(١) المراد تحالف قريش و كنانة على بن هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (السيرة الحلبية ٣ : ٩٨ ، شرح المواهب ٢ : ٣٢٦) .

(٢) الخيف : هو ما انحدر من غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء (شرح المواهب ٢ : ٣٢٥) .

(٣) سورة النصر آية ١ .

ذكر منزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الفتح

روى محمد بن عمر عن أَبي جعفرٍ - رحمه الله تعالى - قال : كان أَبو رافعٍ قد ضَرَبَ لرسولِ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قُبَّةً بالحَجُون من أدمَ ، فأَقبل رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - حَتَّى انتهى إلى القُبَّة ، ومعه أُمُّ سَلَمَة ، ومَيْمُونَة زوجتاه .

وروى البخاريُّ وغيرهُ عن أُسامَةَ بنِ زيد - رضى اللهُ عنهما - أنه قال : يا رسولَ الله : أنَّى تَنْزِل غَدًا ؟ تنزل فى دارك ؟ قال : « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عقيل مِنْ رِباعٍ أَوْ دَار » وكان عَقِيل ورث أَبا طالب هو وأَخوه طالب ، ولم يرثه جعفر ولا على - رضى الله عنهما - لأَنَّهُما كانا مسلمين ، وكان عَقِيل وطالب كافرين - أَسلم عقيل بعد .

وروى البخارى ، والإِمام أَحمد عن أَبى هُريرة - رضى الله عنه - : أَن رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « منزلنا إنْ شَاءَ الله تعالى إذا فتح الله بِخَيْفِ بنى كِنَانة حيث تَقَاسَمُوا على الكفر » يعنى بذلك المُحَصَّب ، وذلك أَن قُرَيشًا وَكِنَانة تَحَالَفت على بنى هاشم ، وبنى المطلب أَن لا يناكحوهم ولا يُبَايعوهم حَتَّى يُسْلِمُوا إليهم رسولَ اللهِ - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم .

وروى محمد بن عمر عن أَبى رافع / - رضى اللهُ عنه - قال : قيل لِلنَّبِى - صَلَّى ٢٤١ ط
الله عليه وسلَّم - أَلاَ تنزل مَنْزِلَكَ مِنَ الشِّعْب ؟ فقال : « وهل تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلاً ؟» وكان عَقِيل قد باع مَنْزِل رسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ومَنْزِلَ إخوته من الرِّجال والنِّساء بمكة ، فقيل لرسولِ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - فانزل فى بعض بيوت مَكَّة غير منازلك ، فَأَبَى رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم - وقال : « لا أَدْخُلُ البُيُوت » ولم يزل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - مضطربا بالحَجُون لم يدخل بيتاً ، وكان يأْتى المسجدَ لكل صلاة مِنَ الحَجُون .

ذكر اغتساله – صلى الله عليه وسلم – يوم الفتح وصلاته وقت الضحى شكرا لله تعالى

عن أُم هانىء[1] – رضى الله عنها – قالت : لما كان عام يوم الفتح فَرَّ إِلَىَّ رجلان من بنى مخزوم فأَجرتهما ، قالت : فَدَخَلَ عَلَىَّ عَلِىٌّ فقال : أَقتلهما ، قالت : فلما سَمِعْتُه يقول ذلك أَتيتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – وهو بأَعلى مكة ، فَلَمَّا رآنى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وَسَلَّم – رَحَّبَ وَقَال : « مَا جَاءَ بِكِ يَا أُمَّ هَانِئٍ ، قالت : قلت يا رسول الله ، كُنْتُ أَمَّنْتُ رَجُلين[2] مِنْ أحمائى ، فأَراد عَلِيٌّ قتلهما ، فقال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ » ، ثم قام رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – إِلى غُسله فَسَتَرته فاطمة ، ثم أَخَذَ ثَوْباً فالتحف به ، ثمصلَّى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلَّم – ثَمَانِ ركعات سُبْحَةَ الضُّحَى ، رواه مسلم والبيهقى .

وعنهما أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – يوم فتح مكة اغتسل فى بيتها ، وَصَلَّى ثمانِ ركعات ، قالت : لم أَره صَلَّى صلاةً أَخف منها ، غَيْرَ أَنَّه يتم رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا . رواه البخارى والبيهقى .

* * *

ذِكْرُ رَنِّ ابليس وحُزنه وكيد الجن لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وزجرهم عنه ودعاء نائلة بالويل

روى أبو يَعْلى ، وأَبو نُعيم عن ابن عبَّاس – رضى الله عنهما – قال لَمَّا فتح رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مَكَّة رَنَّ إبليس رَنَّةً فاجتمعَتْ إليه ذُرِّيَّته ، فقال : إِيأَسوا أَن تَردُّوا أُمَّةَ محمد إلى الشِّرك بعد يومكم هذا ، ولكن أَفْشُوا فيها – يَعْنى مكة – النَّوْحَ والشِّعر .

---

(١) هى بنت أبى طالب الهاشمية قيل اسمها فاختة ، وقيل هند ، وقيل فاطمة . أسلمت عام الهجرة ولها صحبة ولها أحاديث وماتت فى خلافة معاوية وروى لها السبعة (شرح المواهب ٢ : ٣٢٦) .

(٢) الرجلان هما : الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى أبو عبد الرحمن المكى . شقيق أبو جهل . من مسلمة الفتح . استشهد فى خلافة عمر ، روى له ابن ماجة . والثانى : هو زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومى أخو أم سلمة أم المؤمنين – ذكر فى المؤلفة قلوبهم . وقال عنه ابن إسحاق : كان ممن قام فى نقض الصحيفة ، وأسلم وحسن إسلامه كما قال ابن هشام عبد الملك ، وقيل الثانى هو عبد الله بن أبى ربيعة . وقيل أنهما : الحارث وهبيرة بن أبى وهب – وليس بشىء لأن هبيرة هرب عند الفتح . وقيل الثانى جعدة بن هبيرة ، وفيه أنه كان صغير السن فلا يكون مقاتلا عام الفتح . (شرح المواهب ٢ : ٣٢٧) .

وروى ابن أَبي شيبة عن مَكْحُول ــ رحمه الله ــ أَن رسول الله ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ لَمَّا دَخلَ مَكَّة تلقَّته الجنُّ يرمونه بالشَّرَر ، فقال جبريلُ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ تعوَّذْ يا محمد بهؤلاءِ الكلمات : « أَعوذ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِى لا يُجَاوِزُهُن بَرٌّ وَلَا فَاجر ، من شر ما ينزلُ منَ السَّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيها ، وَمِنْ شَرِّ مَا بُثَّ فِى الأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْها ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ والنَّهارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُق إلاَّ بِخَيْرٍ يَا رَحْمٰن » .

وروى البيهقى عن ابن أَبْزَى ــ بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة / وبالزاى ، وأَلف ٢٤٢ و
تأْنيث مقصورة ــ رحمه الله تعالى ــ قال : لَمَّا فتح رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ مَكَّةَ جاءَت عجوزٌ حَبَشِيَّةٌ شمطاءُ تَخْمِشُ وَجْهَهَا ، وتَدْعو بالوَيْل ، فقال : « تلك نَائِلَة ، أَيسَتْ أَنْ تُعْبَدَ ببَلَدِكُم هَذَا أَبَدًا » .

* * *

ذكر إسلام ابى قحافة عثمان بن عامر والد ابى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما(١)

روى الإِمامَ أَحمد ، والطبرانى برجالٍ ثقات ، ومحمد بن عمر ، والبيهقى عن أَسماءَ بنتِ أَبى بكر الصديق ــ رضى الله عنهما ــ قالت : لما كان عام الفتح ، ونزل رسولُ الله ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ بذى طُوًى ، قال أَبو قُحافة لابنة له ــ قال البَلَاذُرى ــ اسمها أَسماءُ ، قال محمد بن عمر تسمى : قُرِيبَة ــ ضدّ بَعِيدَة ، كانت مِنْ أَصغر ولده : يا بنيّة ، أَشرفى بى على أَبِى قُبَيْس ــ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُه ــ فَأَشْرَفَتْ بِهِ عليه ، فقال : أَى بُنَيَّة !! مَاذا ترين ؟ » قَالَت : أَرى سواداً مجتمعاً كثيراً ، وأَرى رجُلا يشتدُّ بين ذلك السواد مُقْبلاً ومُدْبِراً ، فقال : ذلك الرجل الوازع ، ثم قال : ماذا ترين ؟ قَالَت : أَرى السَّواد قد انتشر وتفرَّق ، فقال : والله إذن انتشرت الخيل ، فأَسرعى بى إلى بيتى ، فخرجتُ سريعاً حَتَّى إذا هبطتُ به الأَبْطَح لَقِيَتهَا الخيلُ ، وفى عُنقِهَا طَوْقٌ لها من وَرِق ، فاقتلعه إنسانٌ مِنْ عُنُقِهَا ، فلما دخل رسول الله ــ صلَّى الله عليه

(١) أنظر إسلام أبى قحافة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٠٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠٢ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٨٢٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٧ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٣١٠ .

وسلَّم ـ المسجد ، خرج أَبو بكر بأَبيه ـ رضى الله عنهما ـ يقوده ، وكأن رأْس أَبى قُحافة ثَغامَة ، فلما رآه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال : هلاَّ تركْتَ الشيْخَ فى بَيْتِه حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتيه فيه » ؟ فقال أَبو بكر : يا رسولَ الله ، هو أَحق أَن يمشى إِليك من أَن تَمْشِى أَنت إليه ، فأَجلسه بين يَدَىْ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فمسح رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ صدْرَه ، وقال : أَسْلِمْ تَسْلَم ، فأَسلم ، ثم قام أَبو بكر فأَخذ بيد أَخته فقال : أَنشدكم بالله والإسلام طَوْقَ أُختى. فوالله مَا جاءَ[1] به أَحد ، ثم قال الثالثة فما جاءَ به أَحد ، فقال : يا أُخيَّة ، احْتَسِبى طَوْقك ، فوالله إِنَّ الأَمانة فى الناس اليوم لقليل .

وروى البيهقى بسندٍ جيّد قوىٍّ قال : أَخبرنى ابن جُرَيج عن أَبى الزبير عن جابرٍ : أَن عُمَرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أَخذ بيد أَبى قُحافة ، فَأَتَى به رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما وقف به على رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال : غَيِّرُوه وَلَا تُقْرِبُوه سوادا .

قال ابن وهب : وأَخبرنى عمر بن محمد عن زيد بن أَسلم : أَن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ هنأَ أَبا بكرٍ بإِسلامِ أَبيه .

وروى الإمام أَحمد ، وابن حِبَّان عن أَنس ـ رضى الله عنه ـ قال : جاءَ أَبو بكر بأَبيه أَبى قحافة إِلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم فتح مكة يحمله حَتَّى وضعه بين يديه فقال لأَبى بكر / : « لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِى بَيْتِهِ لَأَتَيْنَاه » ـ تكرمةً لأَبى بكر ـ فأَسلم ورأسه ولحيته كالثَّغَامَة ، فقال غيروهما قال قتادة هو أَول مخضوب فى الإسلام . وروى مسلم عن جابر قال : أَتى بأَبى قحافة عام الفتح ورأْسه ولحيته مثل الثغامة؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : غيروا هذا بشىء وجنبوه السواد ٢٤٢ ط

قال الْبَلَاذُرِىُّ : وَرَمَى بعْضُ المسلمين أَبا قُحافة فشجّه ، وأُخِذَت قِلَادَةُ أَسماءَ ابنته ، فأَدركه أَبو بكر وهو يستدمى ، فمَسَح الدَّمَ عَنْ وجهه انتهى .

---

(١) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « فما أجابه أحد » .

قالوا : وجاء خالد بن الوليد إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَقَال له : « لِمَ قاتَلْتَ ، وَقَدْ نهيت عَن القِتَال » ؟ قال : هم يارسول الله بَدَءُونَا بالقتال ، وَرَشَقُونَا بالنَّبْل ، وَوَضَعُوا فينَا السلاح ، وَقَدْ كَفَفْتُ ما استطعت ، وقد دَعَوْتهُم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دَخَلَ فيه الناس ، فَأَبوا ، حَتَّى إذا لم أجد بُدًّا قاتلتهم فَظَفَّرنا الله – تعالى – عليهم ، فهربوا فى كُلِّ وجه يا رسول الله ؛ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « كُفَّ عَنِ الطَّلَب » قال : قد فعلت : فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « قضاءُ اللهِ خير » ثم قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم : كُفُّوا السِّلَاحَ إلا خُزَاعَةَ عَنْ بَنِى بَكْرٍ إلى صلاة العصر ، فَخَبطوهُم ساعة ، وهى الساعةُ التى أُحِلَّتْ لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ولم تَحِلَّ لأَحد قبله .

* * *

ذكر دخوله – صلى الله عليه وسلم – المسجد وطوافه وما وقع فى ذلك من الآيات

قالوا : مكث رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم فِى منزله ساعة من النَّهار حَتَّى اطمأَن النَّاس ، فاغتسل ، ثم دعا براحلته القصواء ، فأُدنيت إلى باب قُبَّته ، وعاد لِلُبْسِ السِّلاح والمغفَر على رأسه ، وقد حَف الناس به ، فركب راحلته والخيل تمعج بين الخندمة إلى الحَجُون ، ومَرَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم – وإلى جنبه أبو بكر الصِّديق يسير معه يحادثه ، فَمَرَّ ببنَاتِ أَبِى أُحَيْحَة وَقَدْ نَشَرْن شُعُورَهُنَّ – يَلطمن وُجُوهَ الخيل بالخُمُر ، فنظر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلى أَبى بكر فتبسم وذكر بَيْتَ حسان بن ثَابِتْ ، فأَنشده أبو بكرٍ رضى الله عنه :

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ
يُلَطِّمُهنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ(1)

فلما انتهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدَّم على راحلته ، واستلم الركن بمحجنه ، وكبر ، فكبَّر المسلمون بتكبيره ، فرجَّعُوا التكبير

(1) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٩ فتبسم إلى أبى بكر وقال : يا أبا بكر كيف قال حسان . فأنشده قوله :

عدمت بنيتى إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء

والبيت المذكور يختلف فى شطره الأول عن المذكور فى شرح المواهب وعن السابق ذكره فى ص ٣٤٣ .

حَتَّى ارتجَّت مكة تكبيراً حَتَّى جَعَل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم يُشيرُ إليهم أن اسكتوا – والمشركون فوق الجبال ينظرون – وطَافَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم بالبيت ، آخذًا بزمام النَّاقة محمد بن مسلمة ، فأقبل على الحَجَرِ فاستلمه ، ثم طاف بالبيت .

٢٤٣و وروى أبو نعيم ، والبيهقى مِنْ طريق / عبد الله بن دينار ، وأبو نعيم من طريق نافع كِلاَهُمَا عن ابن عمر – رضى الله عنهما – وأبو نُعيم والبيهقى من طريق سعيد بن جبير وابن اسحاق والبيهقى وأبو نعيم ، وابن مندة ، ومحمد بن عمر عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – دخل مكَّةَ يوم فتح مكة ، وحَوْلَ الكعبة ثلاثمائة وستون صَنَماً مُرَصَّعة بالرَّصَاص ، وكان هُبَلُ أعظمها وهو وجاه الكعبة ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذَّبائح ، وفى يَدِ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلم – قَوْسٌ وقد أخذ بِسِيَةِ القوس ، فجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كُلَّمَا مَرَّ بصنم مِنْهَا يشير إليه وَيَطْعَنُ فى عينه ويقول : ﴿ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً[1] ﴾ فَمَا يُشِير إلى صَنم إلا سقط لوجهه . وفى لفظٍ لقفاه ، من غير أن يَمَسَّه . وفى ذلك يقول تميمُ بن أسد الخزاعى :

فَفِى الأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ
لِمَنْ يَرْجُو الثَّواب أو العِقَابَا

قال أئمة المغازى – رحمهم الله تعالى – : فطاف رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم سبْعاً على راحلته يَسْتَلِم الرُّكنَ الأَسْوَدَ بِمِحْجَنِه كل طواف ، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته .

وعند ابن أبى شيبة عن ابن عمر ، قال : فما وجدنا مَنَاخاً فى المسجد حَتَّى أُنزل على أيدى الرجال ، ثم خرج بها ، قالوا : وجاء مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة – بالنون ، والضاد المعجمة – فأخرج الرَّاحلة فأناخها بالوادى ، ثم انتهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، إلى المقام – وَهُوَ لاَصِقٌ بالكعبة ، والدِّرع عليه والمِغْفَرُ وعمامته بين كتفيه ، فَصَلَّى

(١) سورة الإسراء آية ٨١ .

ركعتين ثم انصرف إلى زَمْزَم فاطلع فيها وقال : « لَوْلا أنْ تُغْلَبَ بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ[1] لَنَزَعْتُ مِنْهَا دَلْواً » ، فنزع له العباس بن عبد المطلب - ويقال الحرث بن عبد المطلب - دَلْواً ، فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وَضُوءَ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يصبُّونه على وُجُوههم ؛ والمشركون ينظرون إليهم ويتعجَّبون ويقولون : ما رأَيْنَا مَلِكاً قَطّ أبلغ من هذا ولا سمعنا به .

وأمر بهبَل فكُسِر وهو واقف عليه ، فقال الزُّبير بن العَوَّام لأَبى سُفْيَان بن حرب : يا أَباسفيان قد كُسِر هُبَل ، أما إنك قَدْ كنت منه يَوْمَ أُحُد فى غُرُور حين تزعم أنه أنعم ، فقال أبو سفيان : دع عنك هذا يابن العوام ؛ فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ماكان ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ناحية من المسجد والناس حوله .

وعن أَبى هريرة رضى الله عنه - قال : كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يوم الفتح قَاعِداً ، وأَبو بكرٍ قائم على رأس رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّمَ بالسيف . رواه البزار .

* * *

ذكر اكله - صلى الله عليه وسلم - عند أمّ هانىء رضى الله عنها[2]

روى الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه أَنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال لأُم هانئْ يوم الفتح : هَلْ عِنْدَكِ / مِنَ طَعَامٍ نأْكله » ؟ : قالت : ليس عندى إِلَّا كِسرٌ ٢٤٣ ظ
يابِسَة ، وإنى لأَستحى أَن ، أُقدِّمها إليك . فقال : « هَلُمِّى بِهِنَّ » فكسَّرهُن فى ماء ، وجاءت بملح ، فقال : « هَلْ مِنْ أدم » ؟ فقالت : ماعندى يارسول الله إِلَّا شيْ من خَلّ ، فقال : هَلُمِّيه » ، فَصبه عَلَى الطَّعَام وأَكَلَ مِنْه ثُم حَمِدَ الله ثم قال : « نِعْمَ الْأُدُمُ الخَل ، يأُمَّ هَانِىء لَا يَفْقَرُ بَيْتٌ من أدم فيه خل »

* * *

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ماهم به فضالة بن عمير بن الملوح

قال ابن هشام : حدثنى بعض أَهل العلم أَنَّ فَضَالَةَ بن عُمَيْر بن المُلَوَّح اللَّيْثِى أَراد قَتْلَ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّمَ وهو يَطُوفُ بالبيت - عام الفتح - فلما دَنَا منه

(١) أى يغلبهم الناس على وظيفتهم ، وهى النزع من زمزم (السيرة الحلبية ٣ : ١٠١) .

(٢) ورد هذا العنوان فى ت ، ط ، م قبل « ذكر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما هم به فضالة الخ » وفى ص ورد بعد العنوان المذكور .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم « أَفَضَالَةٌ ؟ قال : نعم . قال : « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ » قال : لاشيْ ، كُنْتُ أذكر الله ، فَضَحِكَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّمَ ثم قَالَ : « اسْتَغْفِرِ الله » . ثم وضع يده على صدره فسكن ، وكان فضالَةُ يقول : والله مارفع يَدَه عن صدرى حتَّى ماخُلِقَ شئ أَحبّ إلىَّ منه ، ورجع فَضَالَة إلى أهله ، قال : فمررت بامرأة كنتُ أتحدث إليها ، فقالت : هلُمَّ إلى الحديث ، فقال لا . وانبعث فضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لَا
يـأْبى عَلَيَّ الله والإِسْلَامُ
إذ[1] ما رأيْتِ محمّداً و قبيلَه
بالفتح يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَـامُ
لرأيتِ دِين الله أضحى بيِّناً
والشِّركَ يَغْشَى وَجْهه الإِظْلَامُ

ذكره أبو عمر فى الدُّرر ، ولم يذكره فى الاستيعاب ، وهو على شرطه ، وذكره القاضى فى الشفاء بنحوه .

* * *

ذكر الآية فى رفعه - صلى الله عليه وسلم - على بن أبى طالب رضى الله عنه - لالقاء صنم قريش

روى ابْن أَبى شيبة ، والحاكم عن على - رضى الله عنه - قال : انْطلق رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم حَتَّى أتى بى الكعبة ، فقال : « اجْلِس » فَجَلَسْتُ بجنب الكعبة ، فَصَعِدَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - على منكبى فقال : « انهض » فنهضت ، فَلَمَّا رأى ضعفى تحته قال : « اُجْلِس » فجلست ، ثم قال : « يَاعَلِىّ ، اصْعَد عَلَى منكبى » ففعلت ، فلما نهض بى خُيِّل إلى لو شئتُ نِلْتُ أُفق السماء ، فصعدتُ فوق الكعبة ،
٢٤٤ و وتنحَّى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - فقال : « ألقِ صَنَمَهُمْ / الأَكْبَر » وكان من

(١) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٤ « لو ما رأيت محمداً وقبيله ..» .

نحاس موتَّدٍ بأَوتادٍ من حديد إلى الأَرض ، فَقَالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم : « عَالِجْه » ويقول لى : « إيه إيه » « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقا » . فلم أَزَلْ أُعالجُه حتَّى استمكنتُ منه

* * *

ذكر طلبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المفتاح من عثمان بن طلحة رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر ، وابن أَبى شيبة عن أَبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ ومحمد بن عمر عن علقمة بن أَبى وَقَّاص اللَّيْثى ـ رحمه الله تعالى ـ ومحمد ابن عمر عن شيوخه يزيد بعضهم على بعض ، قال عبد الله : كان عثمان قد قدم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بالمدينة مُسْلِمًا مع خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص قبل الفتح ، فلَمَّا فرغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم من طوافه أَرسل بِلاَلاً إلى عثمان ابن طلحة يأْتيه بمفتاح الكعبة ، فجاءَ بلال إلى عُثْمان ، فقال : إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يأْمُرُك أَن تأتى بالمفتاح ، فقال : نعم هو عند أُمى سُلاَفة[1] ، فرجع بلال إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأَخبره أَنَّه قَالَ نعم ، وأَن المفتاح عِنْدَ أُمِّه ، فبعث إليها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ رسولاً فجاءَ ، فقالت : لا ، واللاَّت والعُزَّى ، لاَ أَدفعه إليك أَبدا ، فقال عثمان يا رسول الله أَرسِلْنى أُخلصه لك منها ، فأَرسله ، فقال : يا أُمه ادفعى إلى المفتاح ، فإن رَسُولَ الله ـ صَلَّى الله عليه وسَلَّم ـ قَد أَرسل إلَىَّ ، وأَمرنى أَن آتيه به ، فقالت أُمُّه : لا . واللاَّت والعُزَّى لا أَدفعه إليك أَبدًا . فقال : لا لات ولا عزى إنَّه قَد جاءَ أَمرٌ غير ما كُنَّا عليه ، وإنَّك إن لم تَفْعَلى قُتِلْتُ أَنَا وَأَخى فأَنت قَتَلْتِينَا ، فوالله لَتَدْفَعِنَّه أَو ليأْتينَّ غيرى فيأخذه مِنك ، فأَدخلته فى حُجْزتها ، وقالت : أَى رجل يدخل يده ههنا ؟ .

قال الزهرى فيما رواه عبد الرَّزاق ، والطبرانى : فَأَبطأَ عثمان ورسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم قائِمٌ ينتظره حَتَّى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ، ويقول : «مَايَحْبِسُه

---

(١) هى سلافة بنت سعيد الانصارية الأوسية ، أسلمت بعد عثمان (شرح المواهب ٢ : ٣٣٨) « وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٣٣ وسلافة بنت شيبة »

فَيَسْعَى إِلَيْه رَجُل » انتهى . فبينما هما على ذلك وهو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فى الدَّار ، وَعُمَرُ رافعٌ صوته حين أبطأَ عثمان ... يا عثمان آخرج ، فقالت أُمُّه : يا بنىّ خذ المفتاح ، فإن تأخذه أنت أحب إلَىَّ مِنْ أن يأخذه تيم وعدى ، فأَخذه عثمان ، فخرج يمشى به حَتَّى إذا كان قريباً مِن وجه رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - عثر عثمان فسقط منه المفتاح ، فقام رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - إلى المفتاح فحنى عليه بِثَوبه .

وروى الفاكهى عن ابن عمر : أَن بنى أَبى طلحة كانوا يقولون : لا يفتح الكعبة إلاَّ هم ، فتناول رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - المفتاحَ ، ففتح الكعبة بيده .

٢٤٤ ظ وروى ابن أَبى شيبة بسندٍ جَيِّدٍ عن أَبى السفر - رحمه الله تعالى - قال/ : لما دخل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - مكة دعا شَيْبَةَ بن عثمان بالمفتاح - مفتاح الكعبة - فتلكأَ ، فقال لعمر : « قُمْ فاذْهَب مَعَه فإِن جَاءَ بِه وإلاَّ فَاْجلد رَأْسَه[1] » فجاءَ به فأَجاله[2] فى حجره .

* * *

ذكر أمره - صلى الله عليه وسلم - بازالة الصور عن البيت قبل دخوله اياه

روى أَبو داود ، وابن سعد ، ومحمد بن عمر ، واللفظ له : أَن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم أَمر عمر بن الخطاب - وهو بالبطحاء - أَن يأتى الكعبة فيمحو كُلَّ صورةٍ فيها ، فلم يدخلها حتَّى مُحِيَت الصُّور ، وكان عمر قد ترك صورة إبراهيم فلما دخل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - رأَى صورةَ إبراهيم ، فقال يا عمر : « أَلَم آمُرْكَ أَلاَّ تَدَع فِيهَا صُورَةً ؟ ، قَاتَلَهُم الله ، جَعَلُوه شَيخًا يَسْتَقسِمُ بِالأَزْلاَم » . ثم رأَى صورة مريم ، فقال : « امسَحُوا مَا فِيهَا مِنَ الصُّور ، قَاتَلَ اللهُ قَوماً يُصَوِّرُونَ مَالاَ يَخلُقُون » .

وروى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وابن أَبى شيبة عن عكرمة أَن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَبى أَن يَدخُلَ البيت وفيه الآلهة يعنى الأَصنام ،

(١) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٩ « فأخله رأسه » .
(٢) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٩ « فوضعه فى حجره » .

فَأَمَرَ بها فأُخرجت صورة إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام ،فقال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – : « قَاتَلَهُمُ الله لَقَد عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقسِمَا بهمَا قَطُّ » . زاد ابن أبى شَيبَةَ : ثم أمر بثوبٍ فَبُلَّ وَمَحا به صورهما .

وعند ابن أبى شيبة عن ابن عمر : أن المسلمين تَجَرَّدوا فى الأزر وأخذوا الدِّلَاء ، وانجروا على زمزم يغسلون الكعبة ظَهْرَهَا وبطنها ، فلم يدعوا أَثرًا من المشركين إلا محوه وغَسَلُوه .

* * *

ذكر دخول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – البيت وصلاته فيه

روى البخارى فى الصَّلاة ، ومُسْلِم فى الحج ، عن الإمام مالك بن أنسٍ، والبخارى فى الصَّلَاةِ والمغازى عن جُوَيْرِيَة بن أسماء ، والبخارى فى الصَّلَاةِ ، ومسلم فى الحج عن يونس ابن يزيد عن أيوب ، والبخارى فى الصَّلاة والمغازى عن موسى بن عُقْبة ، والبخارى فى المغازى عن فُليح بن سليمان ، ومسلم فى الحج عن عبد الله بن عمر ، ومسلم فى الحج ، والنسائى فى الصَّلَاة عن خالد بن الحرث عن ابن عون ، وابن عَوَانة ، وابن ماجة فى الحج عن حَسَّان بن عطية كلُّهم عن نافع ، والبخارى فى الحج عن سالم بن عبدالله بن عمر ، وفى كتاب الصَّلاة عن مجاهد ، والإمام أَحمد عن ابن عمر ، وابن دينار ، والإمام أَحمد والنسائى عن ابن أبى مُلَيْكَة،والإمام أحمد ، والطبرانى عن أبى الشعثاء كلهم عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وابن أبى شيبة بسندٍ حسنٍ،وأبو جعفر الطحاوى عن جابر بن عبد الله ، وابن قانع عن أبى بشرٍ / ومُسَافِع بن شيبة عن أبيه شيبة بن عثمان ، وأبو جعفر ٢٤٥ و
الطحاوى مِن طريقين عن عبد الله بن الزجاج ، والإمام أحمد ، والأزرقى عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن الزبير ، والطبرانى برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صفوان، والإمام أحمد والطحاوى ، وابن قانع بسندٍ حسنٍ ، وأبو داود بسندٍ ضعيفٍ عن عمر بن الخطاب . والبزار بسندٍ ضعيفٍ عن أبى هريرة ، والحاكم فى صحيحه ، والبيهقى عن عائشة – رضى الله تعالى عنها – قال يُونس بن يزيد : إن رسول الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – أقبل يوم الفتح من أعلى مكَّة على راحلته ، زاد فُليح : القصواء – وهو مُرْدِفٌ

أسامة ، ومعه بلال ، وعثمان بن طلحة ، حتى أناخ فى المسجد . ولفظ فُلَيْح : عند البيت . وقال لعثمان : ائتنى بالمفتاح ؛ قال أيوب : فذهب إلى أمِّه . فأبت أن تعطيه المفتاح فقال : والله لَتُعْطِيَنه أو لأُخرِجنَّ هذا السَّيْفَ من صُلبى ، فلما رأت ذلك أعطته إياه ، فجاء به ، ففتح عثمانُ له الباب ، ثم اتفقوا ، فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأسامة وبلال(1) وعثمان بن طلحة وقال ابن عوف – كما عند النسائى – والفضل بن عباس، ولأحمد نحوه عن ابن عباس – بعد أن ذكر الثلاثة الأول – ولم يدخلها أحد معهم ، زاد مسلم فأغلقوا عليهم الباب .

وعند محمد بن عمر عن شيوخه : فأمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بالكعبة فأُغلقت . ولفظ الإمام مالك : فأغلقاها عليه ، وفى رواية ابن عوف : فأجاف عليهم عثمان الباب . زاد حسّان بن عَطِيَّة : من داخل .

وفى حديث صفية بنت شيبة عند ابن إسحاق ، فوجد رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – فى البيت حمامةً من عَيدانٍ ، فكسرها بيده ، ثم طرحها .

وفى حديث جابر أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لمَّا دخل البيْتَ رأى فيه تمثال إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، وقد جعلوا فى يد إبراهيم الأزلام يَسْتَقسِمُ بها ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « قَاتَلَهُم الله ، لَقَد عَلِمُوا مَا كَانَ إبرَاهِيمُ يَسْتَقسِمُ بِالأَزْلَام » . ثُمَّ دَعَا رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – بزعفران فلطخَه بتلك التماثيل .

وعند ابن أبى شيبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب – رحمهما الله تعالى – قالا : إن رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – لما دخل الكعبة كبَّر فى زواياها وأرجائها ، وحمد الله تعالى ، ثم صَلَّى ركعتين بين أسطوانتين ، قال يونس : فمكث نَهاراً طويلاً ، ولفظُ فُلَيْح : زماناً طويلاً ، ولَفُظ جويرية : فأطال ، ولفظ ابن عوف : فمكث فيها مليًّا ، ولفظ أيوب : فمكث فيها ساعة . وفى رواية ابن

---

(1) سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٣٤١ .

أبى مُليكة عن نافع : فوجدتُ شيئاً فذهبت ثم جئتُ سريعاً فوجدتُ النبى – صَلَّى الله عليه وسلم – خارجاً ، ولفظ سالم : فلما فتحوا الباب وكنت أول وَالِج ، وفى رواية فليح : فتبادر الناس الدُّخول فسبَقتهُم . وفى رواية أيوب : وكنت رَجُلاً شَابًّا قَوِيًّا فبادرتُ الناس فبدرتهم ، وفى رواية ابن عوف : فرقيت الدرجة / فدخلتُ البيت ، وفى ٢٤٥ ظ
روايةِ مجاهد ، وابن أبى مليكة عن ابن عمر : وأجد بلالاً قائِماً بين البابين . وفى رواية سالم : فلقيت بلالا فسألته : زاد مالك فقلت : ما صنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفى رواية سالم . هل صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه ؟ قال : نعم . وفى رواية مجاهد ، وابن أبى مليكة : فقلتُ هل صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فى الكعبة ؟ قال : نعم ، وفى رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر : أنه سأل بلالا ، وأسامة وفى رواية أبى الشعثاء عن ابن عمر قال : أخبرنى أسامة بن زيد أنه رأى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – صلى فيه ههنا . وفى رواية خالد بن الحرث عن ابن عوف عن مسلم ، والنسائى عن ابن عمر : فرقيتُ الدرجة فدخلتُ البيتَ ، فقلتُ أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : ههنا . وفى رواية جويرية . ويونس ، وجمهور أصحاب نافع : فسألت بلالاً : أين – صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم – ؟ قال : بين العمودين اليمانيين – ولفظُ جويرية : المقَدَّمَين – وفى رواية مَالك : جعل عموداً عن يمينه ، وعموداً عن يساره . وفى رواية : عموداً عن يمينه وعمودين عن يساره ، وجعل ثَلاثَةَ أعمدةٍ وراءه ، وفى روايةٍ عنه : عموداً عن يساره ، وعمودين عن يمينه . قال البيهقى : وهو الصحيح ، وفى رواية فليح : صَلَّى بين ذينك العمودين المُقَدَّمين من السطر وكان البيت على ستة أعمدة سطرين . صلى بين العمودين من السطر المقدم ، وجعل باب البيت خَلْفَ ظَهْرِه ، وعند المكان الذى صَلَّى فيه مَرْمَرَةٌ حمراء ، وفى رواية موسى بن عقبة عند البخارى ، ومالك فى رواية ابن قاسم عن النسائى عن نافع : أن بين موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار نحو ثلاثة أذرع . وفى رواية ابن مَهْدِى[1] عند

---

(١) هو عبد الرحمن بن مهدى بن حبان ، أبو سعيد البصرى اللؤلؤى الحافظ ، روى عن شعبة ومالك والسفيانين والحمادين وخلق . وعن خلائق منهم إبن وهب وابن المبارك وقال : كان أعلم الناس ، والإمام أحمد وقال : إذا حدث ابن مهدى عن رجل فهو حجة . مات بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة عن ثلاث وستين سنة (شرح المواهب ٢ : ٢٤٤) .

أبي داود ، وابن وهب عند الدارقطني في الغزوات - كلاهما عن مالك ، وهشام ، بن سعد عن أبي عَوَانَة عن نافع : صلَّى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع .

قال الحافظ أبو الفضل العراقي - رحمه الله تعالى - مُلَخَّصًا من طرق الأحاديث - : أن مُصلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم من البيت أنَّ الدَّاخِلَ مِنَ الباب يسيرُ تلقاء وجهه حين يدخل إلى أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطُّرُق . قال : وَلَا ينبغي أن يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع ، فإن كان الواقع أنه ثلاثة أذرع فقد صَادَفَ مُصَلَّاه ، وإن كان ذراعين فقد وقع وَجْهُ المُصَلِّي وذراعاه[1] في مكان قَدَمَيْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا أولى من المتقدم .

* * *

ذكر قدر صلاته - صلى الله عليه وسلم - في الكعبة

٢٤٦ و في رواية يحيي بن سعيد / عند الشيخين . وفي رواية أبي نعيم الفضل بين ذكين عند البخاري والنسائي ، ورواية أبي عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمة ، ورواية عمر بن علي عند الإسمٰعيلي ، ورواية عبد الله بن نمير عند الإمام أحمد ، كلهم عن سيف[2] ابن أبي سليمان عن مُجَاهد عن ابن عمر : أنه قال : سألتُ بلالاً ، أصلَّى النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - في الكعبة ؟ فقال : نعم : ركعتين . وتابع سيفا عن مُجَاهد خصيفٌ عند الإمام أحمد ، وتابع مجاهداً عن ابن عمر ابن أبي مليكة عند الإمام أحمد والنسائي وعمرُو بن دِينَار عند الإمام أحمد ، وفي حديث جابر : دخل رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - البيتَ يومَ الفتح ، فصلى فيه ركعتين ، ورواه الإمام أحمد برجالِ الصّحيح ، والطَّبراني عن عثمان بن طلحة . ورواه الإمام أحمد ، والأَزْرَقي[3] عن عبد الله بن الزّبير وَرَوَاه الطَّبراني بسندٍ جيّدٍ ، وابن قانع وأبو جعفر الطَّحَاوِيُّ من طريقين عن عثمان .

---

(١) وفي شرح المواهب ٢ : ٣٤٤ « أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع » .

(٢) كذا في الأصول ، وهو سيف بن سليمان المخزومي - مولاهم - المكي نزيل البصرة ، يروى عن مجاهد ، توفى سنة ١٥١ هـ . ويقول الخزرجي في الخلاصة : وصوابه يوسف (الخلاصة للخزرجي ١٣٦) .

(٣) الأزرق : هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الغساني . أبو الوليد الأزرقي وقد نسب إلى جده الأزرق وله كتاب أخبار مكة (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) .

ورواه الطَّبَرَانى بِرِجَال الصَّحيح ، والبزار عن عبد الرّحمٰن بن صَفْوان – رضى الله عنه– قال : لَمَّا فتح رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكَّة انطلقتُ فوافقتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم – خرج من الكعبة ، وأصحابُه قد استلموا البَيْتَ مِنَ البَاب إلى الحَطِيم، وقد وضَعُوا خُدُودَهُم عَلَى البَيْتِ ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وسَطَهم ، فَسَأَلتُ من كان معه ، فقلت : كيف صنع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – حين دخل الكعبة ؟ قال : صلَّى ركعتين . ورواه أبو داود والطحاوى عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – والبزار عن أبى هريرة ، وأنس بن مالك ، رواه الطبرانى – ووقع فى رواية فليح ....[١] وأيوب عن نافع ، وأبو الشعثاء عن ابن عمر قال : ونسيتُ أن أسأله أى بلالاً ، كم صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى رواية ابن عون عن نافع بعد أن ذكر أن أُسامة وبلالا وعثمان بن شيبة دخلوا معه . فدخلت البيت ، فقلت : أين صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – ؟ قالوا : ههنا ، ونسيت أن أسألهم كم صلَّى ، وسيأتى الجواب عن ذلك فى التنبيهات .

* * *

ذكر خروج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من البيت وصلاته قبل الكعبة

رُوِى أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا خرج من البيت صلى ركعتين قبل[٢] الكعبة ، وقال : « هَذِه القِبلَة » .

قال محمد بن عمر : ثم خرج رسول الله – صلى الله علبه وسلم – من البيت والمفتاح فى يده ، وخالد بن الوليد يذبُّ النَّاسَ / عن الباب حتى خرج رسول الله – صلَّى الله عليه ٢٤٦ ظ وسلم – ثم روى عن بَرَّة بنت أَبى تَجرَاة[٣] بفتح الفوقية ، وكسر الجيم ، وبالراء –رضى الله عنها– قالت : نظرتُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى يده المفتاح ثم جعله فى كمه .

(١) بياض فى ت ، ط ، م بمقدار كلمتين ، وهو فليح بن سليمان الأسلمى أو الخزاعى ، أبو يحيى المدنى ، واسمه عبد الملك . يروى عن ابن المسيب والزهرى ونافع ، توفى سنة ١٦٨ هـ (الخلاصة للخزرجى) ، أما فى ص فالسياق مضطرب وليس فيها بياض .

(٢) قبل : ضبطه الحافظ بضم القاف والموحدة ، وقد تسكن : أى مقابلة ، أو مستقبلك منه ، وهو وجه . وهذا موافق لقول ابن عمر عند الشيخين (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) وقد ضبط اللفظ فى ص ٢ : ٢١١ بالشكل . بكسر القاف وفتح الباء .

(٣) كذا ضبطه الشامى ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٣٥ ضبطه بكسر التاء .

ذكر خطبته – صلى الله عليه وسلم – يوم الفتح

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنِّسائى ، وابن ماجة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب،والبُخارىّ فى صحيحه عن مجاهد ، وابن أبى شيبة ......[1] وابن إسْحَاقَ عن صفيّة بنت شيبة ، والبيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن ابى شيبة عن عبد الله ابن عُبَيْدَة قالوا : إن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لما خرج من البيت استكفّ[2] له الناس ، وأشرف على الناس وقد ليط بهم حوْلَ الكعبة – وهم جُلوس – قام على بابه فقال : « لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه ، صَدَقَ وَعْدَه » ولفظ الإمام أحمد ، ومحمد ابن عمر : « الحمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَ وَعْدَه ، ثُمَّ اتَّفقُوا « وَنَصرَ عَبْدَه ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَاذَا تَقُولُون ؟ مَاذَا تَظُنُّون ؟ » قالوا : نقول خيرا ونظن خيرا ؛ نبى كريم ، وأخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « فَإِنِّى أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِى يُوسُفُ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين[3] ﴾ « اذْهَبُوا فَأَنْتُم الطُّلَقَاء » فخرجوا كأنما نُشِرُوا من القبور فدخلوا فى الإسلام ، ثم قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « أَلاَ إِنَّ كُلَّ ربًا فِى الجَاهِلِيَّةِ أَوْ دَمٍ أَوْ مَأثرة أَوْ مَالٍ يُدَّعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَىَّ هَاتَيْن – وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُه دَم رَبِيعَةَ بْنِ الحَارثِ إلا سدانة البَيْت وَسِقَايَة الحَاجِّ ، أَلاَوفِى قَتِيلِ العَصَا والسَّوطِ والخطَأُ شِبْهِ العَمدِ الدِّيَة مُغَلَّظَةٌ مَائةُ نَاقَة ؛ مِنْهَا أَربَعُونَ فِى بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، أَلاَ وإِنَّ الله تَعَالَى – قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم نَخْوَةَ الجاهلية وتكبرها بآبائها ، كُلُّكُم لِآدَم[4] وَآدمُ مِنْ تُرَاب » . ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللهُ عَلِيمٌ خَبِير[5] » « يَا أَيُّهَا النَّاس !! النَّاسُ رَجُلَان ؛ فَبَرٌّ تَقِىٌّ كَرِيمٌ وَكَافِرٌ شَقِىٌّ هَيِّن عَلَى الله ، أَلَا إِنَّ الله – تعالى – حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْض ، وَوَضَعَ هَذَيْن الأَخْشَبَيْن ، فَهِىَ

---

(١) فى ت ، ط ، م بياض بمقدار ثلاث كلمات ، أما فى ص فلا بياض والكلام متصل كما أثبتنا .

(٢) استكف : اجتمع (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٩ هامش) .

(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٤) فى ص « أولاد آدم » والمثبت عن بقية النسخ .

(٥) سورة الحجرات آية ١٣ .

حَرَامٌ بِحَرام[1] اللهِ ، لم تَحِل لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، ولن تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَائن بَعْدِى ، لَمْ تَحِلَّ لى إلاَّ سَاعةً مِنْ نَهَار يُقَصِّرُهَا - صلَّى الله عليه وسلَّم - بيده هكذا - ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا ، ولا يُعْضَدُ عضاهها ، ولا تَحِلّ لُقَطتها إلا لمُنْشِد ، ولا يُخْتَلَى خلاَها » فقال العباس ، وكان شيخاً مجربا : إلاَّ الإِذْخِر[2] يا رسول الله فإنه لابُدَّ لنا منه - لِلْقَيْن[3] وظهور البيوت ، فسكت رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ساعةً ثم قال : « إلاَّ الإِذْخِر فَإِنَّه حَلاَل ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِث ، وَإِنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاش / وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَر ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تُعْطِى ٢٤٧ و
مِنْ مَالِ زَوجِهَا إلاَّ بِإِذْنِ زَوجِهَا ، والمُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم ، والمُسْلِمُونَ إِخْوَة ، والمُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُم ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُم ، وَهُمْ يردّ عليهم أَقْصَاهُم ، وَيَعْقِل عَلَيْهِم أَدْنَاهُم ، ومُشِدُّهم على مُضْعِفِهم ومتربهم[4] على قَاعِدِهم ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِر ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِى عَهْدِه ، وَلَا يَتَوارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْن ، وَلَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ ، وَلَا تُؤْخَذُ صَدَقَاتُ الْمُسْلِمِين إلاَّ فِى بُيُوتِهم وَبِأَفْنِيَتِهِم ، ولا تُنْكَحُ الْمَرأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا . والْبَيِّنَةُ عَلَى مَن ادّعى ، واليَمِينُ عَلَى مَنْ أنكر ، وَلَا تُسَافِرُ امرأَةٌ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ إلاَّ مَعَ ذِى مَحْرَم ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ العَصْرِ ، وَبَعْدَ الصُّبْح ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْن يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الفِطْر ، وَعَن لبستَين أَلا يحتبى أَحدكم فى ثوبٍ واحِدٍ يُفْضِى بِعَوْرَتِهِ إلى السَّمَاء ، وأَلا يَشْتَمِل[5] الصَّمّاء ، فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله إِنِّى قد عَاهَرتُ فى الجاهليّة ، فقال : من عَاهَر بامرأَةٍ لَايَمْلكها - أو أَمَةِ قومٍ آخرين لا يملكها - ثُم ادّعى وَلَده بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّه لا يجُوزُ لَه ، ولا يَرِثُ ولا يورّثُ ولا أَخالكم إلاَّ قَدْ عَرَفْتُمُوهَا، يا مَعْشَرَ المسْلِمين كُفُّوا السّلاح إلاَّ خُزاعة عن بنى بكر، من ضحوة نَهَارِ الفَتح إلى صَلَاةِ العصر منه - فخبطوهم ساعة - وهى السّاعة التى أُحِلَّت لرسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولم تُحَلّ لأحد قبله ، ثُمَّ قال لَهُم : « كُفوا السِّلاح فقام أَبو شاة

---

(١) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٣٦ « بحرمة » .

(٢) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب (اللسان) .

(٣) رواية الواقدى للمغازى ٢ : ٨٣٦ « للقبر وظهور البيوت » .

(٤) فى المرجع السابق « ميسرتهم » .

(٥) فى المرجع السابق « ٢ : ٨٣٧ « لايحتب » « ولا يشتمل »

والاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها . (اللسان) .

فقال : اكتُب لِى يَارَسُولَ الله ، فَقَالَ « اكتُبُوا لِأَبى شَاة ، أَقُولُ قَولِى هَذَا وَأَستَغْفِرُ الله لِى وَلَكُم » .

قال الزهرى – فيما رواه عبد الرّزّاق ، والطَّبرانى : ثم نزل – ونزل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه المفتاح ، فتنحَّى ناحيةً من المسجد ، فجلس عند السقاية .

قال شيوخُ محمد بن عمر : وكان – صلَّى الله عليه وسلَّم – قد قبض مِفتاح السّقاية من العبّاس ، ومفتاح البيت من عُثمان .

وروى ابنُ أَبى شيْبَةَ عن عبد الله بن عبيدة : أَنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعدَ خُطبته عَدَلَ إلى جَانب المسْجِد فأُتِىَ بدلوٍ من مَاءِ زَمْزَم ، فَغسَلَ منها وَجْهَه مَايَقَعُ مِنْه قطرة إلا فى يد إنسان إن كانت قَدْرَ مَا يَحْسُوها حَسَاها وإلا مسح جلده . والمشركون ينظرون فقالوا : ما رأينا مَلِكًا قط أعظم من اليوم . ولا قوماً أحمق من القوم .

* * *

ذكر تصديق النبى – صلى الله عليه وسلم – لعثمان بن طلحة قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده – صلى الله عليه وسلم – يضعه حيث شاء ونزل قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »(1)

روى ابن سعدٍ عن إبراهيم بن محمد العبْدَرىّ عن أبيه ، محمد بن عمر عن شيوخه ، قَالُوا : قَالَ عُثْمان بن طلحة : لَقِيَنِى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بمكَّة قَبْلَ الهجرة ، فَدَعَانى إلى الإِسْلَام فقلتُ : يا محمد العجبُ لك حيثُ تطمعُ أن أتبعك ،
٢٤٧ ظ وقد خالفْتَ دينَ قَوْمِك / وجئتَ بدينٍ مُحْدث ، وكنا نفتحُ الكعبَةَ فى الجاهليّة الاثنين والخميس ، فَأَقبَلَ يوماً يريدُ أن يدخلَ الكعبة مع النّاس فأَغلظتُ عليه ونِلْتُ منه ، فَحلُم عَنِّى ، ثم قالَ : « يا عُثْمان لعلَّك سَتَرى هذا المفتاحَ يوماً بيدى أَضعُه حيثُ شئت » فقلتُ : لقد هَلَكَت قُريش وذلت . قال : « بل عَمِرَت يومئذ وعزَّت » ، ودَخَلَ الكعبَةَ ، فوقعتْ كلمتُه منِّى موقعاً فظننت أن الأَمرَ سيصيرُ كما قال ، فأَردت الإِسلام

(1) سورة النساء آية ٥٨ .

فإذا قومى يزبروننى[1] زبرا شديدا ، فلما كان يوم الفتح قال لى يا عثمان : « إئت بالمفتاح » فأتيته به . فأخذه منى ، ثم دفعه إلىّ وقال : « خذوها[2] خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلاّ ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » فلما ولَّيْتُ نَادَانى ، فَرَجَعْت إليه ، فقال : « أَلَم يَكُن الَّذى قلتُ لَكَ ؟ فَذَكَرتُ قولَه لى بمكَّة قَبْلَ الهجرة « لعلَّك سَتَرى هَذَا المفتاح يوماً بيدى أَضعُه حيْثُ شِئْت » فقلتُ : بَلَى . أَشهدُ أَنك رسولُ الله ، فقامَ عَلِىٌّ بن أَبى طالب ومِفْتَاحُ الكعبةِ بيده فقال : يا رسولَ الله ـ اجْمَع لَنَا الحِجَابَةَ مع السِّقَاية ـ صلَّى الله عليكَ وسلَّم ـ فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَيْنَ عثمان بن طلحة ؟ فدعَا فَقَالَ : « هاك مفتاحَكَ يا عثمان ، اليوم يوم برٍ وَوَفاء » قالوا : وأَعطاه المفتاح ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مضطبع بثوبه عليه ، وقال « غَيِّبُوه . إنَّ الله تعالى رضى لكم بِهَا فى الجاهليّة والإسْلاَم » .

وروى الفاكهى[3] عن جُبَيْر بْنِ مُطعم : أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لمّا ناولَ عثمانَ المفتاحَ قَالَ له « غَيبه » قال الزهرى : فلذلك يُغَيَّب المفتاح .

وروى ابن عائِذ ، وابن أَبى شَيْبَة من مرسل عبد الرحمٰن بن سابط : أَن رسول الله ـ صلىْ الله عليه وسلم ـ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ، فقال : « خُذُوهَا خَالِدَةً مُخَلَّدَةً ، إنِّى لَمْ أَدْفعها إلِيْكُمْ ، وَلكِنَّ الله ـ تَعَالَى ـ دَفَعَهَا إلَيْكُم ، وَلاَ يَنْزِعُهَا مِنكم إلا ظالم ».

وروى ابن عائِذ أَيضاً ، والأَزرق عن ابن جُرَيْج ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أَن عليًّا ـ رضى الله عنه ـ قال للنبى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلَى أَهْلِهَا[4] ﴾ فَدَعَا عثمانَ فقال : « خُذُوهَا يَا بَنِى شَيْبَةَ خَالِدَةً مُخَلَّدة » . وفى لفظٍ : « تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا مِنكُمْ إلاَّ ظَالِم » .

---

(١) يزبروننى : يقال زبر الرجل انتهره وزجره ومنعه (اللسان)

(٢) خذوها : أى سدانة البيت (شرح المواهب ٢ : ٣٩٩) .

(٣) هو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهى المكى توفى بعد سنة ٢٧٢ هـ . وقد حقق قدراً كبيراً من كتابه « أخبار مكة » سماحة الشيخ عبد الملك بن دهيش فى ستة مجلدات طبع مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة .

(٤) سورة النساء آية ٥٨ .

وروى الأزرق عن جابر ومجاهد قال : نزلت هذه الآية « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة . قبض رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مفتاح الكعبة ودخل فى الكعبة يوم الفتح ، فخرجَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه
٢٤٨ و وسلَّم ـ وهو يتلو هذه الآية ، فَدَعَا عثمان ، فدفع إليه المفتاح ، وَقَالَ ـ صَلَّى / الله عليه وسلم ـ « خذوهَا يَا بَنِى أَبى طَلْحَة بأَمانة الله ـ سُبْحَانه وتعالى ـ لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُم إلاَّ ظالم » .

وقال عُمَرُ بنُ الخَطَّاب : لَمَّا خرج رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مِنَ الكَعْبَةِ خَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِه الآية ، مَا سَمِعتهُ يَتلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

وروى أيضاً نحوه عن سعيد بن المسيَّب قال : دَفَعَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ مفتاح الكَعْبَةِ إلى عُثْمَان بن طلحة يوم الفتح ، وقال : « خُذُوها يَا بنِى طَلحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَظْلمُكُمُوهَا إلاَّ كَافِر » .

وروى عبد الرَّزاق والطَّبَرَانى عن الزهرىّ : أَن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لَمَّا خرج من البيت قَالَ عَلِيٌّ : « إنا أُعطِينَا النُّبوَّةَ والسِّقَايَة ، والحِجَابَة ، مَا قَومٌ بِأَعظَمَ نَصيباً مِنَّا . فكَرِهَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مقالَتَهُ ، ثمَّ دَعَا عثمان ابن طلحة فدفعَ المفتاحَ إليه وقال : « غَيِّبُوه » .

وقال عبد الرزّاق عن أبن جريج عن ابن أبى مليكة : أَن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعلى يومئذٍ حين كلَّمَهُ فى المفتاح : « إنما أَعطيتكم ما تُرزَءُون ، ولم أَعطكم ما تَرْزَءُون » يقول : « أَعطيتكم السِّقَايَةَ لأَنكم تَغرَمُون فيها ، ولم أَعطكم البَيْتَ » . قال عبد الرّزاق : أى أَنهم يأْخُذُونَ من هديَّتِهِ .

وروى عبد الرّزاق عن ابن أَبى مليكة : أَنَّ العبّاس ـ رضى الله عنه ـ قال للنبىّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : يا نَبىَّ الله !! اجْمَعْ لَنَا الحِجَابَةَ مع السّقاية ، ونزل الوحى عَلَى رسُولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال : « ادعوا لى عثمان بنَ طلحة ، فَدعِىَ له فَدَفَعَ له النّبى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المفتاح ، وستر عليه ، قال : فرسولُ الله ـ صلَّى

الله عليه وسلَّم - أوّل مَن ستر عليه ، ثُمّ قال : « خُذُوهَا يَابَنِى طلحةَ لَا ينتزعها منكم إلا ظالِم » .

* * *

ذكر صلاته — صلى الله عليه وسلم — ركعتين فى قبل الكعبة

عن السائب بن يزيد - رضى الله عنه - قال : حضرتُ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يومَ الفتح صلى فى قُبل الكعبة ، فخلع نعليه فوضعهما[1] عن يساره ، ثم استفتح سورة المؤمنين ، فلما جاء ذكر موسى أو عيسى أخذته سعلة فركع . رواه ابن أبي شَيْبَة فى المصنف.

* * *

ذكر اطلاعه — صلى الله عليه وسلم — على ماقالته الأنصار — رضى الله عنهم بينهم لما أمن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قريشـــا

روى أبو داود الطيالسى ، وابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أنّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - لَمَّا فرغ /من طَوَافِه ؛ أتى ٢٤٨
الصَّفَا فَعَلاَ منه حتَّى يَرَى البيْتَ ، فَرفَعَ يديْه ، وَجَعَلَ يحمدُ اللهُ - تعالى - ويذكره . ويَدْعُو مَا شَاءَ الله أن يدعو . والأنصار تحته ، فقالَ بعضهُم لبعض : أَمَّا الرَّجُلُ فأدركته رغبةٌ فى قريته ، ورأفةٌ بعشيرته - قال أبو هريرة - رضى الله عنه - وَجَاءَ الوحيُ - وكَانَ إذَا جَاءَ لَمْ يخف علينا : فليس أحدٌ من الناس يرفع طرفه إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - حتى يُقْضَى فلما قُضِيَ الوحْيُ ، قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : « يَامعْشَرَ الأَنْصَار » قالوا : لبيّك يا رسولَ الله ، قال : « قُلْتُم أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رغْبَةٌ فِى قَرْيَتِه ، وَرَأْفَةٌ فِى عَشِيرَتِه » قَالُوا : قد قُلْنَا ذلك يا رسولَ الله . قال : « فما أُسمَّى إذن !! كَلاَّ ، إنِّى عَبْدُ الله وَرَسُوله ، هَاجَرْتُ إلَى اللهِ وَإلَيْكُم ، المحْيَا مَحْيَاكُم وَالْمَمَاتُ مَمَاتكُم » فأقبلوا إليه يَبْكُون ، يقولون : والله يا رسول الله ما قلنا الّذى قلنا إلا الضِّنّ بالله وبرسوله . فقالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَإنَّ الله وَرَسُولَه يَعْذِرَانكُم وَيصَدِّقَانِكُمْ » .

---

(١) فى (ص) « فجعلهما عن يساره » والمثبت عن بقية النسخ .

ذكر اطلاعه – صلى الله عليه وسلم – على ماهم به أبو سفيان وما أسره لهند بنت عتبة

روى ابن سعدٍ عن أبي إسحاق السبيعي – رحمه الله تعالى – والحاكم فى الإكليل ، والبيهقيّ عن ابن عبَّاس – رضى الله تعالى عنهما – قالا : رأى أبو سفيان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمْشِي والناسُ يَطَئُونَ عَقِبَه ، فقال بينَهُ وبَيْنَ نفسه : لَوْ عَاوَدْتُ هذا الرّجلَ القِتَالَ ، وجمعتُ له جَمْعاً ؟ فجاءَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حتّى ضرب بيده فى صدْرِه فقال : « إذَنْ يُخْزِيكَ الله » فقالَ : أتوبُ إلى الله – تعالى – وأستغفرُ الله ممّا تفوَّهتُ به ، ما أيْقَنْتُ أنَّك نبي حتَّى الساعة ، إنى كنت لأحدث نفسى بذلك .

وروى محمد بن يحيي الذهلى – بالذال المعجمة ، واللاَّم فى كتابه – جمع حديث الزهرى – عن سعيد بن المسيِّب – رحمه الله تعالى – قال : لمَّا دخل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مكة ليْلةَ الفتح ، لم يزالوا فى تكبيرٍ وتهليلٍ وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سُفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله قال : ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قُلْتَ لِهِنْد أترين هَذَا مِنَ الله ؟ ؟ قالت[1] : نعَمْ هَذَا مِنَ الله » فقال أبو سُفيان : أشهدُ أنَّك عبدُ الله ورسوله ، والذى يُحْلفُ به مَا سَمِعَ قولى هذا أحد من النَّاس إلا الله عز وجل وهند .

وروى ابن سعدٍ ، والحارث بن أبي أسامة ، وابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم – رحمه الله تعالى – قال : خرجَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأبو سُفْيَان
٢٤٩ و جالسٌ فى المسجد/ فَقَالَ أبو سفيان : ما أدرى بما يَغْلِبُنَا محمّد ؟ فأتاه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَضَرَب صدْرَه وقال : : « باللهِ – تعالى – نغْلِبُك » فقالَ أبو سفيان : أشهدُ أنّك رسولُ الله .

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧٧ .

وروى العَقيْلِي وابن عساكر عن ابن عباس – رضى الله تعالى – عنهما – قال : لقى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أبا سفيان بن حرب فى الطَّوَاف فقال : « يَا أَبَا سُفْيَان هَلْ كَانَ بيْنَكَ وَبَيْنَ هِنْدٍ كَذَا وَكَذَا ؟ فقال أبو سفيان : فَشَتْ عَلَيَّ هندٌ سِرِّى ، لأَفعلن بها ولأَفعلن ، فلما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من طوافه لحق بأَبى سُفيان فقال : « يَا أَبَا سُفْيَان ، لَا تُكَلِّمْ هِنْداً فَإِنَّهَا لَمْ تُفْشِ مِنْ سِرِّكَ شَيْئًا » فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم .

* * *

ذكر مبايعته – صلى الله عليه وسلم – الناس على الاسلام

روى الإمام أحمد ، والبيهقى عن الأَسود بن خلف – رضى الله تعالى عنه – أنه رأى رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُبَايِع النَّاس يوم الفتح . قال : جلس عند قَرْنِ مَسْقَلَة[1] ، فبايع النَّاسَ على الإِسلام فجاءه الكبار والصِّغار ، والرِّجال والنِّسَاء ، فبايعهم على الإِيمان بالله – تعالى – وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدهُ ورسولُه .

وقال الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير – رحمه الله تعالى – : اجتمع الناس بمكّة لبيعةِ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – على الإِسلام ، فجلس لهم – فيما بلغنى – على الصفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فاخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فلما فرغ من بيْعَةِ الرِّجال بايع النساء وفيهنَّ هند بنت عُتْبَة ، امرأة أَبى سُفيان متنقِّبة متنكِّرَة خوفاً من رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَن يُخبرها بما كان من صنيعها بحمزة ، فهى تخاف أن يأْخذها بحدثها ذلك ، فلما دَنَيْنَ من رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قال : « بَايِعْنَنِى عَلَى أَلا تُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا » فرفعت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأْخذ علينا ما لا تأْخذه على الرِّجال[2] فقال : « وَلَا تَسْرِقْنَ » فقالت : والله إنى كنت أَصَبْتُ من مال أَبى سُفيان

(١) فى الأصول « مسفلة » وهى مسقلة ، ويقال مصقلة . . هو قرن بقيت منه بقية بأعلى مكة فى دبر دار سمرة عند موقف الغنم بين شعب ابن عامر وحرف فى دار رابغة فى أصله ، ومصقلة رجل كان يسكنه فى الجاهلية (أخبار مكة للأزرقى ٢ / ٢٧٠ ، معالم مكة للبلادى ٢٧٣ .

(٢) جاء فى السيرة الحلبية ٣ : ١١١ «ومعنى ذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يبايع الرجال على الإسلام وعلى الجهاد فقط» .

الهِنَة بعد الهنَة ، وما كنت أدْرى أكان ذلك حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ــ وكان شاهداً لما تقول ــ أمَّا مَا أصبْتِ فيما مضى فأنْتِ منه فى حلّ ــ عفا الله عنك ــ ثم قال : « وَلَا تَزْنِين » فقالت : يا رسول الله : أو تزنى الحرة ؟! ثم قال : « وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ » قالت : قد ربَّيْنَاهم صِغَاراً وقتلهم كبارا ، فأنْت وهم أعلم ، فضحك[1] رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وعمر ، ثم قال : « وَلَا تَأْتين بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَه بَيْن أيديكن / وأرجلكن» ٢٤٩ط
فقالت : والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح وَلَبَعْضُ التجاوز أمثل ، ثم قال : « وَلَا تَعْصِين » فقالت : فى معروف فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لعمر : « بَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم » فبايعهن عمر ، وكان رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم . لا يُصَافح النساءَ ولا يمس[2] جِلْدَ امرأة لم يحلها الله ــ تعالى ــ له أو ذات مَحْرَم وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت لا والله ما مسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط وفى رواية ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة .

* * *

ذكر امره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتكسير الأصنام

قالوا : ونادى منادى رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يَدَعْ فى بيته صنَماً إلا كَسَرَه .

* * *

ذكر اذان بلال ــ رضى الله عنه ــ فوق الكعبة يوم الفتح وما وقع فى ذلك من الآيات[3]

روى أبو يعلى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ وابنُ هشام عن بعض أهل العلْم ، والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، وعن عروة ، وابن أبى شيبة عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرّحمن بن حاطب ، والأزرقىُّ عن ابن أبى مُليكة ، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه ــ رحمهم الله تعالى ــ أنَّ رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لَمَّا حانت الظهر أمر ــ بلالاً أن يُؤذِّن بالظهر يومئذٍ فوقَ الكعبة ليغيظ بذلك المشركين ، وقريش فوق رءوس الجبال ،

(١) وفى المرجع السابق « فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م وفى ص ٢ : ٢١٤ « ولا يمس إلا إمرأة أحلها الله له » .

(٣) فى ص ٢ : ٢١٤ « ذكر أذان بلال رضى الله عنه يوم الفتح على ظهر الكعبة وما وقع فى ذلك من الآيات » .

وقد فَرَّ جماعةٌ من وُجُوهِهِم وتغيَّبوا ، وأبو سفيان بن حرب ، وعتَّاب ـ ولفظُ ابنُ أبي شَيْبَةَ : خالد بنِ أسِيد[1] ، والحارث بن هشام ـ جلوسٌ بفناءِ الكعبة ـ وأسلموا بعد ذلك . فقال عتَّاب ـ أو خالد[1] ـ بن أسِيد : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون يسمع هذا ، فيسمع ما يغيظه ، وقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لاتَّبعتُه ، فقالَ أبو سُفْيان : لا أقولُ شيئاً ، لو تكلمتُ لأخبرتْ عَنِّى هذه الحَصَا[2] ، وقال بعضُ بنى سعيد بن العاص ، لقد أكرم الله سعيدا إذْ قَبَضَه قَبْلَ أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة. وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدثُ العظيم أن يَصِيحَ عبدُ بنى جُمَح على بَنِيَّة أبي طلحة . وقال الحارث بن هِشَام : إن يكن الله ـ تعالى ـ يكرهه فسيُغَيِّره ، وفى روايةٍ : أن سُهيل بن عمرو . قال مثْلَ قَوْلِ الحارث ، فأتى جبريلُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخبره خبرهم ، فخرج عليهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فقال « قد علمتُ الَّذى قلتم » فَقَالَ الحارث وعتَّاب : نشهد إنك رسولُ الله ـ صلَّى الله عليك وسلم ـ ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخْبَرَك .

* * *

ذكر أمره /ـ صلى الله عليه وسلم بتجديد أنصاب الحرم يوم الفتح

روى الأزرقُ عن محمد بن الأسود ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : أولُ مَنْ نَصَبَ أنصابَ الحرم إبراهيم ، كان جبريلُ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يدلُّه على مواضعها ، فلم تُحَرَّك حتى كان إسماعيل ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجددها ، ثم لم تُحَرَّك حتى كان قُصَىٌّ بن كلاب فجدّدها ، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فَبَعَثَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم تميم بن أسد الْخُزَاعىَّ فجدَّد أنصاب الحرم .

* * *

ذكر اسلام السائب بن عبد الله المخزومى ـــ رضى الله عنه ٢٥٠ و

روى ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد عن مجاهد عن السائب : أنه كان شاركَ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل الإسلام فى التجارة ، فلما كان يوم الفتح أتاه فقال :

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ٣٤٦ عتاب وخالد إبنا أسيد » .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٦ « الحصباء » .

« مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي ، كَانَ لَا يُدَارِى وَلَا يُمَارِى ، يَاسَائِب !! قَدْ كُنْتَ تَعْمَل أَعْمَالًا فِى الْجَاهِلِيَّة لَا تُتَقَبَّل مِنْكَ وهى اليوم تتقبل منك » وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَخُلَّة » .

وروى الإمام أحمد عن مجاهد عن السائِب بن عبد الله قال : جئ بى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة فجعل عثمان وغيرُهُ يُثْنُون عَلَىَّ ، فقال رسول الله : « لَا تُعلمونِى بِه ، كَانَ صَاحِبِى » .

* * *

ذكر اسلام الحارث بن هشام – رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن الحارث بن هِشَام قال : لما دخل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مكة ، دخلتُ أنا وعبد الله بن أبى ربيعة دار أُمّ هانئ ، فذكر حديث أن النّبى – صلى الله عليه وسلّم – أجاز جِوَارَ أم هانئ ، قال : فأنطلقنا ، فأقمنا يومين ، ثمَّ خرجنا إلى منازلنا ، فَجَلَسْنَا بأفنيتها لاَ يَعْرِض لَنَا أَحَد ، وكنَّا نخافُ عمر بن الخطاب ، فوالله إنى لجالسٌ فى ملاءة مورَّسة[1] على بابى ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب ، فإذا معه عدة من المسلمين فسلَّم وَمَضَى ، وجعلتُ أستحيي أن يرانى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأذكر رؤيته إيَّاى فى كلّ موطن مع المشركين ثم أذكر بِرَّه ورحمته وصِلَته فألقاه وهو دَاخِل المسجد ، فلقينى بالبِشْر ، فوقَفَ حتى جئته فَسَلَّمتُ عليه ، وشهدتُ بشهادةِ الحقّ ، فقال : الحمدُ لله الَّذى هداكَ ، ما كان مثلك يجهل الإسلام قال الحارث : فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهِلَ .

* * *

ذكر اسلام سهيل بن عمرو – رضى الله عنه

٢٥٠ ظ روى محمد بن عمر – رحمه الله – عن سهيل بن عمرو قال / : لمّا دخل رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – مَكّة وظهر ، اقتحمتُ بيتى وأغلقت بابى علىّ ، وأرسلت إلى ابنى عبد الله أن اطلب لى جِواراً من محمد فإنى لا آمن أن أُقْتَل ، فذهب عبد الله إلى رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقال : يا رسول الله !! أبى تؤمنه ؟ قال : « نَعم ، هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ فَلْيَظْهر » ثم قال رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – لمن حَوْلَه : « مَنْ

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٣١ « فى الملاء المزعفر » والملاءة المورسة هى المصبوغة بالورس وهو نبات أصفر يصبغ به (النهاية ٥ : ١٧٣) .

لَقِىَ سُهَيْل بنَ عَمْرٍو فلا يُحِدَّ إليه النَّظَرَ فَلَعَمْرِى إنَّ سُهَيْلاً له عَقْلٌ وَشَرَف ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الْإِسْلاَمَ ، وَلَقَدْ رأى مَا كَانَ يُوضِع فيه أنَّه لَمْ يَكُنْ بِنَافع له » فخرجَ ابنُه عبد الله إلى أبيه فأخبره بما قاله رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فقال سهيل : كان والله برًّا صَغِيرًا ، برًّا كَبِيراً ، فكان سهيل يُقْبِل ويُدْبِر آمنا وخرج إلى حنين مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – وهو على شركه حتَّى أسلم بالجِعِرَّانَة .

* * *

ذكر اسلام عتبة ومعتب ولدى أبى لهب – رضى الله عنهما

روى ابن سعدٍ عن ابن عبَّاسٍ عن أبيه – رضى الله عنهما – قال : لما قَدِمَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكَّة فى الفتح قال لى : « أين ابْنَا أخِيك عُتْبَة ومعتِّب ابْنَى أبى لَهَب . لاَ أرَاهُمَا » ؟ قلت : تَنَحَّيَا فيمَنْ تَنَحَّى مِنْ مُشْرِكى قُرَيْش ، قال : « ائْتِنِى بِهِمَا » فركبتُ إليهما بِعُرْنَةَ فأتيت بهما ، فدعاهُما إلى الإسلام فأسلما وبايعا ، ثم قام رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأخذَ بأيديهما وانطلق بهما حتَّى أتى الملتزم ، فدَعا ساعةً ثم انصرف والسُّرورُ يُرَى فى وَجْهِه ، فقلتُ : يا رسولَ الله سَرَّكَ الله إنِّى أرى السُّرورَ فِى وجْهِك ، فقال : « إنى اسْتَوْهَبْتُ ابْنَىْ عَمِّى هَذَين من ربى فوَهَبَهُمَا لِى » .

* * *

ذكر اسلام عبد الله بن الزبعرى – رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن شيوخه قَالَ : هربَ عبد الله بن الزِّبَعْرى إلى نَجْرَان ، فأرسلَ حسَّانُ بنُ ثابتٍ – رضى الله عنه – أبيَاتاً يريدُ بها ابنَ الزِّبَعْرى :

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أحَلَّكَ بُغْضُهُ ... نَجْرَانَ فِى عَيْشٍ أحَذ[1] لَئِيمِ
بَلِيَتْ قَنَاتُكَ فِى الحُروبِ فأُلْفِيت ... خَوَّارَةً[2] جَوْفَاء ذَاتَ وُصُومِ
غَضَبُ الإلَهِ على الزِّبَعْرى وابْنِهِ ... وعَذابُ سُوءٍ فى الحياة مقيم

وذكر ابنُ إسحاق البيتَ الأوَّلَ فقط فلمّا جاءَ ابنَ الزِّبَعْرى شعرُ حسَّان ، خرجَ إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – وهو جالس فى أصحابه ، فلمَّا نظر إليه رسولُ الله – صلى

---

(١) ورد هذا الشعر فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٥ وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٧ .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٨ « خانة » وفسر اللفظ بالضعيفة .

٢٥١ و الله عليه وسلَّم – قال : « هذا ابنُ الزِّبَعْرى ، ومعه وجه فيه نور الإسلام فَلَمَّا / وقف على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال السّلامُ عليكَ يا رسُولَ الله ، أَشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنك عبده ورسولُه ، الحمد لله الَّذى هَدَانِى للإسلَام ، لقد عاديتُكَ ، وأجلَبْتُ عليك وركبتُ الفرَس والبعيرَ ، ومشيتُ على قَدَمَىَّ فى عَدَواتِك ، ثم هربتُ منك إلى نجران ، وأنا أُريدُ أن لا أُقِرَّ بالإسلام أبدا ، ثم أرادنى[1] الله منه بخير ، وألقاه فى قلبى ، وحَبَّبَهُ إلىّ . وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضّلالة واتباع ما لا ينبغى من حَجَرٍ يُذبح له ويُعْبَد ، لا يَدْرِى مَنْ عبدَه ، ولا مَنْ لَا يَعْبُدُه . قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « الْحَمْدُ لِلهِ الذى هَدَاكَ لِلإِسْلَام ، إنَّ الْإِسْلَامَ يُجبُّ مَا كَانَ قَبْلَه »

وقال عبد الله حين أسلم :

يارسـول المليك إن لسانى ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنابُـورُ
إذْ أُبَارِى الشَّيْطَانَ فى سَنَنِ الغَىِّ ... ومَنْ مَـالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ
آمنَ اللحْـمُ والعِظَامُ لِرَبِّىَ ... ثُمَّ قَلْبِى الشَهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إنَّنِى عَنْكَ زَاجِـرٌ ثَمَّ حَيًّـا ... مِنْ لُؤَىٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْـرُورُ

وقال عبد الله أيضا حين أسلم[2] :

مَنَع الرُّقَـادَ بَلَابِلٌ وَهُمُـومُ ... واللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِـيمُ
مِمَّـا أتَانِى أنَّ أَحْمَـدَ لَامَنِىَ ... فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِى مَحْمُـومُ
يَاخَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أوْصَالها ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُـومُ
إنِّى لَمُعْتَذِرٌ إلَيْكَ مِـنَ الَّذِى ... أَسْدَيْت إذْ أَنَا فِى الضَّلَالِ أَهِيمُ
أَيَّامَ تَـأْمُـرُنِى بَـأَغْوَى خُطَّـةٍ ... سَهْمٌ وَتَـأْمُـرُنِى بِهَا مَخْـزُومُ

---

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٨ « أراد بى الله منه بخير » .

(٢) قال ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٥٨٦ « قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له ، قلت : كان عبد الله بن الزبعرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم فى هجاء المسلمين ثم من الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذبعنه » وأنظر أيضاً سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٨٧٦ تحقيق محيى الدين .

وأمُــدُّ أَسْبَابَ الردَى وَيَقُودُنِي ... أَمْرُ الوُشَاةِ وَأَمْرُهُم مشئُــومُ
فَالْيَوْمَ آمـــنَ بِالنَّبِيِّ محمّدٍ ... قلبِى وَمُخْطِئُ هَــذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتْ العَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُها ... ودَعَتْ أواصر بَيْنَنا وَحُلُــومُ
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَاى كِلَاهُمَا ... زَلَلِي فإنك رَاحِمٌ مَرْحُـــومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عَلَم[1] المَلِيكِ عَلَامَةٌ ... نُورٌ أغر وَخَاتَمٌ مَخْتُـــومُ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّة بُرْهَانَـــهُ ... شَرَفاً وَبُرْهَانُ الإِلَهِ عَظِيــمُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ ... حَــقٌّ وأَنَّكَ فِى العِبَادِ جَسِيمُ
واللهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى ... مُسْتَقْبَلٌ فِى الصَّالِحِينَ كَـرِيمُ
قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانُه مِــنْ هَاشِمٍ ... فَرْعٌ تَمَكَّنَ فى الــذُّرَى وأُرُومُ

* * *

ذكر اسلام عكرمة ــ رضى الله عنه ــ بن ابى جهل

روى محمد بن عمر عن شيوخه ــ رحمه الله تعالى ــ وإِيَّاهُم : أن عِكْرِمَة ــ رضى الله عنه ــ قال : بَلَغَنِى أَنَّ رسولَ الله ــ صلَّى الله عليهْ وسلَّم ــ نَذَرَ دَمِى يَوْمَ الفَتْح ، وكنتُ فى جَمْعٍ منْ قُرِيش بأسفل مكَّة ــ وقد ضَوَى إِلَىَّ مَنْ ضَوَى ــ فَلَقِينَا هُنَاكَ خالدُ بنُ الوليد ، فَأَوْقَعَ بنا ، فهربتُ منه أُرِيدُ / والله ــ أن أُلْقِيَ نفسى فى البحر ، ٢٥١ ط
وأموتُ تائِهاً فى البِلَاد قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ فِى الإِسْلَام ، فخرجتُ حتَّى انتهيتُ إلى الشُّعْبَة ، وكانت زوجتِى أُمّ حكيم بنت الحارث أمرأة لها عَقْل ، وكانت قد اتَّبعت رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فَدَخلت عَلَى رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلم ــ فقالت : يا رسولَ الله ، إِنَّ ابن عمِّى قد هَرَبَ يُلْقِى نفسه فى البحر فأَمنه .

وروى ابنُ أَبِى شَيْبَة وأبو دَاود ، والنسائىّ عن سعد بن أَبِى وَقاص ــ رضى الله تعالى عنه ، والبيهقىُّ عن عُرْوَة ــ رحمه الله تعالى : أَنَّ عِكْرِمَة ركب البَحْر فأَصابَتْهُم ريحٌ عاصِفٌ ، فنادى عِكْرِمَةُ اللاَّتَ والعُزَّى ، فقال أَهلُ السَّفِينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تُغْنِى

(١) فى نهاية الأدب للنويرى ١٧ ــ ٣١٢ من سمة المليك .

عَنْكُم شيئاً ، فقال عِكْرِمَةُ : والله لئِن لم يُنْجِنِى مِنَ الْبَحْر إلاَّ الإخلاص لا يُنْجِينِى فى البَرِّ غَيْرُه ، اللَّهم لَكَ عَهْداً إنْ أنْتَ عَافَيْتَنِى مِمَّا أنَا فيه أن آتِ[1] مُحَمَّداً حتَّى أَضعَ يدى فى يده ، فلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا غفورا كريماً ، فَجَاءَ وَأسلم .

وروى البيهقى عن الزّهرى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه : أن أم حكيم[2] امرأة عِكْرِمَة بن أبى جهل قَالَتْ لرسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يا رسول الله : قد ذَهَبَ عِكْرِمَةُ عنك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله ، فأَمنهُ يا رسولَ الله ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « هو آمن » فخرجتْ أمُّ حكيمٍ فى طلبه ، ومعها غلامٌ لها رومِىٌّ ، فراوَدَها عن نفسها فَجعَلَت تمنيه حتى قَدِمَت به على حَىٍّ من عَكّ[3] فاستعانتهم[4] عليه ، فأَوثقوه رِباطاً ، وأَدركتْ عِكْرِمة وقد انتهى إلى البحر ، فركب سفينة ، فجعلَ نوتىٌّ يقولُ له : أَخلِصْ أخلِص ، قال : أى شىءٍ أقول ؟ قَالَ : قُلْ لَا إله إلاَّ الله ، قال عِكْرِمَة : ما هَرَبْتُ إلا مِنْ هذا ، وَإن هذا أمر تعرفه العربُ والعجمُ حتَّى النَّواتى !! مَا الدِّينُ إلاَّ مَا جَاءَ به محمد ، وغَيَّرَ اللهُ قَلْبِى ، وَجَاءتنِى أُمُّ حَكِيم عَلَى هَذَا الأمر ، فجعلت تُلِيحُ إلَىَّ وتقول : يا ابن عَمّ ، جِئتُكَ من عِنْدِ أبَرِّ النَّاس ، وأَوْصَلِ النّاس ، وخَيْرِ النَّاس ، لَا تَهْلِكْ نَفْسَك ، فوقف لها حتَّى أدركته ، فقالت له : إنِّى قد اسْتَأْمَنْتُ لك رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَأَمَّنَك ، فَرَجَعَ مَعَهَا وقالت : ما لقيته من غلامك الرومى وأخبرته خبَره فقتله وهو يومئذ لم يُسْلِم ،

فلمَّا وافى مكَّة قال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « يَأْتيكم عِكْرِمَةُ بن أَبِى جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا فَلاَ تَسُبُّوا أبَاه ، فَإنَّ سَبَّ الميتِ يُؤْذِى الحَىَّ [ولا يبلغ الميت[5]] فجعل

---

(1) كذا بالأصول .

(2) فى الأصول أم الحكم ومثله فى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٤١٨ والمثبت عن طبقات ابن سعد ٣ : ٢٦٦ وأسد الغابة ٥ : ٥٧٧ وهى أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية وأمها فاطمة بنت الوليد أخت خالد .

(3) علك : مخلاف من مخاليف مكة التهامية (معجم ما استعجم البكرى ص ٢٢٣) .

(4) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٥١ « فاستغاثتهم عليه » .

(5) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٨٥١ .

عِكْرِمَةُ يطلبُ آمرأَته يُجَامِعها فَتَأْبَى عليه وتَقُول : أَنْتَ كَافِرٌ وأَنَا مُسْلِمَة ، فقال : إنَّ أَمْرًا مَنعَكِ مِنِّى لأَمْرٌ كَبِيرٌ. قال ابن عقبة والزهرى فيما رواه البيهقى وعروة وغيرهما : فلما رأى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عكرمةَ وثَبَ إليه – وَمَا عَلَى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – رداء فَرحاً بعكرمة ، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فوقف عكرمةُ بين يديه ومعه زوجَتُه مُتَنَقِّبة[1] ، فقال : يا محمد !! إنَّ هذه أَخْبَرَتْنِى أَنَّكَ أَمَّنْتَنِى ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم / « صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمن » قال عكرمة : ٢٥٢ و
فإِلاَمَ تَدْعُو يا محمد ؟ قال : « أَدْعُو إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ الله ، وَأَنِّى رَسُولُ الله ، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ ، وتفعل وتفعل » حتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلَامِ ، فقالَ عِكْرِمَةُ : والله مَا دَعوْتَ إلاَّ إِلَى خَيْرٍ وأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيل ، قد كُنتَ فينَا يا رسُولَ الله قَبْلَ أَنْ تَدْعُونَا – إلى ما دَعَوْتَنَا إليه – وأنت أَصْدَقُنا حَديثاً ، وَأَبَرُّنَا بِرًّا ، ثُمَّ قال عِكْرِمَةُ: فَإِنِّى أَشْهَدُ أَن لا إِلَه إِلاَّ الله ، وأَنَّ محمَّداً رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فَسُرَّ بِذَلِكَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ثم قال : يا رسولَ الله : عَلِّمْنِى خير شَىءٍ أقوله . قال : « تَقُول أَشْهَدُ أَن لَا إِلَٰهَ إِلاَّ الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُولُه » ، قَالَ عكرمة : ثُمَّ مَاذَا ؟ قالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « تَقُول : « أُشْهِدُ الله وأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّى مُسْلِم مُجَاهِدٌ مُهَاجر » ، فقال عِكْرِمَة ذلك .

* * *

ذكر إسلام صفوان بن امية – رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن عُرْوَةَ بن الزّبير ، والبيهقىُّ عن الزُّهرى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قَالُوا : خَرَجَ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ يريدُ جِدَّة ليركبَ مِنْهَا إِلَى اليمن ، فقال عُمَيْر بنُ وَهْب : يَا نَبِيَّ الله – إنَّ صَفْوَان بن أُمَيَّةَ سَيِّدُ قومى وقد خرج هارباً منك ، ليقذفَ نَفْسَه فى البحر ، فَأَمنه صلَّى الله عليك وسلَّم – قال : « هُوَ آمِن » فخرج عُمَير حتَّى أدركَه – وهو يُرِيدُ أَنْ يركَبَ البحر – وقال صفوانُ لغلامه يسار – وليس معه غيره – وَيْحَكَ !! أُنظُرْ مَنْ تَرَى ؟ قَالَ : هَذَا عُمَيْر بنُ وَهْب ، قَالَ صَفْوَان : مَا أَصنَعُ بعمير ابن وهب ، والله مَاجَاءَ إلاَّ يريدُ قَتْلِى قَدْ ظَاهَرَ عَلَىَّ محمَّدًا ، فلحقه فقالَ : يا أَبا وهب

(١) كذا فى الأصول وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٥٢ « متقبة »

حدثنا أحمد بن شبيب، حدثنا أبي، عن يونس، عن الزهري، حدثني مسافع الحجبي، سمع عبدالله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ. . . فذكره.

[٣٧٤٣] أخبرنا علي بن محمد المقرئ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا مسدد، حدثنا حماد بن زيد، عن ابن جريج، عن عطاء عن عبدالله بن عمرو رفعه! قال: «**لولا ما مسّه من أنجاس الجاهلية ما مسّه ذو عاهة إلاّ شُفي، وما على الأرض شيءٌ من الجنّة غيره**».

[٣٧٤٤] أخبرنا أبوسعد الماليني، أخبرنا أبوأحمد بن عدي الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى بن الحسين العمي، حدثنا عبيدالله العيشي -سنة ثمان وعشرين ومائتين- حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحجر الأسود من الجنّة، وكان أشدَّ بياضًا من الثلج حتّى سَوَّدَتْه خطايا أهل الشرك**».

[٣٧٤٣] إسناده: رجاله ثقات.

والحديث أخرجه المؤلف في «سننه» (٧٥/٥) عن أبي الحسن علي بن محمد المقرئ، بهذا الإسناد.

وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٣٨/٥) عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبدالله بن عمرو وكعب الأحبار، موقوفًا.

[٣٧٤٤] إسناده: فيه عطاء بن السائب، وكان قد اختلط.

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦٧٩/٢)، في ترجمة حماد بن سلمة عن محمد بن يحيى ابن الحسين بنفس السند.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠٧/١) عن يونس، و(٣٢٩/١) عن عفان، و(٣٧٣/١) عن روح. والطبراني في «الكبير» (٤٥٣/١١ رقم١٢٢٨٥) من طريق يحيى بن إسحاق السيلحيني. كلهم عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب به.

تابعه آخرون.

فأخرجه الترمذي في الحج (٢٢٦/٣ رقم٨٧٧) من طريق جرير. وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٩/٤ - ٢٢٠ رقم٢٧٣٣) من طريقين عن جرير وزياد بن عبدالله البكائي: كلاهما عن عطاء به.

وجاء من رواية عطاء بن أبي رباح عن عبدالله بن عباس، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٦/١١ رقم١١٣١٤) وفيه محمد بن أبي ليلى، ضعيف.

راجع «مجمع الزوائد» (٢٤٢/٣) و«ضعيف الجامع الصغير» (٢٧٦٦).

[٣٧٤٥] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا عبدالصمد بن علي البزار ببغداد، حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا الحسن بن موسى الأشيب، حدثنا ثابت بن يزيد، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إنّ لهذا الحجر للسانًا وشَفَتَين، يشهد لمن استَلَمه يوم القيامة بحق».

[٣٧٤٦] وأخبرنا مجالد بن عبدالله بن مجالد بالكوفة، حدثنا مسلم بن محمد التميمي، حدثنا الحضرمي، حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثي، حدثنا عبدالرحيم بن سليمان، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم بهذا الإسناد غير أنه قال: «ليأتينَّ هذا الحجرُ يومَ القيامة، له عينان يُبصر بهما، ولسانٌ ينطقُ به، يشهد على مَن استلمه بحقٍّ».

وكذلك رواه حماد بن سلمة عن ابن خثيم.

[٣٧٤٧] أخبرناه علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا إسحاق بن

[٣٧٤٥] إسناده: رجاله ثقات.
- ثابت بن يزيد، الأحول، أبوزيد البصري (م١٦٩هـ). ثقة ثبت. من السابعة (ع).

والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٥٧) عن عبدالصمد بن علي - بهذا الإسناد، وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (١/٢٦٦) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٢١ رقم٢٧٣٦) وأبويعلى في «مسنده» (٥/١٠٧ رقم٢٧١٩) - وعنه ابن حبان في «صحيحه» (٦/١٠ رقم٣٧٠٣) - من طريق الحسن بن موسى، عن ثابت به.

[٣٧٤٦] إسناده: **لم أعرف شيخ المؤلف، ولا شيخه.**
- الحضرمي، محمد بن سليمان، مطين، مر.
- عبدالرحيم بن سليمان، الكناني، أبوعلي الأشل، المروزي (م١٨٧هـ). ثقة له تصانيف. من صغار الثامنة (ع).

والحديث أخرجه الترمذي في الحج (٣/ ٢٩٤ رقم٩٦١) وابن ماجه في المناسك (٢/ ٩٨٢ رقم٢٩٤٤) وأحمد في «مسنده» (١/٢٤٧) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٢٠ رقم٢٧٣٥) وابن حبان (٦/ ١٠ رقم٣٧٠٤ - الإحسان) وأبونعيم في «الحلية» (٦/٢٤٣).

ورواه الطبراني في «الكبير» (١١/١٨٢ رقم١١٤٣٢) من طريق عطاء عن ابن عباس بنحوه.

[٣٧٤٧] إسناده: رجاله ثقات.

وأخرجه الدارمي في المناسك (ص ٤٣٨) عن حجاج بن منهال وسليمان بن حرب. وأحمد في «مسنده» (١/٢٩١) عن عفان، و(١/ ٣٠٧) عن مؤمل، وعن يونس؛ والطبراني في «الكبير» (١٢/٦٣ رقم١٢٤٧٩) من طريق حجاج: كلهم عن حماد بن سلمة به.

ورواه المؤلف في «سننه» (٥/٧٥) عن علي بن أحمد بن عبدان، بنفس الاسناد.

الحسن الحربي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم. . . فذكره غير أنه قال: «لَيَبعثنَّ اللهُ الحجرَ يوم القيامة».

[٣٧٤٨] أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ أخبرنا الحسن بن محمد ابن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، حدثنا مسدد، حدثنا عبدالواحد ابن زياد، حدثنا عاصم الأحول، عن عبدالله بن سرجس قال: رأيت الأصيلع - يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه- انتهى إلى الحجر الأسود، فقال: لأقبلك، وإني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، وأن الله عزّ وجلّ ربي. ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

قال وحدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا أبوالربيع، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول بإسناده نحوه. وحديث عبدالواحد أتم.

أخرجه مسلم في الصحيح(١) من حديث حماد بن زيد.

وأخرجاه(٢) من وجه آخر عن عمر.

[٣٧٤٨] إسناده: رجاله ثقات.

- عبدالله بن سرجس، المزني، صحابي.

(١) في الحج (١/ ٩٢٥ رقم٢٥٠) عن خلف بن هشام، والمقدمي وأبي كامل، وقتيبة بن سعيد - جميعًا- عن حماد بن زيد به.

وأخرجه الحميدي في «مسنده» (١/ ٧ رقم٩) عن سفيان. وأحمد في «المسند» (١/ ٣٥) وابن ماجه في المناسك (٢/ ٩٨١ رقم٢٩٤٣) من طريق أبي معاوية. وابن الجعد في «المسند» (٢/ ٨٢٦ رقم٢٢٤٣) عن شريك. وأحمد أيضًا (١/ ٥١) من طريق شعبة: كلهم عن عاصم الأحول به.

(٢) أخرجه البخاري في الحج (٢/ ١٥٩ - ١٦٠) وكذا مسلم (١/ ٩٢٥ - ٩٢٦ رقم٢٥١) من طريق عابس بن ربيعة عن عمر بن الخطاب بنحوه.

ومن هذا الوجه أخرجه أبوداود في المناسك (٢/ ٤٣٨ رقم١٨٧٣) والترمذي في الحج (٣/ ٢١٤ رقم٨٦٠) والنسائي في الحج (٥/ ٢٢٧) وأحمد في «مسنده» (١/ ١٦، ٢٦، ٤٦) وابن حبان في «صحيحه» (٦/ ٥٠ رقم٣٨١١ - الإحسان) والمؤلف في «سننه» (٥/ ٧٤).

وأخرجه البخاري في الحج أيضًا (٢/ ١٦١) من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه عن عمر. =

[٣٧٤٩] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا أبومحمد عبدالله بن محمد بن موسى العدل من أصل كتابه، حدثنا محمد بن صالح الكيليني، حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالصمد العمي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك؛ ثم قبله، فقال له علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: بلى، يا أمير المؤمنين! إنه يضر وينفع. قال: بم؟ قال: بكتاب الله -عزّ وجل- قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(١).

= ورواه مسلم (١/ ٩٢٥ رقم٢٤٨) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٢/٤ رقم٢٧١١) وابن حبان في «صحيحه» (٥٠/٦ رقم٣٨١٠) من طريق سالم، عن أبيه، عن عمر.

ورواه مسلم أيضًا (١/ ٩٢٦ رقم ٢٥٢) والنسائي (٥/ ٢٢٧) وأحمد في مسنده (١/ ٣٩، ٥٤) وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٦٩ رقم١٨٩) من طريق سويد بن غفلة عن عمر بنحوه.

وأخرجه مالك في «الموطأ» (٣٦٧/١) وأحمد في «مسنده» (٥٣/١، ٥٤) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بنحوه، وعروة لم يدرك عمر.

وأخرجه مسلم في الحج (١/ ٩٢٥ رقم٢٤٩) والدارمي في المناسك (ص٤٤٩) وأحمد في «مسنده» (٣٤/١) وعبد بن حميد في «المنتخب» (١/ ٧٠ رقم٢٦) من طريق نافع عن ابن عمر، عن عمر بنحوه.

[٣٧٤٩] إسناده: ضعيف.

- محمد بن صالح الكيليني.

ذكره الذهبي في «المشتبه» (ص٥٥٤) وقال: روى عنه حمزة الكناني.

- عبدالعزيز بن عبدالصمد العمي، أبوعبدالله البصري (م١٨٧هـ). ثقة حافظ. من كبار التاسعة (ع).

- أبوهارون العبدي هو عمارة بن جوين، متروك، مر.

والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٥٧/١) بنفس هذا الإسناد.

وانظر «الدر المنثور» (٦٠٥/٣).

(١) سورة الأعراف (٧/ ١٧٢).

خلق الله آدم، ومسح على ظهره، فقررهم بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رقٍّ، وكان لهذا الحجر عينانِ ولسانٌ، فقال له: افتح فاك قال: ففتح فاه، فألقمه ذلك الرق، فقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤتى يومَ القيامة بالحجر الأسود، وله لسانٌ ذلقٌ، يشهد لمن يستلمه بالتّوحيد**» فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

قال الشيخ أحمد: أبوهارون العبدي غير قوي. فإن صح فأمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- كان قد عبد الحجر، فحين أهوى إلى الركن كأنه هاب ما كان عليه في الجاهلية، فتبرأ من كل شيء سوى الله تعالى، وأخبره بأنه حجر لا يضر ولا ينفع. يريد ما كان على هيئته حجرًا، وأنه إنما يقبله متابعة للسنة. وقول أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- إنه يضر وينفع، يريد به إذا خلق الله تعالى فيه حياة، وأذن له في الشهادة. وذلك أنه يعلم بخبر الرسول ﷺ، وكان عنده في ذلك خبر فأخبر به، فقبله عمر رضي الله عنهما.

[٣٧٥٠] أخبرنا أبوبكر بن فورك، أخبرنا عبدالله بن جعفر الأصبهاني، أخبرنا يونس بن حبيب، أخبرنا أبوداود الطيالسي، حدثنا همام، عن عطاء بن السائب،

[٣٧٥٠] إسناده: فيه عطاء بن السائب، وكان قد اختلط.

والحديث أخرجه الطيالسي في «مسنده» (ص٢٥٨).

وأخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» (٢٩/٥ رقم٨٨٧٧) ومن طريقه أحمد في «مسنده» (٨٩/٢) والطبراني في «الكبير» (٣٩٠/١٢ رقم١٣٤٣٨) عن معمر والثوري. وأحمد (١١/٢) وابن حبان في «صحيحه» (٥/٦ رقم٣٦٩٠) من طريق سفيان. وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٨/٤ رقم٢٧٢٩) والمؤلف في «سننه» (١١٠/٥) من طريق هشيم. والطبراني في «الكبير» (٣٩٢/١٢ رقم١٣٤٤٦) من طريق حماد بن زيد. والمؤلف في «سننه» (٨٠/٥) من طريق شجاع بن الوليد. كلهم عن عطاء بن السائب به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٩٥/٢) عن روح عن همام. وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٧/٤ - ٢٢٨ رقم٢٧٥٣) من طريق جرير وابن فضيل. والطبراني في «الكبير» (٣٩٠/١٢ رقم١٣٤٣٩، ١٣٤٤٠) من طريق حفص بن عمر الحوضي، عن همام: كلهم عن عطاء بن السائب - فذكروا الحديثين هذا والآتي بعد - معًا.

عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، عن أبيه قال قلت لابن عمر: أراك تزاحم على مسح هذين الركنين؟ فقال: إني أفعل. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّ مسحهما يحطّان الخطايا»**.

وبإسناده(١) عن أبيه، عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من طاف البيت سبعًا يُحصيه كتب الله له بكلّ خطوة حسنةً، ومُحيت عنه سيئةٌ، ورُفعت له به درجةٌ، وكان له عدل رقبة»**.

[٣٧٥١] حدثنا أبوالحسن محمد بن الحسين العلوي، أخبرنا أبومحمد عبدالله بن شعيب الرمهراني، حدثنا أحمد بن حفص بن عبدالله، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن طاف بالبيت سبعًا، وركع ركعتين كان كعتاق رقبة»**.

---

(١) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (ص٢٥٨).
وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/١١٠) عن أبي بكر بن فورك، بنفس الإسناد ورواه ابن حبان (رقم١٠٠٣ - موارد) من طريق جرير عن عطاء به.

[٣٧٥١] **إسناده: ليس بالقوي.**

- أبومحمد عبدالله بن شعيب، لعله عبدالله بن شعيب بن أحمد بن محمد بن مهران الأردستاني. ذكره أبونعيم في «أخبار أصبهان» (٢/٩٦) وقال: ولي قضاء أردستان، وقد علينا سنة سبعين (٣٧٠هـ).

يروي عن البغوي والرازيين وغيرهم.
والحديث أخرجه المؤلف في «سننه» (٥/١١٠) بنفس إسناده هنا.
وأخرجه ابن ماجه في المناسك (٢/ ٩٨٥ رقم٢٩٥٦) من طريق العلاء بن المسيب؛ والطبراني في «الكبير» (١٢/٣٩٢ رقم١٣٤٤٧) من طريق حماد بن زيد: كلاهما عن عطاء بن السائب به.
ورواية حماد بن زيد عن عطاء جيدة.
ورواه عبدالرزاق في «مصنفه» (٥/١٢ - ١٣رقم٨٨٢٤) عن معمر عن عطاء عن عبدالله بن عبيد عن النبي ﷺ، مرسلاً.
كما رواه من طريق حوشب عن عطاء بن أبي رباح عن عبدالله بن عمرو موقوفًا.

[٣٧٥٢] أخبرنا أبوسعد الماليني، أخبرنا أبوأحمد بن عدي، حدثنا أبويعلى، حدثنا العباس النرسي، حدثنا داود بن عجلان، حدثنا أبوعقال، قال: طفت مع أنس والحسن بن أبي الحسن في مطر، فقال لنا أنس: استأنفوا العمل، فقد غفر لكم؛ طفت مع نبيكم ﷺ في مثل هذا اليوم، فقال: «استأنفوا العملَ فقد غُفر لكم».

تفرد به داود بن عجلان المكي عن أبي عقال.

[٣٧٥٣] أخبرنا أبوسعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبوعبدالله الصفار، حدثنا أبوبكر بن أبي

[٣٧٥٢] إسناده: ضعيف.

- العباس بن الوليد بن نصر النرسي (م٢٣٨هـ). ثقة. من العاشرة (خ س).
- داود بن عجلان البلخي، المكي، أبوسليمان البزار. ضعيف. من الثامنة (ق).

ضعفه ابن معين، وقال أبوداود: ليس بشيء. وقال ابن حبان: يروي عن أبي عقال المناكير الكثيرة والأشياء الموضوعة.

راجع «المجروحين» (١/٢٨٤ - ٢٨٥) «الضعفاء» (٢/٣٨) «الكامل» (٣/٩٦٠) «الميزان» (٢/١٢).

- أبوعقال هو هلال بن زيد بن يسار البصري. متروك. من الخامسة (ق).

قال البخاري: في أحاديثه مناكير. وكذا قال النسائي وأبوحاتم.

وقال ابن حبان: يروي عن أنس بن مالك أشياء موضوعة ما حدث بها أنس قط، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

راجع «الجرح والتعديل» (٩/٧٤) «المجروحين» (٣/٤٤) «الكامل» (٧/٢٥٧٧) «الضعفاء» (٤/٣٤٥) «الميزان» (٤/٣١٣ - ٣١٤).

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/٩٦٠)، في ترجمة داود بن عجلان- عن أبي يعلى - بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠٤١ رقم٣١١٨) وابن حبان في «المجروحين» (١/٢٨٥) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٣٨) وابن عدي في «الكامل» (٣/٩٦٠) بأسانيدهم عن داود بن عجلان عن أبي عقال بنحوه.

وقال البوصيري في «الزوائد» (٣/٤٧) هذا إسناد ضعيف.

[٣٧٥٣] إسناده: رجاله موثقون ولكنه منقطع.

- المثنى بن معاذ بن معاذ العنبري (م٢٢٨هـ). ثقة. من صغار العاشرة (د).
- عبدالأعلى التيمي، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/١٣١).

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٣) وعزاه لابن أبي الدنيا والمؤلف.

الدنيا، حدثنا المثنى بن معاذ، حدثنا أبي، عن المسعودي، حدثني عبدالأعلى التيمي، قال قالت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: يا رسول الله ما أقول وأنا أطوف بالبيت؟ قال: «**قولي اللهُمَّ اغْفِرْ لي ذنوبي وخطايايَ وعمدي وإسرافي في أمري؛ إنّك إن لا تغفر لي تُهلكني**» هكذا جاء مرسلاً.

[٣٧٥٤] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا أحمد بن سلمان الفقيه، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا ابن جريج - ح.

وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، أخبرني يحيى بن عبيد مولى السائب أن أباه أخبره أن عبدالله بن السائب أخبره أنه سمع النبي ﷺ فيما

[٣٧٥٤] **إسناده: رجاله موثقون.**

- يحيى بن عبيد المكي، مولى بني مخزوم. ثقة. من السادسة (خت د س) وذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥/ ٥٢٩).
- وأبوه عبيد مولى السائب المخزومي. مقبول. من الثالثة (د س) وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/ ١٣٩).

والحديث أخرجه أبوداود في الحج (٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩ رقم١٨٩٢) من طريق عيسى بن يونس. وأحمد في «المسند» (٣/ ٤١١) وابن الجارود في «المنتقى» (ص١٦٠) من طريق عبدالرزاق. وأحمد أيضًا (٣/ ٤١١) عن روح وأبي بكر. وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ١٠٨؛ ١٠/ ٣٦٧ - ٣٦٨) وأحمد في «المسند» (٣/ ٤١١) والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٤٧ - تحفة الأشراف) وابن حبان في «صحيحه» كما في «الإحسان» (٦/ ٥١ رقم٣٨١٥) كلهم من طريق يحيى بن سعيد القطان. وابن سعد في «طبقاته» (٢/ ١٧٨) عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد. والشافعي في «المسند» (ص١٢٧)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٢٨ رقم١٩١٥) عن سعيد بن سالم القداح. والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٤/ ٢٩٤) من طريق هشام. وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢١٥ رقم٢٧٢١) من طريق يحيى بن سعيد ومحمد بن بكر البرساني.

والمؤلف في «سننه» (٥/ ٨٤) من طريق أبي عاصم وعبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد. كلهم عن ابن جريج به.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٥) عن أحمد بن جعفر القطيعي، بنفس الطريق الثاني.
وهو في «المصنف» لعبدالرزاق (٥/ ٥٠ - ٥١ رقم٨٩٦٣).

بين ركن بني جمح والركن الأسود يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

[٣٧٥٥] أخبرنا أبوطاهر الفقيه، أخبرنا أبوحامد بن بلال، أخبرنا إبراهيم بن الحارث، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا إسرائيل، عن عبدالله بن مسلم، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: أن ملكًا موكلاً بالركن اليماني منذ خلق الله السموات والأرض يقول: آمين آمين، فقولوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[٣٧٥٦] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، أخبرنا الربيع ابن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عطاء بن السائب، حدثنا سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس يقول: احفظوا هذا الحديث، وكان يرفعه إلى النبي ﷺ؛ وكان يدعو بين الركنين: «رَبِّ قَنِّعني بما رزقتني، وبارِك لي فيه، واخلُف علي كلَّ غائبة لي بخير».

[٣٧٥٧] أخبرنا أبومحمد بن فراس (حدثنا أبوحفص) الجمحي، حدثنا علي بن

---

(١) سورة البقرة (٢/ ٢٠١).

[٣٧٥٥] إسناده: ضعيف.

● عبدالله بن مسلم بن هرمز، المكي. ضعيف. من السادسة (بخ مد ت ق).

والخبر أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٣٦٨) من طريق ابن هرمز عن مجاهد، عن ابن عباس بنحوه.

[٣٧٥٦] إسناده: رجاله موثقون غير عطاء بن السائب فإنه كان قد اختلط.

● سعيد بن زيد بن درهم، الأزدي، الجهضمي، أبوالحسن، البصري (م١٦٧هـ). وهو أخو حماد بن زيد. صدوق له أوهام. من السابعة (خت م د س ق).

والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٥٥) عن أبي العباس، بنفس الإسناد وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فإنهما لم يحتجا بسعيد بن زيد أخي حماد بن زيد، وأقره الذهبي.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/١٠٩، ١٠/٣٦٨) عن أسباط بن محمد عن عطاء، عن سعيد بن جبير نحوه.

[٣٧٥٧] إسناده: فيه انقطاع، محمد بن يحيى بن حبان لم يسمع من أبي سعيد.

● إبراهيم بن عبدالله بن الحارث بن حاطب الجمحي. صدوق، روى مراسيل. من السابعة (ت).

قال البخاري في «تاريخه» (١/١/٢٦٦) روى عن محمد بن يحيى بن حبان مراسيل.

والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٢) برواية المؤلف وحده.

عبدالعزيز، حدثنا القعنبي، حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن الحارث الجمحي، عن محمد ابن يحيى بن حبان، عن أبي سعيد الخدري قال: من طاف بهذا البيت سبعًا لا يتكلم فيه إلا بتكبير أو تهليل كان عدل رقبة.

[٣٧٥٨] أخبرنا أبوالحسين بن الفضل القطان، أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبونعيم، قال وقال حريث بن السائب وأخبرني محمد بن المنكدر عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: **«من طاف حول هذا البيت أسبوعًا لا يلغو فيه كان كعدل رَقبة يُعتقها»**.

[٣٧٥٩] وأخبرنا أبومحمد بن يوسف، أخبرنا أبومحمد عبدالرحمن بن محمد الزهري القاضي بمكة، حدثنا محمد بن عبيدالله بن أسباط الكوفي، حدثنا أبونعيم الفضل ابن دكين، حدثنا حريث بن السائب، حدثنا محمد بن المنكدر... فذكره فلم يقل: «يعتقها».

[٣٧٦٠] أخبرنا أبوسعد الماليني، أخبرنا أبوأحمد بن عدي، حدثنا بهلول بن إسحاق بن بهلول، حدثني محمد بن معاوية - ح.

[٣٧٥٨] إسناده: رجاله موثقون ولكن الحديث مرسل.
- المنكدر بن عبدالله بن الهدير، والد محمد.
ذكره ابن حبان في «الثقات» (٤٥٦/٥) وقال أبوحاتم: لا تثبت له صحبة.
والحديث أخرجه الفسوي في «المعرفة» (١١٦/٢) عن أبي نعيم، بهذا الإسناد.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٥٧/٣) من طريق علي بن عبدالعزيز عن أبي نعيم.

[٣٧٥٩] إسناده: فيه من لم أعرفه.
- أبومحمد عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله بن سعد الزهري، القاضي (م٣٣٦هـ).
قال الخطيب: كان ثقة. راجع «تاريخ بغداد» (٢٨٩/١٠ - ٢٩٠).
- محمد بن عبيدالله بن أسباط، لم أعرفه.

[٣٧٦٠] إسناده: ضعيف.
- أبوبكر محمد بن يحيى بن أبي زكريا الفقيه، لم أجد له ترجمة.
- أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبدالله، الثقفي، السراج (م٢٨٣هـ)، هو أخو إسماعيل ومحمد. شيخ إمام، ثقة.

راجع «تاريخ بغداد» (٢٦/٦-٢٧) «طبقات الحنابلة» (٨٦/١) «السير» (٤٨٩/١٣-٤٩٠). =

وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوبكر محمد بن يحيى بن أبي زكريا الفقيه بهمدان، حدثنا موسى بن إسحاق الأنصاري؛ حدثنا محمد بن معاوية - ح.

وأخبرنا أبوسعيد بن أبي عمرو، أخبرنا أبوعبدالله الصفار، حدثنا أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق السراج، حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري - ح.

وحدثنا أبوالحسن العلوي، أخبرنا محمد بن محمد بن سعد الهروي، حدثنا محمد بن عبدالرحمن السامي، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا محمد بن صفوان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «**يُنزلُ الله تبارك وتعالى كُلَّ يومٍ مائةَ رحمةٍ ستّين منها على الطّائفين بالبيت، وعشرين على أهل مكّة، وعشرين على سائر النّاس**».

قال الشيخ أحمد: وكما رواه بهلول رواه يوسف بن السفر[1] -وهو ضعيف- عن الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس.

= • محمد بن محمد بن سعد الهروي -لعله محمد بن محمد بن سعد بن أيوب، أبوالحسين النيسابوري، ذكره الخطيب في «تاريخه» (٣/٢١٧) ولم يبين حاله.

• محمد بن معاوية بن أعين، النيسابوري، الخراساني، أبوعلي (م٢٢٩هـ). متروك مع معرفته، لأنه كان يتلقن، وقد أطلق عليه ابن معين الكذب. من العاشرة.

كذبه الدارقطني أيضًا. وقال مسلم والنسائي: متروك. وقال أحمد: رأيت أحاديثه موضوعة.

راجع «الجرح والتعديل» (٨/١٠٣ - ١٠٤) «سؤالات البرقاني للدارقطني» (رقم٤٩٤) «الضعفاء والمتروكون» (٣٤٤ رقم٤٧١) «تاريخ بغداد» (٣/٢٧٠ - ٢٧٤) «المجروحين» (٢/٢٩٢) «الضعفاء» (٤/١٤٤) «الكامل» (٦/٢٢٨٠) «الميزان» (٤/٤٤ - ٤٥).

• محمد بن صفوان، لم أعرفه.

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/٢٢٨٠) -في ترجمة محمد بن معاوية- عن بهلول ابن إسحاق.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٦/٢٧) عن أبي سعيد بن أبي عمرو.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/١٢٤ رقم١١٢٤٨) من طريق خالد بن يزيد العمري عن محمد بن عبدالله بن عبيد الليثي، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس بمثله. وخالد بن يزيد كذاب، ومحمد بن عبدالله متروك.

(١) وحديثه عند الطبراني في «الكبير» (١١/١٥٩ رقم١١٤٧٥) وانظر «الضعيفة» للألباني رقم (١٨٨).

وفي رواية الماليني: «**مائة وخمس وعشرين رحمةً، منها على الطّائفين ستّون، وأربعون على المصلّين، وعشرون الناظرين**».

[٣٧٦١] وأخبرنا أبوزكريا بن أبي إسحاق، أخبرنا أبوعبدالله بن يعقوب، حدثنا محمد ابن عبدالوهاب، أخبرنا جعفر بن عون، أخبرنا سفيان الثوري، عن ابن جريج، عن عطاء قال: النظر إلى البيت عبادة.

[٣٧٦٢] أخبرنا أبوسعد الماليني، أخبرنا أبوأحمد بن عدي، حدثنا محمد بن عبدالكريم، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا سعيد بن سليمان، عن عبدالله

[٣٧٦١] إسناده: رجاله ثقات.

والخبر أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» (١٣٥/٥ رقم٩١٧٣) من قول عطاء ومجاهد مع زيادة. وانظر «الدر المنثور» (٣٢٨/١).

[٣٧٦٢] إسناده: ضعيف.

- محمد بن عبدالكريم، وفي «الكامل»: «أحمد بن محمد بن عبدالكريم» ولم أعرفه.
- سعيد بن سليمان، سعدويه، ثقة، مر. وفي الأصل و(ن) «سعيد بن سالم» خطأ.
- عبدالله بن المؤمل بن هبة المخزومي، المكي (م١٦٠هـ). ضعيف الحديث. من السابعة (بخ ت ق).

قال يحيى بن معين: ضعيف؛ وقال، مرة: ليس به بأس، عامة حديثه منكر. وقال أحمد: أحاديثه منكرة. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه الضعف عليه بين. وقال ابن حبان: منكر الحديث لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد.

راجع «المجروحين» (٢ /٣٢ - ٣٣) «الكامل» (١٤٥٤/٤-١٤٥٦) «الميزان» (٥١٠/٢-٥١١).

- ابن محيصن هو عمر بن عبدالرحمن بن محيصن (بمهملتين مصغرًا آخره نون) السهمي، أبوحفص، ويقال: اسمه محمد (م١٢٣هـ). مقبول. من الخامسة (م ت س) وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٧٨/٧).

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٤٥٦/٤) عن أحمد بن محمد بن عبدالكريم عن محمد ابن إسماعيل به.

وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» وقال المناوي في «فيض القدير» (٥٢٣/٣): فيه محمد بن إسماعيل البخاري أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال قدم بغداد سنة خمسمائة. وقال ابن الجوزي: كان كذاباً.

وهذا من أوهامه المضحكة المبكية فإن محمد بن إسماعيل في إسناد هذا الحديث هو أمير المؤمنين في الحديث أبوعبدالله صاحب «الجامع الصحيح». والله هو الموفق.

ابن المؤمل، عن ابن محيصن، عن عطاء، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«دخول البيت دخولٌ في حسنة، وخروجٌ من سيئة»**.

ورواه غيره[١] عن سعيد: **«مَن دخل البيتَ دخل في حسنة، وخرجَ من سيئة وخرج مغفورًا له»**.

[٣٧٦٣] أخبرنا أبوصادق محمد بن أحمد بن شاذان، أخبرنا أبوعمرو بن مطر، حدثنا الحسن بن سفيان النسوي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم القطيعي، حدثنا أبوإسماعيل المؤدب، عن عبدالله بن مسلم، عن عبدالرحمن بن الزجاج قال: أتيت شيبة بن عثمان فقلت له: يا أبا عثمان زعم ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ولم يصل فيها. قال: بلى، قد صلى فيها ركعتين بين العمودين، ثم ألصق بها ظهره وبطنه.

---

(١) فرواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣٣٢/٤ - ٣٣٣ رقم٣٠١٣) عن محمد بن يحيى.
والبزار في «مسنده» (٤٣/٢ رقم١١٦١ - كشف) من طريق طليق بن محمد الواسطي.
والطبراني في «الكبير» (١٧٧/١١ رقم١١٤١٤) من طريق أحمد بن القاسم بن مساور؛ و(٢٠٠/١١ - ٢٠١ رقم١١٤٩٠) من طريق أحمد بن يحيى الحلواني. وابن عدي في «الكامل» (١٤٥٦/٤) - ومن طريقه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢٠٨) - من طريق الحجاج بن أبي الحجاج. والمؤلف في «سننه» (١٥٨/٥) من طريق محمد بن سليمان الواسطي.
كلهم عن سعيد بن سليمان به. ومداره على عبدالله بن المؤمل وهو ضعيف.

[٣٧٦٣] إسناده: ضعيف.

- أبوإسماعيل المؤدب هو إبراهيم بن سليمان بن رزين، مر.
- عبدالله بن مسلم بن هرمز، ضعيف، مر.
- عبدالرحمن بن الزجاج.

ذكره ابن حبان في «الثقات» (٩٩/٥).

- شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، العبدري، الحجبي (م٥٩هـ).

من مسلمة الفتح، له صحبة وأحاديث (خ د ق) وانظر «الإصابة» (١٥٧/٢ - ١٥٨).

والحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٥٧/٧ رقم٧١٩٠) من طريق عبدالرحيم بن سليمان عن عبدالله بن هرمز به.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٩٥/٣) فيه عبدالرحمن بن الزجاج، ولم أجد من ترجمه.

(قال عبدالعلي) ذكره ابن حبان في «الثقات»، فكان الأولى إعلاله بابن هرمز.

[٣٧٦٤] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن ابن مكرم، حدثنا أبوالنضر، حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه سعيد قال: اعتمر معاوية فدخل البيت، فأرسل إلى عبدالله بن عمر ينتظره، حتى جاءه. فقال: أين صلى رسول الله يوم دخل البيت؟ فقال: ما كنت معه لكنني دخلت بعد أن أراد الخروج فلقيت بلالا فسألته أين صلى؟ فأخبرني أنه صلى بين الأسطوانتين. فقام معاوية، فصلى بينهما.

[٣٧٦٥] أخبرنا أبوطاهر الفقيه، أخبرنا أبوبكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا علي ابن الحسن الداربجردي، حدثنا يعلى بن عبيد - ح.

وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوعبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني الزاهد إملاء، حدثنا أحمد بن يونس الضبي، حدثنا يعلى بن عبيد الطنافسي، ، حدثنا محمد ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر قال: استقبل رسول الله ﷺ الحجر فاستلمه، ثم وضع شفتيه عليه، يبكي طويلاً فالتفت فإذا عمر يبكي. فقال: «**يا عُمر: هاهنا تُسكب العَبَرَاتُ**».

[٣٧٦٤] إسناده: رجاله ثقات.

● إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي. هو وأبوه ثقتان، وقد تقدما.

والحديث أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤/٦) عن أبي النضر هاشم بن القاسم، بنفس الإسناد.

[٣٧٦٥] إسناده: ضعيف.

● محمد بن عون الخراساني. متروك. من السادسة (ق).

قال النسائي: متروك. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء.

راجع «الضعفاء» (١١٢/٤ - ١١٣) «المجروحين» (٢٦٩/٢) «الكامل» (٢٢٤٨/٦) «الميزان» (٦٧٦/٣).

والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٥٤/١) عن أبي عبدالله الأصبهاني بنفس الإسناد، وصححه وأقره الذهبي. وذهل أنه ذكر هذا الحديث في «الميزان» (٦٧٦/٣).

من منكرات ابن عون!

وأخرجه أيضًا ابن ماجه في المناسك (٢/ ٩٨٢ رقم٢٩٤٥) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٢/٤ رقم٢٧١٢) وابن حبان في «المجروحين» (٢٦٩/٢) والعقيلي في «الضعفاء» (١١٣/٤) وابن عدي في «الكامل» (٢٢٤٨/٦) بأسانيدهم عن يعلى بن عبيد، عن محمد بن عون به.

قال الشيخ أحمد: وفي رواية الفقيه: «طويلاً يبكي، ثم التفتَ فإذا بعمر يبكي...» ثم ذكره.

تفرد به محمد بن عون والله أعلم.

[٣٧٦٦] أخبرنا أبوالحسن المقرئ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف ابن يعقوب، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن عبدالرحمن بن صفوان أو صفوان بن عبدالرحمن قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، قلت: لألبسن ثيابي، ولأنظرن كيف يصنع رسول الله ﷺ. وكانت داري على الطريق، فانطلقت، فوافقت رسول الله ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه، وقد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم، وقد وضعوا خدودهم على البيت، ورسول الله ﷺ وسطهم هكذا.

[٣٧٦٧] حدثنا أبوالحسن المقرئ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف ابن يعقوب، حدثنا مسدد، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا المثنى بن الصباح، عن

[٣٧٦٦] إسناده: ضعيف.

- يزيد بن أبي زياد القرشي، ضعيف، مر.
- عبدالرحمن بن صفوان بن قدامة الجمحي، ويقال: صفوان بن عبدالرحمن يقال: له صحبة؛ وقال البخاري: لا يصح، (د ق).

والحديث أخرجه أبوداود في المناسك (٢/ ٤٥١ رقم١٨٩٨) - ومن طريقه المؤلف في «سننه» (٩٢/٥) - عن عثمان بن أبي شيبة به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤٣١/٣) عن أحمد بن الحجاج؛ والبزار في «مسنده» (٤٤/٢ رقم١١٦٣ - كشف) عن يوسف بن موسى؛ كلاهما عن جرير به.

[٣٧٦٧] إسناده: ضعيف.

- المثنى بن الصباح اليماني، الأبناوي، ضعيف، مر.

والحديث أخرجه أبوداود في المناسك (٢/ ٤٥٢ رقم١٨٩٩) عن مسدد.

وأخرجه المؤلف في «سننه» (٩٣/٥) عن أبي الحسن علي بن محمد المقرئ، بنفس الإسناد.

ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٧٤/٥ - ٧٥ رقم٩٠٤٣) - ومن طريقه ابن ماجه في المناسك (٢/ ٩٨٧ رقم٢٩٦٢) - عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده... فذكره.

وتحرف اسم المثنى في «المصنف» إلى «ابن التيمي».

عمرو بن شعيب، عن أبيه قال: طفت مع عبدالله فلما جئنا دبر الكعبة قلت له: ألا تتعوذ؟ قال: أعوذ بالله من النار. ثم مضى، حتى استلم الحجر (و) قام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه، وبسطهما بسطا ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ بمكة يفعله.

[٣٧٦٨] أخبرنا أبومحمد بن يوسف، أخبرنا دعلج بن أحمد، أخبرنا محمد بن غالب، أخبرنا أبوحذيفة، حدثنا سفيان، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: رأيت رسول الله ﷺ يلزق وجهه وصدره بالملتزم.

[٣٧٦٩] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، ومحمد بن موسى قالا حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا عبدالله بن وهب، عن سليمان بن بلال، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن أبي الزبير، عن عبدالله بن عباس: أنه كان يلزم ما بين الركن والباب، وكان يقول: ما بين الركن والباب يدعى الملتزم، لا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه.

[٣٧٧٠] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوعبدالله محمد بن يعقوب إملاء، حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: إنما سعى رسول الله ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ليري المشركين قوته.

رواه مسلم(١) في الصحيح عن أحمد بن عبدة.

[٣٦٧٨] إسناده: ضعيف.

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/٢٤١٨) من طريق مهران عن سفيان به.

[٣٧٦٩] إسناده: ضعيف.

- إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري، ضعيف، مر.

[٣٧٧٠] إسناده: رجاله ثقات.

- سفيان هو ابن عيينة.
- عمرو هو ابن دينار.

(١) في الحج (١/ ٩٢٣ رقم ٢٤١) عن عمرو الناقد وابن أبي عمر وأحمد بن عبدة: جميعًا عن سفيان به.

وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/٨٢) عن أبي عبدالله الحافظ.

ورواه البخاري[١] عن علي بن المديني عن سفيان.

وروينا[٢] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ وأصحابه قدموا مكة وقد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ليري المشركين جلدهم، وكان ذلك عمرة القضية.

وروينا[٣] عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: فيم الرملان الآن، والكشف عن المناكب، وقد أظهر الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا نترك شيئًا كنا نصنعه مع رسول الله ﷺ.

وروينا[٤] في بدء السعي بين الصفا والمروة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن إبراهيم عليه السلام جاء بأم إسماعيل وابنها إسماعيل عليه السلام، وهي ترضعه،

---

(١) في الحج (٢/ ١٧١)، كما رواه في المغازي (٥/ ٨٦) عن محمد -وهو ابن سلام- عن سفيان به.
وأخرجه الحميدي في «مسنده» (١/ ٣٣٢ رقم٤٩٧) وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٢١) عن سفيان به.
وأخرجه الترمذي في الحج (٣/ ٢١٧ رقم٨٦٣) عن قتيبة؛ والنسائي في المناسك (٥/ ٢٤٢) من طريق أبي عمار الحسين بن حريث؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٣٩ رقم٢٧٧٧) عن عبدالجبار بن العلاء وأحمد بن منيع والمخزومي؛ وأبويعلى في «مسنده» (٤/ ٢٢٩ رقم٢٣٣٩) عن محرز بن عون؛ كلهم عن سفيان به.

(٢) أخرجه في «السنن» (٥/ ٨٢).
وأخرجه البخاري في الحج (٢/ ١٦١) وفي المغازي (٥/ ٨٦) ومسلم في الحج (١/ ٩٢٣ رقم٢٤٠) وأبوداود في المناسك (٢/ ٤٤٦ رقم١٨٨٦) والنسائي في الحج (٥/ ٢٣٠) وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٩٠، ٢٩٥ - ٢٩٦) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٧٩) من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
وأخرجه أحمد (١/ ٣٠٦، ٣٧٣) من طريق حماد بن سلمة، عن أيوب به.

(٣) راجع «السنن الكبرى» (٥/ ٧٩).
وأخرجه أبوداود في المناسك (٢/ ٤٤٦ - ٤٤٧ رقم١٨٨٧) وكذا ابن ماجه (٢/ ٩٨٤ رقم٢٩٥٢) وأحمد في «مسنده» (١/ ٤٥) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر به.

(٤) في «السنن» (٥/ ٩٨- ٩٩) وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٤٦ - ٥٢) وانظر تخريجه في آخر الحديث حيث يسوق المؤلف سنده.

فوضعها عند البيت؛ وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل، وقالت: يا إبراهيم! أين تذهب؟ تتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس؟ قالت ذلك ثلاث مرات، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم؛ قالت: إذًا لا يضيعنا، ثم رجعت، وانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات، ورفع يده وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾[1] الآية.

فجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب مرة من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجاع، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال النبي ﷺ: **«فلذلك سَعَى النّاس بينهما»**.

فلما أشرفت على المروة، سمعت صوتًا، فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضًا فسمعت فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم يبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى إذا ظهر الماء، فجعلت تحوضه، وجعلت تغرف الماء في سقائها، وهو يفور[2] بقدر ما تغرف قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«يرحمُ اللهُ أمَّ إسماعيل! لو تركت زمزم - أو قال: لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينًا معينًا»**.

فشربت، وأرضعت ولدها. وقال لها الملك: لا تخافي من الضيعة، فإن هاهنا بيت (الله) يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله... وذكر الحديث بطوله في بناء البيت وغيره.

وقد ذكرناه في الخامس من دلائل النبوة.

---

(١) سورة إبراهيم (١٤/ ٣٧).

(٢) وفي الأصل و(ن): «وهي تقوم بقدر ما تغرف».

[٣٧٧١] أخبرناه أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا أبوالحسن بن منصور، حدثنا هارون بن يوسف، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن كثير بن كثير ابن المطلب، وأيوب - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. . . فذكره.

وهو مخرج في كتاب البخاري بطوله.

الوقوف يوم عرفة بعرفات وما جاء في فضله والأصل في رمي الجمار والذبح

[٣٧٧٢] حدثنا السيد أبوالحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله، حدثنا أبوحامد بن الشرقي، حدثنا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة

[٣٧٧١] إسناده: رجاله ثقات.

- هارون بن يوسف بن هارون بن زياد، أبوأحمد، المقراضي (م٣٠٣هـ). وثقه أبوبكر الإسماعيلي، وقال: كان ثبتًا.

راجع «تاريخ بغداد» (١٤/٢٩) «الأنساب» (١٢/٣٩٦) «السير» (٤/٢٦٢).

- كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، المكي. ثقة. من السادسة (خ د س ق).

والحديث أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/١٠٥ - ١١٠ رقم٩١٠٧) ومن طريقه أخرجه البخاري في الأنبياء (٤/ ١١٣ - ١١٦). وأحمد في «مسنده» (١/٣٤٧ - ٣٤٨) وابن جرير في «تفسيره» (١/٥٥٠).

وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/٩٨ - ٩٩) بنفس هذا الإسناد والمتن. وفي «دلائل النبوة» (٢/٤٦ - ٥٢) مطولاً بهذا الإسناد، ومن وجه آخر عن عبدالرزاق.

ورواه البخاري أيضًا (٤/ ١١٦ - ١١٧) من طريق إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير بنحوه.

[٣٧٧٢] إسناده: رجاله ثقات .

- بكير بن عطاء الليثي الكوفي . ثقة . من الرابعة (٤) .
- عبدالرحمن بن يعمر (بفتح التحتانية وسكون المهملة وفتح الميم) الديلي .صحابي، نزل الكوفة، ويقال مات بخراسان (٤).

والحديث أخرجه الترمذي في الحج ولم يسق لفظه (٣/ ٢٣٧رقم٨٩٠) وفي التفسير (٥/ ٢١٤ رقم٢٩٧٥) عن ابن أبي عمر .

وأخرجه ابن الجارود في «المنتقى» (ص١٦٥رقم٤٦٨) عن ابن المقرئ، كلاهما عن سفيان بن عيينة به. =

عن سفيان بن سعيد الثوري عن بكير بن عطاء عن عبدالرحمن بن يعمر الديلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحج عرفات، الحج عرفات، فمن أدرك ليلة جمعٍ قبل أن يطلع الفجر، فقد أدرك أيام منى ثلاثة أيام، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه**».

[٣٧٧٣] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ وأبوالحسين بن الفضل القطان ببغداد قالا حدثنا أبوالحسين علي بن عبدالرحمن بن عيسى الكوفي بها، حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة الغفاري، أخبرنا جعفر بن عون، عن أبي العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب أن رجلًا من اليهود قال لعمر: يا أمير المؤمنين آية في كتاب الله تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1].

فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات يوم الجمعة.

= وأخرجه الحميدي في «مسنده» (٢/٣٩٩)، ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٦٣-٤٦٤) عن سفيان بن عيينة به.

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦/٧٥-٧٦ - الإحسان) عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقي بنفس الطريق.

وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/١١٦) بنفس الإسناد.

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٧/٢٩٠ رقم ٢٠٠١) من طريق أبي بكر محمد بن سهل بن عبدالله القهستاني عن عبدالرحمن بن بشر به.

وأخرجه أبو داود في المناسك (٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦ رقم ١٩٤٩) والترمذي في الحج (٣/ ٢٣٧ رقم ٨٨٩) والنسائي في الحج (٥/ ٢٥٦، ٢٦٤-٢٦٥) وابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠٠٣ رقم ٣٠١٥) وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٠٩ - ٣١٠، ٣٣٥) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٥٧ رقم ٢٨٢٢) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦٣ - ٤٦٤) والمؤلف في «سننه» (٥/١٥٢) من طرق عن سفيان الثوري بمثله.

وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (ص ١٨٥) والدارمي في المناسك (ص ٤٥٥) وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٠٩ - ٣١٠) وعبد بن حميد في «المنتخب» (١/٢٧٦ رقم ٣١٠) والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٢٧٨) وصححه والمؤلف في «سننه» (٥/ ١٧٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢١٠) من طريق شعبة عن بكير بن عطاء به.

قال الشيخ الألباني: صحيح. «صحيح الجامع الصغير» (٣١٦٧) راجع «الإرواء» (رقم ١٠٦٤).

[٣٧٧٣] إسناده: رجاله موثقون.

(١) سورة المائدة: (٥/ ٣).

أخرجاه في الصحيح[1] من حديث جعفر بن عون.

[٣٧٧٤] أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أحمد بن سلمان الفقيه، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثنا أبونعيم، حدثنا مرزوق، عن أبي الزبير، عن جابر، قال قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم عرفة فإن الله تبارك وتعالى يباهي بهم الملائكة، فيقول: انظرو إلى عبادي أتوني شعثا، غبرًا، ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم**». قال رسول الله ﷺ: «**فما من يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة**».

زاد فيه غيره عن أبي الزبير يسألوني رحمتي ولم يروني ويتعوذون من عذابي ولم يروني.

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (١/ ١٦) عن الحسن بن الصباح.
ومسلم في التفسير (٣/ ٢٣١٣ رقم ٥) عن عبد بن حميد، كلاهما عن جعفر بن عون به.
ومر الحديث في الجزء الأول من هذا الكتاب (١/ ١٧١ - ١٧٢ رقم ٣٣)، وقد استوفينا تخريجه هناك فراجعه.

[٣٧٧٤] إسناده: لا بأس به.

• مرزوق الباهلي هو أبوبكر البصري مولى طلحة بن عبدالرحمن. صدوق. من السابعة (ت).
وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٤٨٧) وقال: يخطئ.
وقال أبوزرعة: بصري ثقة. راجع «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٦٤).
وقال ابن خزيمة: أنا أبرأ من عهدة مرزوق.
والحديث أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٦٣ رقم ٢٨٤٠) عن محمد بن يحيى، واللالكائي في «شرح السنة» (٣/ ٤٣٩ رقم ٧٥١) من طريق أبي زرعة. والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٥٩ رقم ١٩٣١) من طريق أبي الفضل العباس بن محمد الدوري، ثلاثتهم عن أبي نعيم به.
وأخرجه أبويعلى في «مسنده» (٤/ ٦٩ - ٧٠ رقم ٢٠٩٠)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٦/ ٦٢ رقم ٣٨٤٢) من طريق هشام الدستوائي، وأخرجه البزار في مسنده (٢/ ٢٨ رقم ١١٢٨ - كشف الأستار) من طريق أيوب، كلاهما عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله بلفظ «ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة» قال فقال رجل: يا رسول الله، هن أفضل أم عدتهن جهادا في سبيل الله قال: «هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ...» فذكر الحديث.
وفيه محمد بن مروان العقيلي: وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض الكلام وبقية رجاله رجال الصحيح وقال الحافظ: «صدوق له أوهام».
وأورده الشيخ الألباني في «الضعيفة» (رقم ٦٧٩) وقال: ضعيف.

وروينا[1] في الحديث الثابت عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة**».

[٣٧٧٥] أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى حدثنا أبوالعباس الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ الخولاني، حدثنا أيوب بن سويد، حدثني ابن أبي عبلة - ح.

وأخبرنا أبوأحمد عبدالله بن محمد بن الحسن المهرجاني، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر المزكي، حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا ابن بكير، حدثنا مالك، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن طلحة بن عبيدالله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «**ما رئي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر**» لفظ حديث مالك.

وفي رواية أيوب: «**ما رئي إبليس يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى من يوم بدر**». قالوا يا رسول الله وما الذي رئي من يوم بدر؟ قال: «**رئي جبريل يزع[2] الملائكة يعني يرد**».

---

(١) أخرجه مسلم في الحج (١/ ٩٨٢ - ٩٨٣ رقم ٤٣٦) والنسائي في المناسك (٥/ ٢٥١-٢٥٢) وابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠٠٣ رقم ٣٠١٤) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٩/٤ رقم ٢٨٢٧) والحاكم في «المستدرك» (٤٦٤/١) وصححه ووافقه الذهبي.

والمؤلف في «سننه» (١١٨/٥) من طريق يونس بن يوسف عن سعيد بن المسيب عن عائشة.

وأورده المنذري في «الترغيب» (٢٠٤/٢) وقال: رواه مسلم والنسائي وابن ماجه.

وذكره الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٥٦٧٢).

[٣٧٧٥] إسناده: فيه من لم نعرفه، والحديث مرسل.

- أبوأحمد عبدالله بن محمد بن الحسن المهرجاني وشيخه أبوبكر محمد بن جعفر المزكي لم نجد ترجمتهما وقد مرا مرارا.
- ابن بكير هو يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومي، ثقة، مر.

والحديث أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٥٨رقم ١٩٣٠) من طريق أبي مصعب عن مالك به.

وهو عند مالك في «الموطأ» في الحج (ص٤٢٢)، وعنه عبدالرزاق في «مصنفه» (٣٧٨/٤) عن إبراهيم بن أبي عبلة بنفس السند.

(٢) يزع الملائكة: أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار. راجع «النهاية» (١٨٠/٥).

[٣٧٧٦] أخبرناه أبوعبدالله الحافظ في موضع آخر قال وقد كتبناه من حديث أبي الدرداء متصلا قال أبوعلي الحافظ، أخبرناه عبدالله بن وهب الدينوري، حدثنا أحمد بن أيوب ابن سويد عن أبيه، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن طلحة، عن أبي الدرداء.

[٣٧٧٧] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس الأصم، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا يحيى بن إسحاق السالحيني، حدثنا سكين بن عبدالعزيز - ح.

[٣٧٧٦] إسناده: فيه من لم نعرفه.

- عبدالله بن وهب الدينوري هو عبدالله بن محمد بن وهب الدينوري، أبومحمد الحافظ البارع الرحال، مر.
- أحمد بن أيوب بن سويد: بعد البحث في المصادر المتوفرة لدينا لم نجد ترجمته. لعله محمد بن أيوب بن سويد الرملي كما ذكره الحافظ ابن حجر وقال: ضعفه الدارقطني. وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه.

وقال أبوزرعة: رأيته قد أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة.

انظر ترجمته في «الميزان»(٣/ ٤٨٧) و«اللسان» (٥/٨٧) و«التهذيب» (٩/٦٩) و«المجروحين» (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

- وأبوه أيوب بن سويد الرملي، أبومسعود الحميري، الشيباني. صدوق، يخطئ من التاسعة (د ت ق).

والحديث أشار إليه ابن عبدالبر في هامش «الموطأ» أن الحاكم قد وصله في «المستدرك» عن أبي الدرداء .

[٣٧٧٧] إسناده: حسن.

- سكين بن عبدالعزيز بن قيس العبدي العطار. صدوق، يروي عن الضعفاء، مر.
- وأبوه عبدالعزيز بن قيس العبدي البصري. مقبول، من الرابعة (ز).

وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/١٢٤) وراجع «التاريخ الكبير» (٦/١٠).

والحديث أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٩) عن عفان، وفي (١/ ٣٥٦) عن وكيع بمثله.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/٢٨٨- ٢٨٩ رقم ٧٤١) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٦١) من طريق أسد بن موسى، وأخرجه الطبراني في الكبير أيضا (١٨/ ٢٨٨-٢٨٩) والخطيب في تاريخه بمثله (١/ ٢٤٢) من طريق خالد بن خداش.

وأخرجه أبويعلى في «مسنده» (٤ / ٣٣٠ رقم٢٤٤١) عن إبراهيم بن الحجاج.

وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٦١رقم ٢٨٣٤) من طريق حبان بن هلال بن أبي حبيب ولم يذكر اللفظ، كلهم عن سكين بن عبدالعزيز عن أبيه.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٢٥١) وقال: رواه أحمد وأبويعلى والطبراني في «الكبير» ورجال أحمد ثقات.
=

وأخبرنا أبومنصور محمد بن محمد بن عبدالله النخعي بالكوفة، حدثنا أبو جعفر محمد بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا عبيدالله بن موسى، أخبرنا سكين بن عبدالعزيز، عن أبيه، عن ابن عباس، قال كان الفضل بن عباس ردف النبي ﷺ يوم عرفة فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن وجعل رسول الله ﷺ يصرف بيده وجهه من خلفه وجعل الفتى يلاحظهن فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له**».

وفي رواية أبي عبدالله عن الفضل(١) بن عباس أنه كان رديف النبي ﷺ بعرفة قال وكان الفتى يلاحظ النساء قال فقال النبي ﷺ ببصره هكذا وصرفه وقال: «**يا ابن أخي، هذا يوم من ملك بصره إلا من حق وسمعه إلا من حق ولسانه إلا من حق غفر له**».

[٣٧٧٨] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا أبوبكر أحمد بن سليمان الموصلي ببغداد،

= وأورده المنذري في «الترغيب» (٢/٢٠٤) عن ابن عباس وعنده «كان فلان ردف رسول الله ﷺ وقال: رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني.

ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» وابن خزيمة في «صحيحه» والبيهقي وعندهم: «كان الفضل رديف رسول الله ﷺ».

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (ص ٥٨٣-٥٨٤ رقم ٦٦٨) من طريق يحيى بن إسحاق عن سكين بن عبدالعزيز به.

[٣٧٧٨] **إسناده: ضعيف.**

- عبدالرحمن بن يحيى المدني العذري

قال ابن عدي: حدث عن الثقات بالمناكير.

وقال العقيلي: مجهول لا يقيم الحديث من جهته.

وأخرج له الدارقطني في غرائب مالك واستنكره.

راجع «لسان الميزان» (٣/٤٣٣) و«الضعفاء الكبير» (٢/٣٥١) و«الكامل» (٤/١٥٩٩-١٦٠٠).

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٥٩٩- ١٦٠٠) في ترجمة عبدالرحمن بن يحيى عن علي بن إبراهيم بن الهيثم وصالح بن أحمد بن يونس قالا حدثنا علي بن حرب به.

وقال: هذا منكر عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة لا يرويه عنه غير عبدالرحمن ابن يحيى هذا وعبد الرحمن غير معروف.

وأورده الديلمي في «مسند الفردوس» (١/٣٥٢ رقم ١٤١٣) عن أبي هريرة.

قال الشيخ الألباني: ضعيف. (ضعيف الجامع الصغير رقم ١١٠٧).

حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا عبدالرحمن بن يحيى المدني، حدثنا مالك بن أنس، عن سمي مولى أبي بكر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»**

هكذا رواه عبدالرحمن بن يحيى وغلط فيه إنما رواه مالك[1] في الموطأ مرسلا.

[٣٧٧٩] أخبرنا الإمام أبوعثمان، أخبرنا أبوطاهر بن خزيمة، أخبرنا جدي، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبيدالله بن موسى، عن قيس بن الربيع، عن الأغر، عن خليفة بن حصين، عن علي بن أبي طالب قال: كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ عشية عرفة: **«اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرًا مما نقول، اللهم لك صلاتي ونسكي**

---

(١) أخرجه في «الموطأ» في الحج (ص٤٢٢ -٤٢٣)، ومن طريقه المؤلف في «سننه» (١١٧/٥) والبغوي في «شرح السنة» (١٥٧/٧) عن زياد بن أبي زياد مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة عن طلحة بن عبيدالله بن كريز مرسلًا مختصرًا إلى قوله «ولا شريك له».
وقال ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك في إرساله ولا أحفظ بهذا الإسناد مسندًا من وجه يحتج به.
(قلنا) وله شاهد ضعيف. رواه الترمذي في الدعوات (٥/ ٥٧٢ رقم ٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه حماد بن أبي حميد وهو محمد بن أبي حميد ليس بالقوي، قال ابن عدي: ضعفه بين على ما يرويه «الكامل» (٢/ ٦٥٩) وحديثه مقارب وهو مع ضعفه يكتب حديثه وباقي رجاله ثقات.

[٣٧٧٩] إسناده: ليس بالقوي.

- أبو طاهر بن خزيمة هو محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق.
- وجده: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبوبكر السلمي النيسابوري (م٣١١هـ)، تقدما.
- قيس بن الربيع الأسدي، أبومحمد الكوفي. صدوق. تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه. من السابعة (د ت ق).
- الأغر هو ابن الصباح التميمي، المنقري، الكوفي، ثقة، من السابعة، مر.

والحديث أخرجه الترمذي في الدعوات (٥/ ٥٣٧ رقم ٣٥٢٠) عن محمد بن حاتم المؤدب حدثنا علي بن ثابت حدثني قيس بن الربيع به.
وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٦٤ رقم ٢٨٤١) عن يوسف بن موسى بنفس الإسناد.

قال الشيخ الألباني: ضعيف. راجع «ضعيف الجامع الصغير» (رقم ١٣١٢).

ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك رب تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدور وشتات الأمر، اللهم إني أسألك من خير ما تجيء به الريح، وأعوذ بك من شر ما تجيء به الريح».

[٣٧٨٠] أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن إبراهيم الأسدي الحافظ بهمدان، حدثنا علي بن الحسن بن عبدالصمد الطيالسي علان الحافظ، حدثنا أبوإبراهيم الترجماني، حدثنا عبدالرحمن بن محمد الطلحي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف فيستقبل القبلة بوجهه ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، ثم يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة، ثم يقول اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة إلا قال الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء عبدي هذا سبحني وهللني وكبرني وعظمني وعرفني وأثنى علي وصلى على نبيي اشهدوا ملائكتي أني قد غفرت له وشفعته في نفسه ولو سألني عبدي هذا لشفعته في أهل الموقف كلهم».

قال الشيخ أحمد: هذا متن غريب وليس في إسناده من ينسب إلى الوضع والله أعلم.

[٣٧٨٠] إسناده: ضعيف.

- أبو إبراهيم الترجماني هو إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البغدادي (م٢٣٦هـ) لا بأس به، مر.
- عبدالرحمن بن محمد الطلحي هو عبدالرحمن بن صالح بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، يعرف بالطلحي.

ذكره السمعاني في «الأنساب» (٩/٨٠) وقال: كان من أهل الصدق. وقال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي بالمدينة سنة ست عشرة ومائتين وسألت أبي عنه فقال: صدوق.

- عبدالرحمن بن محمد المحاربي، أبو محمد الكوفي (م١٩٥هـ).

لا بأس به، وكان يدلس - قاله أحمد - من التاسعة (ع) وهو من الطبقة الثالثة من المدلسين.

قال يحيى بن معين والنسائي: ثقة. وقال أبوحاتم: صدوق إذا حدث عن الثقات. ويروي عن المجهولين أحاديث منكرة.

وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩٢/٧). وراجع «التهذيب» (٦/ ٢٦٥) و «الميزان» (٢/٢٨٥) و«الجرح والتعديل» (٢/٢/٢٨٢) و «الضعفاء» (٢/٣٤٨).

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/٥٤٨) برواية المؤلف وحده.

وأورده المنذري في «الترغيب» (٢/٢٠٥- ٢٠٦) ونسبه للمؤلف فقط.

ورواه أحمد بن عبيد الصفار عن علان بن عبدالصمد ببعض معناه غير أنه قال عبدالله بن محمد الطلحي وكذا قال غيره عن محمد بن بشر بن مطر عن أبي إبراهيم عن عبدالله بن محمد الطلحي.

وروي عن غير الطلحي أيضًا عن المحاربي.

[٣٧٨١] أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا تمتام، حدثنا أبوحذيفة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي ليلى، عن ابن أبي مليكة، عن عبدالله بن عمرو قال: أفاض جبريل عليه السلام بإبراهيم عليه السلام فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم غدا به من منى إلى عرفة، فصلى به الصلاتين الظهر والعصر، ثم وقف به حتى غابت الشمس، ثم دفع به حتى أتى المزدلفة، فنزل به فبات، فصلى الصبح كأعجل ما يصلي أحد من المسلمين، ثم وقف به كأبطأ ما يصلي أحد من المسلمين، ثم دفع به إلى منى، فرمى ثم ذبح، فأوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١).

هذا هو المحفوظ موقوف.

[٣٧٨١] إسناده: حسن.

- تمتام هو محمد بن غالب بن حرب، أبو جعفر ثقة.
- وأبو حذيفة هو موسى بن مسعود النهدي صدوق، سيئ الحفظ.
- وسفيان هو الثوري.
- وابن أبي ليلى هو عبدالرحمن الأنصاري، المدني، ثم الكوفي ثقة، تقدموا.
- ابن أبي مليكة هو عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن أبي مليكة المدني.

أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ثقة فقيه. من الثالثة (ع).

والحديث أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٦٤ رقم ٢٨٤٢) والمؤلف في «سننه» (٥/٤٥) من طريق عبد الجبار بن العلاء ومحمد بن كثير، كلاهما عن سفيان وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/ ١٤٥) من طريق معمر عن ابن أبي ليلى بنحوه ولم يذكر اللفظ.

ونسبه السيوطي لعبد الرزاق وابن أبي شيبة في «المصنف» معا وابن المنذر وابن مردويه والمؤلف في «الشعب» الدر المنثور (٥/ ١٧٧).

(١) سورة النحل (١٦/ ١٢٣).

[٣٧٨٢] وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرني أبوالطيب محمد بن علي الزاهد، حدثنا سهل بن عمار، حدثنا عبيدالله بن موسى، حدثنا ابن أبي ليلى - ح.

وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبدالجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن ابن أبي ليلى وابن أبي أنيسة، عن عبدالله بن أبي مليكة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**نزل جبريل على إبراهيم عليهما السلام فراح به**».

وذكر الحديث بنحوه وزاد: «**ثم أفاض به حتى أتى به الجمرة فرماها (ثم ذبح)**[(١)] **وحلق ثم أتى به البيت وطاف به**».

قال ابن أبي ليلى ثم رجع به إلى منى فأقام فيها تلك الأيام ثم أوحى الله إلى محمد ﷺ: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ لم يذكر أبو الطيب رجوعه إلى منى.

[٣٧٨٣] أخبرنا أبونصر بن قتادة، أخبرنا أبوعمرو بن مطر، أخبرنا محمد بن يحيى بن

[٣٧٨٢] إسناده: ضعيف وفيه من لم نعرفه.
- أبو الطيب محمد بن علي الزاهد، لم نعرفه.
- سهل بن عمار أبو يحيى العتكي النيسابوري (م٢٦٧هـ).
قال الحاكم: مختلف في عدالته وقال ابن منده: كان ضعيفًا، مر.
- أحمد بن عبدالجبار العطاردي، أبوعمر الكوفي، ضعيف، تقدم.
- ابن أبي أنيسة هو يحيى أبو زيد الجزري (م ١٤٦هـ). ضعيف. من السادسة. (ت).

والحديث أخرجه المؤلف في «سننه» بدون ذكر اللفظ (٥/ ١٤٥) عن أبي عبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبدالجبار، حدثنا يونس بن بكير عن ابن أبي ليلى ... فذكره بإسناده مرفوعًا.

(١) ما بين العلامتين سقط من (ن).

[٣٧٨٣] إسناده: حسن.
- ابن عائشة هو عبيدالله بن محمد بن عائشة (م٢٢٨هـ). ثقة جواد، رمي بالقدر ولم يثبت، مر.
- أبو عاصم الغنوي. مقبول من الخامسة (د).

والحديث أخرجه أحمد في «مسنده» (١/٢٩٧ - ٢٩٨) عن سريج ويونس وبدون ذكر اللفظ (١/ ٢٩٨) عن مؤمل.

والطبراني في «الكبير» (١٠/٣٢٦-٣٢٧ رقم ١٠٦٢٨) من طريق حجاج بن المنهال، كلهم عن حماد بن سلمة به. =

الحسين العمي، حدثنا ابن عائشة، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا أبو عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، قال: قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله ﷺ طاف بين الصفا والمروة على بعير، وأن ذلك سنة. قال صدقوا وكذبوا، قال قلت ما صدقوا وكذبوا؟ قال صدقوا طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا ليس بسنة، كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ﷺ ولا يصدون، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه، ولا يناله الأيدي. قلت ويزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت، وذاك سنة. قال صدقوا وكذبوا. قلت ما صدقوا وكذبوا؟ قال قد صدقوا قد رمل رسول الله ﷺ بالبيت، وكذبوا ليس بسنة، إن قريشًا قالت زمن الحديبية دعوا محمدًا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف - قال ابن عائشة: ديدان تكون في مناخر الشاة - فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، قال فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قعيقعان[1]، قال فقال رسول الله ﷺ: **«ارملوا بالبيت ثلاثًا وليس بسنة»**.

قلت ويزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة وأن ذلك سنة. قال صدقوا، إن إبراهيم عليه السلام لما ابتلي بصبر المناسك عرض له شيطان عند المسعى فسابقه إبراهيم فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له شيطان عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم تله للجبين وعلى إسماعيل قميص أبيض فقال يا أبة: إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: **﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾**[2].

= وأخرجه المؤلف في «سننه» (١٥٤/٥)، بنفس الإسناد.

وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (ص٣٥١)، ومن طريقه المؤلف في «سننه» (١٥٣/٥ - ١٥٤)، عن حماد بن سلمة بدون ذكر قصة ذبح إسماعيل عليه السلام.

وأخرجه أبو داود في المناسك (٢/ ٤٤٤-٤٤٥ رقم ١٨٨٥) عن أبي سلمة موسى بن إسماعيل، وأحمد في «مسنده» (٣١١/١ -٣١٢) عن روح، كلاهما عن حماد بن سلمة مختصرًا إلى قوله «ولا تناله أيديهم».

(١) قعيقعان: بالضم ثم الفتح بلفظ تصغير وهو اسم جبل مكة وسمي قعيقعان لأن قطوراء وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه، وبالأهواز جبل يقال له قعيقعان. (معجم البلدان ٤/ ٣٧٩).

(٢) سورة الصافات (٣٧/ ١٠٤- ١٠٥).

قال فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أقرن أعين أبيض فذبحه، قال ابن عباس: فلقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش فلما ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم ذهب به جبريل إلى منى، فقال هذا مناخ الناس ثم أتى به جمعا فقال هذا المشعر الحرام، ثم ذهب به إلى عرفة، قال فقال ابن عباس هل تدري لم سميت العرفة عرفة؟ قلت: ولم؟ قال: إن جبريل عليه السلام قال لإبراهيم: هل عرفت. قال: نعم. قال ابن عباس فمن ثم سميت عرفة ثم قال فهل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت وكيف كانت، قال: لأن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس (بالحج)[1] فخفضت له الجبال برءوسها ورفعت له القرى فأذن في الناس بالحج.

قال الشيخ أحمد: قول ابن عباس في الرمل وليس بسنة يشبه أن يكون أراد ليس بسنة يفسد الحج بتركه أو يجب على من تركه شيء والله أعلم.

وقد روينا[2] عن عمر بن الخطاب ما يدل على أنه بقي هيئة في الطواف مع زوال سببه وفي رمل النبي ﷺ في حجة الوداع بعد زوال السبب دلالة على بقائه مشروعًا.

وروينا عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس رفعه قال: لما أتى إبراهيم خليل الرحمن المناسك عرض له الشيطان عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له في الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، قال ابن عباس: الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون .

[٣٧٨٤] أخبرناه أبوعبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا محمد بن

---

(١) كذا في (ن) وفي «السنن» وسقط من «الأصل».

(٢) أخرجه البخاري في الحج (٢/ ١٦١) والمؤلف في «سننه» (٥/ ٨٢-٨٣) من طريق محمد بن جعفر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال للركن «أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك فاستلمه ثم قال فما لنا والرمل إنما كنا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه» .

[٣٧٨٤] إسناده : ضعيف.

● محمد بن أحمد بن أنس، القرشي، أبوعبدالله، ويقال أبوعلي النيسابوري (م٢٧٩هـ) ضعفه الدارقطني. راجع ترجمته في «التهذيب» (٩/ ٢٤) و«تهذيب الكمال» (٣/ ١١٦١) و«اللسان» =

أحمد بن أنس، حدثنا حفص بن عبدالله، حدثني إبراهيم بن طهمان، حدثنا الحسن بن عبيدالله، عن سالم بن أبي الجعد . . . فذكره.

[٣٧٨٥] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ وأبوالقاسم المفسر، قالا حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبوالدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، حدثنا عتبة بن السكن، عن إسماعيل بن عياش، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: إنما سميت تروية وعرفة؛ لأن إبراهيم ﷺ أتاه الوحي في منامه أن يذبح ابنه، فروى في نفسه، أمن الله هذا أم من الشيطان؟ فأصبح صائماً، فلما كان ليلة عرفة أتاه الوحي، فعرف أنه الحق من ربه، فسميت عرفة.

= (٣٣/٥) و«الميزان» (٣/ ٤٥٥).

- إبراهيم بن طهمان، أبوسعيد الخراساني (م١٦٨هـ) ثقة، يغرب تكلم فيه بالإرجاء ويقال رجع عنه.
- الحسن بن عبيدالله هو النخعي أبوعروبة، الكوفي، ثقة فاضل، تقدم.

والحديث أخرجه المؤلف في «سننه» (١٥٣/٥)، بنفس الإسناد والمتن.

[٣٧٨٥] إسناده : واهٍ جدًّا .

- أبوالدرداء هاشم بن محمد الأنصاري مؤذن بيت المقدس.
ذكره ابن حبان في «الثقات» (٢٤٤/٩).
- عتبة بن السكن الشامي.
قال الدارقطني: متروك الحديث. وقال ابن حبان: يخطئ ويخالف . وقال البيهقي: واه، منسوب إلى الوضع.
راجع «الجرح والتعديل» (٣٧١/٦) «الثقات» (٨/ ٥٠٨) «الميزان» (٢٨/٣) «اللسان» (١٢٨/٤) «المغني» (٤٢٢/٢).
- إسماعيل بن عياش العنسي أبوعتبة الحمصي (م١٨١هـ). صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم، من الثامنة (ي-٤).
قال أبوحاتم: لين، ما أعلم أحدًا كف عنه إلا أبوإسحاق الفزاري. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن حبان: كثير الخطأ في حديثه فخرج عن حد الاحتجاج به. وقال ابن خزيمة: لا يحتج به.
راجع ترجمته في «التهذيب» (٣٢١/١ -٣٢٦) و«الميزان» (٢٤٠/١-٢٤٤) و«تهذيب الكمال» (١٦٣/٢) و«تاريخ بغداد» (٢٢١/٦-٢٢٨) و«الكامل» (٢٨٨/١) و«الضعفاء» (٨٨/١- ٨٩).
- الكلبي هو محمد بن السائب بن بشر أبوالنضر الكوفي (م١٤٦هـ)، مر.

والحديث أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١١١/٧) ونسبه للمؤلف وحده.

[٣٧٨٦] أخبرنا أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي قدم علينا، أخبرنا أبو حكيم محمد ابن إبراهيم بن السري بن يحيى الدارمي بالكوفة، حدثني أبي أبوالقاسم إبراهيم بن السري، حدثنا أبوعبيدة السري بن يحيى التميمي، حدثنا عثمان بن زفر، حدثنا صفوان ابن أبي الصهباء، عن بكير بن عتيق، قال حججت فتوسمت رجلًا أقتدي به، فإذا رجل مصفر لحيته وإذا هو سالم بن عبدالله وإذا هو في الموقف، يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله إلها واحدًا ونحن له مسلمون، لا إله إلا الله ولو كره المشركون، لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين. قال فلم يزل يقول هذا حتى غابت الشمس ثم نظر إلي فقال قد رأيت لو ذانك بي اليوم ثم قال حدثني أبي عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يقول الله تبارك وتعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»**

قال الشيخ أحمد رحمه الله[1]: وقد ذكرت في باب[2] المحبة وما يتصل بها من ذلك أخبارًا وحكايات في هذا المعنى.

[٣٧٨٧] أخبرنا أبوعبدالرحمن السلمي، حدثنا أبوالحسن الكارزي، أخبرنا علي بن

[٣٧٨٦] إسناده: فيه من لم نعرفه من الرجال.

- أبوذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي (م٤٣٤هـ). كان ثقة ضابطًا دينًا فاضلًا.
راجع «تاريخ بغداد» (١١/١٤١) و«السير» (١٧/٥٥٤- ٥٦٣) و«العبر» (٢/٢٦٩) و«تذكرة الحفاظ» (٣/١١٠٣- ١١٠٨) و«طبقات الحفاظ» (ص٤٢٥) و «شذرات الذهب» (٣/٢٥٤).
- أبوحكيم محمد بن إبراهيم بن السري بن يحيى، لم نعرفه.
- وأبوه: أبوالقاسم إبراهيم بن السري، لم نجد ترجمته.
- السري بن يحيى بن السري، التميمي، الكوفي أبوعبيدة أخي هناد بن السري.
قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/١/٢٨٥): وكان صدوقًا.
وذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/٣٠٢).
ونسبه السيوطي للمؤلف وحده في «الدر المنثور» (١/٥٤٨).

(١) كذا في (ن) وفي الأصل «رضي الله عنه». (٢) راجع العاشر من شعب الإيمان.

[٣٧٨٧] إسناده: ضعيف.

- أبونعيم الفضل بن دكين الكوفي. ثقة، ثبت، مر.
- عبيدالله بن أبي زياد القداح أبوالحصين المكي (م١٥٠هـ)، ليس بالقوي، تقدم. =

عبدالعزيز، حدثنا أبونعيم، حدثنا سفيان، عن عبيدالله بن أبي زياد، قال سمعت القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت قال رسول الله ﷺ: **«إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»**.

[٣٧٨٨] أخبرنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم المقرئ الهروي قراءة عليه في المسجد الحرام، قال سمعت منصور بن أحمد بن جعفر الحربي، يقول سمعت أحمد بن محمد بن صالح الحراني يقول حدثني خالي عمر الجمال الصوفي قال سمعت أبا بكر أحمد ابن محمد بن الحجاج قال سمعت أيوب الجمال يقول وقفت بعرفة ومعي نفقتي فأحببت أن أسأل الله عز وجل وليس معي من الدنيا شيء فوضعتها بين يدي ودعوت الله إلى وقت الإفاضة ثم أفضت ونسيت النفقة فلما أبعدت ذكرتها فقلت أرجع فلعلي أن أصيبها فرجعت فإذا الموقف أبدان كله سود بلا رءوس فتعجبت من ذلك فهتف بي هاتف أتعجب من هذا، هذه ذنوب بني آدم رحلوا وتركوها وأصبت نفقتي فأخذتها.

[٣٧٨٩] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ قال سمعت عمر بن جعفر البصري يقول سمعت

= والحديث أخرجه أبو داود في المناسك (٢/ ٤٤٧ رقم ١٨٨٨) والترمذي في الحج بدون ذكر الطواف بالبيت (٣/ ٢٤٦ رقم ٩٠٢) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٧٩ رقم ٢٨٨٢) من طريق عيسى بن يونس.

وأخرجه الدارمي في المناسك (ص٤٤٦) عن أبي عاصم، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٧٥) عن محمد ابن بكر.

وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/ ١٤٥) من طريق سليمان بن أحمد الطبراني، كلهم عن عبيدالله ابن أبي زياد به.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٦٤) والدارمي في المناسك بدون ذكر اللفظ (ص٤٤٦) عن أبي نعيم، بنفس الطريق.

وأخرجه الدارمي في المناسك ولم يسق لفظه (ص٤٤٦) عن محمد بن يوسف.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٣٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٣٢) بدون ذكر اللفظ من طريق وكيع.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٢٣١) من طريق بشر بن السري، ثلاثتهم عن سفيان الثوري.

قال الشيخ الألباني: ضعيف، راجع «ضعيف الجامع الصغير» (رقم ٣٠٥٥).

[٣٧٨٨] لم نقف عليه.

[٣٧٨٩] إسناده : ضعيف .

- عمر بن جعفر بن عبدالله بن أبي السري، أبوحفص الوراق البصري، الحافظ (م٣٥٧هـ). =

أبا القاسم بن منيع يقول سمعت جدي أحمد بن منيع يقول حججت سنة من السنين وكنت عديل أبي عبيد القاسم بن سلام فلما ذهبنا إلى عرفات وضعت الرحل عند أبي عبيد وذهبت إلى عكاظ أغتسل في تلك الحياض وكان في وسطي هميان فيه جملة من الدراهم فوضعت همياني خلف الحجارة واغتسلت وذهبت إلى أبي عبيد ونسيت الهميان فلم أذكر إلى نصف الليل فلما كان نصف الليل نزلت من الكنيسة فغدوت إلى عرفات فلما بلغت عرفات رأيت الجبال والأرض ملئن قرودا كبارا وصغارا يمينا وشمالًا يقعدون ويقفزون فتحيرت وهممت أن أرجع ثم تلوت آيا من كتاب الله حتى حيرتهم فلما ذهبت إلى عكاظ وجدت الهميان في الموضع الذي وضعت فيه ثم رجعت فرأيت القرود بعرفات مثل ذلك وهم يقفزون كبارا وصغارا منهم مثل البقر ومنهم مثل الظبي ومنهم مثل الشاة فقرأت القرآن وتعوذت حتى رجعت إلى أبي عبيد فقال ما صنعت فأخبرته ثم ذكرت له القرود التي رأيتها فقال أبو عبيد ذلك ذنوب بني آدم فقد وضعوا عن رقابهم.

[٣٧٩٠] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي الجراح العدل بمرو، حدثنا عيسى بن عبدالله القرشي، حدثنا صدقة بن حرب الدينوري، حدثنا أحمد بن أبي

= قال الخطيب: وكان أبومحمد السبيعي يقول فيه: كذاب. وقال ابن أبي الفوارس كانت كتبه رديئة، كان الدارقطني يتبع خطاه في انتخابه على الشافعي وعمل في ذلك رسالة في خمس كراريس وبين أغاليطه في أشياء عديدة يخالف فيها أصول الشافعي وذلك يدل على تفضيله وضعفه راجع ترجمته في «السير» (١٦/١٧٢-١٧٣) و«تاريخ بغداد» (١١/٢٤٤-٢٤٩) و«التذكرة» (٣/٩٣٤ - ٩٣٥) و«شذرات الذهب» (٣/٢٦) و«الميزان» (٣/١٨٤).

- أبو القاسم بن منيع هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان البغوي (م٣١٧هـ) قال الدارقطني: ثقة جبل، إمام من الأئمة، ثبت أقل المشايخ خطأ، مر.
- أحمد بن منيع بن عبدالرحمن أبوجعفر البغوي (م٢٤٤هـ). ثقة، حافظ، من العاشرة (ع).

[٣٧٩٠] **إسناده: لم نعرف حال بعض رواته.**

- محمد بن عبدالله بن أبي الجراح المروزي، أبوبكر الجراحي له ذكر في كتاب «التقييد» (٢/١٠٣) و«المشتبه» (ص١٥٧) ولم نجده.
- عيسى بن عبدالله القرشي.
- وصدقة بن حرب، لم نعرفهما.

والأثر ذكره السيوطي برواية المؤلف وحده في «الدر المنثور» (١/٥٥٠) عن أبي سليمان عن عبدالله بن أحمد بن عطية عن علي، فوهم السيوطي لأن أبا سليمان اسمه عبدالرحمن بن عطية.

الحواري، قال سمعت أبا سليمان الداراني عبدالرحمن بن أحمد بن عطية قال: سئل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عن الوقوف بالجبل ولم لم يكن في الحرم قال لأن الكعبة بيت الله والحرم باب الله فلما قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرعون قيل: يا أمير المؤمنين، فالوقوف بالمشعر قال: لأنه لما أذن لهم بالدخول وقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة، فلما أن طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمنى، فلما أن قضوا تفثهم وقربوا قربانهم فتطهروا بها من الذنوب التي كانت لهم أذن لهم بالوفادة على الطهارة، قيل: يا أمير المؤمنين فمن أين حرم صيام أيام التشريق؟ قال: لأن القوم زوار الله وهم في ضيافته ولا يجوز للضيف أن يصوم دون إذن من أضافه قيل: يا أمير المؤمنين تعلق الرجل بأستار الكعبة لأي معنى هو؟ قال: مثل الرجل بينه وبين صاحبه جناية فتعلق بثوبه ويتصل إليه ويستحذي له ليهب له جنايته.

[٣٧٩١] أخبرناه أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، قال سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الحناط، يقول سمعت عبدالبارئ، يسأل ذا النون فقال له يا أبا الفيض: لم صير الموقف بالمشعر - يريد عرفات - ولم يصير بالحرم؟ فقال له ذو النون: لأن الكعبة بيت الله والحرم حجابه والمشعر بابه فلما أن قصد الوافدون أوقفهم بالباب الأول يتضرعون إليه، حتى إذا أذن لهم بالدخول لوقفهم بالحجاب الثاني وهو مزدلفة، فلما نظر إلى تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجابًا من دونه أمرهم بالزيارة على الطهارة، فقال له، يا أبا الفيض: لم كره صيام أيام التشريق؟ قال لأن القوم زوار الله وهم في ضيافته ولا ينبغي لضيف أن يصوم عمن أضافه إلا بإذنه قيل له يا أبا الفضل فما معنى الرجل يتعلق بأستار الكعبة؟ قال مثله كمثل رجل بينه وبين صاحبه جناية فهو يتعلق به ويستحذي له رجاء أن يهب له جرمه.

[٣٧٩٢] أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرنا عبدالله بن محمد بن إسحاق الفاكهي بمكة،

[٣٧٩١] أخرجه أبونعيم في «الحلية» (٩/٣٧٠) من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا قال قال بعض المتعبدين كنت مع ذي النون المصري بمكة فقلت له رحمك الله لم صار الوقوف بالجبل ولم يصر بالكعبة قال: لأن الكعبة بيت الله والجبل باب الله فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب يتضرعون . . . فذكره مطولًا.

[٣٧٩٢] **إسناده: حسن.**

• أبو يحيى بن أبي مسرة هو عبدالله بن أحمد بن زكريا المكي (م٢٧٩هـ). =

حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، حدثنا أبو جابر، حدثنا هشام بن الغاز، عن نافع، عن ابن عمر قال: وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال: «**أي يوم هذا؟**» قالوا هذا يوم النحر . قال: « **فأي بلد هذا ؟** »قالوا البلد الحرام، قال: « **فأي شهر هذا ؟** » قالوا الشهر الحرام، قال: « **هذا يوم الحج الأكبر ، فدماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم**» ثم قال« **هل بلغت** » قالوا نعم، فطفق رسول الله ﷺ يقول: « **اشهد**» ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع.

قال الشيخ أحمد : استشهد به البخاري(١) في الصحيح.

تم بحمد الله وعونه الجزء الخامس من كتاب
«الجامع لشعب الإيمان» للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي -رحمه الله تعالى-
ويتلوه إن شاء الله الجزء السادس وأوله
«فضل الحج والعمرة»

***

= إمام، محدث، مسند. قال ابن أبي حاتم: محله الصدق، مر.
- أبو جابر هو محمد بن عبدالملك الأزدي المكي (م٢١١هـ). مقبول. من الثامنة (فق). وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ٦٤).

راجع ترجمته في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٦) و«التهذيب» (٩/ ٣١٨) و«اللسان» (٥/ ٢٦٦) و«الميزان» (٣/ ٦٣٢).

والحديث أخرجه ابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠١٦- ١٠١٧ رقم ٣٠٥٨) من طريق صدقة ابن خالد عن هشام بن الغاز به.

وأخرجه المؤلف في «سننه» (٥/ ١٣٩) عن أبي محمد عبدالله بن يوسف الأصبهاني عن عبدالله ابن محمد بن إسحاق به.

وأخرجه أبوداود في المناسك مختصرًا (٢/ ٤٨٣ رقم ١٩٤٥) من طريق الوليد عن هشام بن الغاز به.

وأخرجه ابن جرير في «التفسير» ببعضه (١٠/ ٧٣) عن سهل بن محمد الحساني عن أبي جابر به.

وأخرجه أبونعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٤) من طريق سعيد بن عبدالعزيز عن نافع به مختصرًا.

(١) في الحج (٢/ ١٩٢).